

ديوان الأخرس

السيد عبد الغفار بن عبد الواحد بن
وهب الموصلي البغدادي البصري
المتوفي سنة 1291هـ/1874م

حققه وعلق عليه

الخطاط وليد الأعظمي



الطبعة الثانية

ديوان الأخرس
حققه وعلق عليه
الخطاط وليد الأعظمي
الطبعة الثانية

ديــوان الأخـرس

السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب
الموصلي البغدادي البصري
المتوفى سنة ١٢٩١هـ /١٨٧٤م

حققه وعلق عليه

الخطاط وليد الأعظمي

الطبعة الثانية
2008

راجع هذا الديوان وضبطه وأضاف إلى حواشيه

الباحثان في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

عبدالعزيز محمد جمعة

إبراهيم عبدالحميد الأسود

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

تصميم الغلاف

محمد عبدالوهاب

طبعة خاصة لصالح

تزامنًا مع دورتها الحادية عشرة

«دورة معجم البابطين لشعراء العربية $ القرنين التاسع عشر والعشرين»

الكويت 2008

الطبعة الأولى 1986

أسفًا على عُمرٍ تقضّى شطرُهُ
في خيبة المسعى إلى الآمال
وبناتِ أفكارٍ لنا عربيَّةٍ
رخُصَتْ لدى الأعجام وهْي غوالي

الأخرس

التصديـــــر

كلما ذكر الشعر العربي في العراق في القرن التاسع عشر أو ذكر أعلامه تبادر إلى الذهن شاعر العراق الكبير في ذلك القرن عبدالغفار الأخرس، الذي ولد في أوائل القرن التاسع عشر ورحل في أوائل ربعه الأخير، مخلفًا كنزًا شعريًا ثمينًا تميز بالعذوبة والصفاء والأساليب البلاغية الأصيلة الناهلة من التراث بأنواعه أكان تراثًا دينيًا أم لغويًاً، وقد امتاز شعره – في أغلبه – بطول النفس وبمقدماته الغزلية والخمرية.

إن من المؤسف أن لا يقابل شعر الأخرس بما تستحقه قامته الشعرية السامقة من اهتمام، فلم تصدر له طبعات ذات أهمية، بخلاف قيام المرحوم الشاعر عبدالباقي العمري (من مجايلي الشاعر) بتجميع ما تيسر له آنذاك، من أشعاره وطباعتها في استانبول قبل (١٢٥) عامًا (١٣٠٤هـ) تحت عنوان «الطراز الأنفس في شعر الأخرس»، ثم قيام المرحوم وليد الأعظمي المتوفى عام ٢٠٠٤ بإضافة بعض القصائد إلى الطراز الأنفس والخروج بطبعة جديدة عام ١٩٨٦م، مع اختلاف في الترتيب، ولم تسلم الطبعتان من الأخطاء المطبعية الكثيرة المبثوثة في ثنايا القصائد.

لذلك رأت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وهي بصدد إقامة دورتها الحادية عشرة في الكويت تحت عنوان (دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين) أن تحتفي بشعراء ثلاثة من رموز شعراء العربية في القرنين المذكورين، أحدهما من شعراء القرن التاسع عشر ولادة وإبداعًا ووفاة، فوقع الاختيار على المرحوم الشاعر عبدالغفار الأخرس من العراق، وثانيهما من شعراء القرن العشرين ولادة وإبداعًا ووفاة، فوقع الاختيار على المرحوم الشاعر صقر الشبيب من الكويت، وثالثهما وآخرهما شاعر توزعت حياته على القرنين فضلاً عن مهجريته ووقع الاختيار على المرحوم الشاعر إيليا أبي ماضي. وهكذا فإن المؤسسة غطت شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين في شكل رمزي، فضلاً عن التغطية الكاملة لآلاف الشعراء من خلال إصدارها المتميز (معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين).

عزيزي القارئ

ستجد من خلال الاطلاع على هذا الديوان شاعرًا عربيّاً متميزًا في شعره من حيث المستوى ومكثرًا من حيث الكم، يدحض مقولة انحطاط وتدني مستوى الشعر العربي في العصر العثماني ويقيد إطلاقها على الجميع، فلقد كان الشاعر الأخرس حزمة ضوء كبيرة وتيار إشعاع ينير ما حوله من ظلمة، ويرتفع بالإبداع الشعري ويحلق به في مستويات وآفاق تذكّر بإبداعات الشعر العربي في عصوره الذهبية التي خلت.

نعم، لقد كان جل شعر الأخرس في أغراض تقليدية تمحورت حول المديح والتهاني والرثاء، وكان مقلاً في الهجاء، وفي وصف الطبيعة، ولعل مقدمات قصائده التي تسبق أغراضها الأصلية فيها العوض عن ذلك. وسيرى المتابع لإبداع الأخرس أن شعره كان منهلاً للكثير من الشعراء المجايلين له وللشعراء الذين جاؤوا من بعده.

وما أحوجنا اليوم للاطلاع على إبداعات شعرائنا السابقين والمتميزين منهم بشكل خاص، وهذا هو الهدف الذي تسعى إليه مؤسستنا من خلال إصدارات كاملة - ما أمكن - للشعراء السابقين، لوضع هذا الإنتاج وتلك التجارب بين أيدي الأجيال الحاضرة والقادمة.

وفي الختام أتمنى للقراء الكرام أن يجدوا في عوالم هذا الديوان مزيدًا من الفائدة المقرونة بالمتعة من خلال الإبحار في تحفة نفيسة من فننا القولي الرفيع جاد بها هذا الشاعر العملاق في القرن التاسع عشر.

ويسعدني أن أخص بالشكر الجزيل الأخ الباحث عبدالعزيز محمد جمعة الذي بذل جهودًا طيبة لمراجعة وضبط هذا الديوان بشكل جديد ومتكامل وشكري موصول للأخ الشاعر إبراهيم الأسود للعون الذي أسداه. ولا يفوتني تقديم الشكر لدار عالم الكتب على تعاونها في إصدار هذه الطبعة الخاصة لصالح مؤسستنا بمناسبة انعقاد دورتها الحادية عشرة دورة «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت 10 من رجب 1429هـ
الموافق 12 من يوليو 2008م

****

بين يدي الديوان

من المسلم به أن كثيرًا من الأحكام النقدية التي قوّمت من خلالها عصور الأدب أو قدرة الشعراء ما تزال بحاجة إلى مراجعة، لأن معظم النقود التي قيلت والضوابط التي حدّدت اعتمدت الحكم العام، والتزمت بما ألف الدارسون ترديده، حتى أوشكت أن تغلق أبواب الاجتهاد في بعض المقولات، وتصبح(*) نظرياتٍ لا مجال لدحضها ولا خلاف في نتائجها.

وقد جرّت هذه الحالة على الأدب أستارًا فحجبت روائعه، وأخفت بدائعه، وحملت الباحثين على أن يظلوا غائبين في الصورة الغائمة والموروث التقليدي، ويُكتَب على كثير من روّاد الأدب النسيان والإجحاف وبقيت هذه المعادلة غير المتوازنة تتحكم في الصورة الأدبية. وعلى الرغم من ازدهار البيئات الأدبية في العراق وفي بعض الأقطار العربية، وظهور مجموعة من الشعراء المبدعين الذين أغنَوْا حركة الشعر بغرر(**) القصائد في الأغراض المختلفة، وبراعتهم في تقديم اللوحات الفنية المتميزة من حيث الأداء التعبيري أو التركيب البلاغي أو التناسق اللفظي، فإن الصورة القاتمة التي طبع بها العصر ظلت مهيمنةً على أحكام النقاد وملازمة لبحوث الدارسين، فقد شهد العراق خلال القرن التاسع عشر – كما شهد – كثير من الأقطار العربية حركةً أدبيةً برع فيها شعراء متميزون، عرفوا باستيعابهم للتراث الشعري العربي واستلهامهم لكثير من أحداثه وأخباره ووقائعه، ووجدوا في صوره الشعرية وأحاديث فخره وأبيات حماسته ما أغنى

(*) في الطبعة الأولى (وتصح) وهو خطأ طباعي.
(**) في الطبعة الأولى (بغرار) وهو خطأ طباعي.

فكرهم وأثرى شعرهم، ومهد لهم حركة إحياءٍ فكريّ أسهمت في إنضاج الحس القومي الذي ظهرت بوادره في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ولعل في قصائد حيدر الحلي وصالح التميمي وعبدالغفار الأخرس[1] وعبدالحميد الشاوي وعبدالغني الجميل وعبدالباقي العمري، ما يشعر بهذا الحس الذي عبّر عن دعوته إلى الحرية واستثارته لعزائم الرجال واستنهاضه لهممهم، وهو لوحات كاملة يمكن من خلالها الوقوف على روح الاعتزاز بالعرب والتذكير بالأمجاد الكريمة، والاستبشار بكل حركةٍ أو ثورةٍ تحققها محاولة مخلصة أو تدعو إليها فئة خيرة، وقد وجد هؤلاء الشعراء في حالة الحرمان الضاربة بأطنابها على الأرض العربية سببًا من أسباب الدعوة إلى التوحد، وعاملاً من عوامل توثيب الجمهور لرفض حالة البؤس والفساد التي استبدت بأحوال الناس، حتى أصبحوا في أوطانهم غرباء لا تجمعهم رابطة ولا يوحدهم سبب.

إن شعر المرحلة التي مهدت لبداية الحس القومي في العراق لم تزل بعيدةً عن تناول الدارسين، وإن المفاهيم القومية التي طرحها شعراء الفترة بمعانيها المعاشة وأفكارها التي لامست جوهر الحياة وعبرت عن أصالة الفكر الموحد، ظلت غير منظورةٍ في الدراسات التي وقفت على هذا الجانب التاريخي وهي أقرب الحالات إلى التعبير وأكثرها صلةً بحياة المناضلين والمجاهدين.

إن محاولة الأستاذ وليد الأعظمي في إحياء شعر هذا الشاعر بعد أن أصبحت نسخة الديوان الأولى نادرة، إضافة إلى القصائد التي أضافها الأستاذ الدكتور يوسف عزالدين، تعد مبادرةً رائدةً في تقديم شعر الشاعر بعد أكثر من مائة عام على طبع القسم الأول، لقراءته قراءةً جادةً بعيدةً عن كل تأثيرٍ يطوي أحاسيس أولئك الشعراء، ويُغفل خفقات وجدانهم التي انبعثت في عصر التخلخل وعبرت في زمن الاكتئاب وذكرت في مرحلة التراجع والتردد.

---

(١) انظر قصيدته في مدح أبي الثناء الألوسي وقصيدته في مدح نقيب بغداد.

وإذا كان المحقق الفاضل قد وجد في شاعرية الأخرس مشاركةً وجدانيةً لاشتراكهما في الشعر، فإن مشاركةً فنية أخرى كانت موضع اعتزازه وهو يُقْدِمُ على إخراج شاعرٍ خطاط عُرف ببراعته وإجادته، بعد أن أدت حُبسة لسانه إلى أن يُقَدِّمَ قصائده إلى ممدوحيه مكتوبة بخطه البديع الأنيق، وهنا وجدتُ صورة الأستاذ المحقق ترتسم لي وهو ينصرف بوجدانه إلى إحياء ذكر خطاط مُجيد، بعد أن تلمّستُ اعتزازه بهذا الفن الذي لازم حياته، فكان تلميذًا وفيًا للمرحوم الخطاط هاشم البغدادي، وربما أصبح توزع اهتمامه بين الخط والشعر عاملاً من عوامل الإلمام بهذين الفنين الأصيلين، وكان له في كل منهما باع طويل وحظ موفور.. وإن إقدامه على هذا العمل وجهده المثابر في الإخراج ومتابعته في الحصول على هذه الإضافات، توحي بحبه لإحياء التراث الخالد الذي ظل مبعث استثارةٍ ومدعاة استلهامٍ لكل أمة تريد لأبنائها حياة التقدم، وتسعى لاستعادة دورها الرائد في مسيرة الحياة والتقدم الإنساني.. والله أسأل التوفيق لما فيه الخير إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور نوري حمودي القيسي

الأمين العام للمجمع العلمي العراقي
بغداد 4 رجب الأصم 1405هـ
26 آذار 1985م

****



مقدمة

ولد الشاعر السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب في مدينة الموصل بُعيد سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م، على أرجح الأقوال[(١)].

وبها قضى أيام طفولته وصباه، وتعلّم مبادئ القراءة [وقرأ][(*)] قسطًا من كتب اللغة والأدب والفقه على بعض شيوخها، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عن أسرته، وشيوخه الذين درس عليهم وأخذ عنهم في الموصل.

وقدم بغداد أيام شبابه، وسكن الكرخ، واتصل بالعلامة أبي الثناء الألوسي، وواصل عليه دراسته اللغوية والأدبية حتى نال إجازته.

وظهرت مواهبه الأدبية، وسطعت شاعريته في أجواء مجالس بغداد ومنتدياتها.

ولم تبيّن لنا المصادر سبب هجرة الأخرس من الموصل إلى بغداد ويبدو لي أن الأخرس، قد بدر منه ما أثار حفيظة والي الموصل عبدالرحمن باشا الجليلي[(٢)] فخشي الأخرس على نفسه وهاجر إلى بغداد.

وفي «الطراز الأنفَس» إشارة إلى أن الوالي داود باشا، قد أمر بحبس الشاعر لسوء موقفه من والي الموصل عبدالرحمن باشا، فاعتذر الأخرس، وأرسل إلى الوالي بيتين من

---

(١) يرى بعض الباحثين أن ولادته سنة ١٢١٠هـ. وآخرون سنة ١٢٢٠هـ. وسنة ١٢٢٥هـ. انظر: الشاعر عبدالغفار الأخرس، حياته وشعره ص (٤٢) رسالة ماجستير بالرونيو سنة ١٩٧٨ للأستاذ هيثم شاكر الشيخلي من جامعة الأزهر بالقاهرة.

(٢) تولى الحكم في الموصل سنة (١٢٤٢ - ١٢٤٤هـ) انظر: الموصل في العهد العثماني ص ٥٠٢ للدكتور عماد عبدالسلام رؤوف.

الشعر قال فيهما:

أقــــول لــــلــــشــــامت لمــــا بـــدا
يُـكـثـر بـالـتـعـنـيـف والـشَّـيْن[1]
ألــيس يــكــفــيــني فــخــارًا وقــد
أصـــبـــحت في قـــيْـــد وزيـــريْن

وكان هذان البيتان سببًا لاتصال الشاعر الأخرس بالوالي داوود باشا. فقرّبه الوالي، وأسبغ عليه رعايته.

وكان شاعرنا يشكو من احتباس في لسانه، لا يستطيع معه أن ينشد شعره، ويكاد يختنق إذا تكلم.

ووجد الأخرس الفرصة سانحة لمعالجته على نفقة الوالي، فمدحه بقصيدة عرض فيها مبتغاه بقوله:

إن أيــــاديك مـــنك ســــابـــغـــةٌ
عــليَّ قِــدْمًــا في ســالف الحِــقَبِ[2]
هـــذا لـــســـاني يـــعـــوقه ثِـــقَلٌ
وذاك عـــنـــدي من أعـــظم الـــنُّـــوَبِ
فــلــو تــســبَّــبْتَ في مــعــالجــتي
لــنــلــت أجــرًا بــذلك الــسَّــببِ
ولـــيس لي حـــرفـــةٌ ســـوى أدبٍ
جَمٍّ ونـــظْم الـــقـــريض والخُـــطَبِ

فأمر الوالي بإرساله إلى الهند لمعالجته، وأخبره الطبيب في الهند أنه سيجري له عملية جراحية، فإمّا أن ينطلق لسانه، أو يموت فأبى شاعرنا، وقال قولته المشهورة: «لا

---

(١) الطراز الأنفس ص ٤٢٩.
(٢) القصيدة رقم ١١٤.
(٣) الطراز الأنفس ص ٨.

أبيع كلّي ببعضي». وعاد إلى بغداد[3].

وكانت هذه العلة قد سببت له عقدًا نفسية حادة، ظهر أثرها في سلوكه وتصرفاته وتقلباته، وحدّة مزاجه وانفعالاته، وكان يقدم قصائده إلى ممدوحيه، مكتوبة بخطه البديع الأنيق، – وقد كان خطاطًا بارعًا مجيدًا –، أو يلقيها بعض أصحابه نيابة عنه، وقد ألقى الشاعر الكبير عبدالباقي العمري، قصيدة للأخرس بمدح أبي الثناء في مجلسه.

ولا شك في أن سرور الشاعر ونشوته وطربه، إنما يحصل عندما يلقي الشاعر شعره بنفسه، وإن انفعالاته وقسمات وجهه، ونبرات صوته، كل ذلك يضفي على شعره أثرًا لا ينكر، ولا يستطيع إظهار ذلك من ينوب عنه كائنًا من كان.

وبقي شاعرنا يتنعم برعاية الوالي داود باشا، وصار للأخرس مجلس حافل بالعلماء والأدباء[1]. وتوثقت صلاته بأعيان بغداد كالعلامة محمد سعيد الطبقجلي والشيخ عبدالغني آل جميل والعلامة أبي الثناء الألوسي، وآل النقيب، وصار يدعى في المناسبات الفخيمة، كالحفلة التي أقامها إقبال الدولة النواب الهندي تكريمًا لأبي الثناء الألوسي. بصحبة قاضي بغداد جابي زاده[2].

كما توثقت علاقات الشاعر بكبار رؤساء القبائل العربية كآل السعدون شيوخ المنتفق، وآل الزهير شيوخ النجادة في الزبير والشيخ وادي الشفلح شيخ زبيد وسليمان الغنام شيخ عقيل، وكبار أعيان البصرة كآل النقيب وآل باش أعيان، وآل عبدالواحد والشيخ أحمد نور الأنصاري بالإضافة إلى ولاة البصرة.

وكان كثير الترداد إلى البصرة، ويقيم في ضيافة الشيخ أحمد نور الأنصاري ومن البصرة امتدت صلاته إلى الكويت فمدح أميرها الشيخ عبدالله الصباح، ومدح بعض أعيان الكويت كابن المخيزيم والشيخ يوسف البدر والشيخ يوسف الصبيح.

كما توثقت علاقاته بالشيخ جابر آل مرداو أمير عربستان. وقصده سنة ١٢٤٧هـ.

---

(١) البغداديون: أخبارهم ومجالسهم ص ٤٥.

(٢) حديقة الورود، الورقة ٨١ مخطوط.

ونزل في قصره، كما زاره عدة مرات آخرها سنة ١٢٨٥هـ.

وبلغ من حب الشاعر لداوود باشا، أن مدحه بقصيدة بعد عزله عن بغداد، وبعث بها إليه، ولم يخش من بطش السلطة، وهو يتمنى اللحاق به، ومنها قوله:

وإني عـلـى خَـصب الـزمـان وجَـدبه
إلـيـك وإن شطّ المـزار لأُهـرَعُ[1]
ولـو أنـني وُفِّـقْتُ لـلـخـيـر أصبحتْ
نـيـاقي بـأرض الـروم تَـخـدي وتُـسـرع

ولم تَرُقِ الحياةُ لشاعرنا أيام الوالي علي رضا اللاظ، وأكثر من ترداده إلى البصرة ليبتعد عن بغداد وحوادثها[2].

لقد كانت حياة شاعرنا رتيبة مملّة، فلم تكن له حرفة يكتسب منها أسباب عيشه، كما لم ينل وظيفة، ولو كانت شكلية يتقاضى منها راتبًا يعيش به..

كان يقضي أغلب أوقاته في المقاهي والدواوين (المجالس)، وقد اعتاد البغداديون أن يعقدوا مجالسهم اليومية أو الأسبوعية، بعضهم في الصباح وبعضهم بعد العصر، وآخرون بعد العشاء.

وأغلب المجالس ليس فيها ما يشوق الأديب، ويشحذ قريحته، ويصقل مواهبه، وربما فيها ما يبلِّد الحس ويفسد الذوق، كالحكايات المجوجة والألغاز السقيمة والنكات الباردة.

لذلك كان شاعرنا يمل الإقامة، ونراه كثير الأسفار، مع مشقة السفر وخطورته تلك الأيام، وعزم على أداء فريضة الحج سنة ١٢٦٤هـ فلم يستطع[3]. وفي سنة ١٢٩٠هـ – ١٨٧٣م عزم شاعرنا على السفر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، فعاد إلى بغداد، وعاود ذلك في السنة التالية. وهو بعد لم يزل يشكو من مرضه، وقد أصابه الكبر، فاشتد

---

(١) القصيدة رقم ١٢.
(٢) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص ٢٤٤.
(٣) مجموعة عبدالغفار الأخرس ص ٢٩.

عليه المرض في البصرة، وأقام في منزل الشيخ أحمد نور الأنصاري القاضي في الزبير.

وتوفي ظهر يوم عرفة ٩ ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م. وشيع صباح يوم عيد الأضحى. وصلوا على جنازته بعد صلاة العيد، ودفن في مقبرة الإمام الحسن البصري في الزبير[١].

قال تعالى ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾[٢].

وقد أعقب شاعرنا ولدًا اسمه (عبدالواحد)[٣] وبنتًا اسمها (زهوة)[٤].

شعره:

يمتاز شعر الأخرس بإشراق الديباجة، وحسن التركيب، وجمال التعبير والتصوير، وجزالة اللفظ ورقته معًا، وجرس ألفاظه يتسق وموسيقى أوزانه، بلغة واضحة مؤثرة، تطرب لها الآذان، وتتعشقها القلوب بسهولة، وقد حفظ شعر الأخرس كثير من سراة[*] الأدب، كما حفظه بعض من عوام الناس ولا يكادون يلحنون فيه.

تجد في شعر الأخرس ومضات من البحتري، ولمحات من مهيار والشريف الرضي والمتنبي.

ولا نشك في أنه كان يكثر من مراجعة دواوينهم، إن لم يكن حفظ أغلبها، وقد اقتبس كثيرًا من تعابيرهم وصورهم فزادها إشراقًا وبهاءً[٥]، وأقرانه من معاصريه، إذا اقتبسوا خنقوا وطمسوا..

والأخرس في شعره يميل إلى المحسِّنات البديعية، كالطباق والجناس والتورية

---

(١) الطراز الأنفس ص ٨ من المقدمة.

(٢) سورة النساء الآية (١٠٠).

(٣) البغداديون ص ٤٥.

(٤) ذكر المرحوم الأستاذ ناجي القشطيني: أن زهوة بنت الأخرس هي عمة القشطيني من الرضاعة وأنها كانت تعيش في بيت القشطيني. مقدمة نفثات الأخرس ص ٣.

(٥) أشرت إلى ذلك في مواضعه من الديوان.

والتوجيه وغيرها.

ولا تكاد تخلو قصيدة من ذلك في ديوانه، ولكن لا تحس معها بالتكلف وأثر الصنعة. وتكاد تشعر أنها وردت عفو الخاطر كقوله:

ومـــا لي من أنـــيبُ إلـــيه يـــومًـــا
إذا مـــا عـــضّـــني دهـــري بـــنـــابِ

وقوله:

إلى أرواحـــهـــا تـــرتـــاحُ روحي
وألـــقى بـــالأحـــبـــة مـــا أحبُّ

وقوله:

صـــبـــرًا عـــلى هـــذا الـــزمـــان فـــإنه
زمنٌ يُـــعَـــدّ الـــفـــضلُ فـــيه فـــضـــولا

والأغراض التي تعرّض لها الشاعر، لا تعدو أغراض عصره من المدح والرثاء والتهاني والغزل والوصف والمداعبات.

وللخمرة نصيب كبير في شعر الأخرس. وكذلك وصف الديار وبكاء الأطلال، ويستهل بذلك أغلب قصائده، ويجيد غاية الإجادة، ويسترسل ويكاد ينسى القصد من قصيدته.

وهو طويل النفس، فإذا مدح ابتدأ بوصف الديار أو الخمرة، حتى يجاوز ثلاثين بيتًا أحيانًا، ثم يلتفت إلى ممدوحه ويخاطبه بخمسة أبيات أو ستة.

وربما كان الأخرس ينتهج هذا السبيل، لما يجد من المرارة والألم في بيع ماء الوجه، فيجعل أبيات المدح في آخر القصيدة، حتى إذا اقتطعها وأسقطها لم تؤثر. وتبقى القصيدة منسجمة في وصف الربيع أو البوادي وديار العرب أو الخمرة.

وكان كثير الشكوى من الزمان في شعره كقوله:

أسـفًـا عـلى أيـام عـمـرٍ تـنـقـضي
كـدرًا وتـذهبُ بـالمـنى تـأمـيلا[(١)]

---

(١) كان المرحوم الأستاذ ناجي القشطيني انتقى طائفة طيبة من شعر الأخرس سماها (نفثات الأخرس) وطبعها

وبــنــاتِ أفــكــارٍ لــنــا عــربــيــةٍ
لا يــرتــضــين ســوى الــكــرام بُــعــولا
وإذا نــهــضــتُ إلى الــتي أنــا طــالبٌ
في الــدهــر أقــعــدني الــزمــانُ خــمــولا
لا تــعــذلــيــني يــا أمــيمَ عــلــى الــنــوى
فــلــقــد عَــزَمْتُ(*) عن الــعــراق رحــيلا
تــأبى المــروءةُ أن تــراني واقــفًــا
في مــوقفٍ يَــدَعُ الــعــزيــزَ ذلــيلا

وقوله:

وإنّــا لــفي دهــرٍ تَــســافَلَ بــعــدمــا
أُقــيمَ مــقــامَ الــرأس فــيــه ذنــابُ
يُــذاد عن المــاء الــنــمــيــر ابنُ حــرّةٍ
ولــلــنــذل فــيــه مــوردٌ وشــراب
وتــعــلــو عــلــى أعــلــى الــرجــال أراذلٌ
وتــســطــو عــلــى لــيث الــعــرين كلاب

وللأخرس صور كثيرة رائعة من الفخر الذاتي والحماسة المتدفقة[1] وكان الشعراء يتخذون الشكوى من الزمان سبيلاً لذكر مفاسد الحكام ومساوئهم[2].

ووجدت للأخرس (٢٦) قصيدة في مدح الولاة والحكام من مجموع (٣٧٨) قصيدة، وهي قليلة بالنسبة لأقرانه من الشعراء الذين يتكسبون بشعرهم.

وفي شعر الأخرس يتضح تأثره بالقرآن الكريم، وقد اقتبس كثيرًا من الآيات الكريمة في تضاعيف شعره. كقوله:

لــست أســتــوفي ثــنــائي فــيــكمُ
ولــوَ اني أجــعلُ الــبــحــرَ مــدادا

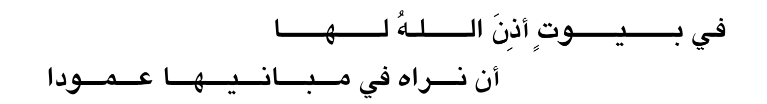
وقوله:

---

(١) الشعر السياسي العراقي للوائلي الصفحات: ٢٤٤ و٢٤٥ و٢٥٠ و٢٥١.

(٢) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر. أهدافه وخصائصه ص ١٦٢.

(*) في الطبعة الأولى (عرفت) وصوابها ما أثبتناه من ديوان الأخرس ومن الطراز الأنفس في شعر الأخرس.



في بـــــيـــــوتٍ أذِنَ الـــــلـهُ لـــــهـــا
أن نـــراه في مـــبـــانـــيـــهـــا عـــمـــودا

ولاحظت في شعر الأخرس سمة بارزة، تلك هي ابتداء قصائده بالتساؤل كالمطالع التالية:

أرأيـت مـــــثـــــلي فـي الـــــهــــوى
....

أتُـــراك تـــعـــرف عـــلَّـــتي وشـــفـــائي
....

هـل تـــركـــتـم غـــيـــر الجـــوى لـــفـــؤادي
....

أمَـــــرٌّ بـــــهــــا مـع الأرواح رَنْـــــدُ(*)
....

وقد أحصيت خمسين قصيدة في الديوان ابتدأها الأخرس بالتساؤل. ولغة الأخرس شعرية ناجحة موفقة، وقوافيه مستقرة، مع حسن التركيب وجمال التعبير.

ووجدت في شعره ألفاظًا قلقة ساذجة، وبخاصة في قصائده الصوفية في مدح السيدين الكيلاني والرفاعي رضي الله عنهما(١)، وهي لا تقف مع قصائده في الخمرة والغزل والشكوى والديار والربيع، وشعر الأخرس مطبوع وغنائي(٢)، يكاد يكون وحده طبقة بين معاصريه. قال فيه العلامة محمود شكري الآلوسي: «**وجميع شعره يكاد يطير من لطفه، ويسيل من ظرفه، يهز الأعطاف وينعش العقول**»(٣).

وقال أستاذنا العلامة محمد بهجة الأثري: «**إن الأخرس كان على جانب كبير من أصالة الطبع الشعري**»(٤).

---

(١) كقوله: (عروة الوثقى) و(قطب الغوث) و(شريعة الغراء).
(٢) التفت الأستاذ محمد القبانجي إلى شعر الأخرس، فحفظ منه الكثير في شبابه، وغنى له ستًا وعشرين قصيدة، أشرت إلى ذلك في مواضعها من الديوان، وفي سنة ١٩٢٦م قام الأستاذ القبانجي ببناء قبر الشاعر في الزبير على نفقته.
(٣) المسك الأذفر ص ١١٦.
(٤) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١ ص ٢٠٨ سنة ١٩٥٤م.
(٥) نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ص ١١٤ – ١١٥.
(*) **في الطبعة الأولى (نَدٌّ) والصواب ما أثبتناه من ديوان الأخرس والطراز الأنفس.**

وقال الدكتور محمد مهدي البصير: «**شاعر ظريف يشبه أبا نواس في أمور كثيرة، يشبهه في ظرفه وفكاهته، ويشبهه في عبثه ومجونه، ويشبهه في كلفه الشديد بالخمرة، وكثرة وصفه لها وجودته..**»[٥].

وقالت الدكتورة عاتكة الخزرجي: «**الأخرس عندنا في العراق، كالبارودي في مصر، نهاية ظلام، وبدء نور، فهو جسر وطيد البناء، قوي الدعائم، استمد أعمدته من التراث الأصيل، في أزهى عصوره، وأروع صوره، بل هو همزة الوصل بين تالدنا المخلد وطريفنا المجدد، والشرارة الأولى لوهج النهضة الحديثة..**»[١].

✩✩✩✩✩

ويعتبر الأخرس بداية النهضة الأدبية الحديثة في العراق، وعلى أسلوبه المشرق سار الرصافي والزهاوي والأثري والشبيبي من بعده. وأنافوا عليه في المقاصد والأهداف، ولم يرتقوا إلى سلاسة لغته الشعرية. وقد نظم الأخرس في الطويل (١٠٣) قصائد ثم في الوافر (٦٠) ثم الرمل (٤٣) ثم الكامل (٤٠) ثم البسيط (٣٧) ثم الخفيف (٣٠) ثم المتقارب (١٨) ويليه السريع (١٥) ثم سائر البحور. أما قوافيه فله في حرف الراء (٦٩) قصيدة ثم الدال (٦٢) ثم الميم (٥١) ثم اللام (٤٩) ثم النون (٣٦) ثم الباء (٢٩) ثم سائر الحروف.

ديوانه:

الأخرس شاعر موهوب مكثر، خصب القريحة، طويل النفس، لم يكن يجمع شعره في حياته، ولا يحتفظ بقصائده بعد إنشادها، أو إرسالها إلى الممدوحين.

وكان المرحوم أحمد عزة باشا الفاروقي، حين قدم بغداد يلتقي مع الأخرس كل يوم تقريباً في منزل عمه الشاعر عبدالباقي العمري.

وقد أعجب بشعر الأخرس، وحفظ الكثير منه لسهولته ورقته وحسن تراكيبه، فبدأ يجمع شعر الأخرس لنفسه، يقول العمري: «**وكلما وجدت مقطوعة من مقاطيعه، وقصيدة من تصريعه وترصيعه، أثبتها عندي بمكان عزيز، واحفظها في سفط حريز**»[٢].

واضطر جامع الديوان أن يسافر إلى الأستانة، أقام فيها مدة، ثم عاد إلى بغداد

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢٧ ص ٢٨٠ سنة ١٩٧٦م.

(٢) مقدمة الطراز الأنفس.

سنة ١٢٩٨هـ بعد وفاة الشاعر بسبع سنوات، وقد توفي أغلب أصدقائه وأحبائه. فعقد العزم على تتبع القصائد المفقودة لدى أبناء الممدوحين وأحفادهم.. ورتب قوافيه على حروف الهجاء وسماه (الطراز الأنفَس في شعر الأخرس) وطبعه في مطبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٤هـ، وبلغ ٤٨١ صفحة تضم (٣٣٨) قصيدة وهي طبعة سقيمة فيها تصحيفات وتحريفات كثيرة إضافة إلى الأغلاط المطبعية ويعود الفضل الأول إلى المرحوم أحمد عزة باشا العمري، الذي جمع الديوان ونشره، ولولاه لضاع جُلُّ شعر الأخرس[1].

وقد أضفت إلى الديوان (الطراز) (٤٠) قصيدة بضمنها (١٨) قصيدة نشرها الدكتور يوسف عزالدين وبلغ المجموع لدي في «ديوان الأخرس» (٣٧٨) قصيدة. وأضفت إلى الطراز المطبوع (٦٢٨) بيتًا.

النسخ الخطية:

١ – ديوان عبدالغفار الأخرس: ٤٨١ صفحة مكتوبة بخط الرقعة الجيد ٢٥ سطرًا. مصورة بالفوتوغراف عن فيلم في خزانة الدكتور يوسف عزالدين ببغداد. وفيها زيادة عن الطراز المطبوع. وهي في خزانة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٦١٣ و٦١٤.

٢ – ديوان عبدالغفار الأخرس: ١٩٣ ورقة في خزانة المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٦١٥ و٦١٦، مكتوبة بخط نستعليق جيد، ٢٧ سطرًا مصورة بالفوتستات عن نسخة خطية في مكتبة (كلية البنات ببغداد) وفيها زيادة واختلاف عن الطراز المطبوع.

٣ – ديوان عبدالغفار الأخرس: غير مرقمة الصفحات، كتبها المرحوم السيد حسن ابن محمد الأنكرلي في صفر سنة ١٣٠٠هـ. بخط نستعليق جيد. وهي تحت رقم ١٤٠٣٣ في خزانة مخطوطات الأوقاف ببغداد وفيها زيادة واختلاف عن الطراز المطبوع. والنسخ الثلاث هي حسب ترتيب الطراز المطبوع لأن الأصل واحد.

٤ – مخطوطة شعر الأخرس: مكتوبة بخط معتاد في أول القرن الرابع عشر الهجري تحتوي على (١٨) قصيدة لم ترد في الطراز وهي في خزانة يعقوب نعوم سركيس، وقد انتقلت إلى خزانة المتحف العراقي.. تحت رقم (٩٨) وقد حققها ونشرها الدكتور يوسف عزالدين ببغداد سنة ١٩٦٣م.

---

(١) ذكر لي الأستاذ محمد بهجة الأثري: أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الألوسي يقول: «إن أحمد عزة باشا العمري أضاف إلى ديوان الأخرس قصيدتين من نظمه، وليستا من نظم الأخرس، الأولى في مدح السيد أحمد الرفاعي، والثاني في مدح ابي الهدى الصيادي ليسهل له أمر طبع الديوان» ذكر ذلك الأستاذ الأثري بحضور صديقي الأستاذ عبدالحميد الرثوري والقصيدتان في هذا الديوان رقم (١٤) و(٢٨).

٥ – مجموعة الأستاذ عبدالخالق الفرادي: مجموعة أدبية مخطوطة ناقصة من أولها وآخرها. فيها مختارات من شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني. وبضمنها قصائد للأخرس ومعاصريه وفي قصائد الأخرس بعض الزيادات على الطراز المطبوع. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

عملنا في التحقيق:

١ – جعلت النسخة المطبوعة باسم (الطراز الأنفَس في شعر الأخرس) أساسًا في التحقيق. وذلك لأهميتها وقدمها. وقد جمعها السيد أحمد عزة الفاروقي في حياة الشاعر، ومن المؤكد أنه قرأ أغلبها عليه بعد تدوينها. ورمزت إليها باسم (الطراز المطبوع).

٢ – قابلت عليها النسختين المصورتين في المجمع العلمي العراقي الأولى تحت رقم ٦١٣ و٦١٤ ورمزت إليها بحرف (أ) والثانية تحت رقم ٦١٥ و٦١٦ ورمزت إليها بحرف (ب). كما قابلت نسخة الديوان المخطوطة في خزانة الأوقاف تحت رقم ١٤٠٣٣ وهي بخط السيد حسن الأنكرلي، ورمزت إليها باسم (الأنكرلي).

٣ – أثبتُّ الفروق الواردة في تلك النسخ الأربع. واخترت العبارة التي هي أولى بالانسجام وأشرت إلى مواضع النقص والزيادة في القصائد الواردة في النسخ كلها.

٤ – التعريف بالأعلام الذين وجّه شاعرنا قصائده إليهم. والذين وردت أسماؤهم في الديوان. إلا الذين لم نوفق لمعرفتهم بعد بذل الجهد.

كما شرحت بعض الألفاظ. وصححت الأخطاء الإملائية والنحوية. ونبهت في الهامش إلى الأبيات المعتلة الوزن أو المضطربة المعنى. مع الإشارة إلى بحر كل قصيدة. والإشارة إلى التضمين والاقتباس. وتخريج الأصل الذي اقتبس منه الشاعر ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

٥ – أعدتُ ترتيب الديوان، وجعلته يتنقل بين القوافي والأغراض والأوزان، حتى لا يسأم القارئ إذا تكررت عليه بضع قصائد في بحر واحد وغرض واحد وقافية واحدة. وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة أدبنا العالي وتراثنا الغالي والحمد لله رب العالمين.

الخطاط وليد الأعظمي

تنـــويـــه بعملنا $ الطبعة الثانية

(طبعـة البابطـين)

لقد قمنا بمراجعة هذا الديوان الضخم وبذلنا كل الجهود الممكنة لإخراجه للقارئ الكريم بشكل لائق من خلال العديد من الخطوات، مع ملاحظة أن الطبعة الصادرة عن دار عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية عام ١٩٨٦ من تحقيق المرحوم الخطاط وليد الأعظمي سيشار إليها (بالطبعة الأولى أو طبعة ١)، بينما ستعرف هذه الطبعة بطبعة البابطين، أو (الطبعة الثانية – ط٢) ومن أهم ما قمنا بإنجازه ونوهنا به من خلال هوامش إضافية:

١ – تشكيل كلمات القصائد بشكل شبه كامل، لتكون الكلمة الشعرية في نطقها الأوضح والأسلم؛ مع تعديل أخطاء كثيرة شابت ضبط الكلمات في الطبعة الأولى، من خلال الأخطاء الطباعية والإملائية أو الالتباس في التشكيل.

٢ – استدراك كثير من الكلمات التي جاءت مصحفة في الطبعة الأولى فنأت بالبيت عن معناه الصحيح.

٣ – إضافة بدائل للكلمات الساقطة في الطبعة الأولى من خلال السهو والأخطاء الطباعية ووضعها بين معكوفتين [ ] والاستعانة بنسخة من (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) لاستكشاف الكلمات أو الأبيات وأنصاف الأبيات الساقطة.

٤ – شطب الكلمات الزائدة في بعض الأبيات مما يخل بالوزن وبالمعنى.

٥ – تصويب بعض المعلومات التي وردت في الهوامش.

٦ – ميزنا ملاحظات المرحوم الخطاط وليد الأعظمي بالحرف الأبيض وإضافتنا في الهوامش بالحرف الأسود.

المراجعـــان

الكويت $ ٢٧ رجب ١٤٢٩هـ

ملاحظتان:

- **الأولى: عندما يشير المحقق المرحوم الأستاذ وليد الأعظمي إلى كلمة (الأصول) فهو يعني مخطوطات ديوان الشاعر.**
- **الأخرى: عندما يشير المحقق إلى كلمة (المطبوع) فهو يعني: الطراز الأنفس في شعر الأخرس لعبدالباقي العمري، ومخطوطة شعر الأخرس للدكتور يوسف عزالدين، ونفثات الأخرس لناجي القشطيني وأي عمل مطبوع لديوان الشاعر. لذا اقتضى التنويه.**

(١)

أتـــذكـــرُ أطلالاً تـــعـــفَّت وأرسُـــمـــا	بـ(ذات الغضا)(*) في (الجَزْعِ) من أيْمَنِ الحِمَى
مــنـــازلَ أحــبــابٍ بـــهـــا نَـــزَلَ الـــهـــوى	فــلـم يُــبْقِ إلا مـــدنفَ الــقـــلــب مُــغـــرَمــا

(١) هو شهاب الدين أبوالثناء محمود بن عبدالله بن محمود بن درويش بن عاشور البغدادي الآلوسي. ولد يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م ونشأ في بيت الفضل والعلم، فاغترف من مناهل العلم في بغداد. ودرس على الشيخ خالد النقشبندي والشيخ علي الموصلي مدرس الحضرة القادرية، والشيخ عبدالعزيز الشواف والشيخ محمد أمين البغدادي الحلي. وأكمل دراسته على والده العلامة الشيخ عبدالله الآلوسي مدرس الحضرة الأعظمية. وكان أبوالثناء آية في الذكاء وكان يقول: «ما استودعت ذهني شيئًا فخانني، ولا دعوت فكري إلا أجابني»، وكان خطه اللؤلؤ المنثور، وبخاصة خط النسخ والتعليق، وقد تخرج على الخطاط الشهير سفيان الوهبي البغدادي، ومن آثاره الخطية كتاب (صحيح البخاري) في خزانة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، وعين مفتيا للحنفية ببغداد سنة ١٢٤٨هـ. أيام علي رضا باشا اللاظ، وكان لا يفتر عن الدرس والتدريس، حتى أعاد إلى بغداد وجهها العلمي المشرق. ومن أشهر تلامذته الشاعر عبدالغفار الأخرس (صاحب هذا الديوان) والشاعر عمر رمضان الهيتي، والشيخ عبدالرزاق الواعظ والشيخ محمد سعيد الأخفش وغيرهم. وكان محترمًا لدى الولاة والوزراء، وقد سافر إلى استانبول سنة ١٢٦٧هـ وأعيدت إليه التولية على الأوقاف المرجانية ببغداد، واجتمع بعلماء البلدان التي مر بها في رحلته وكتب بذلك كتابين، وكان خطيبا وواعظا في الحضرة القادرية، وفقيهًا لبغداد، ثم خطيبًا في الحضرة الأعظمية، وله مؤلفات قيمة، أشهرها التفسير الكبير (روح المعاني) و(نشوة الشمول) و(نشوة المدام) و(غرائب الاغتراب) و(الفيض الوارد) و(الرسالة اللاهورية) و(كشف الطرة عن الغرة) و(النفحات القدسية) و(الأجوبة العراقية عن المسائل الإيرانية) وغيرها. وقد منحه السلطان الوسام المرصع العالي الشأن سنة ١٢٦٩هـ. وله شعر حسن ومنه قوله في مرضه الأخير:

يـــا رب مـــا حـــبي الحـــيـــاة لـــلـــذة
أقــضـي بـــهـــا زمـــني الخـــؤون المـــعـــتـــدي
لـــكـــنـــمـــا حـــبي لـــذلك رغـــبـــة
فـي أن أجـــدد دين جـــدي أحـــمـــد
وأذود عـــنـــه مـن يـــحـــاول نـــقْـــصـه
ذود الـــغـــيـــور بمـــزبـــري وبمـــذودي

ومدحه كثير من العلماء والأدباء والشعراء، وقرضوا كتبه منهم الشاعر عبدالباقي العمري والشيخ قاسم الهر وعبدالحميد الأطرقجي وصالح التميمي وجابر الكاظمي وغيرهم. وقد جمعت تلك المدائح في كتاب (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود)، وتوفي قبيل المغرب من يوم الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣ وغسله تلميذه الشيخ محمد أمين الواعظ، ودفن في قبر والدته (صالحة) بنت العلامة الشاعر حسين العشاري في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ببغداد. ترجمته عنوان المجد ١٩٤ وحديقة الورود ٧٣ مخطوط، والدر المنتثر ١٥ – ٣٣ وديوان جابر الكاظمي ٢٥٢ والمسك الأذفر ٥ – ٢٥ والبغداديون ٢٦ – ٢٥٩ والأعلام ٨/ ٥٣ – ٥٤.

(*) **في الطبعة الأولى (الفضا) وما أثبتناه من الطراز الأنفس في شعر الأخرس.**

عـرفـنـا الـهـوى من أين يـأتي لأهـلـه ... بـهـا والـغـرامَ الـعـامـريَّ، من الـدُّمى[١]
لـئن أصـبـحت تـلك الـمـنـازل بـ (الـلـوى) ... قـصـارى أمـانيِّ الـهـوى فـلـطـالما
وقـفتُ عـلـيـهـا والـهـوى يـسـتـفـزُّني ... فـأرسـلـتُ فـيـهـا الـدمع فـذّاً وتـوأمـا[٢]
كـأني عـلى (الجـرعـاء)أوقـفتُ عَـبْرةً[٣] ... جـرت بـربـوع (المـالـكـيـةِ) عَـنْـدَمـا[٤]
ومـا أسـأرَ الـبـينُ الـمُـشتُّ بـقـيـةً ... من الـدمع إلاَّ كـان ممـتـزجـاً دمـا[٥]
فـأصبـحتُ أستسقي السحابَ لأجلـها ... ومـا بلّ وَبْلُ الـسُّحْبِ من مـثـلـهـا ظَمـا
خـلـيـلـيَّ إن الحبَّ مـا تـعـرفـانهِ ... خـلـيـليَّ لـو شـاهـدتـمـا لـعـلـمـتـمـا
قـفـا بي عـلى رسمٍ لِـمَـيّـةَ دارسٍ ... لكي تـعلـمـا من لـوعتي مـا جـهلـتـمـا
وإن لـم تـسـاعـدْني الجـفـونُ عـلى الـبكـا ... بـآثـار ميٍّ فـاسـعـدانِيَ أنـتـمـا
بـعـيـشـكـمـا إن تُـبـصـراني بـِ (رامـةٍ) ... فـلـن تُـبـصـرا إلا فـؤادًا مُـتَـيَّـمـا
وممّـا شـجـاني في الـدُّجُـنَّـةِ بـارقٌ ... بـكـيت لـه من لـوعـتي فـتـبـسَّـمـا
سـرى مَـوْهِـنـاً والـلـيلُ كـالـفَـرْعِ فـاحمٌ[٦] ... فـقـلتُ أهـذا ثـغـرُ سُـعْـدَى تـوهُّـمـا
وأورى حشـا الظلمـاء كـالوجد في الحشا ... وكـالـقـلب يـا ظـمـيـاءُ لمـا تـضـرَّمـا
وشـوَّقـني ثـغـراً ظـمـئتُ لـوِردِهِ ... وهل أشـتـكي إلا إلى ورْدِهِ الـظَّـمـا
شـربتُ الـحـمـيّـا والـلَّـمى مـنه مـرةً ... فـلـم أدرِ مـا فـرقُ الـحُـمـيَّـا من الـلَّـمى
وعـيـشـاً سـلـبـنـاه بـأسـنـمـة الـنـقـا[٧] ... ومـا كـان ذاك الـعـيش إلا مُـنَـمـنَـمـا
رعى الـلـه أحـبـابـاً رعـيـنـا عُـهـودَهم ... وعـهـداً وَصَـلْـنـاه ولـكنْ تـصـرّمـا
وغـانـيـةً من آل يـعـربَ حـكَّـمتْ ... هـواهـا بـقـلـبي ضـلَّـةً فـتـحـكّـمـا

(١) نسبة إلى ليلى العامرية.

(٢) فذّاً يعني فردًا.

(٣) الجرعاء، هي جرعاء مالك موضع معروف بالدهناء من بلاد العرب وهي رمال.

(٤) نسبة إلى عبلة بنت مالك، حبيبة عنترة.

(٥) أسأر يعني: أبقى من السؤر وهو ما يبقيه الشارب في إنائه بعد الرواء.

(٦) سرى موهنًا أي في آخر الليل، والفرع: الشعر.

(٧) النقا: عدة مواضع بهذا الاسم ومنها محلة في مكة المكرمة بين الحجون والمروة. ولم يقصده الشاعر بعينه وإنما يرد على ألسنة الشعراء كثير من المواضع.

أحَلَّت مهاةُ (الأبرق) الفرد في الهوى ... دماً كان من قبلِ الغرام محرّما

وفي ذلك الوادي سَوالبُ أنفُسٍ ... رمَيْنَ بأحداق السَّوانحِ أسهما

وكم من فؤادٍ قد جرحْنَ ولم نجدْ ... لِما جَرَحَتْ سودُ النّواظرِ مرهما

أرى البيض لا يرعَيْنَ عهداً لعاشقٍ ... وإنْ أوثقَ الصبُّ العهودَ وأبرما

وفي الناس مَنْ إنْ تبتليه وَجَدتَهُ ... ـ وقد كان شهداً في المَذاقَة ـ علقما

وإني نظرتُ الناس نظرةَ عارفٍ ... وأبصرتهم خَلقاً وخُلقاً ومَيْسما(١)

فما أبصرتْ عيني كـ (محمودَ) ماجداً ... ولا كـ (شهاب الدين) بالعلم مَعْلَما

من السادة الغرِّ الميامينِ ينتمي ... إلى خير خلق الله فرعاً ومُنْتَمى

ولما تعالى بالفضائل رفعةً ... تخيَّلْتُهُ يبغي العُروجَ إلى السَّما

هو الصارمُ الماضي على كلِّ ملحدٍ ... من الله لم يُفْلَلْ ولن يتثلّما

سَلِ الفضلَ منه واسألِ البرَّ تغتدي ... بأفضلِ ما حَدَّثْتَ عمَّنْ تَقَدَّما

لقد ضاقَ صدرُ الدهر عن كتْمِ فضله ... فأظهره إذ كان سرّاً مكتّما

بدتْ معجزاتُ الحق حين ظهوره ... فأعجَزَ فيها المُبطلين وأفحما

إذا المطْعَنُ المقدامُ شامَ يَراعَه(٢) ... لَما ظنَّه إلاّ وشيجًا مُقَوَّما(٣)

ويَنْشَقُّ من ظلماءِ ليلِ مداده ... صباحُ هدًى لا يتركُ الليلَ مُظلما

له الكتْبُ ما أبقتْ من الغيِّ باقياً ... ولا تركتْ أمراً من الدين مُبْهَما

وما هو إلاّ رحمةُ الله للوَرى ... به ينقذُ اللهُ الأنامَ من العَمَى

فلو حقَّقتْ عينُ الحقيقة ذاتَه ... لقلنا هو النورُ الذي قد تجسّما

كريمٌ فما أعطى ليُمدَحَ بالندى ... ولكنه يعطي الجزيلَ تكرّما

مَواطرُ أيديه المواطرُ دونَها ... تَهاطَلُ إحساناً وتُمطرُ أنعُما

وهيهات يحكيك السحابُ – وإنْ همَى – ... نوالاً، وفيضُ البحرِ علْماً وإنْ طَمى

نراك بعين النقد أفضلَ مَنْ نَرى ... ولم نَرَ أندى منكَ كفّاً وأكرما

وأقسمتُ لو أثريتَ أو نلتَ ثروةً ... لما تركتْ جدواكَ في الأرضِ مُعدَما(٤)

---

(١) الميسم: العلامة.

(٢) شام: نظر.

(٣) الوشيج: الرمح.

(٤) الجدوى: الفائدة والعطية.

عـلـومُكَ مـا حِـيـزَتْ لـشـخصٍ جـمـيـعـهـا فـهـل كـان ذاك الـعـلـمُ مـنك تـعـلَّـمـا

حـويتَ عـلـوم الـدين عـلـمـاً بـأسـرهـا وأصـبـحت لـلـعـلـم الـلَّـدُنِّيِّ مـلـهـمـا

تُـشـيِّـدُ دين الـلـه بـالـعـلـم والـتُّـقى ولـو لم يُـشـيِّـده علاك[*] تـهـدّمـا

حَـمَـيْتَ حـدودَ الـلـه عن مـتـجـاوزٍ فـلم نـخشَ من خـرْقٍ وأنت لـهـا حـمى

وإن الـذي أعـطـاك مـا أنت أهـلـه أنـالَكَ شـأنـاً لا يـزال مـعـظّـمـا

فـنلْ أجْـرَ هـذا الـصّـوم واهـنـأ بـعـيـده ورُمْ مَـجْـدَعـاً أنفَ الـحـسـود ومَـرْغَـمـا

وإني مـتـى أدعـو لمجـدك بـالـبَـقَـا دعـوتُ لـنـفـسـي أن أُعَـزَّ وأُكـرَمـا

(٢)

(*) في الطبعة (١): (غلاك) وهو خطأ طباعي.

(١) هو الشيخ عبدالغني بن جميل، رأس أسرة آل جميل زاده الشهيرة ببغداد، ولد في ٢٠ ذي القعدة سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م ودرس على علماء بغداد وشيوخها وبخاصة الشيخ محمد أسعد الحيدري. وأخذ فنون الخط وبرع بها وأجازه الخطاط البغدادي سفيان الوهبي، وقد قصد الشام عدة مرات وأجازه الشيخ عبدالرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار، وحين ورد علي رضا اللاظ واليًا على بغداد، اصطحبه معه من الشام، وعينه مفتيًا لبغداد، وكان رجلاً فاضلاً عاقلاً كريمًا شجاعًا، أبي النفس شهما غيورًا، ثار على الوالي في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٤٧هـ بسبب اعتداء بعض أعوان الوالي على عائلة رضوان آغا المقتول مع المماليك، واستجارت به زوجة رضوان آغا فأجارها، واجتمع معه أهالي محلة قنبر علي فقصفت العساكر داره بالمدفع وأحرقوا كتبه، ثم اعتذر إليه الوالي وأكرمه وأقطعه أراضي فرفضها ولم يقبل شيئًا من الوالي، وكان شاعرًا مجيدًا وله قصائد في الفخر والحماسة ومنه قوله يشكو إلى أبي الثناء:

لـهفي عـلى بـغـداد من بلـدةٍ قـد عـشـعش الـعز بـهـا ثم طارْ

كانت عروسًا مثل شمس الضحى لمستعيـر حلْـيِها لا يـعـار

كانت لآساد الوغـى منـزلاً والخائف الجاني بـهـا يستجار

والـيـوم قـد حل بـهـا من تـرى فـانـفـر وإلا بـيـديك الخـيـار

وأصـبـح الـقـرد بـهـا مـقـتـدَى يـلـعـب بـالألـبـاب لـعب الـقـمار

وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء، منهم عبدالباقي العمري وأبوالثناء الآلوسي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ قاسم الهر، والشيخ جابر الكاظمي والشاعر صالح التميمي بقصيدة بعد نكبته قال فيها:

ديـار بـعـد سـاكـنـهـا دروسُ وفي أقـطـارهـا أفـلتْ شـمـوسُ

وقـفـت مـردِّدا حـسـرات نـؤيٍ وكم في رَبـعـهـا شَـقـيت نـفـوس

فيا من سـالم الأيـام جهـلاً وأيسر حربها الحرب (البسوس)

وللسيد عبدالله بهاء الدين الدين الآلوسي كتاب (الروض الخميل في مدائح آل الجميل)، وتوفي رحمه الله يوم عرفات سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م ودفن في المقبرة الوردية عند الشيخ عمر السهروردي. ترجمته في غرائب الاغتراب ٢١١ – ٢١٣ والمسك الأذفر ١٢٦ – ١٢٩ والروض الأزهر ١٩ وعنوان المجد ٩٣ وديوان جابر الكاظمي ٢٩٩ وديوان التميمي ٧٤ والبغداديون ٣٠ و٢٥٩ والأعلام ٤/ ١٥٩ وشعراء العرب ٢/ ٤٤.

وَمِيضُ البرق هيَّج منك وجْدا ... فكدْتَ تظنُّهُ من ثَغْر سعدَى
ألمَّ بنا بجنْح الليل وَهْناً ... كما جرّدتَ من سيفٍ فرِندا
توقَّدَ في حشا الظلماء حتى ... وجدْنَا منه في الأحشاء وقْدا
وجَدَّ بنا الهوى من بعد هزلٍ ... وكم هَزَلَ الهوى يوماً فجدّا
خليليّ اذكُرا في (الجزع) عهدي ... فإني ذاكرٌ بـ (الجَزْعِ) عهدا[1]
وأياماً عهدتُ بها التصابي ... وكان العيشُ بالأحباب رَغْدا
زمانٌ كم هَصَرْتُ به قدوداً ... لباناتِ النقا وقطفتُ وردا
ولَذّاتٍ لأيامٍ قصارٍ ... قَضَتْ أيامُها أن لا تُرَدّا
بعيشك إنْ مررتَ بدار ميٍّ ... وهاتيك الطلول فلا تَعَدّى
لنقضي يا هُذَيْمُ بها حقوقاً ... علينا واجباتٍ أن تؤدى
أتذكُرُ يومَ أقبلْنا عليها ... على إبلٍ تَقُدّ السَّيرَ قَدّا
وعُجنا العيسَ عن (نجدٍ) حثيثاً ... وخلّفنا وراء العيس(*) (نَجْدا)
فروّينا منازلَ دارساتٍ(**) ... بها صرفُ النوى أزرَى وأوْدَى
بَواعثَ لوعةٍ ودموعِ عينٍ ... أمدَّ العينَ منها ما أمدّا
لئن خَلَقَتْ منازلُنا فإني ... رأيتُ الوجدَ فيها مُسْتَجَدّا
ملكتُ وقوفَ جانحةٍ إليها ... ولم أملكْ لهذا الدمع ردًّا
وكانت للغرامِ ديارُ مَيٍّ ... مراحاً كلَّ آونةٍ ومَغْدَى
بودّكما رفيقيَّ ارفُقا بي ... إذا راعَيْتُما للصبّ وُدّا
أعيناني على كَلَفي لعلِّي ... أرى من هذه الزفرات بُدّا
ولي كبدٌ إلى الأحباب حرّى ... فهل تلقى لها يا سعدُ بَرْدا
أحبَّتَنا وإني قبلَ هذا ... شَرَيْتُ هواكمُ بالروح نقدا
أزيدكمُ دنوّاً واقتراباً ... وقد زدتمْ مُصارمةً وبُعدا
عِديني يا أميمَةُ بالتداني ... وإن لم تُنْجِزي يا ميُّ وعْدا
أرى سيفي فأذكر منك لحظاً ... وخَطّاري فأذكر منك قَدّا[2]

(١) الجزع: في بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم، وتعرف بالإضافة مثل: جزع بني كوز وجزع الدواهي وجزع بني حماز. انظر معجم البلدان ٢/ ١٣٤.

(٢) الخطار: الرمح.

(*) **في الطبعة (١): (العيسى) خطأ طباعي.**

(**) **في الطبعة (١): (دراسات) وهو خطأ طباعي.**

أمِنْكَ الطَّيفُ واصَلَني وولّى ... فما بَلّ الصَّدى منِّي وصَدّا
ولو أهديتِهِ أخرى لعيني ... لأنعَمَني بما أسدَى وأهدى
تهدّى من (زرودَ) إلى جفوني[1] ... وما أدري إذاً أنَّى تَهَدَّى
ولو أدَّى إليكِ حديثَ وَجْدي ... عرفتِ إليكِ منِّي ما يُؤَدَى
جفَتْني الغانياتُ فلا سبيلٌ ... إلى سلمى ولا إسعافِ سعدى
وخاصمتُ الزمان فخاصَمَتْني ... حوادثُ لم تزلْ خصماً ألدّا
فإن أظهرتُ للأيامِ منِّي ... رِضًا عنها فقد أضمرتُ حقدا
سأترك للنِّياقِ بكلِّ أرضٍ ... ذميلاً من توقُّصِها ووَخْدا[2]
كما لابنِ الجميل (أبي جميلٍ) ... نِياقُ مطالبِ الراجين تُحْدَى
فتبلغُ مقصداً وتنالُ عِزّاً ... كريمٌ لم يَفُتْني منه قصدا
فكم يُوْلي الجميلَ (أبو جميلٍ) ... ونُوْليه به شكرًا وحمدا
ويوشكُ إن سَقَتْ يدُهُ جماداً ... بِجَدْوَى أنبتتْ شيحاً ورندا[3]
إذا يمَّمتُه يَمَّمتُ يُمْناً ... وإن طالعتُه طالعتُ سَعْدا
لقد نال العلاءَ ومدَّ باعاً ... إلى ما لا يُنالُ وجاز حدّا
هو الجبلُ الأشمُّ من الروَّاسي ... تخرُّ له الجبالُ الشمُّ هَدّا[4]
أدامَ الله في (الزوراء) ظِلاً ... له منه علينا قد أمدّا
وآمَنَ أهلَها كَيدَ الرزايا ... وإنَّ لسائر الأرزاء كَيْدا
فوقَّرَها - وقد مارتْ - وَقورٌ ... إذا حرَّكْتَه حرَّكْتَ طَوْدا
وأيَّةُ أزمةٍ لم يُدْعَ فيها ... ولم يمددْ لها باعاً أشدّا
ومكْرُمةٍ وإحسانٍ وفضلٍ ... وما فيها سَعَى ولها تصدّى
جميلُ (ابنِ الجميلِ) لكلّ حرٍّ ... يؤمِّلُ منه إحساناً ورِفْدا
فقُلْ للوفد غايته إليه ... أوَفْدَ الأكرمينَ نَعِمتَ وفدا

---

(١) زرود: موضع الرمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. انظر معجم البلدان ٣/ ١٩٣.

(٢) الذميل: ضرب من السير، والتوقص ضرب آخر يقصر عن الجنب ويزيد على العنق والوخد ضرب آخر سريع واسع الخطو في المشي يقال: بعير واخد ووخاد. انظر لسان العرب مادة (ذ م ل) (و ق ص) (و خ د).

(٣) الشيح: نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس، وهو طيب الرائحة، مر الطعم ترعاه الخيل والنعم، والرند: من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به ليس بالكبير وقد تغنى به الشعراء كثيرا.

(٤) اقتباس من الآية الكريمة: «... وتنشقّ الأرض وتخرُّ الجبالُ هدا» سورة مريم الآية (٩١).

بجودٍ منه يتركُ كلَّ حُرٍّ … له في ذلك الإحسان عبدا

وفَيْضِ يدٍ يكاد البحرُ منها … على طول المدى أن يستمدّا

مريرُ السُّخطِ نشهدُ أنَّ ما في[*] … يشيبُ عُفاتَه ضَرَباً وشهدا[1]

أبيٌّ لا يُضامُ ورُبَّ ضيمٍ … سعى لينالَ جانبَهُ فأكْدى[2]

شجاعٌ ما انْتَضَى الصَّمصامَ إلاّ … وصَيَّرَ مَفْرِقَ الأعداء غمدا

قوامَ الدين والدنيا جميعًا … وسيفَ الله والركنَ الأشدّا

مناقبُك التي مثلُ الدراري … نظمتُ بها لِجيدِ الدهر عقدا

وجودُك للوجود به حياةٌ … ولولا أنتَ مهجتُه تردّى

وبعض الجود منقصةٌ وذمٌّ … وجودك لم يزل عزّاً ومجدا

بروحي منك أبْيَضُ مشرفيٌّ … وأمضَى من شفير السيف حَدّا

يضيءُ ضياءَ منصلتٍ صقيلٍ … تَجَرّدَ من قِرابٍ أو تبدّى

وإني قد عَرَفتُ الناس طرّاً … ولم أعرفْ له في الناس نِدّا

فضَلْتَ العالمين بكلِّ فضلٍ … فلا عجبٌ إذا أصبحتَ فردا

وَفَدَّتكَ الأماجدُ والأعالي … ومثلك في الأماجد من يُفدَّى

وما في الماجدين أجلُّ قدراً … ولا أورى وأثقبُ منك زندا

ولا أوفى وأطولُ منك باعاً … ولا أعلى[**] إلى العلياء جدّا

فَدُمْ واسلمْ كما نهوى وتهوى … تَسُرُّ مُوالياً وتغيظ ضدّا

فإنَّكَ إن سَلِمْتَ مَعَ المعالى … فلا نخشى لكلِّ الناسِ فقدا

****

(١) الضرب: بفتح الراء والضريب: العسل.

(٢) أكدى: فشل وارتد وخاب. وأصله من الكدية: وهي الصخرة تعترض الحفار فتعيقه، ومنه قوله تعالى (وأعطى قليلا فأكدى) سورة النجم الآية (٣٤).

(*) في الطبعة الأولى والطراز الأنفس، صدر هذا البيت في معناه غير واضح، ولعل عجزه ساقط، وتركناه كما ورد في الطبعة (١)،، ولعله نصف بيت آخر سقط سهوًا في النقل من الأصول.

(**) في الطبعة (١): (أعلن) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٣)

وقال يمدح أمير الكويت الشيخ عبدالله الصباح[١] [وهي من الوافر]:

إذا نَـــبَتِ الـــدّيَـــارُ بِـــحُـــرٍّ قـــومٍ فـلـيس عـلـى الـمُـفـارقِ من جُـنـاحِ[٢]

ومـنـذُ وجَـدتُ من هـمِّي رسـيـسـاً[٣] إلـى روحي وأعـــوزني ارتـــيـــاحي

ومـــا صَـــعَّـــرْتُ للأيـــام خـــدّي ولم أخـــفضْ لـــنـــائـــبـــةٍ جـــنـــاحي

وضـاقَ بيَ الخِـنـاقُ فـلـمتُ نـفـسي وإن لم يَـلْـحَـني بـالـلّـوم لاحي

وقـد أصـبـحتُ في زمنٍ مُـمـارٍ يـريـني الجـدَّ من خَـلَلِ المـزاح

رَفَـضْتُ إقـامـتي وَرَكِـبتُ أمـراً حَـريّـاً أن يـكـونَ به صَلاحي[٤]

تـسـيـرُ بـنـا بـلُجِّ الـبـحـر فُـلكٌ كـمـثل الـطَّـيـر خـافـقـة الجـنـاح

ومـا زلـنـا بـهـا حـتى حـلَـلْـنـا صَـبَـاحًـا في كـويت آل الـصَّـبـاح

لـدى قـومٍ أعـزِّ الـنـاسِ جـاراً وأنـدى بـالـنَّـوال بُـطـونَ راح[٥]

أبـاةٍ لا يـطـوفُ الـضَّـيمُ فـيـهمْ[٦] ولا جـارٌ لـهم بـالـمُـسـتـبـاح

---

(١) الشيخ عبدالله بن صباح الثاني بن جابر الأول من آل الصباح، خامس أمراء الكويت. ولد سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م وولي الإمارة عند وفاة والده سنة ١٢٨٣هـ. واستمر حكمه زهاء (٢٦) عامًا شارك خلالها في الحملة العثمانية على الأحساء والقطيف إثر الخلاف بين عبدالله آل سعود وأخيه سعود. وفي عهده لجأ إلى الكويت الشيخ محمد ال خليفة حاكم البحرين إثر نزاع بينه وبين أخيه الشيخ علي وقام الشيخ عبدالله بالتوسط بينهما ولم تنجح تلك الوساطة. عقد علاقات طيبة مع الأتراك والبريطانيين على السواء ليضمن استقلال الكويت. كان حسن السيرة دمت الأخلاق هادئًا في طباعة مما جلب محبة الناس له..

توفي الشيخ عبدالله في الكويت سنة ١٣٠٢هـ وقيل ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م انظر تاريخ الكويت ٢/ ٢٩ - ٣٠ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٣٨ والأعلام ٤/ ٢٢٦. ومختصر الكويت ص٦٧ - ٦٩.

(٢) هذه القصيدة غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (جاركاه).

(٣) الرسيس: أول الشيء وبدايته.

(٤) في الأصل: له صلاحي.

(٥) اقتباس من قول جرير يمدح عبدالملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

الديوان ص٩٨.

(٦) في الأصول: لا يطوق الضيم فيها.

غُـيـوثُ مـكـارمٍ ولُـيـوثُ حـربٍ ... وأكْـفـاءُ الـشَّـجـاعـةِ والـكـفـاح
نـزلتُ بـهـم عـلـى سَـعَـةٍ ورحبٍ ... وأنسٍ وابـتـهـاجٍ وانـشـراح
فـقـومٌ سـادَ (عـبـدُ الـلـه) فـيـهـمْ ... فـبـالـبـأسِ الـشَّـديـدِ وبـالـسَّـمـاح
إذا نـزلـوا لـعَـمـرُ أبـيـك أرضـاً ... حَـمَـوْهَـا بـالأسِـنَّـة والـرِّمـاح
فـكـم بـدأوا بمـكْـرُمـةٍ وثـنَّـوْا ... وكم نـحـروا الـعـدا نَـحْـرَ الأضـاحي
سَـقَـوْا أعـداءهم حـمـرَ المـنـايـا ... بـسُـمـر الخطِّ والـبـيضِ الـصِّـفـاح[1]
ومـا زالت مـكـارمـهـم تـنـادي ... لـدى الآمـال «حيَّ عـلـى الـفلاح»
بـأيـديـهـم شـكـيـمـةُ ذي اقـتـدارٍ ... تـردُّ الجـامـحـين عن الجِـمـاح
همُ رَضَـعـوا أفـاويقَ المـعـالي ... كـمـا رَضَـعَ الـفَـصـيلُ من الـلِّـقـاح[2]
إذا مـا زرتُـهـم يَـومـاً وفَى لي ... ضـمـيـنـي لـلـزيـارة بـالـنَّـجـاح
بـهـم أطـلَـقتُ أَلْـسِـنَـةَ الـقـوافي ... بمـا تـمـلـيه من كَـلِـمٍ فِـصـاح
لـقـد مُـزِجَتْ مـحَـبَّـتُـهم بـروحي ... مـزاجَ الـراحِ بـالمـاءِ الـقَـراح
كـأنَّ مـديـحـهُمْ عـنـدي عُـقـارٌ[3] ... به كـان اغـتـبـاقي واصـطـبـاحي
ثـمـلتُ بـهـم ومـا خـامـرتُ خـمـراً ... ولا راحـي بـسـطتُ لـكـأسِ راح
ألـذُّ من المـُـدامَـةِ لـلـنَّـدامَى ... وهـا أنـا في هـواهمْ غـيـرُ صـاح
ولـو أنّي اقـتـرحتُ عـلـى زمـاني[4] ... وأعـطـاني الـزمـانُ عـلى اقـتـراحي
لَـمـا فـارقْـتُـهُمْ يـومـاً ومـا لي ... إذا وُفِّـقتُ، عـنـهم من بَـراح
ويـأبَى ذاك لي قَـدَرٌ مُـتـاحٌ ... ونـحن بـقـبـضـة الـقَـدَرِ المُـتـاح

---

(١) سمر الخط: يعني الرماح الخطية، المنسوبة إلى الخط، وهي منطقة واسعة في الخليج العربي، من مدنها القطيف والعقير، وينسب إلى الخط عيسى بن فاتك الخطي من رجال الخوارج، انظر معجم البلدان ٢/ ٣٧٨.

(٢) الفصيل: ولد الناقة، واللقاح: ذات اللبن من النياق.

(٣) في الأصول: عقارا، والعقار من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تعقر عقل شاربها.

(٤) في الأصول: على زمان.

(٤)

وقال يمدح الشاعر عبدالباقي العمري[1] ويهنيه بمنصب الكتخدائية ببغداد سنة

بـلـغتُ بـحـمـد الـله مـا أنـا طـالبُ ... زمـانـاً وهـنَّـتـني لـديك المـطـالبُ

فـأصـبـحتُ لا أرجـو سـوى مـا رجـوتُه ... مـرامـاً ومـا لي في سـواك مـآرب

وقد كنت من غـيظي على الدهر عـاتباً ... فـمـا أنـا في شيءٍ عـلى الـدهـر عـاتب

لـئن كـان قـبلَ الـيـوم والأمس مُـذنـبـاً ... فـقـد جـاءني من ذنـبه وهْـو تـائب

وجـدتُ بك الأيـامَ مـولايَ طـلـقـةً ... وسـالَـمَـني فـيك الـزمـانُ الـمُـحـارب

وقـد شِـمْتُ من جـدواك لي كلَّ بـارقٍ ... ونَـوْؤك مـرجـوٌّ وغـيـثُك سـاكب

فلا الأملُ الأقـصى الـبـعـيـدُ بـنـازحٍ ... لـديَّ ولا وجهُ الـمَـطـالبِ شـاحب

وهل تـنـجحُ الآمـال وهْي قـصـيَّـةٌ ... وتُـبـلَغُ إلا في نـداك الـرغـائب

لـقـد حَـسُـنَتْ فـيك الـرعـيَّـةُ بـعـدمـا ... أسـاءَتْ إلـيـهـا بـالخـطـوب الـنَّـوائب

وألـهَـمْـتَـهـا في مـا تَـصَـدَّيتَ رُشـدَهـا ... ألا إنَّ هـذا الـرشـدَ لـلـخـيـر جـالب

كـفـفتَ يـدَ الأشـرار من كلِّ وُجْـهَـةٍ ... فلا ثمَّ مـنـهـوبٌ ولا ثمَّ نـاهـب

---

(١) الشاعر الشهير عبدالباقي بن سليمان بن أحمد العمري الموصلي، ولد في الموصل سنة ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٩م. وبها نشأ وأخذ عن علمائها الأعلام، حتى نبغ في فنون الأدب وبرع في النظم والنثر، وصار شيخ الأدباء في عصره، وكان ذكيا بارعا له قريحة وقادة وقدرة فائقة على القريض وكان ينظم بسرعة حتى سمي (الفوري) لأنه ينشد الشعر من فوره. وكانت له منزلة واحترام لدى الولاة والحكام والعلماء والوجهاء، وبخاصة عند داود باشا، وبعد حكم المماليك اختار الإقامة في بغداد، وتولى وظيفة (كتخدا) – نائب الوالي – لدى علي رضا اللاظ، ثم عزل وأعيد إليها ثانية سنة ١٢٧٥هـ. وكانت له صلات مودة واحترام لدى العلماء، منهم محمد أمين العمري وشيخ الإسلام عارف حكمة، وأبوالثناء الآلوسي، وعبدالغني جميل، وصالح التميمي ومحمد أمين الواعظ وعثمان سيفي وعيسى البندنيجي، ومحمد فيضي الزهادي وغيرهم. ومن آثاره أهلة الأفكار في معاني الابتكار (ديوان شعر) والباقيات الصالحات (مجموعة شعرية) والترياق الفاروقي (ديوان شعر) طبع عدة مرات. وكتاب (نزهة الدنيا في ما ورد من المدائح على الوزير يحيى) مخطوط. منه نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي. توفي ليلة الأحد سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م حيث سقط من سطح داره. ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد. ترجمته في تاريخ المماليك الكولمند ٦١ وعنوان المجد ٩٥ والروض الأزهر ٨٩ والمسك الأذفر ١١١ – ١١٦ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٩ والبغداديون ٤٢ – ٤٣ وتاريخ الموصل ٢/ ٢٤٤ وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢/ ٣٢٤ – ٣٢٦ والأعلام ٤/ ٤٥.

ومن لوزيرٍ قَلَّدَ الأمْرَ رَبُّهُ ... نظيرُكَ شيخاً حنّكتْهُ التجارب
بصيرٌ بتدبير الأمور وعارفٌ ... بمبدئها ماذا تكونُ العواقب
أذلَّ بك الأخطارَ وهْي عزيزةٌ ... فهانتْ عليه في عُلاك المَصاعب
تريه صباحَ الرأي والأمرُ مُبْهَمٌ ... فتنجابُ من ليل الخطوب الغياهب
ألَنْتَ له في قسوة البأس جانباً ... فلانَ له في قسوة البأس جانب
فأصبح لم يُعرضْ عنِ الناس لطفُهُ ... ويَحضرُ فيهم بأسُه وهْو غائب
وبأسُك لا البيضُ الصوارمُ والقَنا ... وجودُك لا ما تستهلُّ السَّحائب
وما زلتَ حتى يدركَ المجدُ ثأرَهُ ... وتشرقَ في آفاقهنّ المَناقب
بأيديك سُمْرُ (*) الخطِّ لا الخطُّ تنثني ... فتثني عليها المُرْهَفاتُ القَواضب
تخرُّ لك الأقلامُ في الطِّرس سُجَّداً ... لما أنت تمليه وما أنت كاتب
إذا شئتَ كانت في العُداة كتايباً(**) ... وهيهات منها إذ تصولُ الكتايب
تُقَرِّطُ آذانَ الرجال بحكمةٍ ... حكتها اللآلي رونقاً أو تقارب
متى أُفرِغَتْ في قالب الفكر زيَّنتْ ... وزانتْ منَ الألباب تلك القوالب
بهنَّ غذاءٌ للعقول وشِرعةٌ ... تسوغُ وتصفو عندهن المَشارب
تصرفتَ في حلوِ الكلام ومُرِّهِ ... فأنت مُجِدٌّ كيف شئتَ ولاعب
ذَهَبْتَ بكلٍّ منهما كلَّ مذهبٍ ... ذهاباً وما ضاقتْ عليك المَذاهب
فمِنْ ذكرِ وَجْدٍ يسلبُ المرءَ لُبَّهُ ... على مثله دمعُ المُتَيَّمِ ذائب
ومن غَزَلٍ عذبٍ كأن بُيوتَه ... مسارحُ آرامِ النَّقا وملاعب
وفي الباقيات الصالحات مثوبةٌ(١) ... من الله ما يبدو من الشَّمْسِ حاجب
دمغتَ بها من (آل حربٍ) عصابةً ... تُناقِشُهُمْ في صنعهمْ وتحاسب
تناقلَها الركبانُ عنك فأصبحتْ ... تُجابُ بها أرضٌ وتُطوى سَباسِب
مغيظاً من القوم الذين تقدَّمتْ ... لهم في المَخازي المُوبِقاتِ مكاسب
غضبتَ بها لله غيرَ مُداهنٍ ... وغيرُك يخشى كاشحاً ويراقب
مواهبُ من ربٍّ كريمٍ رُزقتَها ... وما هذه الأشياء إلاّ مَواهب

(١) إشارة إلى ديوان (الباقيات الصالحات) للممدوح. وهو مطبوع.

(*) **في الطبعة (١): (سحر) وصوابها من الطراز الأنفس.**

أروحُ أجُرُّ الذيلَ أسحبُ فضلَهُ ... وإني لأذيالِ الفَخارِ لَساحب
بمن لم يقمْ في الأكرمين مَقامَهُ ... ولا نابَ عنه في الحقيقة نائب
فقد وَجَدَتْ بغدادُ والناسُ راحةً ... وقد أتعَبَتْها قبلَ ذاك المتاعب
قضًا عُمَريٌّ(*) طالَ في العزِّ عُمْرُهُ ... أقاربُهُ مسرورةٌ والأجانب
وإن قلتُ ما جاء (العراقَ) ولا نرى ... نظيراً له فينا فما أنا كاذب
بنادرة الدنيا وفرحةِ أهلها ... أضاءتْ لنا أقطارها والجوانب
أمولايَ ما عندي إليك وسيلةٌ ... تقرّبُني زلفَى وإنِّي لراغب
محاسنُ شعري ما إذا أنا قِسْتُها ... بشعرك والإنصافِ فهْي مثالب
وإني مع الإطناب فيك مقصِّرٌ ... وإن كان شعري فيك مما يناسب
أهنّيكَ فيه مَنصِباً أنت فوقَهُ ... بمرتبةٍ لو أنْصَفَتْكَ المَراتب
فإنك شرَّفتَ المَناصِبَ كلَّها ... وما أنت ممن شرَّفَتْه المَناصب
وهنَّيتُ نفسي و(العراقَ) وأهلَهُ ... وكلَّ أمرىءٍ أهلٌ لذاك وصاحب
وزُفَّتْ إليه كلُّ عذراءَ باكرٍ ... كما زُفّتِ البيضُ الحسانُ الكواعب
قوافٍ بها نشفي الصدورَ وربّما ... تَدُبُّ إلى الحُسّادِ منها عقارب
شكرتكَ شكرَ الروض باكرَهُ الحَيا ... وشكرك مفروضٌ ومدحُك واجب
وليس يفي شعري لشكرك حقَّهُ ... ولو نُظمتْ للشِّعْرِ فيك الكواكب
وممّا حَباه اللهُ من طيِّب الثَّنا ... مشارقُها مملوءةٌ والمَغارب
وكليّ ثناءٌ في عُلاك وألْسُنٌ ... إذا كنتَ ممدوحي وأنتَ المُخاطَب
وإني لأبدي حاجةً قد حجبتُها ... إليك وما بيني وبينك حاجب
سواي يرومُ المالَ مكترثاً به ... ويرغبُ في غير الذي أنا راغب
وإنك أدرى الناس في ما أريده ... وأعلمُهُمْ في ما له أنا طالب
وكيف وهل يخفَى وعِلْمُكَ سابقٌ ... بِمُطَّلَبي الأسْنَى وفكرك ثاقب
فلا زلتَ طلاّع الثَّنايا ولم تزلْ ... تطالعُني منك النُّجومُ الغَوارِب

****

(*) في الطبعة (١): (قضى) وفي هذه العبارة توجيه لطيف أوحته نسبة الممدوح عندما قال الأخرس: (قضًا عُمَرِيٌّ). في إشارة إلى عدالة الممدوح في القضاء وتشبيهه بقضاء أمير المؤمنين الفاروق

(٥)

وقال يمدح العلامة أبا الثناء الآلوسي[١] ويهنيه بالعيد [وهي من الكامل]:

أتُـراكَ تـعـرفُ عِـلَّـتي وشِـفـائي ... يـا داءَ قـلـبي في الـهـوى ودوائي[٢]

مـا رقَّ قـلـبُكَ لي كـأنَّ شـكـايـتي ... كـانت لـمَـسْـمَعِ صـخـرةٍ صـمّـاء

والـشـوقُ بـرّح بي وزاد شـجـونَه ... يـا شـدَّ مـا ألـقى من الـبُـرَحـاء

عَـجَـبـاً لمن أخـذ الـغـرامُ بـقـلـبه ... أنّى يُـعَـدُّ بـه من الأحـيـاء

هل يـعـلـم الـواشـون أن صـبـابـتي ... كـانت بـلـحظ مـهًـا وجِـيـدِ ظـبـاء

وتجـرُّعي مَـضَـضَ الـمَلام من الـتي ... حَلّتْ عُقَيْبَ (الجَزْعِ) في (الجَرْعاء)[٣]

لم يَـحْـسُنِ الـعـيشُ الـذي شـاهـدتُهُ ... من بـعـد ذاتِ الـطَّـلْـعـةِ الـحـسـنـاء

فـمـتى أبلُّ صـدىً بمـرشفِ شـادنٍ ... نـقـضَ الـعـهـودَ ولا وفى لـوفـائي

وجـفـا وملَّ أخـا الـهـوى من بـعـد مـا ... كـنـا عَـقـيـدَيْ ألـفـةٍ وإخـاء

ونـأى بـركب الـظـاعـنـين عَـشـيَّـةً ... أين الـركـابُ وأين ذاك الـنّـائي

أصـبـحتُ لـمَّـا مـاسَ عَـدْلُ قـوامِه ... أشـكـو طـعـانَ الـصَّـعـدةِ الـسَّـمـراء[٤]

وأجـيبُ سـائلَ مـهـجـتي عن دائـهـا ... دائي هـواك فـلا بُـلـيـتَ بـدائي

لم يَـدْرِ والـلَّـعْسُ(*) الـمُـمَـنَّـعُ طـبُّهُ[٥] ... أنَّ الـدواءَ بمـقـتـضَى الأدواء

عُجْ يـا نـديمُ عـلى الـكـؤوس مُـيَـمِّـمـاً ... وأدرْ عـليَّ سُلافـةَ الـصَّـهـبـاء

وأعِـدْ حـديـثَك لي بـذكـر أحِـبَّـةٍ ... كـانـوا بُـدورَ سَـنًـا لِـعـيْنِ الـرَّائي

مَـرَّتْ بـنـا أخـبـارهمْ فـكـأنـهـا ... أرَجُ الـصَّـبَـا عن روضـةٍ غَـنّـاء

وتحـاكـمتْ بي في الـهـوى أشـواقُـهـمْ ... فـقـضـى عـليَّ الحبُّ أيَّ قـضـاء

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (صبا).

(٣) الجرعاء: موضع معروف بالدهناء من بلاد العرب وهي رمال تسمى جرعاء مالك. انظر معجم البلدان ٢/ ١٢٧.

(٤) الصعدة: الرمح.

(٥) اللعس: لون الشفة الضارب إلى السواد.

(*) في الطبعة (١): (واللمس) خطأ طباعي، بينما وردت صحيحة في الهامش رقم (٥) وقد صححناها على ما جاء في الهامش وعلى الطراز الأنفس.

لـــو كـــنتُ أدري غـــدرَكمْ بمـــحـــبِّـــكمْ | مــا كــنتُ أمـكِـنُـكمْ عــلى أحـشــائي
لامَ الـــنـــصـــيحُ فـــمـــا ســـمـــعتُ مَلامَهُ | وصـــددتُ عـــنه لـــشـــقـــوتي وعـــنـــائي
مـــا كـــان أرشـــدني إلى سُـــبُلِ الـــهـــوى | لـــو أنـــني أصـــغي إلى الـــنُّـــصَـــحـــاء
كـيف المـنـازلُ بـعـد سـاكـنـةِ الحِـمَى | عـــهـــدي بـــهـــا قَـــمـــرِيَّـــةُ الأرجـــاء
لـــمَّـــا وَقَـــفْتُ عـــلى مـــنـــازلـــهـــا ضـــحًى | حَـيَّـيْـتُـهـا بـتـحـيَّـةِ الـكـرمـاء

✡✡✡✡✡

عَـــادتـــنِـيَ الأيّـــامُ في سُـــكّـــانِـــهـــا | كـــعَـــداوةِ الجُـــهَّـــالِ لـــلـــعُـــلَـــمـــاء
هل أصـبح الـدهـرُ الخـؤونُ مُـعـانِـدي | أم كـــانتِ الأيـــامُ من خُـــصَـــمـــائي
مــا لِــلَّــيــالي إنْ نــظــرنَ فــضــائــلي | نـــظـــرتْ إليَّ بمـــقـــلـــةٍ عـــمـــيـــاء
إني أصـــونُ الـــشِّـــعْـــرَ - لا بـــخـــلاً به - | عن أن يـــذلَّ بـــســـاحـــة الـــلـــؤمـــاء
إنْ كـنت تـثـني بـالجـمـيل عـلى امـرئٍ | فـعـلى جـمـيلِ (أبي الـثـنـاء) ثـنـائي
أعـيـا المـنـاضلَ والمـنـاظـرَ فـارتـقتْ | عـــلـــيـــاؤه قـــدراً عـــلى الـــعـــلـــيـــاء
مُـــتَـــوقِّـــدٌ مـــثلَ الـــضِّـــرام فـــطـــانـــةً | وبـــلـــطفِ ذاك الـــطَّـــبْعِ لُـــطْفُ المـــاء
فـــتـــبـــلّـــجتْ مـــنه شـــمـــوسُ فـــضـــائلٍ | ظـهـرتْ عـلى الـدنـيـا بـغـيـر خـفـاء
وعـــلـتْ عـــلى أفـــهـــامِـــنـــا ألـــفـــاظُهُ | فـــتـــمـــثَّـــلتْ بـــكـــواكب الجـــوزاء
تـــلك الـــرويّـــةُ والـــســـجـــيّـــةُ لم تـــزلْ | أقـــمـــارَ أفْقٍ أو نجـــومَ ســـمـــاء
كم قـــد أفـــيـــضتْ من يـــديه لـــنـــا يـــدٌ | شـــكـــراً لـــهـــاتـــيك الـــيـــدِ الـــبـــيـــضـــاء
إيْ والـــذي جَـــعَلَ الـــعُلا من مـــجـــده | فَـــرَحَ الـــصَّـــديقِ وغُـــمَّـــةَ الأعـــداء
شِـــمْـــنـــا بـــوارقَ نـــائلٍ من ســـيـــلِه | مـــتـــتـــابعِ الإحـــســـان بـــالآلاء
هـــيـــهـــات يـــحـــكي جـــودَهُ صـــوبُ الحَـــيـــا | والـــغـــيثُ مـــوقـــوفٌ عـــلى الأنـــواء
بـــحـــرٌ إذا الـــتـــمسَ المـــؤمِّلُ وِردَهُ | فـــاضتْ عـــلـــيـــه زواخـــرُ الأنـــداء
إن قـــيلَ في (الـــزوراء) أصـــبح قـــاطـــنـــاً | فـــاعـــلـــمْ بـــأنَّ المجـــدَ في (الـــزوراء)
نُـــشِـــرَتْ عـــلـــومُكَ في الـــبلاد جـــمـــيـــعـــهـــا | كـــالـــصُّـــبح إذ ملأ الـــفـــضـــا بـــضـــيـــاء
ولك الـــذّكـــاءُ كـــأنمـــا بـــرهـــانُه[1] | يـــكـــســـو ســـنـــاه تـــبـــلُّجُ ابنِ ذُكـــاء[2]

---

(١) إشارة إلى كتاب (البرهان في طاعة السلطان) لأبي الثناء الآلوسي. هدية العارفين ٢/ ٤١٩.

(٢) ذكاء: بضم الذال من أسماء الشمس وابن ذكاء هو الصباح.

ونظرتَ في الأشياء نظرةَ عارفٍ حتى عرفتَ حقائقَ الأشياء
وكشفتَ من سرِّ العلوم غوامضاً فيهن كانتْ حيرةُ الحكماء
أجْرَيْتَ حكمَ الله بين عباده فَعَلَتْ بحكمك رايةُ الإفتاء
وكأنما يوحَى إليك فقد بدتْ لك معجزاتُ النظم والإنشاء
فعلتْ لك الأقلامُ في مُهَجِ العدا ما تفعلُ الأبطالُ في الهيجاء
خُرْسٌ إذا أنطَقْتَها بأناملٍ أخرستَ فيها أَلْسُنَ الفُصَحاء
أبكيتَها فتضاحكتْ لبكائها روضُ الفضائل لا رياضَ كباء(*)
فإذا مدحتَ مدحتَ غيرَ مُداهنٍ(**) فيها وغيرَ مُعَرِّضٍ لرياء
فاهنأ بهذا العيد إنك عيدُهُ(1) يا فرحتي دونَ الورى وهنائي
وأَجِزْ عُبَيْدَكَ في رضاكَ فإنه - وأبيكَ - غايةُ مطلبي ورجائي
لا زلتَ منفرداً بما أدَّيتَهُ من رفعةٍ وفضيلةٍ وعَلاء

(٦)

وقال يمدح السيد علي أفندي القادري(2) نقيب الأشراف ببغداد [ويهنيه بالعيد

---

(١) أخذه من قول المتنبي يمدح سيف الدولة:
هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمَّى وضحَّى وعيَّدا
الديوان ١/ ٢٨٥.

(٢) السيد علي بن السيد سلمان بن مصطفى بن زين الدين الصغير بن محمد درويش من ذرية الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنه. كان من أعيان العراق وطليعة شخصياته الموقرة. محترمًا لدى السلاطين والولاة والوزراء. وكانت له صلات طيبة مع العلماء والأدباء. وكان الشعراء يمدحونه ويسترفدونه. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشاعر الشيخ حيدر الحلي قال:
الفخر شاد بكم قبابه والشعر زان بكم كعابه
والعلم في الدنيا بثاقب فكركم أذكى شهابه
هذي الرياسة لا كمن كانت رياسته ثيابه =

(*) **في الطبعة (١): (كبار) وهو خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.**

(**) **في الطبعة (١): (مراهن) وهو خطأ طباعي، وصوابها من الطراز الأنفس.**

قــدحتْ في مــزجــهــا بــالمــاء نــارا فــأعــادتْ ظــلــمــةَ الــلَّـيل نــهــارا[1]

شــمسُ راحٍ في الــدجى يــحــمــلُــهــا طــلــعــةُ الــبــدر إذا الــبــدرُ اســتــنــارا

عُــتِّــقَتْ في الــدَّنِّ حــتى إنــهــا لَـتَـعي مـا كـان في الماضي وصـارا

فــسَــلُــوهــا كــيف كــانت قَــبْــلَــنــا (عــادُ الأولى) صــغــاراً وكــبــارا[2]

أيِّ نـــادٍ لــلــهــوى يــومــئــذٍ يــوم نــاديــنــا إلى الــلــهــو الــبِــدارا

وجَــلَــوْنــاهــا عــروســاً طــالمــا حُــبِــيَتْ من حَــبَبِ الــمَــزْجِ نــثــارا

وكــسَــوْنــا بــالــسَّــنــا جــسمَ الــدجَى وخــلــعــنــا في الــلَّــذاذاتِ الــعِــذارا

وســعَى ســاقٍ بــهــا تحــســبهُ غُــصُــنــاً يُــهــدي إلــيــنــا الجُــلَّــنــارا

عــلَّمَ الــغــصنَ الــتــثــنّي، والــصِّــبا طَــرَبَ الأنــفُسِ، والــظــبيَ الــنِّــفــارا

وبمــا فُــضِّلَ من بــهــجــتــه تَـفْضُلُ الـمُرْدُ(*) على الـبِيضِ الـعَذارى

سَــمِــحٌ ممــتــنــعٌ قــيــل له أدرِ الــكــأسَ عــلــيــنــا فــأدارا

فــتــرى الــنــاسَ ســكــارى في هــوى ذلك الــسَّــاقي ومــا هم بــســكــارى

= ومدحه كذلك عبدالباقي العمري والشاعر الحاج محمد علي كمونة بقوله:

أحــيــا الــزمــان تــصــابــيــنــا فــأحــيــانــا بــروحه حــين بــالأفــراح حــيــانــا

كــأن طــيب شــذاهــا إذ يمــر بــنــا ريّــا أريج عــلــي الــقــدر مــولانــا

كما مدحه صالح التميمي بعدة قصائد قال في بعضها:

الأجــر أجــرك صــائــمًــا أو مــفــطــرا والجــود جــودك مــثــريًــا أو مــعــســرا

وفــتى لــغــيــرك صــاغ نــظــمًــا حــكــمه حــكم الــذي يــروي حــديــثًــا مــفــتــرى

توفي السيد علي يوم السبت ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد. وأعقب خمسة أبناء هم: سلمان وعبدالرحمن، وزين الدين وعبدالله وأحمد. وخلفه في نقابة الأشراف ولده سلمان. ورثاه الشاعر الشيخ محسن الخضري النجفي وغيره. انظر: التریاق الفاروقي ٢٦٠ - ٢٦١ وديوان حيدر الحلي ٢/ ١٩ - ٢٠ و٣٠ وديوان ابن كمونة ١٠٢ وعنوان المجد ٨٨ والبغداديون ص٥ وماضي النجف وحاضرها ٢/ ٢١٧.

(١) غنى الأستاذ محمد القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (أوج).

(٢) في المطبوع والمخطوط: عادا الأولى، وهو غلط.

(*) في الطبعة (١): (المرو) وهو خطأ طباعي وأثبتناها من الطراز الأنفس.

يـــا شَـــبـــيهَ الـــوردِ والآسِ ومـــا أُحْـسِنَ الـتَّـشْـبـيهُ خـداً وعِـذارا[*]
بـــــــــــأبـي أنـت وإن جَـلَّ أبـي عـاطِـنـيـهـا مـثلَ خـدَّيك احْـمِـرارا
واسْـقِـنـي من فـيك عـذبـاً سـائـغـاً إنَّ بي مـنك ومِ الـسُّـكْـرِ[**] خُـمـارا[١]
بــين نُــدمــانٍ أراقـــوا دَمَـــهـــا بـنتَ كـرمٍ تـسـلبُ الـشَّـيْخَ الـوقـارا
حُـنَـفـاءٍ حـلَّـلـوا مـا حُـرِّمَتْ ورأوْا في أخـذهـا رأيَ الـنَّـصـارى
ركـبـوا لِـلَّـهـو في مـضـمـاره أشـقـراً يـصـدمُ أجـراهمْ عـثـارا
وكُـمَـيْـتـاً مـا جَـرَتْ في حـلـبـةٍ[٢] لـلـوغَى يـومـاً ولا شَـقَّتْ غـبـارا
فـكـأن الـكـأسَ في مـا فَـعَـلَتْ أدركتْ عـنـدَ عـقـولِ الـقـومِ ثـارا
كلُّ مـخـتـالٍ بـهـا في عـزَّةٍ قـد مـضَى يـسـحبُ في الـفـخـر الإزارا
وإذا مـا عـاودته نـشـوةٌ ألـبَـسَـتْهُ تـاجَ (كـسـرى) والـسِّـوارا
خَفَّ بـالـراح فـلـو طـارَ امْـرؤٌ قـبلَ هـذا الـيـومِ بـالـرَّاح لَـطـارا
وسَـمَـرْنـا بـالـذي يُـطْـربُـنـا من حـديثٍ وشـربـنـاهـا عُـقـارا
وتَـنـاشَـدنـا عـلى أقـداحـهـا مِـدَحـاً تـزهـو نـظـامـاً ونِـثـارا
بـأغـرٍّ أبـلجٍ من (هـاشـمٍ) أبـلجِ الـمَـحْـتِـدِ فـرعـاً ونِـجـارا[٣]
تـشـرقُ الأقـمـارُ من غُـرَّته فـهـو الـشـمسُ الـتي لا تـتـوارى
سـرُّ رمـزِ المجـد مَـبْـنَى بـيـته عَـلَمُ الـسُّـؤددِ سـرّاً وجَـهـارا
كـالحَـيَـا الـمُـنْـصَبِّ بل أنـدى يـداً والحـسـامِ الـعـضبِ أو أمضـى شِـفـارا
تـلك أيـديه الـتي إحـداهـمـا تـورث الـيُـمْنَ وبـالأخـرى الـيَـسـارا
مُـسْـتـفـاضُ الجـود مُـنْـهَلُّ الـنَّـدى يـومَ لا تـلـقَى به إلاّ الأوارا[٤]

(١) ومالسكر: أصلها ومن السكر.

(٢) الكميت: اللون الأحمر الضارب إلى السواد من ألوان الخيل. والكميت من أسماء الخمر قال المتنبي:

إذا أردت كـميت اللـون صـافـية
وجـدتـهـا وحـبـيب الـنـفس مـفـقـود

ديوان المتنبي ٢/ ٤١ والكميت هنا تورية بارعة. بين الفرس والخمر.

(٣) النجار: الأصل.

(٤) الأوار: اللهب.

(*) في الطبعة (١): (وعزارا) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (وما لسكر) كما هو وارد في الهامش رقم (١) ولعل صوابها: (ومِ السكر) أو (ولم أسكر). وفي الطراز الأنفس (وما السكر).

والقوافي الغرّ في أيامه ... يجتنيها بأياديه ثمارا

في زمانٍ مذنبٍ لم يعتذرْ ... بكريمٍ لبني الفضل اعتذارا

تركَ الدهرَ ذليلاً طائعاً ... لمَنيعٍ من أعزِّ الناس جارا

ولِيَ الفخرُ بأنِّي شاعرٌ ... لأناسٍ لبسوا التَّقْوَى شِعارا

هم أقاموا عَمَدَ الدين وهمْ ... أوضحوا في الحقِّ للخلق المَنارا

كلُّ حَلْيٍ من فخارٍ وعُلاً ... كان حَلْياً من حِلاهم مستعارا

في سبيل الله ما قد أنفقوا ... من أيادٍ فأسالوها نُضارا(١)

أمَّةٌ يُسْتَنزَلُ الغيثُ بهمْ ... وبهمْ تَستكشِفُ الناسُ الضِّرارا

فإذا استنجدتهمْ كانوا ظُبًى ... وإذا استمطرتهم كانوا قِطارا

جبروا كلَّ مهيضٍ للعلا ... وأنابوا الكفر ذلاً وانكسارا

أجَّجوا نيرانَها يومَ الوغَى ... بمواضيهم وإن كانوا بحارا

في مقامٍ قَصُرَتْ فيه الخُطا ... بالطَّويلات وما كنَّ قصارا

فعليهم صلواتٌ أبداً ... تَتَولاهمْ غُدُوّاً وابتكارا

أوَ لستَ الآن من بعدهمُ ... قَبَساً من ذلك النورِ أنارا

طالما سَيَّرْتُها قافيةً ... غرّةً لم تتخذْ في الأرض دارا

حاملاتٍ مثلَ أرواحِ الصَّبا ... من شذا مدحك شيحاً وعَرارا(٢)

هذه أيامُ أنواء الحيا ... إنَّ أنواءَكَ ما زالت غِزارا

فاسقني فيهنَّ سحّاً غَدَقاً ... أجلبُ العزَّ واستقصي الفخارا

واتخذني لك ممَّن لم يجدْ ... عنك في مُعترضِ المدح اصطبارا

وابقَ للعيد وحُزْ في مثله ... مَفْخَراً يسمو وصيتاً مُسْتَطارا

---

(١) النضار: الذهب.

(٢) العرار: نبات بري طيب الرائحة. واحدته عرارة. يتغنى به الشعراء، قال الصمة القشيري:

أقول لصاحبي والخيل تخدي ... بنا بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

انظر: (لسان العرب مادة عرر).

(٧)

قلبٌ يذوبُ ومهجةٌ تتقطَّعُ ... وجوىً يهيجُ به الفؤادُ المولَعُ[٢]

لي بعد مَن سكن (الغضا) نارُ الغضا ... تُطوى على الزفراتِ منها الأضلع

ما زلتُ تُصْبيني الصَّبا بهبوبها ... سَحَراً وتبكيني البروقُ اللُّمَّع

وتهيجُني الورقاءُ ما إنْ أصْبَحَتْ ... تشدو على فنِ الأراكِ وتسجع

تُملي عليَّ حديثَ فَرْطِ شجونها ... في الشَّجْوِ من صُحفِ الغرام فأطمع

وقَضَى ادّكارُ الظاعنين بأنَّه ... لا يستقرُّ لِمُستهامٍ مضجع

أرأيتَ أنَّ المزمعين على النَّوى ... عزموا على أخذ القلوب وأزمعوا

لو كنتَ يومَ البين حاضرَ لوعتي ... لرأيتَ كيف تصوبُ تلك الأدمع

أشكو إليك وأنت أبصرُ بالهوَى ... ما أودعوا يا سعدُ ساعةَ ودّعوا

هم أهرقوا دمعي المَصُونَ وأوقدوا ... في القلب غلَّةَ وامقٍ لا تنقع[٣]

ولقد رعيتُ لهم هناك وما رَعَوْا ... وحَفِظْتُ وُدَّهمُ القديمَ وضيَّعوا

وأخذتُ أذكُرُهُمْ وبينَ جوانحي ... كبدٌ تكادُ لما بها تتصدّع

حُيِّيتِ يا دارَ الأحبَّةِ في (اللِّوَى) ... بِحَياً يَصوبُكِ في العشيِّ ويُقلع

حتى يُراقَ على ثراك فترتوي ... بعد الظَّما تلك الطلولُ الخُشَّع

كانت منازلُنا تروقُ بأوْجُهٍ ... غَرَبَتْ فأينَ تقولُ منها المطلع

يا عَهْدَنا الماضي وليسَ براجعٍ ... أفترجعنَّ بما مَضَيْتَ فترجع

واهاً لعيشك يا نديمُ بمثلها ... والكأسُ من حَدَقِ الأوانسِ تُتْرَع

حيث الصِّبا غضٌّ وأعلاقُ الهوَى ... مما تُغَرُّ بها الملاحُ وتُخدع

نَجِدُ الهوى رَطْبَ المَجَسِّ فواصلٌ ... لا ينثني وملايمٌ ومُمَنَّع

ونروضُ باللَّذاتِ كلَّ أبيَّةٍ ... منها لنا فيها القيادُ الأطوع

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ محمد القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (المثنوي).

(٣) الوامق: المحب. والمقة: المحبة.

نكصتْ على أعقابها أسرابُها ... وخلا من الظَّبْياتِ ذاك المَربع

ويحَ المُتيَّمِ من فراق أحبَّةٍ ... عفَتِ المنازلُ بعدهمْ والأربُع

يتجرَّعُ المُرَّ الزُّعافَ وإنَّما ... كأسُ الصُّدودِ أقلُّ ما يتجرع

ولربَّما احْتَمَلَ السُّلُوَّ لوَ انَّه ... يصغي إلى قول العَذول ويسمع

لي في المنازل حيثُ (رامةَ) وقفةٌ ... فيها لمن عانَى الصَّبابةَ مَصْرَع

إنَّ الأحبَّةَ في (زَرودَ) و(العلعِ) ... سُقي الغمامَ بهم (زرودُ) و(لَعْلَعُ)[1]

هتفَ النَّوى بهمُ ضحىً فتبادروا ... فيه إلى تلف المَشوق وأسرعوا

يا هلْ تُراهمْ يألفون وهل تُرى ... يَهَبُ الزمانُ لأهله ما ينزع

يشتاقهمْ أبداً على شحط النوى[2] ... قلبٌ به حُرَقٌ وعينٌ تدمع

أنفكُّ أستشفي بطيب حديثهمْ[3] ... أو يشتفي هذا الفؤادُ الموجع

لا تسألنِّي كيف أنتَ فإنَّني ... جَلْدٌ على الأيامِ لا أتَضَعْضَع

صَفَعتْ قَذالَ المطمعاتِ أبوَّتي ... وقَفَا الدنيّةِ بالأبوَّةِ يُصْفَع

أنا من جميل (أبي جميلٍ) لم أزلْ ... أُدعَى إلى المجدِ الأثيلِ فأتبع

عنه المكارمُ في الوجود تنوّعتْ ... أجناسُها والجنسُ قد يَتَنَوَّع

أفْنَتْ عطاياه الحُطامَ وإنَّه ... لله أو لسبيله ما يجمعُ

لولاه ما عُرِفَ الجميلُ ولا زها ... في غيره للفضل روضٌ مُمْرِع

مُتَهلِّلٌ بجمالِ أبهجِ طلعةٍ ... ممَّن تشيرُ إلى علاهُ الإصبع

تُرجَى المنافعُ من لَدُنْهُ وإنّما ... نالَ المعالي من يضرُّ وينفع[4]

أينَ الضَّياغمُ من علاه إذا سطا ... هو لا مِراءَ مِنَ الضَّياغمِ أشْجَع

في موقفٍ تَرِدُ النفوسُ منَ الردى ... والهامُ تسجدُ والصَّوارمُ تركع

---

(١) لعلع: موضع بين البصرة والكوفة. معجم البلدان ٥/ ١٨. ولم يقصد الشاعر الموضع بعينه وإنما ترد هذه الأماكن على ألسنة الشعراء ويكثرون من ترددها.

(٢) الشحط: البعد، والنوى: الفراق.

(٣) أنفك: أصله لا أنفك. لأن هذا الفعل لا يرد إلا منفيًا ولو بغير أداة. ومثله في القرآن الكريم: (تالله تفتأ تذكر يوسف..) أي لا تفتأ. سورة يوسف الآية (٨٥).

(٤) أخذه من قول الشاعر قيس بن الخطيم وينسب إلى عبدالأعلى بن عبدالله:

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما ... يرجَّى الفتى كيما يضرُّ وينفعُ

ديوان قيس بن الخطيم ص١٧٠.

والحُرُّ يطربُ حيثُ صاديةُ الظُّبى تُروَى وساغِبَةُ القَشاعمِ تشبع[1]
ذو رأفةٍ في العالمين وشدةٍ تومي لعاتيةِ الأمورِ فتخضع
قطعتَ أراجيفَ الرجاء لأهلها وكذلك العضبُ المُهنَّدُ يقطع
لله درّك لو وزنتُ بك الورى لرجحتَ حينئذٍ وقدرُك أرفع
يا من رأيتُ به المديحَ فريضةً ومن المدايح واجبٌ وتطوُّع
أبغي رضاك وحبّذا من بغيةٍ فيها المآربُ والطِّلابُ الأنفع[2]
فإذا رضيتَ فما الشِّهادُ المجتَنى[3] وإذا غضبتَ فما السِّمامُ المُنْقَع[4]
شكراً لسالفة الصنايع منك لي حيثُ المكارمُ والمكانُ الأرفع
بلَّغْتَني نِعَماً خطبتُ بشكرها فأنا البليغ - إذا خطبتُ - المِصْقَع
ونشرتُ بعدَ الطيِّ فيك قصائدي طيبَ الثناء عليك فيها يسطع
لولا مدايحُك الكريمةُ لم تكنْ تصغي له أذنٌ ويطربُ مِسْمع
أكبَتَّ حسَّادي بنعمتك التي أمستْ تذِّلُ لها الخطوبُ وتخضع
أتنالُني أيدي الزمانِ بحادثٍ يوماً وجانبُك الأعزُّ الأمنع
قسماً بمن رفعَ السماءَ فأصبحتْ زُهْرُ النجومِ بنظمِ مدحِكَ تطمع
إنَّ الأبوةَ والرياسةَ والعلا من غير وجهك شمسُها لا تطلع
في كلِّ يومٍ من عُلاك صنيعةٌ أنتَ المُجيدُ لها وأنت المُبدع
والناسُ إلاَّ أنتَ في كُبَّارِها صمٌّ عن الفعل الجميل إذا دُعوا
تالله إنّك واحدٌ في أهلها ولأنتَ أنتَ المُشْتَكى والمَفْزَع
ما ضلَّ عن نيل الغنى ذو حاجةٍ وإلى مكارمك الطريقُ المَهْيَع
ترجو نَداك وتتقي منك العدا فالبأسُ بأسُكَ والسَّماحةُ أجمع
تعطي وتمنعُ نائلاً وأبوَّةً لا كان من يعطي سواك ويمنع
اللهُ يعلمُ والعوالِمُ كلُّها إنّي لغير نَداك لا أتَوقَّع
لا زال لي من بحر جودك موردٌ[5] عذبٌ ووَبْلُ سحابةٍ لا تُقلع
فلئن طمعتُ فلي بجودك مطمعٌ ولئن قنعتُ فلي بجودك مَقْنَع

---

(١) صادية الظبى: هي السيوف العطشى إلى دماء الأعداء، وساغبة القشاعم: هي النسور الجائعة لتشبع من لحوم الأعداء.

(٢) الطلاب: الطلب.

(٣) الشهاد: الشهد، العسل.

(٤) السمام: السم.

(٥) في الأصول: ما زال. والصواب ما أثبتناه، لأنه في معرض الدعاء.

(٨)

وقال مرحبًا بالسيد سلمان القادري[١] نقيب الأشراف ومهنئًا بالعيد [وهي

أدارَ الــكــأسَ مــتــرعــةً شــرابــا ... وأهــداهــا لــنــا ذهــبــاً مُــذابــا[٢]

وقــد غــارتْ نجــومُ الــصــبح لــمّــا ... رأتهُ وهْــو قــد كــشفَ الــنِّــقــابــا

وقــال ليَ الــهــوَى فــيه اصــطــبِــحْــهــا ... وطبْ نــفــســاً بــهــا فــالــوقتُ طــابــا

ونــحن بــجــنّــةٍ لا خــلــدَ فــيــهــا ... ولا واشٍ نــخــافُ به الــعــقــابــا

ونــارُ الحــسنِ في وَجَــنــاتِ أحْــوَى[٣] ... من الــغــلــمــان تــلــتــهبُ الــتــهــابــا

---

(١) في الديوان سليمان. وهو السيد سلمان بن السيد علي بن السيد سلمان نقيب أشراف بغداد، ولد سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م، ونشأ في بيت الفضل والعلم والمجد. ودرس على علماء بغداد، وكان له قدر كبير ومنزلة سامية لدى السلاطين ورجال العالم الإسلامي، وكان مهيبًا ذكيًا بارعًا، نال عدة أوسمة من السلاطين. وكان الولاة والوزراء يهابونه، وقد حج بيت الله الحرام سنة ١٢٩٦هـ. بموكب فخم، وكان له مجلس حافل يوم الجمعة في ديوان الحضرة القادرية، يجمع الأدباء والشعراء والعلماء والوزراء ورجال الطرق الصوفية، وذوي الحاجة من الناس، وقد مدحه كثير من الشعراء حيث كانوا يقصدون داره للمدح والعطاء، منهم السيد حيدر الحلي بقوله:

حــدرت بــأطــراف الــبــنــان نــقــابــهــا ... مــرحًــا فــأخــجل حــســنــهــا أتــرابــهــا

وجــلــت غــداة تــبــســمت عن واضحٍ ... تــســتــعــذب الــعــشــاق فــيه عــذابــهــا

قــتــالــة الــلــحــظــات فــهي إذا رنتْ ... وجــد المــشــوق ســهــامــهــا أهــدابــهــا

كما مدحه السيد محمد القزويني النجفي الحلي بقوله:

عــيــدان لــلــزوراء زالت فــيــهــمــا ... عــنــهــا الــنــحــوس وعــاد كل ســعــود

عــود الــنــقــيب مــتــوجًــا تــاج الــعلا ... لمحــلــه الأســنــى وعــود الــعــيــد

توفي في ذي الحجة سنة ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد، ورثاه الشيخ يعقوب النجفي والد الشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ حمادي آل نوح والشيخ حسين القيم الحلي وغيرهم. انظر ديوان حيدر الحلي ٢/ ١٤ – ١٧ وديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر ص١٧٨ ولب الألباب ٢/ ١٢٨ وبغداد القديمة ١٩٩ والبغداديون ٨ – ٩ ونهضة العراق الأدبية للبصير ٢٧١ وديوان حسين القيم الحلي ص٨٢.

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (حويزاوي).

(٣) الأحوى: الأسمر، ومنه سميت (حواء) أم البشر، ومنه قوله تعالى (والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى) سورة الأعلى، الآية (٥).

أدِرْها يا غلامُ عَليَّ صِرفاً ... وأرشِفْني بِريقتك الرُّضابا
أدِرْها مُزَّةً تحلو وَدَعْني ... أقَبِّلُ من ثنايَاك العِذابا
أراشَ سهامَ مقلتهِ غريرٌ ... إذا أرْمَى بها قلباً أصابا[1]
وطافَ بها على النُّدمان يسعَى ... كأنَّ بكفهِ منها خِضابا
وشَرْبٍ يشهدون الغيّ مَحْضاً ... إذا الشيطانُ أبصرهمْ أنابا
عكفتُ بهم على اللَّذاتِ حتّى ... قرعتُ بهم من الغايات بابا
متى حَجَبَ الوقارُ اللّهوَ عنهمْ ... رأوْا أنْ يرفعوا ذاك الحِجابا
وقاموا للَّتي لا عيبَ فيها ... يرَوْنَ بتركها لِلْعابِ عابا
كأنَّ مجالسَ الأفراح منهمْ ... كؤوسُ الراحِ تنظمُهمْ حَبابا
تريكَ مذاهباً للقوم شتّى ... وتذهبُ في عقولِهُمُ ذَهابا
تحرَّينا السُّرورَ وُربَّ رأيٍ ... أرادَ الخِطْءَ فاحتملَ الصَّوابا[2]
وما زلنا نريقُ دمَ الحميّا ... ونشربُها وقد ساغتْ شرابا
إلى أن أقلعتْ ظُلَمُ الدَّياجي ... كما طيَّرْتَ عن وكرٍ غرابا
وغنَّتْنا على الأغصان وُرْقٌ ... نهزُّ لهنَّ أعطافًا طِرابا
وقد ضحكَ الأقاحُ الغضُّ منا ... وأبصرَ من خلاعتنا عُجابا
وظلّ البانُ يرقصُ والقماري[3] ... تغنّيه انخفاضاً وانتصابا
وفينا كلُّ مبتهجٍ خليعٍ ... طروبٍ شبَّ عارضُهُ وشابا
إذا شربَ المُدامَ وأطربَتْهُ ... أعادَ على المَشيب بها الشَّبابا
ألا بأبي منَ العُشّاقِ صَبٌّ ... متى ذُكِرَ الغرامُ له تَصَابَى
بكُلّ مُهَفْهَفِ الأعطاف يعطو ... بجيد الظبي رُوِّعَ فاسْتَرابا
إذا وَطِئَ التُّرابَ بأخْمَصَيْهِ ... تَمَنَّى أن يكونَ له تُرابا
وأيمُ اللهِ إنك مُسْتَهامٌ ... إذا اسْتَعْذَبْتَ في الحُبِّ العَذابا

(١) عنى رمى، وهو غير صحيح، يقال: أرمى الفرس براكبه إذا ألقاه، وأرمى على الشيء إرماء إذا زاد عليه كما يقال أربى. انظر لسان العرب مادة (رمي).

(٢) الخطء: بكسر الخاء وسكون الطاء، الخطيئة والذنب.

(٣) البان: ضرب من الشجر، واحدته بانة، يتغنى به الشعراء كثيرًا. والقماري: جمع قمرية، ضرب من الحمام.

أعـــدْ لـي ذكـــرَ أقـــداحٍ كـــبـــارٍ ... مِـلاءً من شـــــرابك أو قـــــرابـــــا
وخلِّ الـــيـــومَ عـــنك حـــديثَ ســلـــمى ... فلا ســـلـــمى أريـــدُ ولا الـــربـــابـــا
ومن قـــول الـــشَّـــجيِّ ســـألتُ ربـــعـــاً ... خلا ممن أحِبُّ فـــمـــا أجـــابـــا
وخُـــذْ بـــحـــديثِ (ســلـــمـــانٍ) فـــإنّي ... أحِبُّ به الـــثَّـــنـــاءَ الـــمُـــسْـــتَـــطـــابـــا
يُـــهـــابُ معَ الجـــمـــال ولا يـــداري ... ويـــوصَفُ بـــالجـــمـــيل ولا يُـــحـــابَى
فـــلـــو فـــاكَـــهْـــتَهُ لَـــجَـــنَـــيْتَ شـــهـــداً ... ولـــو عـــاديْـــتَهُ لَـــشَـــهِـــدْتَ صـــابـــا
ولم تَـــــرَ قـــــبـــــلـــه عـــــينٌ رأتْهُ ... جـــمـــيلاً راحَ مـــحـــبـــوبـــاً مُـــهـــابـــا
يـــنـــوبُ عن الـــصـــبّـــاح إذا تجـــلَّى ... ومـــا نـــابَ الـــصـــبّـــاحُ له مَـــنـــابـــا
بـــنـــفـــسي من أفَـــدِّيه بـــنـــفـــسي ... ومـــا فَـــداه من أحَـــدٍ فـــخـــابـــا
رغـــبتُ عن الأنـــام به فـــأضـــحى ... يـــطـــوِّقُـــني أيـــاديه الـــرغـــابـــا
فـــكـــان لِيَ الـــثَّـــنـــاءُ عـــلـــيه دأبًـــا ... وكـــان له الـــنَّـــدى والجـــودُ دابـــا
هم الـــرَّأسُ الـــمُـــقَـــدَّمُ من (قـــريشٍ) ... يُـــريكَ الـــنـــاسَ أجـــمـــعَـــهـــا ذِنـــابـــا
وهم مـن خـــيـــر خـــلـــق الـــله أصلاً ... وفـــرعًـــا واحـــتـــســـابًـــا وانـــتـــســـابـــا
ويـــرضى الـــلهُ مـــا رضـــيتْ (قـــريشٌ) ... ويَـــغْـــضَـــبُ إنْ هُمُ راحـــوا غِـــضـــابـــا[1]
فـــفـــيـــهم شَـــيَّـــدَ الـــله المـــعـــالي ... وفـــيـــهمْ أنـــزل الـــله الـــكـــتـــابـــا
أولـــئك (آلُ بـــيتٍ) أُنْـــزِلـــوهـــا ... تـــراثـــاً عن أبـــيـــهمْ واكـــتـــســـابـــا
شـــواهقُ من جـــبـــال المجـــد تـــســـمـــو ... مـــفـــاخـــرُهـــا وأبـــنـــيَـــةٌ رِحـــابـــا
وأخلاقـــاً مـــهـــذبـــةً لِـــدانـــاً ... وإيمـــانـــاً من الجَـــدْوَى رِطـــابـــا
إلـــيـــكمْ نـــنـــتـــمي وبـــكم نُـــبـــاهي ... من الـــبـــحـــر الـــشَّـــرايعَ والـــعُـــبـــابـــا
وفي الـــدّارينِ مـــا زلـــنـــا لـــديـــكمْ ... نـــحـــوزُ(*) الأجـــرَ مـــنـــكم والـــثَّـــوابـــا
وأبـــلـــغُ مـــا يـــكـــون به الـــتَّـــمَـــنِّي ... دُنُـــوّاً من جـــنـــابك واقـــتـــرابـــا
زمـــانـــاً راعـــني بـــنَـــواكَ شـــهـــراً ... فـــمـــا لـي لا أريعُ به الـــرِّكـــابـــا

(١) أخذه من قول جرير:

إذا غـضـبت عـليك بـنـو تـمـيم ... رأيـــت الـنـاس كـلـهم غـضـابـا

الديوان ص٧٨.

(*) **في الطبعة (١): (نجوز) وصوبناها من الطراز الأنفس.**

فليس العيدُ ما أوفَى بعيدٍ ... ولم أشهدْ به ذاك الجنابا

وعاتبْنا بفرقَتِكَ الليالي ... على ما كان حزناً واكتئابا

فأمّا أقصرُ الأشراف باعاً ... فأطولُهمْ مع الدنيا عِتابا

فيا قمراً عن (الزوراء) غابا ... زماناً للتَّنَزُّهِ ثمَّ آبا

طَلَعْتَ طُلوعَ بدرِ التِّمِّ لمّا ... غَرَبْتَ فلا لقيتَ الإغترابا

وجئتَ فجئتَنا بالخير سيلاً ... تُسيلُ به الأباطحَ والهضابا(١)

فإنك كلّما استُسقيتَ وَبْلاً ... سَقَيْتَ وكنتَ يومئذٍ سحابا

فمن مِنَحٍ شَرَحْتَ لنا صدوراً ... ومن مِنَنٍ تُقَلِّدُها الرِّقابا

ولمَّا أنْ نظمتُ له القوافي ... وَلَجْتُ بها على الضرغام غابا

وقمتُ عليه أنشدُها وأهدي ... لحضرته الدعاءَ المُستجابا

إذا منعَ اللئيمُ ندَى يديهِ ... أبَى إلاّ انْصباباً وانْسكابا

(٩)

وقال يمدح الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي(٢)، حين ورود الستارة النبوية الشريفة إليه من قبل السلطان محمود خان، [وهي من الكامل]:

---

(١) الأباطح والهضابا: مفعول تسيل.

(٢) هو الإمام الأعظم أبوحنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التيمي بالولاء، صاحب المذهب، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، ودرس على علمائها الأعلام، وبخاصة حماد بن أبي سلمى، وقد سمى ولده حماداً باسم شيخه، وكان يبيع الخبز، ويطلب العلم في صباه، حتى نبغ وبرع، وانقطع للتدريس والفتوى، وذاع صيته في الآفاق وكثر طلابه واتباعه، وقد طلبه أمير العراق عمر بن هبيرة، قاضياً فامتنع، ثم أراده أبوجعفر المنصور، فامتنع أيضا، فحبسه المنصور، وكان الإمام أبوحنيفة قد أدرك أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان رجلاً فاضلاً إماماً جليلاً، كريماً في أخلاقه جواداً سخي اليد، حسن المنطق، جميل الصورة، جهوري الصوت، طويل العبادة، ذا هيبة ووقار. ومن أشهر تلاميذه الإمام أبويوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري قاضي قضاة الرشيد، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزفر بن الهزيل، وهم الذين قرروا مذهبه من بعده، وإليه ينسب المذهب الحنفي. توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. ودفن في المقبرة التي سميت فيما بعد بمقبرة الخيزران. وسميت المحلة باسمه، وهي محلة الإمام أبي حنيفة، وهي اليوم قضاء الأعظمية تنسب إليه أيضا، وله (مسند) في الحديث، مطبوع جمعه تلاميذه من بعده، وكتاب (المخارج) في الفقه مخطوط، وكتاب (الفقه الأكبر) مطبوع، وقد ألف أفاضل العلماء كتباً عديدة في أخباره وفضائله ومناقبه منها كتاب (أخبار أبي حنيفة) لابن عقدة و(أخبار أبي حنيفة) لابن همام ومثله لمحمد بن عبدالله الشيباني، وكذلك للمرزباني محمد بن عمران، وكتاب (قلائد عقود الدرر والعقيان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) مخطوط لأبي القاسم القربتي الحنفي و(مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة) مطبوع =

لِمَنِ السَّوابقُ والجِيادُ الضمَّرُ ... تخدي ويزجُرُها الغرامُ فتعثُرُ
حفَّتْ بها أمَمُ الرِّجال كأنها ... زمرٌ تساق إلى الجنان وتُحْشَر
يتشرفون بحمل ثوبِ نبيِّهم ... فوقَ الرؤوس هو الطرازُ الأخضر
وحلاوةُ الإيمان حَشْوُ قلوبهمْ ... ولسانُهم عن ذكره لا يَفْتُر
يبكون من فرحٍ به بمدامعٍ ... كالدرِّ فوق خدودهمْ تَتَحَدَّر
كلٌّ له ممَّا اعتراه صبابةٌ ... كبدٌ تذوبُ ومهجةٌ تتسعَّر
مُتَرَجِلِّينَ كأنَّما مالتْ بهم ... راحٌ يسكِّرُ ذكرُها أو تسكر
وترى السكينةَ والوقارَ عليهمُ ... والخيلَ من تيهٍ بها تتبَخْتَر
حَمَلَتْ ثيابَ نبيِّنا وسعتْ به ... سعياً على أيدي الليالي يُشكر
وتفاخروا في لَثْمِها وتبرَّكوا ... حقّاً لِمِثْلِهِمْ بها أن يفخروا
أمّوا بها (النُّعمانَ) حتّى شاهدوا ... إشراقَ نور ضريحه فاستبشروا
حيثُ الهدى حيثُ المكارمُ والتُّقَى ... حيثُ الفضائلُ منه عنه تُنشَر
أرضٌ مقدَّسةٌ وتربٌ طاهرٌ ... ومَشاهدٌ فيها الذنوبُ تُكَفَّر
وبكوا سروراً في معاهد أنسِهِ ... غشّى عيونَهمُ السَّنا فاستعبروا
لاحتْ لهم هذي القِبابُ فهلَّلوا ... وبدا لهم هذا المقامُ فكبَّروا
هذا إمامُ المسلمين ومذهبُ الـ ... ـحَقِّ المبين وسِرُّه والمَظْهَر
هذا مِدادُ العِلْمِ هذا بابُهُ ... إنَّ العلومَ بصدره تتفجَّر
هذا صباحُ الحقِّ هذا شمسُهُ ... قد راقَ منظره ورقَّ المخْبَر
هذا الذي في كلِّ حالٍ لم يزلْ ... عَلَماً على الأعلامِ لا يَتَنَكَّر
هذا الذي أوفَى الفضائلَ كلَّها ... فاز المُقرُّ بها وخابَ المُنكِر
هذا المُنَى هذا الغِنَى هذا التُّقَى ... هذا الهُدَى هذا العُلا والمَفْخَر

= للموفق المكي و(مناقب الإمام الأعظم) مطبوع لابن البزاز الكردري. وكتاب (أبوحنيفة) مطبوع للشيخ محمد أبي زهرة و(حياة الإمام أبي حنيفة) مطبوع للسيد عبدالله عفيفي. وكتاب (أبوحنيفة بطل الحرية والتسامح) مطبوع لعبدالحليم الجندي وغيرها ومرقده مشهور يزار ومشهده من أعظم الجوامع في العراق، وبجواره مدرسته العلمية التي أنشأها شرف الملك العميد أبوسعد محمد بن منصور الخوارزمي سنة ٤٥٩هـ. وهي تعرف اليوم بكلية الإمام الأعظم.

هـذا الإمـامُ الأعـظمُ الـفـردُ الـذي ... آثـاره تَـبْـقَى وتـفـنَى الأعْـصُـر

☆☆☆☆☆

يـا قُـدْوَةَ الإسلام يـا عَـلَمَ الـهـدى ... إنّ الـهُـدَى من نـور عِـلْـمِكَ يـظـهَـر

ولـقـد ورثتَ عن الـنـبيِّ عـلـومَهُ ... فَـجَـرَتْ لـديك فـإنمـا هي أبْـحُـر

جـئـنـاك في ثـوب الـنـبّي (مـحـمّـدٍ) ... فـيه الـفـخـارُ وفـيه مـا نـتَـخَـيَّـر

ومُـنَـوَّرٍ بـضـريحِ أفـضـل مُـرْسَلٍ ... يـا حـبَّـذا ذاك الـضـريحُ الأنـوَر

ومُـعَـفَّـرٍ بـتـراب أشـرفِ حـضـرةٍ ... فـالـمِـسْكُ بـعضُ أريـجِهِ والـعـنـبـر

هـو رحـمـةٌ لـلـعـالمـين ورأفـةٌ ... وهـو الـبـشـيـرُ لخـلـقه والـمُـنْـذِر

مُـتَـوَسّـلـينَ بـسَـترِ قـبـرِ (مـحـمـدٍ) ... سَـتْـرُ به قـبـرُ الـرسـولِ مُـسَـتَّـر

يـا ربَّـنـا بمـحـمَّـد وبـآلِهِ ... مِنْ مَـنِّـهِمْ أثَـرُ الـهـدايـةِ يُـؤثَـر

وبـصـحـبه ألـنّـاصـرين لـديـنه ... من أوضـحـوا سـبلَ الـهدى إذْ أظـهـروا

يـا ربِّ بـالـعـلـمـاء أعلامِ الـهـدى ... الـعـامـلـين بمـا تـقـولُ وتـأمُـر

نـحن الـعـبـيـدُ كـمـا عـلـمتَ بـحـالـنـا ... والـعَـبْـدُ يـا ربَّ الـعـبـادِ مُـقَـصِّـر

كلٌّ يُـرجِّي فـضـلَ رحـمـةِ ربِّهِ ... ويـخـافُ إيـعـادَ الـذنـوبِ ويَـحْـذَر

مُـتَـذلّـلـين مُـقَـصِّـرينَ لـذنـبـهمْ ... يـا من يـذلُّ لـعـزِّه الـمُـسْـتَـكْـبِـر

فـاسـبلْ عـلـيـنـا ثـوبَ حـلـمك مـا لـنـا ... إلا بـحـلـمك يـا كـريمُ تَـسَـتُّـر

واغـفـرْ بـعَـفْـوِكَ يـا غـفـورُ ذنـوبَـنـا ... إن الـذنـوبَ بـجـنب عـفـوك تُـغْـفَـر

وانـصـرْ إمـامَ المـسـلـمـين وجـيـشَهُ ... نـعمَ الإمـامُ لِـمـا به نَـسْـتَـنْـصِـر

يـا ربِّ سـامْـحـنـا عـلى هـفـواتـنـا ... فـذنـوبُـنـا ممّـا عَـلِـمْـنـا أكـبـر

هـذا (عـليٌّ) قـد أتى مُـتَـوَسِّلاً[1] ... يـرجـو الـثَّـوابَ إذا الخلايقُ تُـحْـشَـر

فـأجِـبْهُ بـالـغـفـران واخـذلْ ضـدَّه ... يـا من يـفـوز بـعـفـوه الـمُـسْـتَـنْـصِـر

واعـلِ عـلى رغـم الأعـادي قَـدْرَهُ ... وانـصـره إنك سـيّـدي مَن تـنـصُـر

دمِّـرْ به أهلَ الـضَّلالِ جـمـيـعَـهـا ... لـيُـفَـرَّقـوا في سـيـفـه ويُـدَمَّـروا

أيِّـدْ به الـدّينَ الـقـويمَ فـإنَّه ... ذو غـيـرةٍ بـالـدين لا يَـتَـغَـيَّـر

لا يَـتَّـقي في الـله لـومـةَ لائمٍ ... خـصـمُ الأعـادي والـعـدوُّ الأكـبـر

---

(١) علي رضا باشا اللاظ، والي بغداد، ستأتي ترجمته.

(١٠)

وقال يمدح العلامة السيد عبدالغني آل جميل[١] [وهي من الكامل]:

عادَ المُتَيَّمَ في غرامكَ داؤهُ ... أهُوَ السليمُ تَعودُهُ آناؤهُ[٢]

فتأجَّجَتْ زفراتُهُ وتلهَّبَتْ ... جمراتهُ وتوقّدتْ رمضاؤه

حَسْبُ المُتَيَّمِ وَجْدُهُ وغرامُهُ ... وكفاه ما فعلتْ به بُرَحاؤه

بالله أيّتُها الحمائمُ غرِّدي ... ولطالما أشْجَى المَشوقَ غناؤه

نوحي تجاوبْكِ الجَوانحُ أنَّةً ... وتظلُّ تندُبُ خاطري وَرْقاؤه

هيهات ما صدقَ الغرامُ على امرئٍ ... حتّى تذوبَ منَ الجَوَى أحشاؤه

إنْ كان يبكي الصَّبُّ لا من لوعةٍ ... أخذتْ بمهجتِهِ فَممَّ بكاؤه؟

بِتَرَقْرُقِ العَبَراتِ وهْيَ مُذالةٌ ... سرٌّ يضرُّ بحالِهِ إفشاؤه

يا قلبُ كيفَ عَلِقْتَ في أشراكِهِمْ ... أوَ ما نهاكَ عنِ الهوَى نُصَحاؤه

لا تذهبنَّ بكَ المَذاهبُ غِرَّةً ... آرامُ ذيَّاكَ الحِمَى وظباؤه

وبمهجتي من لحظِ أحْوَرَ فاتنٍ ... مرضٌ يعزُّ على الطبيب شِفاؤه

هل يهتَدي هذا الطبيبُ لعلَّتي ... إن الغرامَ كثيرةٌ أدواؤه

والليلُ يعلمُ ما أجَنَّ ضميرُهُ ... من لوعتي وتضمَّنَتْ أرجاؤه

ما زلتُ أكْتَحِلُ السَّوادَ بهَجْرِكُمْ ... أرقاً ويُطرِفُ ناظري أقذاؤه

حتى يَشُقَّ الصبحُ أرديةَ الدُّجَى ... وتُحيلَ صبغةَ ليلِهِ ظلماؤه

زعمَ العذولُ بأنّ همِّي همُّهُ ... ومنَ البَليَّةِ هَمُّهُ وعناؤه

يدعو الفؤادَ إلى السُّلوِّ ودونَهُ ... للشَّوقِ داعٍ لا يُرَدُّ دعاؤه

لا يطمَئِنُّ بيَ المَلامُ فما له ... منّي سوى ما خابَ فيه رجاؤه

حُكْمُ الغرامِ على ذويه قَضَى ... ومَضَى عليهم حكمُهُ وقضاؤه

يا رحمَةً للمُغْرَمينَ وإنْ تكنْ ... قَتْلَى هواكِ فإنَّهمْ شُهَداؤه

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (الحسيني).

ما كان داءُ الحبِّ إلاّ نظرةً هي في الصَّبابةِ داؤه ودواؤه

في الحيِّ بعد الظاعنين لِما به مَيْتٌ بكتْهُ لرحمةٍ أحياؤه

أحبابَهُ النائينَ عنه أأنتمُ[1] أحبابُهُ الأدنَوْنَ أم أعداؤه

حفظَ الوِدادَ فما لكم ضيّعتموا ووفَى بعهدكمُ فدامَ وفاؤه

وجزيتموه على الوفاء قطيعةً أكذا من الإنصاف كان جزاؤه؟

ما شَرْعُ دينِ الحبِّ شِرْعَةَ هاجرٍ[2] صدقُ الخلوصِ لودّه شحناؤه

خاصمتُ أيامي بكمْ فرغمتُها والحرُّ أوغادُ الوَرَى خُصَماؤه

سَفَهاً لرأيِ الدهرِ يحسبُ أنّني ممَّنْ يُراعُ إذا دَهَتْ دَهْياؤه

ألقَى قطوبَ خُطوبهِ مُتَبَسِّماً وسوايَ يُرْهَبُ في الخُطوبِ لِقاؤه

إني ليُعْجِبُني ترفُّعُ همَّتي ويروقُ وجهي صَوْنُهُ وحياؤه

لا تعجبنَّ منَ الزّمانِ وأهله هذا الزمانُ وهذه أبناؤه

ليس المُهَذّبُ من تطيشُ بلبِّه[3] نعماؤه يوماً ولا بأساؤه

تمضي حوادثه فلا ضَرَّاؤه تبقَى على أحَدٍ ولا سَرَّاؤه

لا بدَّ من يومٍ يُسَرُّ به الفتى وتزولُ عن ذي غُمَّةٍ غَمَّاؤه

ولربَّما صدئَ الحسامُ وناله قينٌ فعادَ مَضاؤه وجَلاؤه

أوَ ما تراني كيف كنتُ وكان لي من كان أفْخَرَ حِلْيَتي نعماؤه

(عبد الغني أبو جميل) وابنه وكذا بنوه وهكذا آباؤه

نَسَبٌ أضاء به الوجودُ وأشرقتْ في مُشْمَخِرٍّ علائه أضواؤه[4]

جَعَلَ الإلهُ لنا نصيباً وافراً من إسمه فتقدستْ أسماؤه

هذا القريبُ من العُفاة عطاؤه هذا الرحيبُ بمن ألمَّ فِناؤه

ضُرِبَتْ على قُلَلِ الفخار قِبابُهُ وبَدا لِمُشْتَطِّ الدِّيارِ سَناؤه

---

(١) في الأصول: الناؤون عنه.

(٢) في المطبوع: ما شرح دين الحب.

(٣) في المطبوع: ليس المذهب.

(٤) في الأصول: ضوضاؤه (كذا).

إن كان يُعرَفُ نائلٌ فنواله ... أو كان يُعْلَمُ باذخٌ فعَلاؤه

شَيْخٌ إذا الملهوفُ أمَّ بحاجةٍ ... في بابه نَشِطَتْ لها أعضاؤه

يفدي النَّزيلَ بمالِهِ وبنفسه ... نفسي ونفسُ العالمينَ فِداؤه

مُتنِّمرٌ إنْ سِيمَ ضَيْماً أدْمِيَتْ ... منه البَراثِنُ واسْتَشاطَ إباؤه

فيه منَ الضِّرغامِ شِدّةُ بَطْشِهِ ... ومنَ المُهَنَّدِ بأسُهُ ومَضاؤه

رُفِعَتْ له فوقَ الكواكب عِمَّةٌ ... وأحاطَ بالبحرِ المُحيطِ رِداؤه

حَدِّثْ ولا حَرَجٌ ولستَ ببالغٍ ... ما تستحقُّ لها به آلاؤه

بَهَرَ العقولَ جميلُهُ وجمالُهُ ... وجَلالُهُ وكمالُه وبهاؤه

هذي معاليه فما نُظَراؤه ... غيرُ النُّجومِ عُلاً ولا أكْفاؤه

تاللهِ لم تظفرْ يداهُ بثروةٍ ... إلاّ ليَفْتِكَ جودُهُ وسخاؤه

راحتْ ذوو الحاجات يقتسمونَها ... فكأنَّهمْ في مالِهِ شُركاؤه

وِجْدانُهُ فَقْدُ الثَّراءِ لنفسهِ ... ولِغَيْرِهِ أبداً يكونُ ثراؤه

يمسي ويصبحُ بالجميل ولم يزلْ ... يثني عليه صُبْحُهُ ومساؤه

للّهِ مُنْبَلِجُ السَّنا عن غُرَّةٍ ... لا الصُّبحُ منبلجاً ولا أضواؤه

لو تَنْزِلُ الآياتُ في أيّامه ... أثْنَى عليه اللهُ جَلَّ ثناؤه

لا بَدّلَ اللهُ الزمانَ بغيرِه ... حتى تُبدَّلَ أرضهُ وسماؤه(١)

ما في الزَّمانِ وأهلِهِ مثْلٌ له(٢) ... إذ لم تكنْ كُرَماءَه لُؤَماؤه(٣)

وَقْفٌ على الصُّنْعِ الجميلِ جَنابُهُ ... فكأنَّما هو لو نَظَرْتَ غِذاؤه

وطَعامُهُ وشَرابهُ وسَماعُهُ ... ومَرامُهُ ورَجاؤه وصَفاؤه

ولربَّما لَمَعَتْ بَوارِقُ غَيْثِهِ ... فانهلَّ عارضُهُ وأهْرِقَ ماؤه

ولقد تجودُ بكل نَوْءٍ مُزْنُهُ ... جَوْدَ السَّحابِ تَتابَعَتْ أنواؤه

إنّي أؤمِّلُ أن أكونَ بفضله ... ممَّنْ يؤَمِّلُ فضلُهُ وعطاؤه

بيتُ المروءةِ والأبُوّةِ والنَّدَى ... ومَحَلُّه ومَكانُه وَوِعاؤه

---

(١) أخذه من قوله تعالى (يوم تبدل الأرض والسموات..) سورة إبراهيم: الآية: ٤٨.

(٢) في الأصول: مثلاً له. والصواب ما أثبتناه.

(٣) في المطبوع ونسخة أ كرماؤه لؤماؤه.

سبحانَ من خلقَ المَكارِمَ كلَّها … في ذلك البيتِ الرفيعِ بناؤه
أصبحتَ روضَ الحَزْنِ من سُقْيا الحَيا … راقتْ مَحاسِنُهُ وراقَ هواؤه
يسري إليه نسيمُ أرواحِ الصَّبا … فتَضوعُ في نفحاتها أرجاؤه
يمري عليها الرِّيَّ كلَّ عَشِيَّةٍ … وتجودُها من صَيِّبٍ أنداؤه
عهدُ الربيعِ بفصلِهِ وبفضلِه … أبداً يمرُّ خريفُهُ وشتاؤه
ما زالَ يوليني الجميلَ تكرُّماً … مولىً عليَّ منَ الفُروضِ وَلاؤه
وكأنّما اصْطَبَحَ المُدامَةَ شاعرٌ … بمديحه فَقَريضُهُ صهباؤه
فاللهُ يبقي المكرماتِ وها هما … مُتلازمانِ بَقاؤها وبَقاؤه

(١١)

وقال يمدح السيد علي القادري[1] نقيب الأشراف ببغداد [وهي من المتقارب]:

أعادكَ يا سعدُ عيدُ الهوى؟ … وأنتَ مُلِمٌّ بدار اللّوى[2]
فأصبحتَ تنحرُ فيها الجفونَ … كما تنحَرُ البُدْنَ يومَ القِرَى
فمن حقِّ طَرفي هذي الدُّموعُ … ومن شأن قلبيَ هذا الجَوَى
فما غيرُ قلبِيَ يَصْلَى الغَضَا(*) … ولا غيرُ طرفي يُفيضُ الدِّما
وكيفَ وقفتَ على أربُعٍ … عَفَتْ قبلَ هذا بأيدي البِلَى
أتدفعُ فيها بها ما ترى … فكيفَ تُداوي الأسَى بالأسى
ولِمْ لا اتَّبَعْتَ كلامَ النَّصوحِ … وكفكفتَ دمعَكَ لمَّا جرى
إلى أن تحقَّقْتَ أنّ الغرامَ … يعيدُ القويَّ ضعيفَ القُوَى
وحتّى أطعتَ الهَوَى والشَّجِيُّ … يُعاصي المَلامَ لطَوْعِ الهَوَى
فإن تَلْحَني بعدها مرةً … جزيتُكَ يا سعدُ بئسَ الجَزا

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) اللوى: واد في أرض بني سليم من نجد. واللوى: مقطع الرمل. وفي بلاد العرب مواضع كثيرة بهذا الاسم. تعرف بالإضافة مثل: لوى طفيل ولوى النجيرة ولوى الأرطى ولوى المجنون ولوى عيوب. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٣ – ٢٤.

(*) **في الطبعة (١): (الفضا) وهو خطأ طباعي وتصويبها من الطراز الأنفس.**

ولُمْتُكَ في عَبَراتٍ تفيضُ ووَجْدٍ يُقطِّعُ منكَ الحَشا
وقلتُ تَسَلَّ عنِ الظاعنينَ فإنَّ السُّلُوَّ بأمرِ الفتى
أَلَمْ تَكُ من قبلها لُمْتَني فماذا الوقوفُ وماذا البكا
وقد كنتُ مثلَكَ بينَ الطُّلولِ أساجِلُ بالدمع وَبْلَ الحَيا
وأروي الديّارَ بماء الجُفونِ فلم يَرْقَ دمعي وفيها ظَما
وما برحتْ عَبَراتي بها تَبلُّ الغليلَ وتروي الصَّدَى
وأذكُرُ فيها على صَبْوَتي زمانَ التَّصابي وعَهْدَ الصِّبا
قضيتُ لديه بما أشتهي ولكنَّه قد مَضَى وانقَضَى
أغازلُ غِزلانَهُ للوِصالِ وأشربُ للَّهْوِ كأسَ الطِّلا
وأسمعُ من نَغَمات القِيانِ كلاماً يُعَشِّقُني بالدُّمى
يحضُّ على ما يَسُرُّ النفوسَ ويدعو إلى ما هو المُشْتَهَى
ينادِمُني كلُّ عَذْبِ الكلامِ يُشابِهُ بالحُسنِ بدرَ الدُّجَى
وألقَى الزَّمانَ بهم باسماً كوَجْهِ الكريمِ وزهرِ الرُّبا
فإن تَرَني بعدَهمْ راضياً ولو بالخيالِ فما عن رِضا
ولكنَّها زَفَراتٌ تهيجُ فأذكرُ يا سعدُ ما قد مَضَى
وإن جاشتِ النَّفسُ من وَجْدِها فتَعليلُها بحديثِ المُنَى
وأخْرُجُ من ذِكرِهِمْ بالقريضِ بمدحِ (عليٍّ) خَدينِ العُلا
ففي مَدْحِهِ ما يزيلُ الهمومَ وفي شُكرِهِ يُسْتَفاضُ النَّدى
فلا بَعْدَهُ للمُنَى مُنْتَهَى ولا غيره للعُلا مُرْتَقَى
تَواضَعَ وهْو عليُّ الجنابِ رفيعُ المَحَلِّ وسامي الذُّرا
بآثاره أبداً يُقْتَفَى وأقوالِهِ أبداً يُقْتَدَى
مَلاذُ الجميعِ لمن قد دنا منَ العالمينَ ومن قد نَأى
أعادَ مناقبَ آبائه حياةَ العُفاةِ وحتفَ العِدا
ويرتاحُ للبذل يومَ العطا فينفقُ أنْفَسَ ما قد غلا
فإمّا سألتَ نَدى كفِّهِ فَسَلْ ما تشاءُ وثِقْ بالغِنَى

✲✲✲✲✲

وأعْجَبُ ما فيه يعطي الجزيلَ ويلحقُ ذاك الجَدَا بالجَدَا
ففيه معَ الجودِ هذا الحياءُ وفيه مع البأسِ هذا التُّقى

أليس منَ القومِ سادوا الأنامَ ... فهم سادةٌ لجميع الورى
عليهمْ تَنَزَّلَ وحيُ الأله ... ومنهمْ تبلَّجَ صبحُ الهدى
وكيفَ يفاخرهمْ غيرُهُمْ ... إذا كان جَدّهمُ المصطفى
وهذي ضَرائحُ آبائهمْ ... تُشَدُّ إليها رِحالُ المَطَى
يلوذُ بحضرتهمْ من يخافُ ... خطوبَ الليالي ويخْشَى الأذى
حُماةٌ بهم يأمنُ الخائفونَ ... نوائبَ من شِدّةٍ تُتَّقَى
لهم عند ضيقِ مَجالِ الرجالِ ... عزائمُ ليستْ لبِيضِ الظُّبى
أكارمُ لا نارُهُمْ في الظلامِ ... تَوارَى ولا جارُهُمُ في عَنا
مَضَوْا وأتَى بعدهمْ فَرْعُهُمْ ... ومن قد مَضَى مثلُ من قد أتى
مُهابٌ إذا أنتَ أبصرتَهُ ... فتحسبهُ من أسود الشَّرى
يجيبُ إذا ما دعاه الصَّريخُ ... هُمامٌ يُلَبِّى إذا ما دعا
صَفَا من يديه غيرُ النوالِ ... لمن يجتديه فَخُذْ ما صَفَا
أؤمِّلُ منه بعيدَ المرامِ ... وأرجو به فوقَ ما يُرتَجَى
وإني بنظمي مديحي له ... كمن شربَ الراحَ حتى انْتَشَى
ولا زالَ في كلِّ عيدٍ يعودُ ... بأرفعِ مجدٍ وأعْلَى بنا

(١٢)

وقال يمدح الوزير داود باشا[١] والي بغداد وأرسلها إليه إلى الآستانة بعد عزله

(١) هو الوزير الشهير داود باشا، كرجي الأصل، ولد سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، وجلبه إلى بغداد بعض النخاسين، وعمره إحدى عشرة سنة، فاشتراه المرحوم مصطفى بك الربيعي، ثم اشتراه منه والي بغداد سليمان باشا، فعلمه وأدبه، ودرس على أجلة علماء بغداد حتى برع فأجازوه. أمثال الشيخ محمد أمين الموصلي والشيخ محمد أسعد بن عبيدالله الحيدري والحافظ أحمد القيماقجي وغيرهم. وكان ذكيًا بارعًا عالمًا فطنًا مخلصًا، وتقدم في الوظائف والمناصب، حتى جعله سعيد باشا بن سليمان باشا (كتخدا) سنة ١٢٢٩هـ. وكان الفساد والاضطراب قد استولى على العراق. فأصلح الأمور، وقوي شأنه، وخشيه المفسدون. وخافه سعيد باشا أيضا، فأراد التخلص منه وعزم على قتله، فترك داود باشا بغداد وقصد كركوك سنة ١٢٣١هـ وكتب منها إلى الآستانة عن الوضع في بغداد، وصدر الفرمان بتعيينه واليًا على بغداد، فعاد إليها واحتلها سنة ١٢٣٢هـ وقتل سعيد باشا وهدأت الأمور، وقد أنشأ داود باشا المدارس والمعاهد والمساجد، ومن آثاره في بغداد جامع الحيدر خانة وجامع الأصفية، واصطدم مع الإنجليز. فوشى به الإنجليز لدى السلطان وخوفوه منه بأنه يريد الاستقلال بالعراق.

وكان داود باشا قد استجلب الصناع من أوروبة وأمر بصنع البنادق والمدافع في العراق. وامتد حكمه إلى=

بـ (وادي الغَضَا) للمالكيةِ أرْبُعُ — سَقَتْها الحَيا منّا جُفونٌ وأدمعُ

ومُرْتَبَعٌ قد كان للريمِ ملعباً — على أنّه للضَّيْغَمِ الوردِ مصرع

يقطّعُ فيها مهجةَ الصَّبِّ شوقُها — وما الشوقُ إلاّ مهجةٌ تتقطع

حَبَسْتُ بها صَحْباً كأنَّ قلوبَهمْ — منَ الشَّوقِ في تلك المنازلِ تُخْلَع

على مثلِ مُعْوَجِّ الحَنيَّةِ ضُمَّرٌ — نَبوعُ بها البيدَ القِفارَ ونذرع[1]

تَحِنُّ إلى أعْلامِ (سَلْعٍ) و(لَعْلَعٍ) — لقد فَتَكتْ بالحبِّ (سلعٌ) و(لعلع)

كأنْ فُصِدَتْ من أخْدَعَيْها وما جَرى — لها بدمٍ قانٍ هنالكَ أخدع[2]

وما هي إلاّ عَبْرةٌ دمويةٌ — يجودُ بها في ذلكَ الربعِ مدمع

فحَيَّتْ رسومَ الدارِ وهْي دوارِسٌ — جُفونٌ بما تُسْقَى بها الدارُ تُتْرَع

كانَّ مَطيَّ الركبِ في الشِّعْبِ أصبحتْ — لها عند ذاك الشِّعْبِ قلبٌ مُضَيَّع

نُريكَ بها من شدّة الوَجْدِ ما بنا — فكلٌّ له منّا فؤادٌ مُروَّع

= الأحساء. ثم عزل سنة ١٢٤٧هـ. حيث وجه السلطان محمود جيشًا من الشام بقيادة علي رضا باشا اللاظ. فاحتل بغداد سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م وكان قد أصابها الغرق والطاعون، وقد قاوم أهل بغداد مع داود باشا ولم يرضوا بعزله. ثم استسلم آخر الأمر. وشفع له أعيان بغداد والأعظمية لدى الوزير علي رضا اللاظ، ورحل إلى الآستانة، فاستقبله السلطان محمود وأكرمه واحترمه ولقبه بشيخ الوزراء، ثم أكرمه السلطان عبدالمجيد بعد ذلك فعينه شيخًا للحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة سنة ١٢٦٠هـ فأقام في المدينة مشتغلاً بالعلوم والآداب والتدريس حتى وفاته سنة ١٢٦٧هـ ودفن في البقيع. وله في بغداد أوقاف كثيرة منها البساتين المعروفة بالداودية في شمال الأعظمية. وله في المدينة المنورة بستان تعرف بالداودية أيضا. وقد ألف عثمان بن سند كتابًا لتاريخه سماه (مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود). وقد مدحه كثير من الشعراء، منهم السيد جواد زيني وعبدالباقي العمري بقصيدة التزم فيها كلمة (الخال) في القافية وقد عارض فيها (خالية) الشاعر بطرس كرامة التي مدح بها السلطان.
كما مدحه الشيخ صالح التميمي وكان شاعره المفضل المقرب إليه وقد ودعه عند عزله بقصيدة باكية قال فيها:

أودعكم توديع من ضاع قلبه — فليس له عنه سلو ولا صبر

وتوديع ذي ود يرى أن بعدكم — وإن كان يومًا واحدًا طوله الدهر

وانظر الترياق الفاروقي ٢٤٣، وديوان التميمي وحلية البشر ١/ ٥٧٩ – ٦٠٧ وعنوان المجد ١٤٢ ودوحة الوزراء ٢٧٢ – ٢٩٣ والأعلام ٣/ ٦ – ٧ وداود باشا للكتور يوسف عزالدين وشعراء العرب ٢/ ١٥٢.

(١) نبوع: نقيس بالباع. ونذرع بالذراع.

(٢) الأخدعان: عرقان خفيان في موضع الحجامة من العنق. والجمع أخادع. وفي الحديث الشريف (إنه عليه الصلاة والسلام احتجم على الأخدعين) لسان العرب. مادة (خدع).

ولما نزلنا ليلةَ الخيفِ بالنَّقا[١] ... وفاضتْ على أطلالِ (رامةَ) أدمع[٢]

بحيثُ الهَوَى يستنزفُ العينَ ماءها ... ويَستَهتِرُ الصَّبرَ الذي لا يُرَقَّع

ذكرنا بها أيامَ لَهْوٍ كأنّها ... عقيلةُ مالِ المرءِ بل هي أنفع[٣]

وبتْنا وأسيافٌ منَ الشُّهب في الدُّجَى ... تُسَلُّ وزنجيُّ الظلامِ يُجَدَّع

تُحَرّكُ ذاتُ الطَّوقِ وَجْدي وطالما ... تبيتُ على فينانةِ البانِ تَسْجَع

تردِّدُ والأشجانُ ملءُ حديثِها ... قديمَ الهَوَى من أهلِهِ وتُرجِّع

وما ساءها بالبين ركبٌ مقوّضٌ ... ولا راعَها يوماً خليطٌ مُوَدِّع

فهل أنتَ مثلي قد أضرّ بكَ الهَوَى ... وهل لكَ قلبٌ لا أبا لكَ مُوجَع

لئن نَشَرَتْ طَيَّ الغرامِ الذي لها ... فقد[*] طُويَتْ منّي على الوَجْدِ أضْلُع

بنفسي منَ الجانينَ بالطَّرفِ جانباً ... له شافعٌ من حُسْنِه ومُشَفَّع

يُجَرّعني ما لم أذُقْهُ منَ النَّوى ... ألا من حُمَيّا الوَجْدِ ما أتجرَّع

بذلتُ له من أدمعٍ كنتُ صنتُها ... ذخائرَها وهْو الحبيبُ المُمَنّع[**]

ويا ربما أدميتُ طرفي بوامضٍ ... منَ البرقِ في الظلماءِ يَخْفَى ويلمع

وقلتُ لسعدٍ حين أنْكَرَ لوْعَتي ... عداكَ الهَوَى إنّي بظَمْياءَ مُولَع

تولّتْ لنا أيّامُ جَمْعٍ وأقلعتْ ... فلم يَبْقَ في اللذاتِ يا سعدُ مطمع

وأصبح بالحيِّ العراقيِّ ناعباً ... غرابٌ بصرفِ البينِ للبينِ أبْقَع

---

(١) الخيف: كل ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء. ومنه سمي مسجد الخيف في منى. وفي بلاد العرب أخياف كثيرة تعرف بالإضافة مثل: خيف بني كنانة وخيف سلام وخيف الحميراء وخيف ذي القبر. والمقصود هنا خيف منى وهو منزل الحجاج في العيد. انظر معجم البلدان ٢/ ٤١٢ – ٤١٣ والنقا محلة في مكة المكرمة.

(٢) في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمي (رامة) منها موضع قرب الرمادة بين البصرة ومكة المكرمة وهي آخر بلاد بني تميم ورامة اسم هضبة لبني دارم ورامة أيضا من قرى بيت المقدس وبها مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ويقال لها (رام الله). والعرب تثنيها فتقول (الرامتان). معجم البلدان ٣/ ١٨.

(٣) عقيلة المال: العقيلة من كل شيء أكرمه وأحسنه، وهي في الأصل المرأة الكريمة. ثم توسعوا فيه فقالوا: عقائل الكلام وعقائل البحر وعقائل المال. لسان العرب مادة (عقل).

(*) في الطبعة (١): (فقط) وهو خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الممتع) خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

وغابتْ بدورُ الظاعنينَ عشيَّةً ... بأنْضاءِ أسفارٍ تَخُبُّ وتوضع[١]

أراني مُقيماً بالعراق على ظَما ... ولا مَنْهَلٌ للظامئينَ ومرتع

وكيفَ بوِرْدِ الماءِ والماءُ آجنٌ ... يُبَلُّ به هذا الغَليلُ ويُنْقَع

لعلّ وما تُجْدي لعلَّ وربَّما ... غَمائمُ غمٍّ أطْبَقَتْ تَتَقَشَّع

يعودُ زمانٌ مرَّ حلوُ مَذاقِه[٢] ... وشَمْلُ أحبّائي كما كان يجمع

فقد كنتُ لا أُعطي الحوادثَ مِقْوَدي ... وإنّي لرَيْبِ الدهرِ لا أتوجَّع[٣]

كأنّي صَفاةٌ زادها الدهرُ قسوةً ... من الصُمِّ لا تبلى ولا تَتَصَدَّع

فسالمتُ حربَ النائبات فلم تزلْ ... تقودُ زِمامي حيثُ شاءتْ فأتبع

وكنتُ إذا طاشتْ سهامُ قِسِيِّها ... وَقَتْني الرَّدى من صنع (داودَ) أدرُع[٤]

فمِنْ جُودِه إنّي رَبيتُ بجوده ... وزيرٌ له الإحسانُ والجودُ أجْمَع

وَرَدَّ شموسَ الفضلِ بعد غُروبها ... كما ردَّها من قبلِ ذلكَ (يوشع)[٥]

وقامَ له في كلِّ منبرِ مدحةٍ ... خطيبٌ من الأقلامِ بالفضلِ مِصْقَع

ومُسْتَوْدَعُ عِلْمَ النبيِّينَ صدرُهُ ... ولِلَّهِ سرٌّ في معاليه مُودَع

كأنّ ضياءَ الشمسِ فوقَ جبينِه ... على وَجْهِهِ النورُ الإلهيُّ يَسْطَع

وزيرٌ ومرُّ الحادثاتِ يزيدُهُ ... ثباتاً وحلماً فهْو إذ ذاك أروع

إذا ضَعْضَعَ الخطبُ الجبالَ فإنّه ... هو الجَبَلُ الطَّودُ الذي لا يُضَعْضَع

عَرانينُهُ قد تَشْمَخِرُّ إلى العلا ... أشَمُّ إلى الأعلامِ في المجدِ أفرع

---

(١) تخب: تسير خبباً وهو نوع من السير، وتوضع من الإيضاع وهو السرعة، وفي الحديث الشريف عند الإفاضة من عرفات (عليكم بالسكينة فليس البر بالإيضاع) وفي القرآن الكريم: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم..) سورة التوبة: الآية: ٤٧.

(٢) الفصل مر: تورية بارعة فهي من المرور ومن المرارة.

(٣) أخذه من قول الصحابي الجليل أبي ذويب الهذلي يرثي أبناءه الخمسة:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

أشعار الهذليين: ١/ ١٠.

(٤) تورية بارعة مع الدروع الداودية المنسوبة إلى النبي داود عليه السلام.

(٥) إشارة إلى خبر رد الشمس بعد غروبها بدعاء النبي يوشع عليه السلام.

أمَدَّ على قطرِ (العراقين) ظلَّهُ ... إذا عصفتْ في المُلكِ نكباءُ زَعْزَع

ويُقْدِمُ حيثُ الأُسْدُ تُحْجِمُ رهبةً ... ويسطو وأطرافُ المَنِيَّةِ شُرَّع

يَمُدُّ يداً طولى إلى ما يرومُهُ ... فتقصرُ أبواعٌ طِوالٌ وأذرع

إذا ذَكَرَ الجبّارُ شدّةَ بأسه ... يلينُ لما يلقاهُ منه ويخضع

لقد سارَ مَنْ لا زال يَنْهَلُّ قَطرُهُ ... سَحابٌ عنِ (الزوراء) بالجودِ مقلع

فما سالَ يوماً بعد جَدْواهُ أبطحٌ ... بسَيْبٍ ولن تُسْقَى منَ الغيثِ أجْرُع

ولا مَرَّ فيها غيرُ طيبِ ثنائهِ ... أريجٌ شذًا من طيِّبِ المسكِ أضْوَع

ولا عُمِرَتْ في غير أنواع مدحهِ ... بيوتٌ على أيدي الفضائل تُرفع

(أبا حسنٍ) هل أوبةٌ بعد غَيْبَةٍ ... فللبدرِ في الدنيا مغيبٌ ومَطْلَع

لئن خَلِيَتْ منك البلادُ التي خَلَتْ ... فلم يَخْلُ من ذكرى جميلكَ مَوْضِع

ففي كلِّ أرضٍ من أياديك ديمةٌ ... وروضٌ إذا ما أجْدَبَ[*] الناسُ مُمْرِع

يفيضُ الندى من راحتيكَ وإنَّها ... حياضٌ، بنو الآمالِ منهنَّ تكرَع

وإني على خَصْبِ الزَّمانِ وجَدْبه ... إليكَ وإنْ شطَّ المَزارُ لأُهْرَع

ولو أنني وفِّقْتُ للخير أصبحتْ ... نياقي بأرض الروم تخدي وتُسْرِع

إلى مالكٍ ما عن مكارمه غنىً ... وغيرِ ندَى كفَّيْهِ لا أتوقَّع

فألثمُ أقْدامَ الوزيرِ التي لها ... إلى غايةِ الغاياتِ مَمْشىً ومَهْيَع[١]

وأثني عليه بالّذي هو أهلُهُ ... وأُنْشِدُه ما قلتُ فيه ويَسْمَع

(١٣)

(١) المهيع: الطريق اللاحب الواضح.

(٢) هو أبوالبركات نعمان خيرالدين بن أبي الثناء محمود بن عبدالله الآلوسي البغدادي. ولد ببغداد يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م ونشأ بها ودرس على والده العلامة أبي الثناء، وعلى جملة صالحة من أجلة علماء بغداد، وكان ذكيًا عاقلاً فاضلاً. شديد التمسك بالسنة النبوية الطاهرة، محاربًا لأهل البدع والأهواء، وقد سافر إلى الحج واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين. فأعجبوا بفضله وعلمه وسعة دراسته، وسافر إلى الآستانة عن طريق الشام واجتمع بعلمائها فأجازهم وأجازوه، وقابل السلطان في الآستانة فأكرمه وبجله. وعين قاضياً في مدن عديدة بالعراق، ثم ترك المناصب وتفرغ للتدريس في المدرسة المرجانية ببغداد. وكان يلقب (رئيس المدرسين) =

(*) **في الطبعة (١): (أجدى) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

لـــيــــهـــنـــكُمُ زواجٌ في هــــنـــاءٍ	به انْـــشَـــرَحتْ لأقـــوامٍ صُـــدورُ
تــرونَ الخــيــرَ مــجــلــوبــاً إلــيه	وفي أطــرافِهِ الخــيــرُ الــكــثــيــر
ويـــطـــربُ في مـــغـــانـــيـكم مـــحبٌّ	يــبــوحُ لــكم بمــا كــتمَ الــضَّــمــيــر
تـــقـــرُّ الــعـــينُ فـــيـــكمْ إنْ تَـــراكمْ	وفـي أخلاقـــكمْ كـــرمٌ وخـــيـــرُ
إذا سُـــدتُمْ وكـــنـــتمْ حـــيثُ أهـــوى	ومـــا فـــيـــكمْ بمـــكـــرمـــةٍ قُـــصـــور
ولا عَـــجَـــبـــاً إذا مـــا ســـادَ شـــبلٌ	أبـــوه ذلك الأســـدُ الـــهَـــصـــور
ألا يـــــا عمَّ أبـــنـــــاءٍ كـــــرامٍ	تَـــعمُّ به الـــســـعـــادةُ والحُـــبـــور
ومُـــهـــدي الـــعـــالمـــين إلى رشـــادٍ	يـــلـــوحُ به لـــعـــلـــمٍ مـــنكَ نـــور
بـــذكـــرٍ تـــطـــمـــئنُ به قـــلـــوبٌ	ووعظٌ قـــد تـــلـــينُ له الـــصُّـــخـــور
تَـــهَنَّ بـــذلك الـــتَّـــزويج مـِــمَّنْ	بــهــا الأيــامُ تــشــرقُ والــشُّــهــور(١)
وسُـــرَّ به كـــمـــا تـــبـــغي وأرِّخْ	(فــفي تــزويجِ نــعــمــانٍ ســرور)(٢) ١٢٧٣هـ

= وكان يقضي سحابة يومه من الفجر إلى صلاة المغرب في المدرسة ولم يخالط حاكمًا ولا وزيرًا. وكان جوادًا سخيًا. وله شعر حسن رقيق ومنه قوله:

قف بنا يا سعد إن جئت الغضا	حي صبـــا من بعاد قد قضى
ولنحو البان فاصرف قلصًـــا	ذكرت يا ويلها عصرًا مضى
واسقني في روضة كأس طـــلا	تبرئ السقم الذي قد أمرضا

وله كتب عديدة منها: (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) ابن تيمية وابن حجر. مطبوع. و(الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح) مطبوع. و(غالية المواعظ). و(صادق الفجرين) مخطوط. (شقائق النعمان) مخطوط. وكانت له صلات طيبة وعلاقات وطيدة مع كبار علماء الإسلام.. وبخاصة السيد صديق بن حسن خان، وكان مبجلاً لدى السلاطين والولاة والوزراء. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشيخ نعمان السويدي وعبدالباقي العمري وعبدالحميد الأطرقجي. والشيخ محسن العذاري بقوله:

أبـوثـابت ذاك من قـد غـدا	لـعـين الـعُلا عـين إنـسـانـها
ومن قد سما في الفخار السما	وداس علـــى هـــام كيوانـــها
فـما في الفـتـاوى له مشبه	ومـــن ذا يكـــون كنعـمانـها

توفي ببغداد يوم الأربعاء ٧ محرم سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م ودفن في المدرسة المرجانية بجوار قبر منشئها أمين الدين مرجان. وقد وقف كتبه كلها على خزانة المدرسة المرجانية، وهو والد العلامة علي علاء الدين الآلوسي قاضي بغداد الأسبق.

(١) في الأصول: به الأيام.

(٢) مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٧٣هـ. ولم يرد الرقم في الأصول. انظر الترياق الفاروقي ٤١٥ والمسك الأذفر ٥١ – ٥٦ والدر المنتثر ٣٤ – ٣٧ وتاريخ الأدب العربي في العراق للفرادي ٢/ ٥٩ – ٦٠ والبغداديون ٢٦٣ وبغداد القديمة ٢٠٠ وأعلام الغري للأثري ٥٧ – ٥٧ – ٦٨ وإيضاح المكنون ١/ ٦ و٢٩٨ والأعلام ٩/ ٩ وحديقة الورود ٤٠ مخطوط.

(١٤)

إلى إحسان (مولانا الرفاعي) ... بكشكولِ الرَّجاءِ مددتُ باعي[٢]

هو القطبُ الذي لا قطبَ يُدْعَى ... سواه في الأنام بلا نِزاع

عريضُ الجاهِ ذو قَدْرٍ كريمٍ ... طويلُ الباعِ بل رحبُ الذراع

تَوَلَّدَ من رسولِ اللهِ شبلٌ ... به دانتْ له كلُّ السِّباع

وقَبَّلَ كفَّ والدهِ جَهاراً ... غدتْ بالنور باديةَ الشُّعاع[٣]

وشاهَدَها الثِّقاتُ وكلُّ فردٍ ... رآها بانفرادٍ واجتماع

فتلك مَزِيَّةٌ لم يحظَ[*] فيها ... سواه من مُطيعٍ أو مُطاع

---

(١) هو أبوالعباس الشيخ القدوة الإمام الزاهد السيد أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى المعروف بابن الرفاعي الحسيني. أصله من المغرب مؤسس الطريقة الرفاعية ولد سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م وتفقه وتأدب على خاله الشيخ منصور الزاهد. وتصوف وانضم إليه خلق كثير، وانتشر أتباعه وطريقته في أنحاء الدنيا. وكان يسكن في قرية أم عبيدة من أعمال واسط بالبطائح. ومما ينسب إليه من الشعر:

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم ... أنوح كما ناح الحمام المطوق

وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى ... وتحتي بحار بالأسى تتدفق

(سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها ... تفك الأسارى حوله وهو موثق)

(فلا هو مقتول ففي القتل راحة ... ولا هو ممنون عليه فيطلق)

وقيل كانت هذه الأبيات تنشد عليه فيتواجد عند سماعها، ويمرض لها. توفي في قرية أم عبيدة يوم الخميس ٢٢ جمادى الأول سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م وقبره فيها يزار وعليه قبة. ويقصده الزوار وأتباع طريقته من أنحاء العالم. ولم يعقب ذرية. وإنما النسل لأخيه وذرية أخيه يتوارثون المشيخة. انظر ترجمته في الكامل ١٢/ ٤٩٢ ووفيات الأعيان ١/ ١٧١ – ١٧٢ والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٢، وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٩ – ٢٦٠ والأعلام ١/ ١٦٩.

(٢) ذكر لي الأستاذ الأثري: أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الآلوسي. يقول: «إن أحمد عزة العمري نظم هذه القصيدة وأضافها إلى الديوان. ليسهل أمر طبع الديوان. وإنها ليست للأخرس» وكذلك القصيدة رقم (٢٨).

(٣) إشارة إلى الخبر الشائع لدى الصوفية وهو أن السيد الرفاعي رضي الله عنه، عند زيارته لرسول الله ﷺ. امتدت إليه يد الرسول عليه الصلاة والسلام من القبر الشريف فقبلها. وللصوفية قصائد كثيرة ومدائح حول هذا الخبر. وهو لا يتفق مع العقيدة الإسلامية الصحيحة.

(*) في الطبعة (١): (فرية لم يخط) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَشِقْتُ طريقَ حضرته عِياناً وأمّا الغيرُ يَعْشَقُ بالسَّماع
بذِكْرِ جَلالِه وعُلاه نمشي رويداً فوق أنياب الأفاعي
فماءُ زلالِه يروي غليلي وروضي إنْ تَنَكَّرتِ المَراعي
ولم أعْبَأْ بجعجعةٍ وطحنٍ فذاكَ الصخرُ خَرَّ منَ اليَفاع
مُجيري إنْ تعاقَبَتِ الرَّزايا وغَوْثي إنْ تكاثَرَتِ الدَّواعي
إذا ما الدهرُ جَلَّلَنا بخطبٍ وأوْرَثَ صَدْعُهُ سوءَ الصُّداع
بهمَّتِهِ العلّيةِ إنْ تَوالتْ نكيلُ خطوبَهُ صاعاً بصاع

*****

أبا العَلَمَيْنِ سيَّدَنا المُفَدَّى[1] على وَجَلٍ أتيتُ إليك ساعي
أتَيْتُكَ زائراً أبغي قَبولاً فَفيكَ تَوَصُّلي ولكَ انْقطاعي
أتَيْتُ إليكَ أشكو من ذنوبٍ تولِّدُها بنا قُبْحُ الطِّباع
فما كَذَبَتْ بما أرجو ظنوني ولا خابتْ بنا تلك المَساعي
لقد عَصَرَتْنيَ الأيامُ حتّى جرى من مقلتي لبنُ الرِّضاع
لكَ الهِمَمُ التي شَهِدَ المُعادي بها إذْ لا سبيل إلى الدِّفاع
إذا خَفَقَتْ رياحُ العزم منها أمِنَّا في حِماهُ منَ الضَّياع
وليس سواه في حزمٍ وعزمٍ يبينُ لنا المُضيعَ من المُضاع
فهذا ملجَأُ من حلَّ فيه يَعُدْ من غير خوفٍ وارتياع
أُمَرِّغُ حُرَّ وجهي في ترابٍ به التَّمريغُ للجَنّاتِ داعي
وقَفْنا والجُفونُ لها مَسيلٌ بهاتيك الأماكنِ والبقاع
فكم من مُقْلَةٍ للشَّوْقِ أذرتْ وأجْرَتْ دمعَها دونَ امْتناع
فيا ابنَ الأكرمينَ جعلتُ مَدْحي بكمْ خيرَ ارتداءٍ وادّراع
إذا ما رُمْتُ أنْ أحصي ثناكمْ طلبتُ بذاكَ غيرَ المُسْتَطاع
ألا إنَّ الذنوبَ لقد تَوالتْ وجاءتْ وهْي حاسرةُ القِناع
فقد أصْبَتْنيَ الدنيا إليها وغَرّتني بأنواعِ الخِداع
فَخُذْ بيدي بأرض الحشر يوماً يُساوي بالجَبان وبالشُّجاع

---

(١) أبوالعلمين: هي كنية السيد الرفاعي رضي الله عنه.

وأدركِني ومنْ نفسي أجِرْني ... وأنْعِمْ في قَبولِكَ باصْطِناعي
فقد ناجيتُها لمَّا أتَيْنا ... رُوَيْدَكِ وابشري أنْ لا تُراعي
وإنّي عُدْتُ في نفسي وجسمي ... مليئاً بالهُدَى والإنتقاع
بَلَى. روحي لديكَ لقد أقامتْ ... تشاهدُ نقطةَ السِّرِّ المُذاع
أُوَدِّعُ حضرةً مُلِئَتْ جلالاً ... وليس لنا سواها اليومَ راعي
كريمٌ بالسَّلامِ لدى حُضوري ... ولكنِّي بَخيلٌ بالوَداع

(١٥)

هل تَركتُمْ غيرَ الجَوَى لفؤادي ... أو كَحَلْتُمْ عيني بغيرِ السُّهادِ
قد بَعُدْتُمْ عن أعْيُنٍ فهْي غَرْقَى ... بدموعي ولي فؤادٌ صادي
ثمَّ وكّلتُمُ السُّهادَ عليها ... يمنعُ العينَ عن لذيذِ الرُّقاد
مَنْ مُجيري منَ الأحبَّةِ يجفو ... نَ وتعدو منهم عَلَيَّ العَوادي(*)
عَلِموا أنَّني عليلٌ ومَنْ لي ... أنْ أرى طَيْفَهُمْ منَ العُوّاد
نَزلوا (واديَ الغَضَا) فكأن الدْ ... دَمعَ منِّي سيولُ ذاك الوادي
تَركَتْني أظعَانُهُمْ يومَ بانوا ... وَحَدًا فيهمُ منَ البينِ حادي
بينَ دمعٍ على المنازلِ مَوْقو ... فٍ وشَمْلٍ مُشَتَّتٍ بالبعاد
وفؤادٍ يروعُهُ كلَّ يومٍ ... ذِكْرُ أيامنا الحسانِ الجِياد
يا رفيقي وأين عَهْدُكَ بـ(الجَزْ ... عِ) سَقاهُ الغمامُ صَوْبَ عِهاد
وسَقَتْ دارنا بـ(مَيْثاءَ) مُزْنٌ ... من ذَواتِ الإبراق والإرْعاد
تَتَلَظَّى كأنّما أوْقَدَتْها ... زَفَراتي بحرِّها الوقّاد
فتظنُّ البروقَ منها سيوفاً ... مُذْهَباتٍ سُلَّتْ منَ الأغماد

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) في الطبعة (١): (الغوادي) خطأ طباعي وصوبناها من الطراز الأنفس.

مُــوقَــراتٍ بمـــا حَــمَـــلْنَ من المـــا ... ءِ رواءً إلى الـــدِّيـــار الـــصَّـــوادي

مُـلْـقِـيـاتٍ أثـقـالَـهـا بـاذلاتٍ ... مـا لـديـهـا عـلى الـرُّبـا والـوِهـاد

فَـتَـرَى الـرَّوضَ شـاكـراً من نَـداهـا ... نـعـمـةً بـالأزهـارِ والأوراد

تَـتَـوالَى عـلى ملاعبَ لـلـغِـزْ ... لانِ فـيـهـا ومـصـرعِ الآسـاد

أربُعٍ كـلّـمـا وقَـفْتُ عـلـيـهـا ... كـان طِـرْفي فـيـهـا من الأجْـواد

ومـنـاخٍ لـنـا يـريق من الأجـ ... ـفـانِ غـيـرَ الـذي تـريقُ الـغَـوادي

فـلـنـا فـيه مـا لـهـذي المـطـايـا ... حـرقـةٌ في الـقـلـوب والأكـبـاد

كـنتُ أرجـو بَـرْداً من الـوَجْـدِ لـكنْ ... مـا لحَـرِّ الـغـرامِ من إبـراد

إنّ في الـظَّـاعـنـينَ أبـنـاءَ ودٍّ ... لم يـراعـوا في الـودِّ عَـهْـدَ وِدادي

أين مـيـعـادُ من هـويتُ هـواه ... ومـتى نـلـتـقي عـلى مـيـعـاد

وتَـمـادى هـذا الجـفـاءُ ومـا هـذا ... الـتَّـجـافي مـنه وهـذا الـتَّـمـادي

لا أرى الـدهـرَ بـاسـمـاً أو أراني ... بـعـدَ رغمِ الـمُـنَى أُنـوفَ الأعـادي

مُـنْـشِـداً في (أبي الـثـنـاء) ثـنـاءً ... خـالـدَ الـذكـرِ دائمَ الإنـشـاد

كم قَـصَـدْنـاهُ بـالـقـصـيـد ومـا زا ... لَ من الـنـاسِ كـعـبَـةَ الـقُـصَّـاد

ووردنـا بـحـراً طَـمَى وأُفـيـضتْ ... من أيـاديهِ للأنـام الأيـادي

وَوَجَـدْنـا مـنه حلاوةَ لـفظٍ ... شَقَّ فـيـهـا مَـرائـرَ الحُـسّـاد

في لـسـانٍ بـحَـدِّهِ [قـد رَمَى الـلّـ ... ـهُ رؤوسَ][*] الإلحـادِ بـالأعـضـاد

فـإذا سـوّدتْ يـداه كـتـابـاً ... فـبـيـاضُ الـعُلا بـذاك الـسَّـواد

وصـبـاحُ الحقِّ المـبـينِ لـعـيـني ... يَـنْـجَـلي من سَـواد ذاك الـمِـداد

عـارفٌ بـالـغـايـاتِ من مُـبْـتَـداهـا ... ولِـلـغـايـاتِ كلِّ شيءٍ مَـبـادي

وإذا المـسـلـمـون رامتْ هُـداهـا ... كـان من بـيـنـهـا (الإمـامُ الـهـادي)[**]

زاجـرٌ بـالآيـاتِ عن مـنـهـج الـغيّ ... ومُـهـدي إلى سـبـيلِ الـرَّشـاد

(*) ورد في الطبعة (١): (قد رمى رؤوس) وهو مما يكسر الوزن وما بين القوسين تصويب من الطراز الأنفس.

(**) توجيه لطيف بين صفة أبي الثناء الآلوسي كهادٍ للمسلمين واسم الإمام علي الهادي عليه السلام وهو الإمام العاشر من أئمة أهل البيت.

وارثٌ عِــــلْـمَ جَــــدِّهِ سَــــيِّـــــدَ الـــرُّ   سْلِ وسِـــــــرُّ الآبـــــــاءِ فـي الأولاد

سـؤددٌ في الأمـاجـدِ الـسـادةِ الـغُـرْ   رِ قــديمـــاً والـــسَّـــادةِ الأمـــجـــاد

فـــــاتكٌ بــــالـــــكلام في كلِّ بــــحثٍ   فَـــتَـــكـــاتِ الحُـــســــامِ يــــومَ جِلاد

سَــــعُـــدَتْ هـــذه الــــبلادُ بـــشــــهمٍ   عَـــزَّ وِجْــــدانُ مِـــثْـــلِهِ في الــــبلاد

جـــامعٌ لــلــعــلــوم شَــفْعُ المــعـــالي   مُـــفْــرَدُ الـــفــضلِ واحِـــدُ الآحـــاد

✡✡✡✡✡

نـــــالَ مــــــا لم يَـــــنَلْ ســـــواه ومِنْ دو   نِ ورودِ(*) الآمـــالِ خـــرطُ الــقَـــتـــاد

والــقـــوافي تـــروي أحـــاديثَ عَــلــيــا   هُ صِـــحـــاحًـــا قـــويّـــةَ الإســـنـــاد

كـيفَ نُـحْـصـي مـا قـد حَـوَيْتَ وهل تُـحْـ   ـصَى نجـومُ الـسَّـمـاء بـالأرصـاد

إنْ تُـــعَـــدِّدْ مـــنـــاقِـــبـــاً لك قـــومٌ   عَـــجَـــزَتْ عن نـــهـــايـــةِ الأعـــداد

يــا عــمــادَ الــدين الــقـويمِ ومــا زلـ   تَ عـظـيمَ الـبـنـا رفـيعَ الـعـمـاد

إنّـــمـــا أنتَ آيـــةُ الـــلـه لـــلـــنّـــا   سِ جـمـيـعـاً ورحـمـةٌ لـلـعـبـاد

وبـ(بـغـدادَ) مــا حَـلَـلْتَ مـقـيـمـاً   فـــالمــقـــامُ المحـــمـــودُ في (بـــغـــداد)

لـم أزلْ أرتجـــيكَ فـي هـــذه الـــدنْـ   ـيـا وأرجـوكَ بـعـدَهـا في المَـعـاد

أنــا عــمّــا سِــواكَ أغــنَـى الـبَـرايــا   ولِــمـــا يُـــرْتَـــجَـى منَ الـــزُّهَّـــاد

طَـوَّقَـتْـني الـنَّـعـمـاءُ مـنك ونَـعْـمـا   ؤكَ مـــثل الأطـــواقِ في الأجْـــيـــاد

غَـمَـرَتْـني مـكـارمٌ مـنك تَـتْـرَى   يــــــا كــــــريمَ الآبـــــاءِ والأجـــــداد

نــــــائـلٌ مـن عُـلاكَ كلّ مُـــــرامٍ   بــــــالـغٌ من نــــــــداكَ كلَّ مُـــــراد

حُـزْتَ أجـرَ الـصِّـيـامِ والـعـيـدُ وافـا   كَ بمـا تـشـتـهي بـخـيـرِ مَـعـاد

كلُّ عــيــدٍ عــلــيكَ عــادَ جــديــداً   فـــهْـــو عـــيـــدٌ من أشـــرفِ الأعـــيـــاد

(*) في الطبعة (١): (ورد) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١٦)

وقال يمدح حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني[1] رضي الله عنه. [وهي من

أسيرُ وقد جازتْ بنا غايةَ السُّرَى   ولاحتْ خيامٌ للحِمَى وقِبابُ

سَوابحُ في بحرِ السَّراب كأنَّها   بغاربِ أمواج السَّرابِ حَبَاب

تحنُّ إلى أيامِ (سَلْعٍ) و(رامةٍ)   وما دونَها في السَّالفاتِ قراب

إذا خوطبتْ في ذكر أيامها الأُلى   ثناها إلى الوَجْدِ التليدِ خطاب

كأنَّ حشاها من وراء ضلوعها   تَقاطَرُ من أجفانها وتُذاب

وعاتَبَتِ الأيامَ في ما قضتْ به   وهل نافعٌ منك الفؤادَ عتاب

إلى (الشيخ عبد القادر) العيسُ يمَّمتْ   فتمَّ لها أجرٌ وحقَّ ثواب

وما لِسِوى (آل النبيّ محمّدٍ)   تُحَثُّ المطايا أو يُناخُ رِكاب

كأنَّ شُعاعَ النُّورِ من حَضَراتهمْ   تشقُّ حَشَا الظلماءِ فَهْيَ حِراب

عليها من الأنوار ما يَبْهَرُ النُّهَى   وينصلُ فيها للظلام خِضاب

---

(١) هو أبومحمد الشيخ محيي الدين عبدالقادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي روست الحسني الجيلاني. الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين. وصاحب المقامات العالية والكرامات الباهية. ولد في جيلان سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م. وانتقل إلى بغداد شابًا سنة ٤٨٨هـ. واتصل بشيوخ العلم والتصوف. فأخذ عنهم وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد. وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وسمع الحديث من أبي غالب الباقلاني وجعفر السراج، وقرأ الأدب، واشتهر أمره وذاع صيته في الآفاق، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء ببغداد سنة ٥٢٨هـ. وكان قد صحب الشيخ حماد الدباس، وأخذ عنه الطريقة، ولبس الخرقة من أبي سعد المبارك المخرمي، وفاق أهل وقته في الديانة، وكان له القدم الراسخة في مجاهدة النفس وقطع دواعي الهوى، وحسن الدعوة بين الناس، فكثر أتباعه وسارت بفضله الركبان، وهو مؤسس الطريقة القادرية الشهيرة، وتاب على يديه كثير من الأشرار والمفسدين. وله كتب جليلة النفع منها (الغنية لطالب طريق الحق) ومطبوع (الفتح الرباني) مطبوع و(فتوح الغيب) مطبوع و(الفيوضات الربانية) مطبوع. وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء والشيوخ بقصائد حسان. توفي ببغداد ليلة السبت ٨ ربيع الآخر سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٦م وقد عاش تسعين سنة. ودفن في مدرسته بباب الأزج وله اليوم مشهد كبير في بغداد يقصده الناس من أنحاء العالم، ترجمته في المنتظم ١٠/ ٢١٩ والكامل ١١/ ٣٢٣، والعبر ٤/ ١٧٥ – ١٧٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٥٢، وشذرات الذهب ٤/ ١٩٨، ٢٠٢، والأعلام ٤/ ١٧١ – ١٧٢ وفي مصادر أخرى.

يراها بعَيْنَيْ رأسه كلُّ ناظرٍ … وما دونها للناظرين حِجاب

فلله قَبْرٌ ضمَّ أشرفَ راقدٍ … لديه كما ضَمَّ الحُسامَ قِراب

جنابٌ مَريعٌ عظَّمَ اللهُ شأنَهُ … فجلَّ له قدرٌ وعَزَّ جَناب

تَصاغَرَ كبَّارُ الملوك جميعها … بحضرة بازِ اللهِ فهْي ذباب[1]

ويَسْتَحْقِرُ الجَبّارُ إذْ ذاكَ نفسَهُ … فيرجو إذا ما راعَهُ ويَهاب

قصدناكَ والعافونَ أنتَ ملاذُهُمْ … وما قصدوا يوماً عُلاكَ وخابوا

تلينُ الرزايا في حِماكَ وإنْ قَسَتْ … وكم لانَ منها في حِماكَ صِلاب

بكَ اليومَ أشْياخٌ كبارٌ تَضَرَّعوا … إلى الله في ما نابَهُمْ وأنابوا

على فطرةِ الإسلام شَبَّتْ وشَيَّبتْ … مفارقَهُمْ سودُ الخطوبِ فتابوا

قد اسْتَعْبَرَتْ أجفانُهمْ منك هيبةً … ومالتْ لهم عندَ الضَّريحِ رقاب

يمدُّون أيدي المُسْتَميحِ منَ النَّدى … وما غيرُ إعطاء المرامِ جواب

تُنالُ بكَ الآمالُ وهْي بعيدةٌ … وتُقْضَى بك الآمالُ وهْي صِعاب

وأنّى لنا يا أيها الشيخُ جيئةٌ … إلى بابكَ العالي وليس ذهاب

إلى أن تُرينا الخطبَ مُنْفَصِمَ العُرى … وللأمن من بعد النُّزوحِ إياب

وحتى نَرى في ما نرى قد تقشَّعَتْ … غيومُ غُمومٍ واضْمَحَلَّ ضباب

إلامَ نُعاني غَصَّةً بعد غَصَّةٍ … ونُرمَى بأسهام الأذى ونُصاب

(أبا صالحٍ) قد أفسدَ الدهرُ أمْرَنا … وضاقتْ علينا في الخطوب رِحاب[2]

وتالله ما ننفكُّ نستجلبُ الرضا … علينا من الأيام وهْي غِضاب

وتعدو كما تعدو الذئابُ صروفُها … علينا وأحداثُ الزمانِ ذئاب

وإنا لفي دهرٍ تسافلَ بعدما … أقيمَ مَقامَ الرأسِ فيه ذناب

فوا عجباً مما نراه بجيله … وأكثرُ أحوال الزمانِ عُجاب

يُذادُ عنِ الماءِ النَّميرِ ابنُ حرةٍ … وللنذل فيها موردٌ وشراب

---

(١) بازالله: من ألقاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه. ويقال له (الباز الأشهب).

(٢) في الأبيات التالية إشارة إلى الأوضاع السيئة وتعريض بالحكام والولاة.

وتعلو على أعلى الرجال أراذلٌ ... وتسطو على ليثِ العرينِ كلاب

فلا خيرَ في هذي الحياة فإنَّها ... عِقابٌ وما لا تشتهيه عِقاب

حياةٌ لأبناء اللئام وجودُها ... نعيمٌ وللحُرِّ الكريم عَذاب

إلى الله مما نابنا أيّ مشتكى ... ولله ما نُرْمَى به ونُصاب

إذا ما مَضَى عنا مصابٌ أهالنا ... دهانا مُصابٌ بعده ومُصاب

وأحداثُ أيامٍ تشبُّ ولم تَشِبْ ... كأنْ لم يكنْ قبلَ المَشيبِ شَباب

تشنُّ علينا غارةً بعدَ غارةٍ ... فنحنُ إذاً غُنْمٌ لها ونِهاب

فيا آلَ بيت الوحي دَعوةَ ضارعٍ ... إلى الله يدعو ربَّهُ ويُجاب

صلاحَ ولاةِ الأمر إنَّ صَلاحَهُمْ ... يعودُ علينا والفسادُ خراب

بحيثُ إذا راموا الإساءة أقْلَعوا ... أو اجْتَهدوا في ما يَسُرُّ أصابوا

مواردِكُمْ للحائمين كأنَّها ... مواردُ من قَطْرِ الغَمام عِذاب

وهل يبتغي(*) الظَّمآنُ من غير فضلكمْ ... وروداً وماءُ الباخلينَ سَراب

نعفّرُ منّا أوْجُهاً في صَعيدِكُمْ ... عليهنَّ من صبغِ المشيبِ نِقاب

فلا دونكمْ للقاصدينَ مقاصدٌ ... ولا بعدَكمْ للطّالبينَ طِلاب

مفاتيحُ للجَدْوَى مَصابيحُ للهُدَى ... فأيديكمُ في العالمين رِغاب

بكمْ يرزقُ اللهُ العبادَ وفيكمْ ... تنزَّلَ من ربِّ السَّماءِ كتاب

وأنتمْ لنا في هذه الدار رحمةٌ ... إذا مسّنا فيها أذىً وعَذاب

ومن بَعْدِ هذا أنتمُ شُفَعاؤنا ... إذ كانتِ الأخرى وقامَ حساب

لأعْتابِكُمْ تُزْجى المطيُّ ضَوامراً[١] ... وتُطْوَى فلاةٌ قفرةٌ ويَباب

إذا كنتمُ بابَ الرَّجاءِ لطالبٍ ... فما سُدَّ من دونِ المَطالبِ باب

---

(١) في الأصول: ضوامر.

(*) في الطبعة (١): (ينبغي) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

(١٧)

وقال يمدح السيد عبدالغني آل جميل[١] ويشكو إليه ضُرَّه من سرقة داره في سلخ

يـا لـيـلـةً في آخـر الـشّـهـرِ ... قـد جـئـتِ بـعـد الـصَّـومِ بـالـفـطـرِ
كـشفَ الـصَّـبـاحُ لـنـا حـوادثَـهـا ... وتـكـشّـفتْ عن مُـضْـمَـرِ الـغـدر
أصـبـحتُ مـنـهـا غـيـرَ مُـفْـتَـقِـرٍ ... أبـداً إلى حـرسٍ عـلـى وَكْـر
هَـجَـمَتْ عـلـيَّ بـحـادثٍ جَـلَـلٍ ... وهـجـومُـهـا من حـيثُ لا أدري
خـطبٌ أَلـمَّ ويـا لـنـازلـةٍ ... طـلـعت عـلـيَّ به مع الـفَـجْـر
في لـيـلـةٍ لـيلاءَ تحـسـبُـهـا ... يـومَ الـفـراقِ ولـيـلـةَ الـقَـبْـر
مـا جَنَّ حـتّى جَنَّ طـارقهُ ... طَـرْقَ المـبـيت بـطـارق الـشَّـر
وأظنُّ أنَّ الـشَّـمسَ مـا كُـسِـفَتْ ... إلاّ لـتـكـشفَ بَـعْـدَهـا ضُـرِّي
ولـقـد أقـمتُ مَـقـامَ ذي سَـفَهٍ ... صَـعُبَ الـمَـقـامُ به عـلـى الحُـرِّ
في مـنـزلٍ أخـذوا مـسـاحَـتَهُ ... يـومـاً فـمـا أوفَى عـلـى شـبـرِّ
يـا مُـؤْجِـري داراً سُـرِقْتُ بـهـا ... لا فُـزْتَ بَـعْـدَ الـيـومِ بـالأجْـر
لـولا الـضّـرورةُ كـنتُ مـرتحلاً ... عـنـهـا وكـنتُ نـزلتُ في قَـفْـر
دامي الـعـيـونِ عـلـى أُصَـيْـبِـيَـةٍ[٢] ... سـودِ[*] الحـظـوظ وأوْجُـهٍ غُـرِّ
مـا عـنـدهم صـبـرٌ عـلـى أملٍ ... يـرجـونه في الـعُـسْـرِ لـلـيُـسْـر
فـرحـوا بـزيـنـتـهمْ ولـو عـقـلـوا ... لم يـفـرحـوا بـغَلائلٍ حـمـر[٣]
من كلِّ مـبـتـهجٍ بـكـسـوته ... طـربِ الـشّـمـائلِ بـاسمِ الـثَّـغـر
نـامـوا ومـا انـتـبـهـوا لـشـقـوتـهمْ ... إلاّ انـتـبـاهَ الخـوفِ والـذُّعْـر

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) أصيبية: تصغير صبية جمع صبي.

(٣) الغلائل: الملابس.

(*) في الطبعة (١): (سوء) وتصويبها من الطراز الأنفس ومن نفثات الأخرس لمحمد ناجي القشطيني، ص ١٨.

يتلفَّتون إلى غَلائلهمْ ... فدموعهمْ من فَقْدِها تجري

ضاقتْ بهم (بغدادُ) أجْمَعُها ... واليومَ ضاقَ لضيقهمْ صدري

ونظيرةُ (الخنساءِ) مكثرةٌ ... بالنَّوْحِ باكيةٌ على (صَخْر)[1]

ولقد عجبتُ لها ويعجبني ... أمران ما اتَّفَقا على أمْر

أبكي على حظٍّ مُنِيتُ به ... وهي التي تبكي على القِدر!

هذا وتضحكني مقالتُها ... كيف البقاءُ بنا مع الفقر؟

فكأنَّما كانتْ وأينَ لها ... في نعمةٍ موصوفةِ الخير

هل كنتِ قبلَ اليومِ في سَعَةٍ ... وملابسٍ من سندسٍ خُضْر

أوَ ما ذكرتِ العمرَ كيفَ مضَى ... لا كان ذاك العمرُ من عُمْر!

إذْ تذكُرينَ جلاجلاً سُرِقَتْ[2] ... ولقد نسيتِ الجوعَ مُذْ[*] شهر

وبَنوكِ يومئذٍ بمَسْغَبَةٍ ... خُمْصَ البطونِ حوانِيَ الظُّهر

صُفْرٌ يسوؤُكِ ما عرفتِ بهمْ ... من شؤمِ وقعِ حوادثٍ غُبْر

وعَدَدْتُ ألفَ قضيّةٍ سَلَفَتْ ... تُطْوَى الضلوعُ بها على الجَمْر

ما أنكَرَتْ منهنّ واحدةً ... فلطَمْتُها بأناملٍ عَشْر

وعذرتُها وعذلتُ عاذِلَها ... والعذلُ بَيَّنَ بَيِّنَ العُذْر

وقعَ البلاءُ فلم يُفِدْ جزعٌ ... فتعلّلا بعواقبِ الصَّبْر

بَعُدَ الرَّجاءُ بموطنٍ خشنٍ ... يلقي الكرامَ بجانبٍ وَعْر

---

(١) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الشريد الرياحية السلمية. من بني سليم، أشهر شواعر العرب عاشت أكثر عمرها في الجاهلية. وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على النبي ﷺ مع قومها بني سليم وكان النبي عليه الصلاة والسلام يستنشدها، ويعجبه شعرها، فكانت تنشد وهو يقول: هيه يا خناس.. وأجود شعرها ما قالته في رثاء أخيها (صخر) وبقيت تنوح عليه حتى سميت (الخنساء) والخنساء هي البوم. وكان للخنساء أربعة أولاد استشهدوا في معركة القادسية بالعراق فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. ولها ديوان شعر مطبوع. انظر أعلام النساء ١/ ٣٠٥ والأعلام ٢/ ٦٩. ونظيرة الخنساء يقصد بها الشاعر زوجته. لأنها أكثرت من البكاء على سرقة دارها.

(٢) الجلاجل: من الحلي والزينة للأطفال. تكون كالحجل في الرجل.

(*) في الطبعة (١): (في) والتصويب من الطراز الأنفس، ومن نفثات الأخرس للقشطيني، ص١٩.

بَلَدٌ كبارُ ملوكِه بَقَرٌ ... صاروا ولاةَ النَّهْيِ والأمرِ!

لا يفقهون حديثَ مكرمةٍ ... فَيَهُزُّهمْ نظمي ولا نثري!

أصبحتُ أشْقَى بين أظهرهمْ ... فكأنَّني أصبحتُ في أَسْرِ

يَرْقَى الدَّنِيُّ إلى مراتبهمْ ... حتّى يُريكَ النَّعْلَ في الصَّدْرِ

وإذا سألْتُهمُ بمسألةٍ ... بخلوا ولو بقلامة الظُّفْرِ!!

ذَهَبَ الذين أنالُ نائلَهمْ ... وأعدُّهمْ من أنْفَسِ الذُّخْرِ

إنْ ساءَني زمنٌ سُرِرتُ بهمْ ... وكُفيتُ فيهمْ صَوْلَةَ الدَّهرِ

ومَدَحْتُهمْ وشكرتُ نعمتَهُمْ ... بغرائبِ الأبياتِ من شِعْري

ولئن شكرتُ بمثلها أحداً ... فـ(أبو الجميل) أحقُّ بالشُّكرِ

لم يبقَ من أهلِ الجميلِ سِوَى ... (عبد الغني) ونَيْلِهِ الوَفْرِ

إلاّ تَداركَني برحمته ... إنّي إذاً وأبي لفي خُسْرِ

وتَرحَّلَتْ بي عن مَباركِها ... ولاّجةٌ في المَهْمَهِ القَفْرِ

ومُبَدِّدُ الأموالِ مُهْلِكُها ... بالمكرمات لَخالدُ الذكرِ

قَسَماً به وجميلِ مُصْطَنعٍ ... من فَضْلِهِ قَسَماً لذي حِجْرِ

لولاه ما علقَ الرَّجاءُ ولا ... عُرِفَ الجميلُ بأهل ذا العَصْرِ

ما زال أندَى من مُجَلَّلَةٍ ... بالقَطْرِ تمْلي سائرَ القُطْرِ

فانشرْ ثناءكَ ما استطعتَ على ... عَبِقِ العناصرِ طيِّبِ النَّشْرِ

مُزِجَتْ مَحَبَّتُهُ بأنفسنا ... مثل امْتِزاجِ الماءِ والخَمْرِ

لِفَضائلٍ شهدَ العدوُّ بها ... ومَناقبٍ كالأنجُمِ الزُّهْرِ

درعٌ يَقِي من كلِّ نائبةٍ ... لا ما يقي من البَرْدِ والحَرِّ

أمُعلِّلي بحديثه كرماً ... حَدِّثْ ولا حرجٌ عنِ البَحْرِ

وإذا أثابكَ من مكارمهِ ... فمثوبةٌ في الأجْرِ والفَخْرِ

أدعو له ولمن يلوذُ به ... في العالمين دعاءَ مُضْطَّرِّ

أنْ لا يزال كما أشاهِدُهُ ... كالبَدْرِ أو في رِفْعَةِ البَدْرِ

(١٨)

وقال يمدح العلامة أبا الثناء الآلوسي[١] لإجابته على الأسئلة الإيرانية[٢] ويهنيه بورود منشور الإفتاء بمدينة السلام [وهي مقصورة من الرجز]:

أجابَ ما سألتُه لمَّا انثنَى ... يرنو بألحاظٍ كألحاظِ المَها
وأثبتَ الحبُّ له دلائلاً ... بصَبِّه منها النُّحول والضَّنَى
يا رشًا ملَّكْتُهُ حُشاشَتي ... فجار في حُكْمِ الغرام واعتَدى
رعيًا رعاكَ الله في مستغرمٍ ... إن لم تراعِ ذمَّةً فيكَ رعَى
يا قلبُ خَفِّضْ لوعةً وجدتَها ... فربَّما واصَلَ من كان جَفَا
لا توسعاني بالهوى مَلامةً ... إن الجمالَ قائدي إلى الهوى
نظرتُ سربًا بـ(العقيق) نظرةً[٣] ... فأورثَتْني نظرتي هذا الأسى
حَيِّ (العقيقَ) فـ(اللِّوى) من مربعٍ ... نهبتُ فيه طربي فـ(المُنحَنَى)
زمانَ لَهْوٍ صَبْوةٍ قَضَّيْتُه ... ذاك زمانٌ قد تَقَضَّى ومَضَى
وكلَّما هبَّ الصَّبا من نَحْوِهِمْ ... زاغَ عن الصَّبرِ فؤادي وصَبَا
ما لي وللأيام لا كانت فقد ... أصْمَتْنِيَ الأحْداثُ في سهمِ الرَّدى
تَخَوَّنَتْني كلَّ يوم نكبةٌ ... ضِرامُها في كلِّ آنٍ تُحْتَضَا[٤]
هل علمَ الدهرُ الذي أساءني ... أيَّ أخي عزمٍ وذي فضلٍ قَلَى
آهٍ على عمرٍ مضَى أكثرُهُ ... ولم أنلْ فيه منَ الدَّهْرِ المُنَى
مَضَى بيَ العمرُ وكان مسرعًا ... أن ينجلي صبحُ المَشيب والجَلا
وعانَدَ الدَّهرُ العبوسُ مطلبي ... إذا جنيتُ الوردَ أضحى لي سَفا[٥]

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) إشارة إلى كتاب (الأجوبة العراقية في الأسئلة الإيرانية) وضعه أبوالثناء الآلوسي. جوابًا لأسئلة وجّهها بعض علماء العجم. انظر هدية العارفين ٢/ ٤١٨.

(٣) العقيق: واد بالمدينة المنورة، فيه عيون وزروع وقصور، وهناك مواضع كثيرة في بلاد العرب تعرف بهذا الاسم منها: عقيق اليمامة. وعقيق بني عقيل. وعقيق مكة، وعقيق البصرة وعقيق تمرة وعقيق القنان وغيرها. وعقيق المدينة أشهرها وقد تغنى به الشعراء كثيرا. انظر معجم البلدان ٤/ ١٣٨ – ١٤١.

(٤) تحتضا: توقد. حضا النار حضوًا وحضأها حضأ. حرك جمرها، وأوقدها بعدما همدت، لسان العرب مادة (حضا).

(٥) السفا: يعني الشوك، وأصله شعيرات السنابل اليابسة.

وإن حَلَبْنا ما نرومُ دَرَّهُ — كانتْ عَزوزًا لا تردُّ[*] بالرّوا[1]

إن الليالي حَمَّلَتْني ثِقَلاً — تَنوءُ من ثِقْلٍ به شُمُّ الذُّرا

واتَّقَدَتْ من الغرام لوعةٌ — كأنَّما نيرانُها نارُ الغَضَا

فَسَعَّرَتْ من حَرِّ أنفاسي بها — لظىً أذابَ حَرُّه شَحْمَ الكُلى

يا مانعي الموردَ من رُضابه — ما آن للظَّمآنِ وردٌ من (أضا)[2]

وروضةٍ يطربُني الورقُ إذا — تذكَّرَ الإلفَ لِمَغْداه شَدا

كأنَّما الطَّلُّ على أغصانها — قلائدُ الدُّرِّ على غيد الطُّلَى

ونَسَّمَتْ ريحُ الصَّبا عَرارَها[3] — فهزّ عِطْفَيْهِ لها بانُ النَّقا[4]

إذا انْتَشَقْنا أرَجًا من طيبها — كأنْ نَشَقْنا أرَجًا منَ الشَّذا

أنْعِمْ به مُرْتَبَعًا كأنَّهُ — بتلكُما الغيدِ مَحاريبُ الدُّمى

تَعاهَدَتْها من حَيِيٍّ ماطرٍ — يسقي أهاضيبَ (الحجاز) والرُّبا

يا حاديَ العيسِ ذميلاً سَيْرُهُ — يُهَجْهِجُ العيسَ إلى رَبْعِ الخَلا

تمشي هَزيزًا وهَزيزًا تارةً — إنْ هزَّها حادي الهُوَيْنا وَحَدا[5]

هل أنتَ مُوفٍ بالوقوف ساعةً — بأربُعٍ غَيَّرَها خطب البِلى

لم يُبْقِ إلا سَفْعَةً في دمنةٍ — وأرسُمًا مثلَ الخيال وجُثَى

فمسبلاً فيها بقايا أدمُعٍ — فناشدًا فيها قلوبًا وحَشَا

باللهِ إنْ عُجْتَ على ربوعها — حيِّ الربوعَ النازلين في (مِنَى)[6]

---

(١) العزوز: الناقة والشاة، ضيقة الأحاليل، لا تدر حتى تحلب بجهد وعناء. لسان العرب مادة (عزز).

(٢) أضا: اسم وادي.

(٣) العرار: نبات بري طيب الرائحة واحدته عرارة، يتغنى به الشعراء.

(٤) البان: ضرب من الشجر واحدته بانة معتدل الساق.

(٥) الهزير: المشي السريع وتحريك الإبل في خفتها وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (فانطلقنا بالسقطين نهز بهما) أي نسرع، لسان العرب، مادة (هزز).

(٦) منى: الوادي الذي ينزل الحجاج فيه أيام التشريق، ويرمون فيه الجمار، وينحرون الهدي. وفيه مسجد الخيف، وقد تغنى به الشعراء ولياليه من أبهج الليالي، معجم البلدان ٥/ ١٩٨ – ١٩٩.

(*) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (ترد)، ولعل صوابها (تدرُّ).

واهًا لِصَبٍّ كلُّهُ صبابةٌ ... لا يستفيقُ من تَباريحِ الجَوَى
يكاد وجدًا يتلظّي وهوًى ... وما استقرَّ ساعةً ولا سَجَا
قد حُرِّمَ النومُ على أجْفانه ... فباتَ يرعَى الفَرْقَدَيْنِ والسُّها[1]
أَرَشْفَةً من ريقِ مَنْ أحبُّهُ ... فتنطفي جُذْوَةُ وَجْدٍ في الحَشَا
وكلَّما نَهْنَهْتُ دمعًا واكفًا[2] ... كأنَّما ينصبُّ من مُزْنِ الحَيَا
يا عينُ لا تلوينَ بي في عَبْرَةٍ ... لعلّ أن يَبْتَلَّ بالماءِ صَدَى
دعوتُ دمعي فأجابَ طائعًا ... ورمتُ للقلب اصطبارًا فَعَصَى
فلا تَلُمْني إن بكيتُ عَنْدَمًا ... فإنَّ دَمْعَ العينِ في العينِ سَرَى
إذا رجوتُ مطلبًا بادرتُهُ ... وما عقدتُ حبوةً على الرَّجا
أعددتُ للبيداء هُوجًا ضُمَّرًا ... أنْحَرُ في أخْفافِها أدمَ الفَلا
تَلْوي التَّليلَ للحِمَى تَلَفُّتًا ... وتسبقُ الريحَ إذا الريحُ جرى
مهما تُحَثُّ لمطلبٍ ومقصدٍ ... تَقاصَرَتْ فيها فسيحاتُ الخُطَى
وحيثُ ناويتُ النَّوى أنْوَيْتُها ... وكلُّ حُرٍّ أبصرَ الذلَّ انْتَوَى
وصارمٍ أبيضَ لو جردْتُهُ ... ظننتُ برقًا لاحَ عُلْويَّ السَّنا
إذا تَصَدَّيْتُ به لضربةٍ ... فَلَقْتُ في غِرارِهِ أمَّ الصَّدى
معتقلاً أسنّةً خَطيَّةً ... كأنَّ في طِعانِها سفعُ الذُّكا
إني ومن أنالَني منَ العُلا ... مَراتبًا من دونها وَخْزُ القنا
إذا رأيتُ الذلَّ رحَّلْتُ له ... أنضاءَ أسفارٍ وناوحْتُ النَّوى
نجائبًا مثل الظليم ترتمي[3] ... لدى الفيافي الغفلِ أنأى مُرْتَمَى
ولم أَرِدْ موردَ عذبٍ شابَهُ ... ضَيْمٌ رأى تكديره لمَّا صَفَا
ونازعتني شيمةٌ لا ترتضي ... إلا المعالي غايةً ومُنْتَهَى
وكم هجرتُ موطنًا من أهلهِ ... والدارُ من سكّانها قد تُجْتَوَى

---

(١) الفرقدان كوكبان قريبان من القطب الشمالي. والسها كوكب صغير ضئيل خفي الضوء، يمتحن الناس فيه أبصارهم لبعده وفي المثل (أريها السها وتريني القمر).

(٢) نهنهت: كففت.

(٣) الظليم، هو ذكر النعامة ويضرب به المثل في السرعة والجري.

وربُّ طِرْفٍ لا يَرَى الطَّرْفُ له[1] … إثرًا إذا الطَّرفُ اقْتَفَى

يجتازُ بي فدافدًا دويَّةً … لا تهتدي لِمَفْحَصٍ فيها القطا

أفري أديمَ القاعِ في حافرِه … لمَّا طوَى البطنان واجتازَ المَدى[2]

ضافي السَّبيبِ أعوجيٌّ وَأوأٌ[3] … ولم يكن أسْفَى وما فيه سَفَا[4]

ولائمٍ جسارتي قلتُ لهُ … إن القضاءَ كائنٌ لا يُتَّقَى

وكيف أخشى ما قَضَى اللهُ به … وإنما الإنسانُ أهدافُ القَضَا

ولا أبالي والوقارُ شيمتي … أأحْسَنَ الدهرُ المُسيءُ أم أسا

يا رُبَّ عزمٍ بالدُّنا جَرَّدْتُهُ … كأنَّه حَدُّ الحسامِ المُنْتَضَى

وموقفٍ من الوغى شهدتُهُ … تَرْشَحُ بالموت العَوالي والظُّبَى

وإنَّني كذلك القيل الذي … إذا بدا تَأجُّجُ الحَرْبِ اصْطَلَى

سَلِّمْ إليَّ الأمْرَ وانظرْ باسلاً … لا يخطئ بالأغراض يومًا إن رَمَى

أسطو بماضي الشَّفرتينِ أحدبٍ … غِرارُهُ يبتُّ أوداجَ العدا

وحاسدٍ من غيظه فضائلي … حَاكَى شؤوني بالنُّهَى وما حكى

وفي سَوادِ القلبِ كنتُ جاعلاً … ودادَهُ حتّى بدا لي ما بَدا

وخرشفيٍّ لا يُواري عَيْبَهُ[5] … قطعةُ لؤمٍ صيغَ من طينِ الخَنا

لو كان عيناي بأمِّ رأسِهِ … لما درى بنفسه إلا قَذَى

والظلمُ واللؤمُ طباعٌ بالفَتَى … يكتمُهُ العَجْزُ ويُفْشيهِ القَوَى

قابلتُ أفعالاً له بمثلها … ولا يلين جانبي إذا قَسَا

وقد تنوّرتُ الأنامَ خبرةً … فزال عن عَيْنَيَّ من ذاك العَمَى

وقد علمتُ أن قلبي مفعمٌ … بما لقي من أهله وما رأى

(١) الطرف: بكسر الطاء. الجواد الأصيل من الخيل.

(٢) البطنان: الريش الذي يلي الأرض من جناح الطائر إذا وقع أو جثم على بيضه أو فراخه.

(٣) السبيب: والسبيبة: الخصلة من الشعر، والسبيب من الفرس شعر العرف والناصية والذنب، والأعوجي: الفرس الجواد المنسوب إلى بنات أعوج. والوأوأ: يقصد المشدد الخلق من الدواب. والنجيبة من الإبل يقال لها: وآة.

(٤) السفا: الخفة في كل شيء. وسفا يسفو سفوًا: أي أسرع. وناقة سفواء مسرعة. والسفا للحيوان، والسفه للإنسان.

(٥) الخرشفي: السيئ اللئيم. والخرشفة والكرشفة. الأرض الغليظة. وفي الأصول: خرسفي، بالسين المهملة.

من لي بِخِلٍّ إن رأى بي زلَّةً ... سامَحَها وعثرةً قال لَعًا[١]

وهل صديقٌ يُرْتَجَى وفاؤه ... هيهات هذا أملٌ لا يُرْتَجَى

ولستُ بالغَمْرِ الذي ما جرَّبَ الدْ ... دَهْرَ ولا ذاقَ السُّرورَ والعَنَا

بل كلُّ خطبٍ خَطِرٍ بَلَوتُهُ ... حتّى تَرَوَّى القلبُ فيه فارتوى

يا ربَّةَ القرطينِ هل من ليلةٍ ... تحكي من الوصل ليالينا الألى

ليلةَ غابَ الواشِ(*) عن محلِّنا ... فكنتُ أجلو بالدُّجَى شمسَ الضُّحَى

حمراءَ لم تَقْطُبْ بمزجٍ صِرْفَها ... فهْي كورد الجُلَّنارِ تُجْتَنَى

للّهِ أيامٌ قَضَيْنا شَطْرَها ... مُنادمي أبْلَجَ معسولِ اللَّمَى

عاطَيْتُه مَشْمُولَةً كريقه ... لو جُلِيَتْ في جنحِ ليلٍ لانْجَلَى

مُهَفْهَفٍ يميسُ تيهًا قَدُّهُ ... كأنَّما مالَ به ريحُ الصَّبا

وباللِّوى كان لنا مَعاهدٌ ... سُقيتِ صَوْبَ المُزنِ يا (دارَ اللِّوى)

مَرَّتْ ليالينا وأوطارٌ بها ... كأنَّها أضغاثُ أحلامِ الكرى

أمُوعِدَ المُشْتاقِ في وصالهِ ... إنجازُكَ الوعدَ لِمُحتاجٍ متى

هذي عُرى الصَّبْرِ التي عَهِدْتَها[٢] ... قد فُصِمَتْ بالوَجْدِ هاتيك العُرى

إنَّ الأماني باللَّبيبِ ضِلَّةٌ ... وما عسى يجدي لعلَّ وعسى

وإنَّها لحسرةٌ ما تنقضي ... أو إنَّني أقضي بتصريف القَضَا

هل عائدٌ لي زمنٌ بـ (ذي الغضا) ... وهل يريني الدهرُ ما كنتُ أرى

ولي بأحوال الزمان عبرةٌ ... كفى الزمانُ عبرةً لذي النُّهى

أخّبَرَني هذا الدُّنا عن القضا ... بفطنةٍ تدني إلينا ما نأى

قد ابتُلِيتُ وبَلَوْتُ أمْرَها ... فلا أبالي بعدها بما أتى

عَهْدُكَ في هذا الزَّمانِ قد مَضَى ... وذلك الغصنُ الرَّطيبُ قد ذَوَى

سلكتُ من كلِّ الفجاج وَعْرَها ... وذقتُ منها ما أمَرَّ وحَلا

قد قَذَفَتْني في البلاد غربتي ... وقد أرتني كلَّ ما رمتُ النَّوى

---

(١) لعًا: دعاء يقال لمن يعثر: لعًا لك.

(٢) في الأصول: الذي عهدتها.

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (الواشي) وما أثبتناه لغة فيها، لاستقامة الوزن، أو أن الياء لا تلفظ.

ما كنت أرضى بـ(العراق) مسكنًا ... لو لم يكن في أرضها (أبوالثنا)[1]

السَّيِّدُ المحمودُ في خِلالِهِ ... وفائضُ البحرينِ عِلْمًا وندى

يقولُ مَنْ ناظَرَهُ في علمِهِ ... ما بَعْدَ هذا غايةٌ ومُنْتَهَى

لا هو بالفظِّ الغليظ في قلبه ... وبالوَغى أشَدُّ من صُمِّ الصَّفا

تخالُهُ حين تراه ضاحكًا ... كروضةٍ باكرها قَطْرُ النَّدى

غَمْرُ الرِّواء لم تزل راحتُهُ ... مُنْهَلَّةً لمن نأى ومن دنا

المُقْتَني الحَمْدَ الطويلَ ذكرُهُ ... والحمدُ للإنسان أسْنَى مُقْتَنَى

شهمُ الجنان لوذعيٌّ فاضلٌ ... أشمُّ عِرنِينِ العُلا عالي الذُّرا

فاقَ الأنامَ بالتُّقَى وبالحِجى ... وزينةُ المرءِ التُّقَى معَ الحِجَى

وزينةُ الإنسان بل وفخرُهُ ... إمّا بأفضالٍ وإمّا بِتُقَى

سعى إلى الفضل فنالَ ما ابتَغَى ... و(ليس للإنسان إلا ما سعى)[2]

مكارمُ الأخلاق فيها مولعٌ ... ما اعتامَ شيئًا غيرها ولا انتضى

ما زال يرقَى بالحِجى وبالنُّهى ... حتى رَقَى بالعلم أعلى مُرْتَقَى

لا يختشي في الله لومَ لائمٍ ... أفتَى على الحقِّ وبالحقِّ قَضَى

يقذفُ من فيه الجُمانَ لفظُهُ ... بحرٌ ولكن بالعلوم قد طَمَى

ما انقَبَضَتْ راحتُهُ عن سائلٍ ... وما سمعنا منه هجرًا ولَغا(*)

تَدَرَّعَ البأسَ الشَّديدَ قلبُهُ ... وفي رداء الفضل والتقوى ارتدى

إلى ذُرا جرثومةٍ طيِّبَةٍ ... إذْ ينتمي القَرْمُ ولمّا يُنْتَمَى

ألهمه اللهُ علومًا بعضُها ... لو نُشِرَتْ سُدَّ بها رحبُ الفضا

قريحةٌ مثلُ الركام سيلُها ... أو هي كالنار إذا اشتدتْ صلا

تجري بما يطلبُ منها غَيْثُها ... وليس بالبِدْعِ منَ الغيثِ الجَدَا

فكم أبانَ من خفايا علمِهِ ... حتّى الذي عنّا اخْتَفَى فيه خَفَا

---

(١) هذا المعنى أخذه الجواهري حين قال: لي في العراق عصابة لولاهم ... ما كان محبوبًا لدي (عراق)!!

انظر الجواهري شاعر العربية ٣٥٦، لعبدالكريم الدجيلي.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) سورة النجم الآية: ٣٩.

(*) **لغا: لغة في اللغو، إذا حلف المرء بيمين بلا اعتقاد، ويقال لغا إذا تكلم بالمُطَّرح من القول وما لا يعني. انظر: لسان العرب، مادة (لغا).**

فأفْحَمَ الجاهلَ في عبارةٍ ... أوضحَ فيها ما انطوَى وما انشرى

وأَلْقَمَ الجاحِدَ منهم حجرًا ... فبانَ فعلُ السَّيْفِ منا والعصا

(تَبَيَّنَ الرُّشْدُ من الغيِّ) به[1] ... وزالَ إظلامُ الضُّلّالِ بالهُدى(*)

فهل له من ذا الورى مُشابهٌ ... هيهات ما بين الثُّريا والثَّرى

لو كان في العالَمِ مثلُ علمه ... لفاخرتْ جميع أقطار الورى

أزالَ سقمَ الشَّكِّ في تحقيقه ... فكم صدورٍ في معانيها شَفَى

دَوَّنَ ما أجابَ في مُجَلَّدٍ ... تذكرةً لمن روَى ومن وَعَى

مشتملاً على العلوم كلِّها ... وحازَ فيه كلَّ فضلٍ وَحَوَى

أرسَلَها إليهمْ فأيقنوا ... أنَّ بـ(بغدادَ) الكمالَ قد ثَوى

وراحَ للسُّلطانِ أيضًا مثلُه[2] ... فَحَازَ إذْ ذاكَ السُّرورَ والهنا

لدى أمير المؤمنين والذي ... صَيَّرَهُ اللهُ على الخلق ذَرا

حامي حِمَى الإسلام والغوثُ الذي ... يُغاثُ فيه المُسْتَغيثُ إذا دعا

خليفةِ الله على عباده ... وذروةٍ فيه الخطوبُ تُتَّقَى

لو كان في البحر ندى يمينه ... لانْساغَ ماءُ البحر عذبًا في اللُّها

والنَّصْرُ والإقبالُ بعضُ جُنده ... إذا سطا أو إنْ رمَى أو إنْ غزا

وهادم الكفر بسيفٍ باترٍ ... حتى ترى عِمادَها العالي هوى

لاذتْ سلاطينُ الورى ببابه ... ترجو مَراضيه وتأبىَ إنْ أبَى

وإنَّ هذا الدينَ في أيّامه ... أعاده منَ المَشيبِ للصِّبا

طاعَتُهُ فرضٌ علينا واجبٌ ... ويلٌ لمن عن أمره السَّامي عَتا

إذا أتاه بطشُهُ استبلَّ لا ... يعرفُ إلا عَفْوَه من مُلْتَجَا

أمَدَّ من همَّته وعزمه ... ظلاً على الإسلام منه قد ضَفَا

خلافةٌ جاءتْ له وراثةً ... عن جَدِّه عن النبيِّ المصطفى

إنَّ علينا أكبرُ الفرضِ بأنْ ... ندعو له بالنَّصرِ في طولِ المدى

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٢) هو السلطان عبدالمجيد خان. وستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة ١٩.

(*) في الطبعة (١): (بالهوى) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

إذْ نَظَمَ المُلْكَ وشادَ سَمْكَهُ … وقد أبادَ من طَغَى ومن بَغَى

لمّا عليه عُرِضَتْ أسئلةٌ … وردّها إلى معاليه أتى

فكان عالي أمره بطبعهِ … ونشرهِ في كلِّ أقطارِ المَلا

ليستفيدَ الناسُ من علومهِ … ويهتدي فيه وفيه يُقْتَدَى

وراكبٍ من المعالي سابقًا … ما عَثَرَ الجَدُّ به ولا كبا

لو ظلَّ منِّي أملُ أنْشُدُهُ … إليكَ من دون الأنامِ لاهْتَدَى

مفتي العراقين ومولايَ الذي … ألوذُ فيه حيثُ ما أمري وَهَى

مأوى أولي الفضل وشمسُ عِزِّهِمْ … والملتَجَى والمُقْتَفَى والمُنتَدَى

والضَّيْفُ تغدو عن معالي فضلهِ … شاكرةً من فضله حسنَ القِرَى

تضربُ في دسيعةٍ مائدةٍ[1] … ممّا عليها من جَزورٍ[*] يُشْتَوَى

ما علمتُ بأنَّ في (عراقنا) … سوابقًا بالعِلْمِ تعدو المَرَطَى[2]

نحنُ وشكرًا للذي صَيَّرَنا … ينابعَ العلمِ وأعْلامَ الهدى

إذا أتانا جاحدٌ مُباحثٌ … راحَ وفي فيه اغتذى عفرَ الثَّرى

أقسمُ بالربِّ العظيم شأنُهُ … ومنَ على العرش تجلّى واسْتَوَى

ما لك في الدنيا نظيرٌ في ندى … ولا حجىً ولا نُهىً ولا عُلا

لو كان يدري الشِّركُ ما حَوَيْتَهُ … منَ العُلومِ الغامضاتِ لبكى

عذرًا لحسّادكَ في ما جحَدوا … لا تدركُ الجَوْنَةَ أبصارُ السَّخا

مَقالةُ المُنْصِفِ فيك جَهْرَةً لا … شكَّ (كلُّ الصَّيْدِ في جوفِ الفَرا)[3]

---

(١) الدسيعة: العطية والجفنة والمائدة. جمعها دسائع.

(٢) المرطى: ضرب من السير فوق التقريب ودون الإهذال، والمرطة: السريعة.

(٣) كل الصيد في جوف الفرا: من الأمثال العربية القديمة. والفرا: الحمار الوحشي وجمعه: فراء. وأصل المثل، أن ثلاثة نفر خرجوا للصيد، فاصطاد أحدهم أرنبًا والثاني ظبيًا والثالث حمارًا وحشيًا. فاستبشر الأول والثاني وفخرا على الثالث ما اصطادا. فقال الثالث: (كل الصيد في جوف الفرا). أي هذا الذي صدته وظفرت به يشتمل على ما عندكما وزيادة. واستشهد رسول الله ﷺ بهذا المثل. عند إسلام أبي سفيان ابن الحارث ابن عمه. يتألفه ويشوقه ويخبره أن الفوز والغنم والمنافع كلها في الإسلام ومعناه أيضًا أنني إذا حجبتك قنع كل محجوب. وهو مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه. انظر مجمع الأمثال ٢/ ٨٢ ولسان العرب مادة (جلهم).

(*) **في الطبعة (١): (جذور) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

ذو جَـدْوَةٍ هـاطـلـةٍ إذا اجْـتَـدَى ونـخـوةٍ عـالـيـةٍ إذا انْـتَـخَى[1]

دَرَى أمـيـرُ المـؤمـنـين بـالـذي أظْـهَـرْتَهُ وفي سِـواهُ مـا دَرى

ولـو رآكَ طَـرْفُهُ لَـمـا ارتَـضَى إلا بـأنْ تـسـمـو إلى أوْجِ الـسَّـمـا

قـد سُـرَّ فـيكَ قـلـبُه من سَـمْـعِه ولا يـفـيـدُ الأذنَ تـصـويـرُ الـرؤى

✡✡✡✡✡

لـله مـا هـذا الـوزيـرُ إنه (عـليٌّ) المولى حـباك (بـالـرضـا)[2]

مُـعَـمِّـرٌ (بـغـدادَ) في إحْـسـانِهِ من بـعـد مـا أبـادهـا ريبُ الـوبَـا

وراضَ أهلَ الـبـغي بِـالـقـتل فـلن تـسـمعَ في ديـارهم إلا الـوَعَى[3]

إذا يـخـتـلي الأعـنـاقَ ضـربُ سَـيْـفِهِ كـأنّـهـا الـعـيسُ وقـد لَـسَّتْ خَلا[4]

إذا امـتَـطَى الـعـزمَ وصـالَ صـولـةً قـدَّ الـرؤوسَ جـازلاً مـعَ الـمَـطـا

لـو نـالتِ الـمُـزنُ نـوالَ كـفِّه لما اشتكى الظَّمْآنُ من عَيْمِ الظَّما[5]

لـو كـان لـلَّـيلِ سَـنَـا آرائِهِ أضـاءَ من صـبـاحـهـا ومـا عـسـا[6]

وعـارفٌ بـالـنـاس ذو فـراسـةٍ أخـفتْ له مـا قـد تـوارى واخْـتَـفَى[7]

أعْلاكَ أعْـلَى رتـبـةٍ ومَـنْـصِبٍ ذاقتْ أيـاديكَ به طـعمَ الـشِّـرا[8]

تُـقَـدُّ فـيك الـمـعـضلاتُ كـلُّـهـا لأنت سـيـفٌ ولكَ الـفـضلُ جلا

تَـلْـقَى هـزبـرًا نـابُهُ حُـسـامُهُ إبّـانَ حُـمَّ الأمـرُ وانـشَـقَّتْ عـصـا

الـثَّـابتُ الجـأشِ الـوقـورُ جـانـبًـا مـا ارتـاعَ من حـادثـةٍ ولا انْـثَـنَى

ولـست مـنـهم إن نـأوا وإن دَنَـوْا وهل يـقـالُ الـدرُّ من هـذا الـحَصَى

أنّى لـهم بمـا به أكـمـدتَـهُمْ وبـاعُـهم مع طـول بـاعَـيْكَ ورا

(١) في الأصول: ونجوة وما أثبتناه أصوب.

(٢) هو الوزير علي رضا باشا اللاظ والي بغداد ستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ١٩.

(٣) الوعى: مثل الوغى لفظًا ومعنى. وهي الجلبة والأصوات والضجيج.

(٤) لسَّت: لسَّت الدابة الحشيش تلسُّه لسّاً. تناولته ونتفته. وألست الأرض: طلع أول نباتها. لسان العرب مادة (لسس).

(٥) العيم والعيمة: شدة العطش وفي الحديث الشريف «اللهم إني أعوذ بك من العيمة والغيمة والأيمة».

(٦) عسا الليل: اشتد ظلامه.

(٧) أخفت: من الأضداد بمعنى أظهرت أيضًا، ومنه قوله تعالى (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) من تفسيرها أكاد أظهرها.

(٨) الشرا: الشراء. مقصور وممدود، أي أصبح غنيًا قادرًا على الشراء.

فدتكَ نفسي من هزبرٍ باسلٍ ... وقلَّ من نفسي لعلياكَ الفِدا

وَقْفٌ على العافين ما تملَّكتْ ... يمينُهُ ممّا علا وما غلا

هل العُلا إلا يدٌ مبسوطةٌ ... يؤمُّها لورْدِها منِ اعْتَفَى

وصارمٌ مُجَرَّدٌ مُرهَفُهُ ... مُجَوْهَرُ الإفرِنْدِ محدودُ الشَّبا

وحُسْنُ خُلقٍ وأحاديثُ عُلاً ... لو أنِسَ العاشقُ فيه لَسَلا

يهتزُّ عِطْفُ سامعيها طربًا ... كأنَّما ذاقَ المُدامَ فانْتَشَى

وعِزَّةٌ بالدين بل ورفعةٌ ... وغيرةٌ يُحْمَى لها ويُحْتَمَى

وكلُّ ما ذكرتُهُ وقُلتُهُ ... فيكَ على رغم العِدا قد انْطَوى

من ذا يُهَنِّي العلمَ في سَمَيْذعٍ ... أصبح بعد الهدمِ في أسْمَى البِنا

قد كان مَخْفِيّاً فلما جاءه ... (محمودُ) ذو المجد ابتَدا وأنَّفا(*)

إليك مني سيِّدي قصيدةً ... فأنتَ حَسْبي من غناءٍ وكفَى

قُصِرَتْ يا مولايَ في مَقْصُورةٍ ... مَضْمُونُها الشُّكرُ عليكَ والثَّنا

لو أنَّ هذا العيدَ أضحى ألسُنًا ... تتلو لك الشكرَ الجميلَ ما وفَى

(١٩)

وقال مادحًا الوزير علي رضا باشا اللاظ[1] والي بغداد [وهي من المتقارب]:

(*) **تركناها كما وردت في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس ولعل صوابها (واستأنفا).**

(١) الحاج محمد علي رضا باشا اللاظ، أصله من أهل طربزون وتخرج ضابطًا، وقد ولي مناصب عديدة حتى صار (كتخدا) لدى والدي حلب رؤوف باشا سنة ١٢٤٤هـ وفي سنة ١٢٤٥هـ عين واليًا على حلب، برتبة الوزارة. وفي سنة ١٢٤٦هـ نقل إلى ديار بكر واليًا عليها، ثم أرسله السلطان إلى بغداد. لإخراج الوالي داود باشا منها، فأخرجه وقضى على المماليك. وكان قد ترك زوجته في حلب، وهي بنت يوسف باشا الصدر الأعظم. وتزوج ببغداد من سلمى خانم شقيقة والي بغداد الأسبق سليمان باشا الصغير. وفي محرم سنة ١٢٥٣هـ أضيفت إليه ولاية شهرزور، وهاجم المحمرة وفتك بأهلها، سنة ١٢٥٣هـ وقد مدحه كثير من الشعراء في تلك الواقعة منهم عبدالباقي العمري والسيد عبدالجليل الطباطبائي البصري. وفي شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٨هـ نقل من بغداد إلى الشام وخرج من بغداد في شعبان وفي ١٢٦١هـ عزل عن ولاية الشام وتوفي في شهر رمضان سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م وكان رجلاً سمينًا بطيء الحركة أديبًا شاعرًا. وقد اعتمد في إدارة الحكم ببغداد على حاشية فاسدة ظالمة أمثال علي الخصي ومحمد الليلاني وغيرهما فأساؤوا إلى أنفسهم وإليه. وكان المفتي عبدالغني آل جميل قد ثار عليه لما رأى من ظلم حاشيته وتعسفهم. فعزله وعين بدلاً عنه المفتي أبا الثناء الآلوسي. وفي عهده فتحت شركة بيت لنج الإنجليزية ببغداد. وكان علي رضا بكتاشي الطريقة. وقد مدحه كثير من الشعراء، منهم =

ألاَ إنَّ هذا الفؤادَ اضطرمْ ... فهلْ من خمودٍ لهذا الضَّرَمْ[١]
وفي كلِّ جارحةٍ لوعةٌ ... تثورُ وفي كل عضوٍ أَلَمْ
وأيقظَ وجديَ برقٌ يلوحُ[٢] ... وقد نام عن أعينٍ لم تنمْ
ولما سرى موهناً في الدُّجى ... بكيتُ له عن جوىً وابْتَسَم
وباحتْ دموعي بسرّي المَصونِ ... وسِرُّ الصَّبابةِ لا يَنْكَتِم
فللّه برقٌ أثارَ الغرامَ ... ولله دمعٌ جرى وانْسَجَم
تَصامَمْتُ عن عاذلي في الهَوَى ... وما بي ودينِ الهَوى من صَمَم
فمَنْ مُنْصِفي من غرامٍ ظَلومٍ ... ومن منصفي من حَبيبٍ ظَلَم
فلا سَلِمَ الصَّبْرُ من مُغْرَمٍ ... إذا ذُكِرَ الحَيُّ في (ذي سَلَم)[٣]
أعلِّلُ نفسي بنيل المُنَى ... وما لي إلى نيلها مُقْتَحَم
ومن لي بعزم الجريِّ الأبيِّ ... فلا يثنني عزمُهُ إنْ عزم
وإنّي على شَغَفي بالخمولِ ... أرومُ منَ الدهر ما لم يُرَم
وقد شَيَّبَتْني صُروفُ الزَّمانِ ... وصَرْفُ الزمانِ يشيبُ اللمم
فما لي أقمتُ بأرض (العراقِ) ... ولولا خُمولي بها لم أُقِم
وكنتُ ترحَّلْتُ عن موطنٍ ... إذا كنتُ في غيره لم أُضَم
إلى قائدِ عسكرِ المسلمينَ ... ومقدامِهمْ في الحروبِ الدُّهُم
(عليّ الرضا) مشرفيِّ القضا ... وغيثِ العطاء غِياثِ الأمم

= عبدالباقي العمري والسيد عبدالجليل البصري والطبطبائي والشيخ عبدالحسين محيي الدين وصالح التميمي وعمر رمضان وعثمان بن نورس. ترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٥٩ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ١٨٢ والترياق الفاروقي وديوان السيد عبدالجليل البصري (الخل والخليل) ١٠٠ - ١٠٣، وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٤٠ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٠٧.

(١) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي مصورة (منفردة) في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٦١٩م وهي بخط الشاعر. ونشرها العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري مصورة بخط الشاعر في ج ١ المجلد ٣ ص٢٠٩ - ٢١١ من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٤.

(٢) في الأصل: وأيقض (كذا).

(٣) ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب في زبيد من أرض اليمن. وواد عند مدخل مكة المكرمة من جهة جدة. معجم البلدان ٣/ ٨.

قريبِ النوال مجيبِ السُّؤالِ ... منيعِ المَنالِ رفيعِ الهِمَم

جزيلِ الثَّوابِ مُجيدِ الضِّرابِ ... شديدِ العقابِ إذا ما انتقم

أذلَّ الطُّغاةَ وأردى الكُماةَ ... وساقَ الصَّناديدَ سَوْقَ الغنم

إذا حاربَ الأُمَمَ الفاجرينَ ... تصدَّعَ من شِعْبِها ما التَأم

بسيفٍ مُبيدٍ ورأيٍ سَديدٍ ... وعزمٍ شديدٍ وأنفٍ أشم

حسامٍ لدولة[*] (عبد المجيدِ)[1] ... مليكِ الملوكِ وسيفٌ خَذِم

يقدُّ به الهامَ ممَّن عَصاهُ ... ويَفْلِقُ في شَفْرتَيْهِ القمم

وإن هالَتِ الحربُ يومَ النزالِ ... تَصَدّى لأهوالها واقتحم

وحَسْبُكَ أنَّ المَليكَ اصطفاهُ ... وولاّه دَفْعَ الأهمِّ الأهم[2]

فكان إذا اسْتَخَوَنَ الغادرينَ ... رأى من (عليٍّ) وَفِيَّ الذِّمَم

ففي مثلِ صدقِ (عليّ الرضا) ... تَبَلَّجَ صبُحُ الرّضا وابتسم

فقرّبه من عُلاهُ المَليكُ ... فكان المُبَجَّلَ والمُحتشم

وفي عدلِ هذا المَليكِ العظيمِ ... نجاةُ الرعيَّةِ من كلِّ غم

---

(١) هو السلطان عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان العثماني. ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٣م وولي الخلافة في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م. وكان في عهده اضطرابات منها حرب القرم. وكان لسفير بريطانيا في الآستانة نفوذ كبير عليه. وإليه ينسب النيشان المجيدي (الوسام) والعملة (المجيدي) والمستشفى المجيدية ببغداد.

وقد مدحه الشعراء وفي طليعتهم عبدالباقي العمري بقصائد روائع. قال في بعضها:

تعالى شأن ذي العرش المجيد ... وجلت حكمة الملك الحميد

مليك عز سلطانا وقهرا ... فذلك كل جبار عنيد

كما مدحه الشيخ جابر الكاظمي بقصيدة رائعة جاء فيها:

بعيد المدى مأوى الندى ملجأ الهدى ... مبيد الردى مردي العدا ومبيرها

سنا شمس أفلاك المعالي وبدرها ... وقطب سماوات العلا ومديرها

حباه بتوحيد الصفات إلهه ... فعز نظيرًا حين عز نظيرها

مناقب كالأعداد لا ينتهي لها ... أخير، ولا يحصى بعدٍّ يسيرها

توفي في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م ودفن في قبر كان أعده لنفسه في حياته بجوار جامع السلطان سليم في الآستانة. انظر: الترياق الفاروقي ٣٥٧ وديوان جابر الكاظمي ٣٥١ وتاريخ الدولة العثمانية ٢٣٧ – ٢٨٧ والموسوعة العربية الميسرة ١١٨٤.

(٢) في الأصل: (وولا دفع الأهم الأهم).

(*) في الطبعة (١): (الدولة) وهو خطأ طباعي وصوبناها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (أبعدته) ولا محل لها أو أنها بداية لبيت آخر سقط من القصيدة وتركناها كما هي ولعل صوابها (قصدته).

إذا أبْعَدَتْهُ(**) ملوكُ الزَّمانِ ... تُقَبَّلُ منه مكانُ القَدَم
به اعتَصَمْتُ من جميع الخطوبِ ... وفي مثل دولته المُعْتَصَم
بصنعٍ أجادَ وفضلٍ أعادَ ... وقِرْنٍ أبادَ وأنف رَغَم
وتلك المَواهبُ بين المُلوكِ ... وفيكَ البدايةُ والمُخْتَتَم
تلوذُ برأفَته الخائفونَ ... فتأمنُ من كلِّ أمرٍ مُهم
ومن كان باباً لنَيْلِ المرادِ ... فلا شكَّ في بابه المُزْدَحَم
مَناهلُهُ شِرْعَةُ الواردينَ ... بحيثُ النوالُ وحيثُ الكرم
صَوارِمُهُ نقمةٌ تُتَّقَى ... وأنظارهُ نعمةٌ تُغْتَنَم
وقد خلقَ اللهُ كلتَيْهِما ... لحتفٍ دنا أو لرزقٍ قُسِم
أعاد إلى المُلْكِ شرخَ الشَّبابِ ... وعهدَ الشَّبيبةِ بعد الهرم
رقاها ببيض السُّيوفِ الحِدادِ ... فما برحَ الداءُ حتّى انْحَسَم
فأينعَ في روضها ما ذَوى ... وشَيَّدَ من رُكْنها ما انْهَدَم
حَمَى حوزةَ الدين في صارمٍ ... إذا صُرِمَ الموتُ فيه انْصَرَم
فتهدي الأنامُ لسلطانه ... بحُسْنِ الثناءِ وطيبِ الكَلِم
دُعاءٌ لدولَتِهِ يُسْتَجابُ ... وعهدٌ لخدمتِه يُلْتَزَم
وَفَيْتَ له يا (عليَّ الرضا) ... وهل ينفعُ الغادرينَ النَّدم
وقُمْتَ لدولته قائماً ... لكربٍ ألمَّ وخطبٍ هَجَم
ولله درُّك من صادقٍ ... إذا مُيِّزَ الصِّدقُ والمُتَّهم
ولاحتْ خَفَايا صدورِ الرِّجالِ ... وأصبح أمرُهُمُ قد عُلِم

ألا لا برحتَ سُرورَ الوجودِ ... بمن أوجدَ الخَلْقَ بعدَ العَدَم
عليكَ نعيدُ الثناءَ الجميلَ ... وفيكَ البدايةُ والمُخْتَتَم
وقد نَظَمَ العبدُ فيك القَريضَ ... فَصِلْ من قبولٍ لها من نَظَم[١]
يَؤُمُّ جنابَ (عليٍّ) الجنابِ ... ومن حقِّ حضرتهِ أن تُؤَم

(١) الأصل: لها قد نظم.

تــلــوحُ مــعـــالــيه لــلـــنــاظــرينَ ولا مـــثلَ نـــارٍ بـــأعــلى عَـــلَم

فــأنــطقَ بــالمــدحِ حــتّى الــعُــجُم[1] وأســـمعَ بــالــصِّــيتِ حــتّى الأصم

مَــحَــبَّــتُهُ أُغْــرِزَتْ في الــقــلــوبِ وشـــكـــرانُهُ ســـاغَ في كلِّ فم

لــقــد شَــمِــلَــتْـنــا له نــعــمــةٌ وقــد أوجبَ الــلهُ شُــكْـرَ الــنِّــعَم

فــيــا لــيــتــني كــنتُ في ظــلّهِ وكــنتُ أكــونُ كــبــعض الخــدم

أفـــوزُ بـــبـــاب (عـــليٍّ) الجـــنــابِ فـــأروي مـــحـــاسنَ تــلكَ الــشِّــيَم

(٢٠)

رُمــينــا بــأدهى الــمُــعْـضِلاتِ الــنَّوائبِ وفقدُ الـذي نرجـو أجلُّ الـمَـصائبِ[3]

وغـــائبُ قـــومٍ لا يُـــرَجَّى إيـــابُهُ ومـــا غــائبٌ تحتَ الــتُّــرابِ بــآيب

(١) العُجُم: بضم العين والجيم: جمع أعجم وعجماء. وهو غير الفصيح. ويقصد به الشاعر هنا (العجماوات) وهي التي لا تنطق أصلاً.

(٢) هو الشيخ عمر بن رمضان بن محمد بن علي بن درويش الهيتي البغدادي. درس الأدب واللغة والخط على العلامة أبي الثناء الآلوسي وتخرج عليه. وقرأ كثيرا من كتب اللغة والأدب. وكان ذكيًا ألمعيًا وجمع لنفسه مكتبة نفيسة. وكان من الخطاطين المجودين البارعين، يعيش من النسخ وخطه مرغوب يتنافس فيه العلماء، ومن آثاره الخطية (سيرة الرسول لابن هشام) في المكتبة القادرية ببغداد (وكتاب كمامة الزهر وفريدة الدهر) لابن بدرون الإشبيلي في مكتبة الأوقاف. وكذلك كتاب نزهة النظر لابن حجر وكتاب سرح العيون لابن نباتة. قال عنه محمود شكري الآلوسي: «كان في معرفة اللغة لا يطاول. وفي وقائع الحروب لا يساجل قرأ سائر العلوم في المنقول والمفهوم. ولا سيما فن الأدب ومعرفة كلام العرب». وكانت بينه وبين الأخرس مداعبات وهجاء، وكانت له مساجلات أدبية مع أستاذه العلامة أبي الثناء ومراسلات مع الشاعر صالح التميمي. ومنها قول التميمي في رسالة:

أخي إن جئت كتابًا تباكرهم نعمى وزير نداه يخجل القمرا

سلهم عموما سؤالاً غير ممتحنٍ واسأل خصوصا أبا خطابهم عمرا

كما كانت للهيتي مجموعة من البند، وله شعر حسن ومنه وقهل:

يا من يعز عليه قتلي في الورى فغـــــــدا يهدد كل غاد رائح

دع من على الغبراء لا تعبأ بهم واطلب دمي من عند سعد الذابح

توفي سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م وقد جاوز المئة.

انظر ترجمته في حديقة الورود ٤٢ مخطوط، وديوان التميمي ٦٢، والمسك الأذفر ١٢٠ – ١٢٢، هيت في إطارها القديم والحديث ١/ ٧٤، تاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢/ ٥١، والبغداديون ص٢٦٢. وفيه توفي ١٢٥٣هـ. وفهرس مخطوطات الأوقاف ١/ ٣١٦ و٣/ ٣٦ و١٥٨.

(٣) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (الحسيني) يرثي بها والدته.

نـؤمِّل في الـدنـيـا حـيـاةً هـنـيَّـةً ... وما نـحنُ إلاّ عـرضـةٌ لـلـمـصـائب[1]

ونَـغْـتَـرُّ في بـرقِ الـمُـنى وهْـو خُـلَّبٌ ... وهـيـهـات مـا في الآلِ مـاءٌ لـشـارب[2]

نـصـدّقُ آمـالاً مُـحـالاً بـلـوغُـهـا ... ومن أعـجبِ الأشـيـاءِ تـصـديقُ كـاذب

تـسـالِـمُـنا الأيـامُ والـقـصـدُ حَـرْبُـنا ... ومـا هي إلاّ خـدعـةٌ من مُـحـارب

ونـطـمعُ أن تَـبْـقَى ويَـبْـقَى نـعـيـمُـهـا ... فـلم يـبقَ مـنـهـا غـيـرُ حـسـرةِ خـائب

فلا تحـسـبنَّ الـدهـرَ يـوفي بـعـهـده ... أبَى الـلـهُ أنْ يـرعَى ذِمـاراً لـصـاحب

وإنّ الـلـيـالي لا تـدوم بـحـالـةٍ ... وهل تـتركُ الأحـداثُ كـسـباً لـكـاسب

يـروقُكَ مـنـهـا مـا يـسـوؤكَ أمْـرُهـا ... وإنَّ الـردى مـا راقَ من حَـدِّ قـاضب

وجـودُ الـفَـتَى نـفسُ الحِـمـامِ لـنـفـسه ... فـلـولاه لم يـسـلـكْ سـبـيلَ الـمَـعـاطب

وتَـسْـعَى به أنـفـاسُـهُ لحِـمـامِهِ ... وكم أصـبح المطـلوبُ يَسْـعَى لـطـالب

كـأنّـا من الآجـالِ وهْي كـواسـرٌ ... منَ الأسَـدِ الـضّـرغـامِ بـين الـمَـخـالب

ولا يـدفـعُ الـسَّـيْفُ الـمَـنـيَّـةَ والـقـنـا ... وتـمـضـي سيوفُ الله من غير ضـارب

وكلٌّ لِـمَـطـلـوبِ الـرَّدَى وهْـو لاعبٌ ... كـأنَّ الـمَـنـايـا لا تجـدُّ بـلاعب

فـمن لـفـؤادٍ راعهُ فَـقْـدُ إلْـفِهِ ... فـأصـبح من أشـجـانِه(*) نـهبَ نـاهب

وجَـفنٍ يـهلُّ الـدمعَ من عَـبَـراتهِ ... عـلى طـيّب الأعْـراقِ وابنِ الأطـايب

على (عُمَرِ الرّمْضان)(**) ذي الفَضْلِ والنُّهى ... أحـاطتْ بِيَ الأحـزانُ من كلِّ جـانب

أذَبْتُ عـلـيه يـومَ مـاتَ حُـشـاشَـتي ... وأمـسـيتُ في قـلبٍ منَ الحـزنِ ذائب

بـكـيتُ ومـا يُـجْـدي الحـزينَ بـكـاؤه ... وضـاقتْ علينـا الأرضُ ذاتُ المَـنـاكب

فـتىً كـان فـيـنـا حـاضـراً كلَّ نـكـبـةٍ ... فـغـابَ ولـكنْ ذكـرهُ غـيـرُ غـائب

---

(١) تكررت القافية.

(٢) الآل: السراب.

(*) في الطبعة (١): (أشجان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الرماضان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

تـــذكّـــرُني آثـــاره بـــفـــعـــاله … فـأبـكي عليـها بـالـدُّموعِ الـسَّواكب

صَبورٌ على البلوى غيورٌ إذا انتَخَى[1] … جميلُ السَّجايا الشمِّ جمُّ المَناقب

ومـا زال بـالآدابِ والـفـضلِ مُـفْـعَـمـاً … ولـكّـنه إذْ ذاكَ صـفـرُ الـمَـصـائب

وقـد كـان مـثلَ الـشَّـهْـدِ يحـلـو وتـارةً … لـكـالصلِّ نَـفّـاثـاً سـمومَ الـعـقـارب

وكم أخـبـرَ الـتـجـريبُ عن كُنْهِ حـاله … ويَظْـهَـرُ كُنْهُ الـمَـرْءِ عنـدَ الـتَّجـارب

لـسـانٌ كـحـدِّ الـسَّـيفِ مـاضٍ غِـرارهُ … وأمـضَى كلامـاً من شِفـارِ الـقَـواضِبِ

وكم صـاغَ من تِبْـرِ الـقـريضِ جُمـانـةً … وأفـرغَ مَـعْـنـاهـا بـأحْـسَنِ قـالب

وزانتْ قـوافـيه من الـفـضلِ أفْـقَهُ … فـكـانت كـأمثـالِ الـنُّجـومِ الثَّـواقب

وأدركَ فـــضلَ الأوَّلـــين بمـــا أتَى … فـــقَــصَّـــرَ عن إدراك كلُّ طـــالب

مـعـانٍ بـنظم الـشِّـعْـرِ كـان يـرومُـها … أدقُّ إذا فـكَّـرتَ من خَـصْـرِ كـاعب

لـوَى سـاعدَ المجدِ الـمَـنونُ منَ الـوَرى … بمـــوت أشمٍّ من لـــؤي بن غـــالب[2]

فتىً كان يـصميني الرَّدى في حيـاته … ولـمَّـا تُـوفي كـان أدْهَى مَـصـائـبي

فـتىً ظلتُ أبـكي مـنه حـيّـاً ومـيّـتـاً[3] … أُصِبْتُ على الحـالـينِ منه بـصـائب

رَعَـيْتُ له من صُـحْـبَـةٍ كلَّ واجبٍ … ولـو أنَّ حـيّـاً مـا رعَى بـعضَ واجـبي

سَـقَى الـلهُ قَـبْـراً مـزنـةَ الحَـيـا … وبُـلِّغَ في الجـنّـاتِ أعْـلَى الـمَـراتب

ولا زالَ ذاكَ الـقـبـرُ مـا ذرَّ شـارقٌ … تجـودُ عـلـيه ذاريـاتُ الـسَّـحـائب

ألا يا (شِهابَ الدين) صَبْراً على الأسَى[4] … وليس يـهونُ الصَّعْبُ عندَ الصَّعائب

نُـعَـزّيكَ بـالـقُـرْبَى عـلى كلِّ حـالـةٍ … وفـي عــزِّ رَبِّ المجـدِ عِـزُّ الأقـارب

فـإنَّك أرعى مَنْ عـلـيـهـا مَـودَّةً … وإنَّك أوفَى ذمَّـةً لـلـمُـصـاحب

وإنكَ ممَّنْ يُـهْـتَـدَى بـعـلـومه … كما يَهْتَدي السَّاري بضوءِ الكواكب

عنِ البَحْـرِ عن كفَّيْكَ نـروي عـجائـبـاً … ولا حَـرَجٌ فـالـبحـرُ مـأوى الـعـجائب

---

(١) في الأصول: إذا انتحى، بالحاء المهملة.

(٢) لؤي بن غالب: من أجداد رسول الله ﷺ، وهو إشارة إلى نسب المرثي.

(٣) ظلت: لغة في ظللت.

(٤) شهاب الدين: لقب أبي الثناء الآلوسي.

(٢١)

وقال مادحًا الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه[1] حين ورود الستارة النبوية

يا إمامَ الهُدَى ويا صفوةَ اللَّه … ويا مَنْ هَدَى هُداهُ العبادا

يا ابنَ بنتِ الرسول يا ابنَ (عليٍّ) … حيٍّ هذا النّادي وهذا المُنادَى

قد أتينا بثَوْبِ جدّك نَسْعَى … وأتيناكَ سيّدي وُفّادا

فأتَيْنا راجلين احْتِراماً … واحْتِشاماً وهيبةً وانقِيادا

نَتَهادى به إليكَ جميعاً … وبه كانتِ المطايا تَهادى

رامياتٍ سَهْمَ النَّوى عن قِسِيٍّ … قاطعات دكادكاً ووِهادا

طالباتٍ (موسى بنَ جعفر) فيه … وكذا القُدْوَةَ (الإمامَ الجَوادا)[3]

من نبيٍّ قد شَرَّف العرشَ لمّا … أن ترقّى باللَّه سَبعاً شِدادا

شَرَفٌ في ثيابِ قبرِ نبيٍّ … عَطَّرتْ في ورودها (بغدادا)

ومَزايا الفَخارِ أورثتُموها … شَرَفُ الجَدِّ يورثُ الأولادا

أنتمُ علَّةُ الوجود وفيكمْ … قد عرفنا التكوينَ والإيجادا

ما ركنتمْ إلى نفائسِ دنيا … ولقد كنتمُ بها أفرادا

---

(١) هو أبوالحسن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. سابع الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. ولد في قرية الأبواء قرب المدينة المنورة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م ونشأ بالمدينة ودرس على أبيه، وكان من سادات بني هاشم. ومن العباد الزهاد، استقدمه الخليفة المهدي العباسي إلى بغداد، ثم رده إلى المدينة، وفي خلافة هارون الرشيد بلغه أن الناس في المدينة، يحاولون مبايعة الإمام موسى الكاظم. فلما حج الرشيد سنة ١٧٩هـ استقدمه إلى البصرة، وسجنه عند واليها عيسى بن جعفر سنة واحدة، ثم نقله إلى بغداد فتوفي فيه سجينًا في ٢٥ رجب سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. ودفن في مقابر قريش وتسمى اليوم الكاظمية نسبة إليه، وفيها مشهده وهو من أعظم المشاهد في العراق. يقصده الزوار من أنحاء الدنيا. ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧ وصفة الصفوة ١/ ١٠٣، والعبر ١/ ٢٨٧ والبداية والنهاية ١٠/ ١٨٣ وشذرات الذهب ١/ ٣٠٤ – ٣٠٥، والأعلام ٨/ ٢٧٠ وفي مصادر أخرى.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا حفيد الإمام موسى الكاظم، ومرقده بجوار مرقد جده.

وانـتـقـلـتُمْ مـنـهـا وأنـتمْ أنـاسٌ ... مـا اتَّـخَـذْتمْ إلاّ رضـا الـله زادا

ولـقـد قُـمْـتُمُ الـلـيـالي قـيـامـاً ... واكـتـحـلـتمْ من الـقِـيـامِ السُّـهـادا

إن يـكـونـوا كـمـا أذاعـوا فـمن ذا ... مَـهَّـدَ الأرضَ سـطـوةً والـبلادا

ومَـحَـا الـشِّـركَ بـالـمَـواضي غَـزاةً ... وسَـطـا سـطـوةَ الأسـودِ جـهـادا

حـيثُ إنّ الإلـهَ يـرضَى بـهـذا ... بل بـهـذا من الـقـديم أرادا

فَـجُـزِيـتُمْ عن أجـركمْ بـنـعـيمٍ ... تَـتَـوالى الأرواحَ والأجـسـادا

وابْـتَـغَـيْـتُمْ رضـا الإله ولا زلـ ... ـتمْ بـعـزٍّ يُـصـاحبُ الآبـادا

أنـتمُ يـا بـني الـبَـتـولِ أنـاسٌ ... قد صَـعَـدْتمْ بـالـفـجرِ سَبْعـاً شِدادا

آل بـيت الـنـبيِّ والـسـادة الـطُّـهْـ ... ـرِ رجـالٌ لم يـبـرحـوا أمـجـادا

فَـضَـلـوا بـالـفـضـائل الخـلـقَ طـرّاً ... مـثـلـمـا تـفـضلُ الـظُّـبَى الأغـمـادا

لـيس يـحـصي عـلـيـهمُ المـدحُ مـنّي ... ولـو انّ الـبـحـارَ صـارتْ مِـدادا[(١)]

أنـتمُ الـذُّخْـرُ يـومَ حـشـرٍ ونـشـرٍ ... ومَـعـاذاً إذا رأيـنـا الـمَـعـادا

(كـاظمَ)الـغـيظِ سـالمَ الـصـدر عـافٍ ... مـا حَـوى[(*)] قطّ صـدرُهُ الأحـقـادا

قـد وقَـفْـنـا لـدى عُلاكَ وألـقـيْـ ... ـنـا إلى بـابكَ الـرفـيعِ الـقِـيـادا

مَعَ أنَّ الـذُّنـوبَ قـد أوثـقـتْـنـا ... نـرتجي الـوعـدَ نَـخْـتَـشي الإيـعـادا

ومَـدَدْنـا إلـيكَ أيـدِيَ مـحـتـا ... جٍ يُـرجّي بـفـضـلكَ الإمْـدادا

وبـكـيْـنـا منَ الخُـشـوعِ بـدمعٍ ... هـو طوراً [مَـثْـنَى][(**)] وطـوراً فُـرادى

قـد وَفَـدنـا آلَ الـنـبيَّ عـلـيـكمْ ... زوّدونـا من رِفْـدِكُمْ إرفـادا

بـسَـوادِ الـذنـوبِ جـئـنـا لـنـمـحـو ... بـبَـيـاضِ الـغـفـرانِ هـذا الـسَّـوادا

وطـلـبـنـا عَـفْـوَ الـمُـهَـيْـمِنِ عـنّـا ... وأغـظـنـا الأعـداءَ والإلحـادا[(٢)]

---

(١) أخذه من قوله تعالى: (قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا مثله مددا) سورة الكهف الآية ١١٠.

(١) في الأصول: وأغضنا (كذا).

(*) في الطبعة (١): (هوى) وصوبناها من الطراز الأنفس.

(**)هذه الكلمة ساقطة في الطبعة (١)، وأثبتناها من الطراز الأنفس. .

مَــــوْطِنٌ تـــنـــزلُ الـــمَلائكُ فـــيه ومـــقـــامٌ يَـــسُـــرُّ هـــذا الـــفـــؤادا

أيُّـــهـــا الـطـــاهــرُ الــزكيُّ أغِـــثْـــنـــا وأنـــلْـــنـــا الإسْـــعـــافَ والإســـعـــادا

و (عـــلـــيٌّ) أبـــاك يـــا ابنَ (عـــلـــيٍّ)[1] كي يـنـــالَ الـــمُـنَى بكمْ والـــمُـــرادا

مُـسْـتـزيـداً بـفـضـلـكمْ حيثُ كـنـتمْ مَـــنْـــهَـلاً مـــا اســـتُـــزيـــدَ إلاّ وزادا

فـــعـــلـــيكَ الـــسَّلامُ يـــا خـــيـــرةَ الخَـــلْـ ـقِ سَلامٌ يـــبـــقَى ويـــأبَى الـــنَّـــفـــادا

(٢٢)

أهـــاجَـــهـــا حـــادي الـــمَـــطيِّ فـــمـــالَـــهـــا ولم يُـــهِجْ لـــمّـــا حَـــدا أمـــثـــالَـــهـــا

فـــهل عـــرفتَ يـــا هـــذيمُ مـــا بـــهـــا ومـــا الَّـــذي أورثَـــهـــا بـــلـــبـــالـــهـــا

غـنَّى لـــهـــا بـ(رامـــةٍ) و(الـــمُـــنْـــحَـــنَى) وبـــالـــديـــار ذاكـــراً أطلالـــهـــا

ومـــــا درى أيَّ جـــــوىً أثـــــاره وعـــبـــرةٍ بـــذكـــره أســـالـــهـــا

ذكّـــرهـــا مُـــنـــاخَـــهـــا بـ(رامـــةٍ) فـــكـــان ذكـــرُ (رامـــةٍ) خَـــبـــالـــهـــا(*)

ذكَّـــرَهـــا مَـــراعـــيـــاً من شـــيـــحـــهـــا ووِردهـــا من مـــائـــهـــا زلالـــهـــا

---

(١) هو الوزير علي رضا باشا اللاظ والي بغداد. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) السيد إبراهيم بن السيد محمود بدرالدين بن مبارك بن صالح بن رجب بن شعبان بن درويش الرفاعي الحسيني البصري. ولد سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م في البصرة وبها نشأ، وتلقى العلوم على كبار شيوخها. ثم قدم بغداد وأخذ عن علمائها الأعلام. وكان ذكيًا بارعا فطنًا، توجهت إليه الأنظار بالفتون، وطار صيته في الآفاق، وزار الهند عدة مرات، وأقام فيها مدة طويلة ثم رجع إلى البصرة، ووجهت إليه نقابة الأشراف فيها. وكان مرشد البصرة ومفتيها. ثم عزل عن النقابة، وتفرغ للتدريس والإفادة، وولي قضاء البصرة سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م. ثم استعفى منه وأعيد إليه الإفتاء، وكان شيخ الطريقة الرفاعية في البصرة، وعنه أخذ الطريقة الشيخ محمد المهدي الرواس حين اجتماعه به في البصرة سنة ١٢٥١هـ. وبقي السيد إبراهيم مفتيًا في البصرة ثم رحل إلى الهند وهناك وفاته سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م وأعقب ولدًا واحدًا هو السيد رجب وتوفي ولده سنة ١٢٨٢هـ. ترجمته في حلية البشر ١/ ٦٢ – ٦٤، والدر المنتثر ١٠٨ وديوان الرواس (مشكاة اليقين) ص٣٨٩.

(*) **في الطبعة (١): (خيالها) والتصويب من الطراز الأنفس.**

ذاقتْ نَميراً في (العُذَيب) ماءَه[1] وقد أُذيقَتْ بعده وبالَها
لو كان غيرُ وَجْدِها عِقالَها بدار ميٍّ أطلقتْ عِقالَها
تسألُ عن أحبابِها دوارساً من الرُّسومِ لم تُجِبْ سؤالَها
وكلّما عادَ لها عيدُ الهَوَى هيَّجَ منها عيدُه بلبالَها
تاللَّه تنفكُّ وقد تظنُّها لِما بها من الضَّنى خيالَها
حريصةٌ على لقاءِ أوجُهٍ غالَى بها صرفُ النَّوى واغتالَها
هي الظعونُ قوَّضتْ خيامَها وأزعجتْ يومَ النَّوى جِمالَها
وأوقدتْ في قلب كلِّ مُغْرَمٍ نيرانَ وَجْدٍ تُضْرِمُ اشتعالَها
وقاطعتْنا بالنَّوى مَواصِلاً لو أنصفتْ ما قَطَّعَتْ وِصالَها
وعن يمين (الجَزْعِ) شرقيِّ الحِمَى متى أراني ناشقاً شَمالَها
بيوتُ حيٍّ أحْكَموا ضيوفَها وحذَّروا عدوَّها نزالَها
وللغَزال[*] دونَها ملاعبٌ لوِ اقْتَنَصْتَ مَرّةً غزالَها
وقد رَمَتْني عِينُها نِبالَها فما وَقَتْني أدرُعي نِبالَها
إنّي لأهوى مُجْتَنَى معسولِها وأختشي من قَدِّها عسّالَها
تلك ربوعٌ كنت في رباعِها طوعَ هواها عاصياً عذَّالَها
فيا سَقتَ تلك الربوعَ ديمةٌ تصبُّ من صوبِ الحَيا سِجالَها
ساحبةً على الحِمَى سَحابَها تَجُرُّ في دياره أذيالَها
قد قطَّبَتْ [طَلْعَتُها][**] وبَشَّرَتْ من شامَ بالغيثِ العميمِ خالَها
من مُثْقَلاتِ المُزنِ ما إنْ جلجلتْ بالرَّعدِ إلاّ وَضَعَتْ أثقالَها
شاكرةً آثارَها منها لها إدبارَها بالريِّ أو إقبالَها

(١) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة، وهو واد لبني تميم. يقصده وينزل فيه الحجاج من الكوفة، وهناك مواضع عديدة بهذا الاسم. تعرف بالإضافة مثل عذيب الهجانات وعذيب القوادس، والعذيب موضع بمصر وموضع بالكوفة انظر معجم البلدان ٤/ ٩٢.

(*) في الطبعة (١): (المغزال) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (طلقها) والتصويب من الطراز الأنفس.

ورُبَّ ليلٍ أطبَقتْ ظلماؤه … بحيثُ لا يُهْدَى امْرؤٌ خلالها

قلقلتُ فيه المُوقَراتِ في السُّرى … حتى لقد كدتُ أرى كلالها

ولستُ أنفكُّ ولي مَآربٌ … أرجو إذا أزمعت(*) أنْ أنالها

تَحْمِلُني لابنِ النبيِّ ناقةٌ … إنْ بُلِّغَتْهُ بُلِّغَتْ آمالها

فإنّ (إبراهيمَ) حيثُ يمَمَّتْ … كان مُناها أنْ يكنْ مَآلها

تكادُ من وَفْرِ نوالِ فَضْلهِ … تطمعُ أن يُبْلِغَها مُحالها

نفسٌ له زكيّةٌ عارفةٌ … بالغةٌ بدَرْكِها كمالها

وتستمدُّ العارفونَ فَيْضَها … وترتجيها جاهَها ومالها

لو لم [يكن](**) في الأرضِ من أمثاله … زُلْزِلَتِ الأرضُ إذاً زلزالها[1]

إذا دعا اللهَ لكشف حادثٍ … أهالَها، أمَّنَها أحْوالَها

هو الشِّفاءُ لعُضالِ(***) أمَّةٍ … يبرئُ من أدوائها عُضالها

واتَّخَذَتْهُ المسلمون إنْ دَعَتْ … ضراعَها لله وابتِهالها

منَ النُّجوم المُشرقات بالهُدَى … المُدحِضاتِ بالهُدَى ضَلالها

ما برحوا في الأرض بين خَلْقهِ … أقطابَها الأنجابَ أو أبدْالها

إذا دُعُوا إلى الجميلِ أسرعوا … ولن ترى لغيره استعجالها

واقتحموها عَقَباتِ أزمَةٍ … إلى عُلاً توقَّلوا جبالها(****)[2]

همُ الغيوثُ ابتدروا نَوالَها … همُ الليوثُ ابتدروا نزالها

---

(١) أخذه من قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها) سورة الزلزلة آية (١).

(٢) توقلوا: صعدوا.

(*) في الطبعة (١): (أرفعت) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): سقطت هذه الكلمة وأضفناها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (هو الشفاء لعضال) تركناها كما وردت ولعل صوابها (هو الشفاء من عضال).

(*****) في الطبعة (١): (حبالها) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

قائلةٌ فاعلةٌ بقَوْلِها ... سابقةٌ أفعالُها أقوالها

إن قَرُبَتْ من الأعادي قَرَّبتْ ... إلى الهدى هِمَّتُهمْ آجالها

همُ الذين ذلّلوا صِعابَها ... همُ الذين دوّخوا أقيالها

وحَرَّموا من ربِّهمْ حَرامَها ... وحَلَّلوا بأمره حلالها

بَحْرٌ من العلمِ طَمَى خِضَمُّهُ ... واردُ كلِّ واردٍ نوالها

سَلْ ما تشاءُ عن عويصٍ مُشْكلٍ ... فإنَّه لَموضِحٌ إشْكالها

أين الأعادي من علوِّ قَدْرِهِ ... إنْ طاولته في المَعالي طالها

لو رامَ أعلى بُغْيَةٍ يرومُها ... ولو غَدَتْ مثلَ النُّجومِ، نالها

تُسْكِرُنا عذوبةٌ من لَفْظِهِ ... إذا أدارَ لَفْظُهُ جِريالها

له التَّصانيفُ الّتي كأنّها ... تروي بحُسْنِ صَبِّها جَمالها

رقّتْ حَواشيها فلو قرأتها ... عَلى الغُصونِ مَرَّةً أمالها

مثلَ السَّماءِ بالسَّناءِ والسَّنا ... قد طَلَعَتْ خِلالُهُ خِلالها

كم حُجَّةٍ أوردها قاطِعَةٍ ... وحكمةٍ في كَلِماتٍ قالها

(٢٣)

(١) هو السيد عبدالرحمن المحض بن علي بن سليمان القادري الكيلاني، نقيب أشراف بغداد ولد ببغداد سنة ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م ونشأ في بيت المجد والفضل، ودرس على أجلة علماء بغداد، وولي النقابة بعد أبيه سنة ١٣١٥هـ. وهو أول رئيس للوزارة العراقية بعد ثورة العشرين ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م. وكان مرشحًا لعرش العراق. واستقال بعد تولي الملك فيصل الأول ابن الحسين عرش العراق سنة ١٩٢١م، ثم ألف الوزارة مرة ثانية وثالثة. وكان رجلاً فاضلاً محبًا للخير. له كتاب (الفتح المبين في الرد على ترياق المحبين) مطبوع، ورسالة في الأدب، وكانت له مكتبة حافلة بأمهات المصادر الجليلة في الفقه والأدب والتاريخ أوقفها على المكتبة القادرية. وكان الشعراء يقصدونه، ويقيمون في داره أيامًا لينشدوا القصائد في مدحة في الأعياد والمناسبات، وكان يجزل لهم العطاء، منهم الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي والد الشيخ محمد علي اليعقوبي ومنهم الشيخ محمد القزويني والشاعر حسين القيم الحلي والسيد إبراهيم الطباطبائي والسيد حيدر الحلي مدحه بعدة قصائد قال في بعضها:

بنورك لا بالنيرات الثواقب ... أضاء حمى الزوراء من كل جانب

طلعت طلوع البدر فيها فلم تدع ... على الأرض فخرًا للسما في الكواكب =

هَل عَرَفْتَ الديارَ من آلِ نُعْمَى   ومَحَلاً عَفَا لِبَيْنٍ ألمّا
تُنْكِرُ العينُ بعد معرفةٍ منـ   ـها طلولاً كأنّما كنَّ رَقْما
فَسَقَى الأرسُمَ الدَّوارسَ دمعٌ   لم يغادرْ من أرسُمِ الدارِ رَسْما
قد ذكرنا بها العصورَ الخوالي   عَهْدَ هندٍ ودارَ سعدى وسلمى
ووقوفي على المنازل ممّا   خَضَّبَ الطَّرفَ بالنَّجيع وأدْمَى
وأذاعتْ سرَّ الهوى عَبَراتٌ   هي لا تستطيعُ للحبِّ كتْما
يوم هاجتْ بالإدكار قلوباً   أصبحتْ من صَوارمِ البين كلمَى[1]
أين أيامُنا وتلك التَّصابي   صَرَمَتْها أيدي الحوادثِ صَرْما
يا ابنَ ودّي إنّ المَوَدَّةَ عندي   أن أراني أُرمَى بما أنت تُرْمَى
أفَتُرْوَى وما تبلُّ غليلاً   مُهَجٌ يا (هُذَيْمُ) بالوَجْدِ تَظْما
سَلَبتْ صحَّتي مِراضُ جفونٍ   ما كسَتْني إلاّ غراماً وسُقْما
حَكَمَتْ بالهوى على دَنِفِ القلـ   ـبِ وأمْضَتْ على المُتَيَّمِ حُكْما
وبنفسي عدلُ القَوامِ ظلومٌ   ما اتّقَى اللهَ في دمٍ طُلَّ ظلما
لا تَلُمْني على هواه فلا أسـ   ـمعُ عَذلاً ولا أعي منك لَوْما
ظَعَنَ الظّاعنونَ فاستمطرَ الدمـ   ـعَ فؤادي سَحّاً عليهمْ وسَجْما
أعِدُ النَّفْسَ منهمُ بالأماني   وأعُدُّ الأيامَ يوماً فَيَوْما
أنصِفونا من هجركمْ بوصولٍ   أنا راضٍ منكمْ بحتّى ولمّا
وَهَبُوا النَّوْمَ أن يَمُرَّ بجفني   فلعلّ الخيالَ يطرقُ نوما

= فيا ابن المزايا القادرية أعجزت   مزاياك في تعدادها كل حاسب

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م ودفن في حجرة خاصة بالحضرة القادرية ببغداد. أخباره في ديوان السيد حيدر الحلي ٢/ ١٨ – ١٩ و٣٦ وديوان يعقوب الحاج جعفر ص٦٤ وديوان حسين القيم ٤٠ والروض الأزهر ٢٨٧ ولب الألباب ٢/ ١٣٣ وعنوان المجد ٨٨ وديوان الطباطبائي ٢٢٨ والبغداديون ٩ – ١٠ والأعلام ٤/ ٩٢.

(١) كلمى: جرحى.

رُبَّ ليلٍ قَطَّعْتُهُ بمليحٍ ... أشْهَدُ البدرَ من مُحيّاه تمّا

وإذا وسْوَسَتْ شياطينُ هَمٍّ ... رَجَمَتْها شُهْبُ المُدامةِ رَجْما

فكأنَّ الهلالَ نصفُ سِوارٍ ... والثُّرَيَّا كأنَّها قرطُ أسْمَا[1]

بتُّ حتَّى تَبَلَّجَ(*) الصُّبْحُ منه ... أرشفُ الراحَ من مَراشِفِ أَلْمَى

ذاكَ عيشٌ مضَى ولَهْوٌ تَقَضَّى ... أبدلَ الجهلَ بالتَّصَرُّمِ حِلْما

ذقتُ طعمَ الحياةِ حُلْواً ومُرّاً ... وبلوتُ الزَّمانَ حرباً وسلما

وتحنَّكتُ بالتَّجاربِ حتّى ... كَشَفَتْ لي عن كلِّ امْرٍ مُعَمَّى

قد تقلَّبْتُ في البلاد طويلاً ... وقتلتُ الخطوبَ عزماً وحزما

لم يَطِشْ لي سَهْمٌ إذا أنا سدَّدْ ... تُ إلى غايةِ المَطالبِ سهما

لي بآلِ النَّبيِّ كلُّ قصيدٍ ... أسْمَعَتْ بالفَخارِ حتَّى الأَصَمّا

حُجَجٌ تفحمُ المُجادلَ فيها ... وتردُّ الحسّادَ صُمّاً وبُكْما

وإذا عاندَ المُعاندُ يوماً ... أرغَمَتْ أنفَ من يُعانِدُ رَغْما

سرّني في الأشرافِ نجلُ (عليٍّ) ... وهو (عبد الرحمن) فضلاً وفَهْما

عَلَويٌّ يُريكَ وَجْهاً حَيِيّاً ... وفؤاداً شهماً وأنفاً أشَمّا

ناشئٌ بالتُّقَى على صَهَواتِ الـ ... ـخيل عِزّاً وفي المدارس عِلْما

طائعٌ خاشعٌ تقيٌّ نقيٌّ ... ينقضي دهرُهُ صلاةً وصَوْما

بأبي النَّاسكُ الأبيُّ فلا يحـ ... ـمِلُ وزراً ولا يُحَمَّلُ ضَيْما

كم رمَى فِكْرُهُ دقيقَ المعاني ... فأصابَ المَرمَى البعيدَ وأصْمَى

لا تَرى في الأَنْجابِ أثقبَ زنداً ... منه في صَحْبِهِ وأبعدَ مَرْمَى

عنصرٌ طيِّبٌ وأصلٌ كريمٌ ... وجميلٌ قد خَصَّ منهمْ وعَمّا

سادةٌ أشرفُ الأنام نِجاراً ... ثمَّ أذكى أباً وأطهرُ أمّا

---

(١) اسما: مقصور أسماء.

(*) في الطبعة (١): (انبلج) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

شَــرَّف الـــله ذاتَـــهمْ واجْــتَــبــاهمْ ... واصْـطَـفـاهمْ عـلـى الـبَـرِيَّـةِ قَـوْمـا

لا يــزالــون يــرفــعــون بــيــوتــاً ... لـلـمـعـالي لا تـقـبلُ الـدهـرَ هـدما

تَـسْـتَـخِفُّ الجـبـالَ مـنـهمْ حـلـومٌ ... طـالما اسـتـنـزلتْ من الـشُّمِّ عُـصْـما

وإذا اعْـــتَـــلَّتِ الـــعلاءُ بـــداءٍ ... حسـمـوا داءهـا عـلـى الـفـور حَـسْـما

وعــلـى ســائــر الــبــريَّــةِ فــضلاً ... سـالَ سَـيْلُ الـنَّوالِ مـنـهم فـطـمَّـا

قَـسَـمـوا الـعُـمْـرَ لـلـعـبـادة قـسـمـاً ... مـنـذُ عـاشـوا ولـلـمَـكـارمِ قِـسْـمـا

شـربـوا خـمـرةَ الـمَـحَـبَّـةِ في الـله ... وفـضّـوا عنـهـا من الـمِسْكِ خَـتْـما(١)

وسَـــرَتْ من وجـــودهمْ نَـــفَـــحـــاتٌ ... كنَّ روحَ الـوجـود إن كـان جـسـمـا

تـنـجَـلي فـيـهمُ الـكـروبُ إذا مـا ... لُـحْنَ غُـبْـراً أنّى يَـلُـحْنَ وَقُـتْـمـا

مـــا تَـــجَـــلَّتْ وجـــوهُـــهمْ قطُّ إلاّ ... وجَـلَتْ لـيلَ خـطـبـهـا الـمُـدْلَـهِمّـا

هِـمَمٌ في بـني الـنـبيّ كَـفَـتْـنـا ... من جـمـيـعِ الأمـورِ مـا قـد أهـمّـا

يـــا ابنَ مَنْ لا تـــشـــيـــرُ إلاّ إلـــيه ... أنْـــمُلُ الـــعِـــزِّ إنْ أشـــارَ وأوْمَى

يـــا عـــليَّ الجَـــنـــابِ وابنَ (عـــليٍّ) ... طـابقَ الإسمُ بـالـصِّفـاتِ الـمُـسَـمَّى

رَضِيَ الـــلـهُ عـــنـــكمُ من أنـــاسٍ ... شـيّـدوا لـلـعُلا مـنـاراً وإسـمـا

أوْجَـــبَتْ مَـــدْحَـــكُمْ عـــليَّ أيـــادٍ ... في زمـــانٍ من حـــقّه أنْ يُـــذمّـــا

أبـتَـغي الـفـوزَ بـالـثَّـنـاءِ عـلـيـكمْ ... وأراه في مـــا أحـــاولُ غُـــنْـــمـــا

حـيثُ أمـحـو وِزراً وأثـبتُ أجْـراً ... فـائـزاً بـالـمُـنَى وأمْـحَقُ إثـمـا

والـقَـوافي لـولا جـزيلُ عَـطـايـا ... كَ شَـكَـتْـنـا بـفـقـدها الأهلَ يُـتْـما

قـد تَـحَـلَّتْ بـكمْ فـكـنـتمْ حُلاهـا ... وحَـلَتْ في الأذواقِ نَـثْـراً ونَـظْـمـا

وإلـيـكمْ غُـرُّ الـمَـنـاقبِ تُـعْـزَى ... وإلـيـكمْ جُلُّ الـمَـكـارمِ تُـنْـمَى

مـا اسـتـطـاعَ الإنـكـارَ مـنـهنّ شـيـئاً ... حـاسـدٌ عن مَـحـاسنِ الـصُّبحِ أعمى

---

(١) هذا البيت لم يرد في نسخة (أ) وفي نسخة (ب) والمطبوع ورد عجزه: (وفضوا عليها المسك ختما). كذا. والصواب ما أثبتناه.

(٢٤)

فَخارُ الملوك بأعوانها — وخيرُ البلادِ بعُمرانها[1]

وما ثبّتَ اللهُ من دولةٍ — بغيرِ عدالةِ سلطانها

ألستَ تَرى دولةَ المسلمينَ — وما كان من (آلِ عثمانها)

وما رفعَ اللهُ من قَدْرها — وما عظّمَ اللهُ من شأنها

وما بَلَغَتْ فيه من قُوَّةٍ — تُضافُ لقوّةِ إيمانها

فدانَ الأنامُ إلى حكمها — ولا حُكْمَ إلاّ بقُرآنها

فكان الفتوحُ على عهدها — وسعدُ البلادِ بأزمانها

فيا لكِ من دولةٍ أُسِّسَتْ — قواعدُ أركانِ بنيانها

بما شرعَ اللهُ بينَ العبادِ — وأبطلَ سائرَ أديانها

وما جاءنا سيّدُ المُرسلينَ

---

[1] الوزير محمد نامق باشا الكبير، من أهل قونية، ورد استانبول صغيرًا، وانخرط في سلك العسكرية وتقلب في مناصب الجيش منذ سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٣٤م حتى نال منصب سر عسكر وفي سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م نال منصب المشير لبغداد والحجاز. ثم نقل في سنة ١٢٦٩هـ إلى مشير المدفعية في استانبول ومنصب سر عسكر. وفي ربيع الأول سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م عاد واليا على بغداد ثانية ومشيرا للعراق والحجاز. ومنح الوسام المرصع سنة ١٢٨١هـ ثم نقل إلى الآستانة بمنصب سر عسكر سنة ١٢٨٤هـ ثم أصبح ياور أكرم (المرافق الأقدم) ودعي بشيخ الوزراء. وقد عمر طويلاً وكان مستقيمًا عادلاً قويًا متصلبًا في رأيه، ونظم الأمور المالية تنظيمًا حسنًا، وكان في شبابه من المتفرنجين إلا أنه مال إلى مشايخ الطرق الصوفية وسلك الطريقة. ومن أعماله إنشاء بلدة العمارة حيث أنشأ فيها معسكرًا يعرف بـ (الأوردي) وعين لها متصرفًا هو عبدالقادر بك الكولند. وكان قد نفى بعض الأشرار والمفسدين من بغداد إلى البصرة. وزار البصرة في ١٢ شعبان سنة ١٢٧٨هـ. ومعه السيد علي النقيب القادري ومكث فيها بضعة أيام. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة الفاروقي والشيخ أحمد قفطان النجفي وعبدالباقي العمري بقوله من قصيدة:

من جانب الشام ذر بارق — طبق في صوته المشارق

يبرق في لمعه فخلنا — من أبرق الفرد لاح بارق

وكان يتقن العربية والفرنسية والإنجليزية إلى جانب لغته التركية وهو شجاع مستقيم، توفي في ٢٢ صفر سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وهو الذي أعاد بناء مسجد الجنيد ببغداد سنة ١٢٦٩هـ قبل نقله من بغداد. أخباره في نشوة المدام ٤٩ وعنوان المجد ١٦٧ والترياق الفاروقي ٢٨٤ وديوان أحمد ٣/ ١٠١ ودليل خارطة بغداد ٢٩٣ وتاريخ مساجد بغداد وآثارها ١٢٣.

(*) في الطبعة (١): كل هذه العبارة ساقطة وواضح من سياق القصيدة أنها في مدح الوزير محمد نامق باشا الكبير والي بغداد ومشير العراق والحجاز.

إلى عهد أيامِ عبدِ العزيزِ[1] ... وقامَ الدليلُ ببُرهانها
فولَّى الأمورَ لأربابها ... مُجَدِّدِ أحكامِ إتقانها
فنعمَ الرجالُ ونعمَ الكمالُ ... وأهدى السُّيوفَ لأجفانها
فلم تَرَ يوماً كآرائها ... بأفكارها وبأذهانها
صَناديدُ أبطالِها في الوغَى ... ولا للحروب كشجعانها
وقد صَدَّقَتْهُ بما عاهدتْ ... وأبطالُ أقْيالِ فرسانها
ومن نعمةٍ شُكِرَتْ للمليكِ ... عليه العُلا جهدَ إيمانها
أحالَ (العراقَ) إلى (نامقٍ) ... وقد أوْجَبَتْ حقَّ شُكرانها
فذلّلَ منها صِعابَ الأمورِ ... ليصلحَ ما شانَ من شانها
إذا افْتَخَرَتْ دولةٌ بالرِّجالِ ... وقادَ المعالي بأرسانها
فمن فخر دولتنا (نامقٌ) ... وباهتْ محاسِنَ أقرانها
وما زالَ نائلُهُ مَنْهلاً ... بحُسْنِ المَزايا وإحسانها
أبادَ الطُّغاةَ وأفنَى العُصاةَ ... لصادي الحُشاشةِ ظَمْآنها
وألْبَسَ (بغدادَ) تاجَ الفَخارِ ... ودمَّرَها بعد عصيانها
فكانت إليه أحبَّ الديار ... وقرّبَ أشرافَ قُطَّانها
ومكّنه اللهُ من عِزَّةٍ ... وحبُّ الديارِ لسكَّانها
فلاحتْ عليه سطورُ الهنا ... من الأمنِ غايةَ إمكانها
وكم فتنةٍ أوقدَتْ قبلَهُ ... قرأنا السُّرورَ بعنوانها
أحلَّ رعيَّتَهُ في أمانٍ ... فكان الخمودَ لنيرانها
وكلٌّ له منه ما يستحقُّ ... أقرّ الجميعَ بأوطانها
لدَوْلَتِهِ صارمٌ باترٌ ... بوزنِ الرِّجالِ ورُجْحانها
وحزبٌ من الله في عَوْنِها ... يبتُّ الخطوبَ بأيمانها[2]
ومنذُ تولَّى أمورَ (العراقِ) ... وذلك أكبرُ أعوانها

---

(١) هو عبدالعزيز خان السلطان العثماني ستأتي ترجمته.

(٢) في الأصول: يبيت (كذا).

أراحَ الـــبلادَ وسَــرَّ الــعـــبــادَ — وكفَّ يَـــدَيْ ظـلـمِ عُـدوانـــهـــا

وفي (البصرة) الآنَ سعدُ السُّعودِ — وكـــان جلاءً لأحـــزانـــهـــا

أمـــيـرٌ عـــلـيـهـا رؤوفٌ بـــهـــا — يــلـوحُ لـهـا من (سـلـيـمـانـها)[1]

مَــحَــبَّــتُهُ مُـــزِجَتْ بـالـقـلـوبِ — حـريصٌ عـلى جـلبِ أعـيـانـهـا

تـــريكَ فـصـاحــةُ ألـفـاظه — مـِزاجَ الـنفـوسِ بجـثـمـانـهـا

وإنَّ الـــبلاغـــةَ حـيـثُ انْـتَـمَتْ — مَـجاني فصاحةِ (سحبانها)[2]

وتـعـرفُ من لـفـظه حـكـمـةً — إلـيه (قلائـدُ عـقـيـانـهـا)[3]

عـقـولُ الـرجـالِ بـأقلامـهـا — تـفـسِّرُ حـكـمـةَ (لـقـمـانـهـا)[4]

كـــأنَّ تَـــرَسُّـــلَهُ خـمــرةٌ — وفـضلُ الـعـقـولِ بـعِـرْفـانِـهـا

(١) هو سليمان فائق بك بن الحاج طالب آغا (كتخدا بغداد) من المماليك. ولد ببغداد سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م ودرس على علمائها وتقدم في الوظائف حتى نال وظيفة رئاسة ديوان الإنشاء في ولاية ديار بكر، ثم انتقل إلى بغداد، واشتغل في الحسابات العسكرية في أيام الوالي محمد نجيب باشا والوالي محمد نامق باشا، بعد علي رضا باشا اللاظ، كما عمل مع مدحت باشا، وكان من مؤازريه. وعين محاسبًا في البصرة، ثم محافظًا لها، وكان له دور بارز في إنشاء مدينة الناصرية، وبعد عزل مدحت باشا، سافر إلى الآستانة واصطحب معه ولده محمود شوكة وأدخله المدرسة العسكرية، وبقي في الآستانة إلى أن نفي إلى جزيرة رودس، ثم أطلق سراحه وعاد إلى بغداد. وكان بينه موئلاً للعلماء والأدباء وأرباب الفضل من أعيان الناس، وقد أنجب أولادًا كثيرين، مات أغلبهم في حياته، ومن أشهر أبنائه محمود شوكت باشا الذي خلع السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٨م ومراد بك وخالد بك وكمال بك وحكمت بك الذي تولى رئاسة الوزارة العراقية في انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦م وهو أصغر أولاده. كان سليمان فائق رجلاً عاقلاً فاضلاً محبًا للخير. قال عنه أبوالثناء: «ما صحب ذا عقل من الوزراء إلا كان مقدم حزبه. والمستولي على سمعه وبصره وقلبه. كل ذلك لعلو همته ومزيد صدقه في خدمته. وله محبة للسادة الصوفية ونسبة للطريقة النقشبندية». وكان شاعرًا ناثرًا ومؤرخًا فاضلاً له عدة مؤلفات منها (تاريخ الكولمند في العراق) و(مرآة الزوراء) – تاريخ بغداد – و(تاريخ المنتفق) مطبوعة و(المكاتيب المقدسة) مخطوط و(حروب الإيرانيين في العراق) مخطوط. توفي في بغداد يوم ٢٧ جمادي الاخرة سنة ١٣١٤ ودفن في المسجد الذي عمره والده قرب بناية أمانة العاصمة ملاصقًا لعمارة المرحوم قاسم محمد الرجب. وقد مدحه كثير من الشعراء وأرخ وفاته محمد سعيد التميمي بقوله من قصيدة:

ذلك الذي فاق إيمانًا ومعرفة — حتى تشوقه في الخلد رضوان

قد غاب واحدها نادى مؤرخه — قد حل في رحمة الباري سليمان

أخباره في غرائب الاغتراب ٤٤ – ٤٦ ومجموعة عبدالغفار الأخرس ١ – ١٣١١/ ١٣١٥ وتاريخ المماليك (الكولمند) ٣ – ٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٦ ومباحث عراقية ق١/ ٨٥ والبغداديون ٧٠ – ٧١.

(٢) هو سحبان وائل من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة.

(٣) إشارة إلى كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان للفتح بن خاقان الإشبيلي الوزير المقتول سنة ٥٢٨هـ – هدية العارفين ١/ ٨١٤.

(٤) لقمان الحكيم: اختلف العلماء فيه، فقالوا نبي وقالوا رجل حكيم، وفي القرآن الكريم سورة باسمه.

ويَبْعَثُ إملاؤه نشوةً تطوفُ النَّوادرُ في حانها
وإنَّ القَوافي لدى فضله فيُهدي السُّرورَ لنَشْوانها
فمن ثَمَّ يقطفُ نُوّارَها تُباعُ بأنفَسِ أثمانها
وفي (البصرة) الفَصْلُ في حكمه ويَجْني أزاهيرَ بستانها
ولمّا أرادَ بها أنْ تكونَ لِعَهْدِ المَسَرَّةِ إبّانها
تَسَبَّبَ في حَفْرِ أنهارها كروحِ الجِنانِ ورَيْحانها
وعادتْ هنالك ماءً طهوراً ومَنْعِ خبائثِ جيرانها
وكانتْ لعمركَ في ما مَضَى وعذباً فُراتاً لعطشانها
عسى أنْ تكونَ لسلطانها تُشابُ بأقذارِ أدرانها
إليها برأفته لفتةٌ مَليكِ الملوكِ وخاقانها

(٢٥)

قال يمدح عثمان سيفي أفندي[١] رئيس كتاب بغداد لدى الوالي علي رضا باشا

فؤادٌ كطرفكِ أمْسَى عليلا وجسمٌ كخصركِ يشكو النُّحولا
وأضناهُ حُبُّكِ حتّى اغْتَدَى كما تبصرينَ ضعيفاً نَحيلا

---

(١) عثمان سيفي بك، كان محصل ضرائب في كوتاهية بالأناضول، وقدم بغداد بمعية الوزير علي رضا اللاظ، وكان من أعوانه وأركان حكمه، فعينه رئيس كتاب ديوان الإنشاء، وكان أديبًا بارعًا بالعربية والتركية. وله ترجمة لقصيدة الشاعر عبدالباقي العمري في مدح السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤هـ. وقد أجرى تعميرات في جامع الشيخ عمر السهروردي. وكانت له صلات مودة مع علماء بغداد وشعرائها وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبدالباقي العمري والشيخ صالح التميمي مدحه بقصائد روائع قال في بعضها:

أحيا وجودك فينا العلم والأدبا فشكر معروف ما أوليت قد وجبا
أظهرت معجزة لو يدعي أحد بها النبوة في الآداب ما كذبا

توفي سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م. أخباره في الترياق الفاروقي ص١٩٤ ص٢٣٧ وديوان التميمي ١٧ و٦٨ و٨٥ ومرآة الزوراء ٨٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٥٦.

فَـــــرِفْـــــقــــاً به إنّه فـي هـــــواكِ ... عـلـى حـالـةٍ في الـهَـوَى لن تَـحـولا
يـبـيتُ بـطـرفٍ كـثـيـرِ الـسُّـهـادِ ... فـلـم يَـذُقِ الـغُـمْضَ إلاّ قـلـيلا
وشَــوّقَهُ الــبـرقُ جـنـحَ الـدُّجَى ... ونَـدْبَ الحـمـامـةِ لـيلاً هـديلا
فـأصـبح يـشـكـو حـريقَ الـفـؤادِ ... ويـقـذفُ من مـقـلـتـيه سُـيـولا
وتـسـكـرني نَـسَـمـاتُ الـشَّـمـالِ ... فـأغـدو كـأني سُـقـيتُ الـشَّـمـولا
وكم شـربَ الـصَّبُّ من عَـبْـرَةٍ ... بـذكـر الأحـبّـةِ دهـراً طـويلا
فـمـا بلَّ فـيـهـا غـلـيلَ الحـشـا ... وكـيف تـبلُّ الـدمـوعُ الـغـلـيلا
قـتـلـتمْ أحـبَّـتَـنـا الـمُـسـتـهـامَ ... وكم راحَ مـثلَ الـمُـعـنّى قـتـيلا
ورَّوضـتُـمـوا روضَ هـذا الـهَـوى ... وربْعَ الـتَّـصَـبُّـرِ أمـسَى مُـحـيلا
ولـمَّـا أخـذتمْ بـتـرحـالـكمْ ... أخـذتمْ فـؤاديَ أخـذاً وبـيلا[1]
غَـداةَ اسـتـقـلَّتْ حُـداةُ الـظـعـونِ ... تجـوبُ الـمَـهـامةَ مـيلاً فـمـيلا
فـهلاّ بـعـثـتمْ إلـيـنـا الـنَّـسـيمَ ... فـكـان الـنَّـسـيمُ إلـيـنـا رسـولا
بَـخِـلْـتُمْ بـطـيفٍ يـزورُ الـمُـحِبَّ ... ومـا كـنتُ أعـهـدُ فـيـكمْ بـخـيلا
سـددتمْ سـبـيلَ خـيـالِ الـكـرى ... فـمـا وَجَـدَ الـطـيفُ نـحـوي سَبـيلا
قـفـا يـا خـلـيـليَّ دون (الـغـويـرِ) ... ولا يـتـركنَّ الخـلـيلُ الخَـلـيلا
لِـنَـقْـضِي حـقـوقَ ديـارٍ عَـفَتْ ... ونـبـكي الـديـارَ فَـنَـسْـقي الـطُّـلـولا
وكـانتْ بُـروجـاً لـتـلك الـبـدورِ ... فـيـا لَـيْـتَـهـا لم تُلاقِ الأفـولا
فـيـا دارَنـا لا عَـداكِ الحَـيَـا ... وَجَـرّتْ عـلـيكِ الـغَـوادي ذُيـولا
لـعـيـنـيكِ قـد ذلَّ أختَ الـمَـهـا ... فـهـانَ وكـان عـزيـزاً جـلـيلا
إلـى كمْ أداري وأُرضِـي الـوُشـاةَ ... وأسْـمَعُ في الحبِّ قـالاً وقـيلا
لـقـد لامـني في هـواكِ الـعَـذولُ ... وألـقَى عـلـى الـسَّـمعِ قـولاً ثـقـيلا[2]
فَـضَلَّ الـعـذولُ ضَلالاً بـعـيـداً ... وحـاولَ أمْـراً غَـدا مُـسْـتَـحـيلا
إذا الـمَـرْءُ ضَلَّ سـبـيلَ الـغِـنَى ... فـأنـوارُ (عثـمـان) تـهـدي الـسَّـبـيلا

---

(١) أخذه من قوله تعالى (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلا) سورة المزمل، الآية ١٦.

(٢) أخذه من قوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) سورة المزمل الآية (٥).

إلى بـذلِ نـائـلـهِ الـمُـسـتـفـادِ نـوَمٌّ إلـيه قَـبـيلاً قَـبـيلا

متى أنـكـرتْ فـضـلَهُ الحـاسدونَ أقـامتْ عـلـيه الـمَـعـالي دلـيلا

وإن حَلَّ نـائـلُهُ مـوطـنـاً ينادي الـهنا بـالـعَناءِ الرَّحيلا

سـريعُ الإجـابـةِ سُـؤّالَهُ ومـا زال في كلِّ خـيـرٍ عَـجـولا

نمـا فـرعهُ إذْ زكـا أصْـلُهُ فـطـابَ فـروعـاً وطـابَ أصـولا

وفـيه نَـمَتْ روضـةُ المـكـرمـاتِ ولـم يـرَ عـودُ الأمـاني ذُبـولا

وقـد رفعَ الـفـضلَ بـعـد الخـمـولِ فلا شَـهِـدَ الـفـضلُ فـيه الخُـمـولا

وجَـدَّ فـنـالَ بمـا قـد سَـعَى مَـقـامـاً عـلـيّـاً ومَـجْـداً أثـيلا

ولِمْ لا يـنـالُ الـعُلا مـاجـدٌ يمـدُّ إلى المجـدِ بـاعـاً طـويلا

ولمـا اسْـتَـظّلَ به الخـائـفـونَ رأوه لـذلك ظـلاً ظـلـيلا

أخـو الـبـأسِ يمـنعُ صَـرْفَ الـزَّمانِ ويـعـطي الـمُـقِلَّ عـطـاءً جـزيلا

يُـنـيلُ وإنْ لامَهُ اللائـمـونَ ومَنْ يمـنعُ الـغَـيْثَ أن لا يُـنـيلا

تـعـشَّـقْتُ عُـلْـويَّ فـضلِ الـعـلومِ فـمـا تَـبْـتَـغي بـالمـعـالي بـديلا

لـقـد جـئتَ في مـعـجـزاتِ الـكـمالِ وهـا أنتَ تُـعْـيي بـهنَّ الـفُـحـولا

وحَـيَّـرتَ فـيـهـا فُـهـومَ الـرجـالِ فـأبْـهَتَّ في مـا أتـيتَ الـعُـقـولا

عـزائـمُكَ الـكـاشـفـاتُ الـكـروبَ تـكـادُ الجـبـالُ بـهـا أن تـزولا[1]

ولـلـه من هِـمَـمٍ في عُـلاكَ تـعـيدُ الحُـزونَ سـريـعـاً سُـهـولا

فـلـو رُمْتَ قَـلْـعَ الـرَّواسي بـهـا أعَـدْتَ الـرَّواسي كـثـيـبـاً مَـهـيلا[2]

وأفْـنَتْ يمـيـنُكَ جَـمْعَ الحُـطـامِ لـكي تَـسْـتَـحِقَّ الـثـنـاءَ الجـمـيلا

وأبـقـيتَ في الـدهـر ذكـراً حـمـيداً تـذاكَـرُهُ الـنـاسُ جـيلاً فـجـيلا

بِـخَـطِّكَ صَـيَّـرْتَ طـرفَ الـعُلا كـحـيلاً وخَـدَّ الأمـاني أسـيلا

أتَى بِـقَـوافٍ إلـيك الـعُـبَـيْـدُ تجـولُ بمـدحكَ عـرضـاً وطـولا

أجِـزْني عـلـيـهـا الـرِّضـا بـالـقَـبولِ فـأقـصَى الـمُـنَى أن أنـالَ الـقَـبـولا

---

(١) أخذه من قوله تعالى (.. وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) سورة إبراهيم، الآية (٤٦).

(٢) أخذه من قوله تعالى (.. وكانت الجبال كثيبًا مهيلاً) سورة المزمل الآية (١٤).

(٢٦)

طَـرْفُ يُــراعي الــنَّـجمَ وهْـو مـؤرَّقُ وجَـوىً تـكـادُ به الجَـوانحُ تُـحْـرَقُ[١][٢]

ومعَ الــــذين أودُّهُمْ لي في الـــدُّجى عَـتَبٌ يـرقُّ وعــبـرةٌ تَـتَـرَقْـرَق

إنِّي لأذكـرُهمْ عـلى شـحطِ الـنَّـوى فـتـظلُّ عـيـني بالـمَـدامعِ تَـشْـرَق

يـا سـعـدُ قـد ألفَ الـسُّـهـادَ مُـتَـيَّمٌ دامي الحُـشـاشـةِ مُـسْـتَـهـامٌ شَـيِّق

مــاذا تـقـولُ وكـيفَ ظـنُّكَ بـالـكـرى أيُـراجِعُ الأجــفــانَ وهْــو مــطـلَّق

أمْ هل يـعـودُ لـنـا الـزَّمـانُ بمـا مَـضَى من لَـهْـوِهِ والـعُـودُ غَضٌّ مُـورِق

أيـامَ نـرفلُ بـالـشَّـبـابِ وعـيـشُـنـا في مـا تُـسَـرُّ به الـنُّـفـوسُ مُـنَـمَّق

واهـاً لـعَـيْـشِكَ بـين أكـنـافِ الحِـمَى وأحِـبَّـةٍ بـ (الجَـزْعِ) لم يـتـفـرقـوا

في مــنــزلٍ نـشـأتْ به زهـرُ الـرّبـا وسَقـاه ريـقَتَهُ السَّحـابُ الـمُغْدِق

والـوُرْقُ تـطـربُـنـا بـسَـجْعِ لُـحـونـهـا والــبــانُ يـرقصُ تـارةً ويُـصَـفِّق

أمّــا خَــمــائــلُهُ وأيُّ خــمــائلٍ فـالسُّـندسُ الـمُـخْـضَـرُّ والإسْـتَـبْـرَق

كـشفَ الـربـيـعُ لـنـا مَـخـايلَ وَجْـهِهِ فـيـهـا وطـابَ صَـبـوحُـنـا والـمَـغْبَق

فـريـاضُـنـا زهـرُ الـنُّـجـوم وكـأسُـنـا يـسْـعَى بـهـا سـاقٍ أغَنُّ مُـقَـرْطَق

بــرزتْ بـنُـوّارِ الـشَّـقـيقِ فـلم يـزلْ بـدرُ الـدُّجُـنَّـةِ عـنـدهـا يَـتَـشَـقَّق[٣]

فــكــأنَّ كــأسَ الــراح بــرقٌ لامعٌ وكـأنَّ جـنـحَ الـلـيلِ غـيمٌ مُـطْـبِق

ومُــهَـفْـهَفِ الأعـطـافِ تحـسبُ أنّه قَـمَـرُ بـدُرِيِّ الـنـجـوم مُـمَـنْـطَق

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (المنصوري).

(٣) الشقيق والشقيقة، جمعه شقائق، وهو نبات له زهر أحمر، سمي بذلك على التشبيه بشقيقة البرق لحمرته، وأضيف إلى النعمان بن المنذر، لأنه حمى أرضاً فكثر فيها الشقيق، وسمي شقائق النعمان، والنعمان من أسماء الدم، فسميت هذه الزهرة بحمرة الدم وأضيفت إليه فقالوا: شقائق النعمان، انظر لسان العرب مادة (شقق) وبديع ذلك الجناس في البيت بين الشقيق ويتشقق.

يــرنـــو إلـــيك بمـــقـــلـــةٍ ســـحّـــارةٍ تـهوى ملاحَـتَـهـا الـقـلـوبُ وتـشـفق

أرأيتَ مـــا فــعــلـتْ نــواظــرُ شـــادنٍ لـم يــلـــتــفـتْ لـــدمٍ يُـــطَلُّ ويُـــهْـــرَق

يـــا أيـــهـــا الـــرَّشَـــأُ الـــذي ألْـــحـــاظُهُ تـرمي بـأسْـهُـمـهـا الـقـلـوبَ وتـرشُق

قـــلـــبي أســـيـــرٌ في هـــواكَ مُـــعَـــذَّبٌ فـأنـا الـمُـقَـيَّـدُ في هـواكَ الـمُـطْـلَق

ولـقـد أرَقْتُ لكَ الـدُّمـوعَ بـأسـرهـا شـــوقـــاً فـــمـــا لكَ لا تَـــرِقُّ وتَـــرْفُق

هلاّ رجـــعـــتَ إلى وِصـــالِ مُـــتَـــيَّـمٍ شبَّ الـغـرامُ وشـابَ فـيه الـمَـفْـرِق

فـامـنُنْ عـليَّ بـقـبـلـةٍ تـسـخـو بـهـا كـرمـاً كـمـا يَـتَـصَـدَّقُ الـمُـتَـصَـدِّق

هـيـهـات فـاتتْ بـعـد فـائـتـةِ الـصِّـبـا لـــذَّاتُـــنـــا اللاتي لـــهـــا أتَـــشَـــوَّق

ذهـبـتْ ولم تـذهـبْ عـلـيـهـا حـسـرةٌ في كلِّ يـــومٍ تَـــسْـــتَـــجِّـــدُ وتـــخـــلق

وعَـــفَـتْ مـــنـــازلُ لـــلـــهـــوى ومَـــعـــالمٌ كـــان الـــزَّمـــانُ بـــهـــا عـــلـــيه رَوْنَق

أعِـدِ الحـديثَ عن الـدِّيـارِ وقلْ لـنـا بـأبـيكَ مـا فـعلَ (الحِـمَى) و(الأبـرق)

لا جـــازَ أرضَكِ يـــا مـــنـــازلُ مُـــرْعِـــدٌ من عـــارضٍ يـــسـقي ثـــراكِ ومُـــبْـــرِق

واعـشَـوْشَـبَتْ منكِ الـبـقـاعُ وأيـنـعتْ مـــنكِ الأزاهـــيـــرُ الـــتي تَـــتَـــأنَّق

أنّى تَـــغَـــيَّـــرَتِ الـــبلادُ وأهـــلُـــهـــا وأتى عـلـيـهـا الـدهـرُ وهْـو مُـفَـرِّق

وتَـبَـدَّلَتْ تـلك الـوجـوهُ بـغـيـرهـا غَـرُبَتْ بـدورٌ مـا هُـنـالِكَ تُـشْـرِق

نَـعِـمَ الـذين شـقـيتُ من أدبي بـهم في مـا لـقـيتُ فـمـا نَـعِـمْتُ ولا شَـقُـوا

هـذي هي الـدُّنـيـا كـمـا تَـريـانِـهـا حُـرِمَ الـلـبـيبُ بـهـا وفـازَ الأحـمق

فـصـبـرتُ فـيـهـا والـخـطوبُ مُـتـاحـةٌ لا ضـاجـرٌ مـنـهـا ولا أنـا مُـشْـفِق

حـتَّى رأيتُ الـنـائـبـاتِ تـقـولُ لي عَـجَـبـاً لـصَـبْـرِكَ كـيف لا يـتـمـزق

ومُذِ امْـتَـدَحْتُ (أبا الجـمـيل) فلا يدي صـــفـــرٌ ولا أنـــا من نــداه مُـــمَـــلِّق

حَـمَـلَتْ مَـنـاقِـبَـهُ الـرُّواةُ بـأسـرهـا فـــمـــغـــرِّبٌ بـــثـــنـــائه ومُـــشَـــرِّق

من مُـــبْـــلِغُ الـــشُّـــعـــراءِ عـــنّي أنَّـــني في الجـدِّ شـاعـرُهُ الـمُـجـيـدُ الـمُـفْلِق

وسِـوايَ في الـشُّـعـراءِ عن ممـدوحِهِ راوٍ بمـــثـلِ حَـــديـــثِـهِ لا يـــوثَق

غَرَّدْتُ فيه مُطوَّقاً بجميلِه … إنّ الحَمامَ كما علمتَ مُطَوَّق
أنبأتُ عنه وكنتُ أصدقَ لهجةٍ … ويسرّني أني أقولَ فأصْدُق
نبأً عن المجدِ الأثيلِ ومُنْبِئٌ … تصغي له أُذُنُ الزَّمانِ فيُطرِق
لو بارزَ الليلَ البهيمَ أعانَهُ … من صبحِ غُرّتِه عليه فَيْلَق
يسطو على الأرزاءِ سطوةَ ضَيْغَمٍ … إحدى بَراثِنِهِ السِّنانُ الأزرق
مُتَصَرِّفٌ في البأسِ حيثُ وَجَدْتَهُ … ما زال يَفْتِقُ ما يشاءُ ويَرْتُق
ويروقُ عند لقائهِ وعَطائهِ … غيثٌ يَصُوبُ وبارقٌ يَتَألَّق
فكأنَّما العافونَ منه بروضةٍ … أنهارُها من كفّه تَتَدَفَّق
فانظرْ إلى الأحْرارِ وهْي عبيدُهُ … بالبِرِّ إلاّ أنَّها لا تُعتَق
خلقَ الجميلَ بذاتِه لوُجودِهِ … خَلْقاً وها هو في سِواه تَخَلُّق
كرمٌ على عُسْرِ الزمان ويُسْرِهِ … لا يستقرُّ المالُ حتى يُنْفَق[1]
ولقد كفاني اللّهُ فيه عصابةً … لا أرتجيهمْ أرْعَدوا أم أبْرقُوا
واللهُ يعلمُ أنَّ قَدْرَكَ فوقَهمْ … وعُلاكَ في جَوِّ السَّماءِ مُحَلِّق
يا لابساً بُرْدَ الأبوّة والعُلا … أرَجُ الثناءِ بِطَيِّ بُرْدِكَ يَعْبَق
فَلَكَمْ يضوعُ مَكارماً ومَفاخِراً … يحيا بطيب أريجهِ المُسْتَنْشِق
لم تبصرِ العَيْنانِ مثلكَ لاحِقاً … للأولينَ وسابقاً لا يُلْحَق
أحْيَيْتَ مجداً رَمَّ بعد فنائهِ … فالمجدُ حيٌّ في حَياتِكَ يُرْزَق
تفديكَ ممّا تشتكيه من الأذى … خَلْقٌ وَدِدْتُ لو انَّهمْ لم يُخْلَقوا
وُفِّقتَ للفعل الجميلِ وصُنْعِهِ … إنّ المُوفَّقَ للجميلِ موفَّق
فسعى إلى جَدْواكَ كلُّ مؤمِّلٍ … بابُ المَواهبِ دونَهُ لا يُغْلَق
تُمْلي عليكَ الشُّكْرَ ألسِنةٌ لها … يحلو لها لَفْظٌ ويَعْذُبُ مَنْطِق

(١) حتى هنا لا تنصب الفعل المضارع بعدها لأنه بمنزلة الحال.

(٢٧)

أهــاجَ الجَـوَى بــرقــاً أغــارَ وأنْــجَـدا ... أرَقْتُ عـلـيه الـدمعَ مـثـنىً ومَـوْحِـدا

وبتٌّ وفي قـــلـــبي لـــهــيبٌ كــنــارهِ ... تـضـرّمَ في جـنـح الـدُّجَى وتــوقّـدا

تـذودُ الـكرى عن مُـقْلَـتي عَـبَـراتُـهـا ... فَتَشْرَقُ فيها العينُ والقلبُ في صدى

فــكــيف وكم لي زفــرةٌ بــعــد زفــرةٍ ... تُصيِّرُ منِّي فضَّةَ الـدمعِ عَسْجَدا

أحـاولُ من سـلـمى زيـارةَ طَـيْـفِـهـا ... وأنَّى يـزورُ الـطَّيْفُ جَفْنـاً مُسَـهَّدا

ومـا أطـولَ الـلـيلَ الـذي لم تَـصلْ به ... كـأنْ جَـعَـلتْ لـيلَ الـمُـتَيَّمَ سَـرْمَـدا

إلامَ أداري لــوعَــتي غــيــرَ صــابــرٍ ... وتـمـنَـعُـني يــا وَجْـدُ أنْ أتجـلَّـدا

أمـا آنَ لـلـنَّـارِ الّـتي في جَــوانـحي ... منَ الـوَجْـدِ يومـاً أن تَـقَـرَّ وتَـخْـمُـدا

ولـو كـان غـيـرُ الـوَجْـدِ يـقـدحُ زَنـدهُ ... بـأحْشـايَ من تـذكـارِ ظميـاءَ أصلَـدا

ومــا هــو إلاّ من سَــنــا بــارقٍ بـدا ... أقــامَ له هــذا الــفــؤادَ وأقْــعَــدا

يـذكِّرُني تـبـسـامَ سُـعـدى فـلم أجدْ ... على الـوجْدِ إلاّ مـدمعَ الـعـين مُسْعِدا

وأيــامُــنــا الّلاتي مَــرَرْنَ حــوالــيــاً ... بـعـقد اجتمـاعِ الـشَّملِ حتَّى تَبَدَّدا

ولــلَّه هــاتــيكَ الــمَــواقــيتُ إنّــهــا ... مضتْ طَرَباً فالعمرُ من بعدها سُدى

وردنــا بــهــا مــاءَ الـمـودّة صــافــيــاً ... وكنّـا رَعَـيْـنـا الـعـيشَ إذْ ذاكَ أرْغَدا

شــربـنـا نَـمـيـرَ الماءِ عن ثـغـرِ ألْـعَسٍ ... غَداةَ اجـتـنـيـنـا الـوردَ من خَدِّ أغْيَدا

ومـا كـان عـهـدُ (الخَـيفِ) إلاّ صـبـابـةً ... فـيـا جـاده عـهـدُ الـمَـواطرِ بـالجَدا

وصَـبَّتْ عـلـيه الـغـاديـاتُ ذَنـوبَـهـا[٢] ... وأبــرقَ فــيــهــا حــيثُ شــاءَ وأرْعَـدا

---

(١) هو السيد محمد بن السيد حامد الطباطبائي البصري الشافعي. ولد في البصرة سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م. ونشأ فيها ودرس على علمائها. وقدم بغداد عدة مرات وكان رجلاً وقورًا مهابًا وفي سنة ١٢٤٨هـ نال نقابة الأشراف في البصرة. ثم عزل بعد سنة واحدة وأعيدت إليه النقابة سنة ١٢٥٥هـ. كما عين مفتيًا في البصرة سنة ١٢٦٠هـ. أيام الوالي نجيب باشا وكان فاضلاً أديبًا كريم النفس، طلق اليد، وللشعراء، فيه مدائح كثيرة. توفي ببغداد سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٥٩م. ترجمته في أعيان البصرة ص١٣. وحديقة الورود ج١ الورقة ٢٢ مخطوط.

(٢) الغاديات: السحاب، والذنوب – بفتح الذال: الدلو والسقاء.

وساقَ إلى تلك المنازل بـ (اللِّوى) ... منَ المُزنِ ما ليست تميلُ إلى الحِدا

تُجَعْجِعُ مثلَ الفحلِ هاجَ وكلّما ... أُريعَ بضربِ السَّوْطِ أرغَى وأزبدا

فحيَّا رُسومَ الدارِ وهْي دوارسٌ ... إلى أن تراها العينُ مُخْضَلّةَ النَّدى

على الدَّارِ أنْ تستوقفَ الركبَ ساعةً ... بها وعلى الأحْزانِ أن تَتَجَدَّدا

وليلٍ كأنّ الشُّهْبَ في أُخْرَياتهِ ... تمزقُ جلباباً من الليل أسودا

كأني أرى الآفاقَ في حالك الدُّجَى ... تذرُّ به في مقلةِ النَّجْمِ إثمدا

هصرتُ به غصْناً من البان يانعاً ... وقلتُ لذاتِ الخالِ روحي لكِ الفدا

يلينُ إلى حلوِ الشَّمائلِ جانبي ... على أنّني ما زلت في الخطبِ جَلْمَدا

تُقَلِّدُ أجْيادَ الكرامِ قلائدي ... وتكسو لئيمَ القوم خِزْياً مُؤَبَّدا

وإنّي متى ما شئتُ أنْ أنَلَ الغِنَى ... وأبلغَ آمالي مدحتُ (محمدا)

فتًى من قريشٍ لم تجدْ ما يسرُّهُ ... سوى أنْ تراه باسطاً للنَّدى يَدا

تودّدَ بالحُسْنَى إلى كلِّ آملٍ ... وشأنُ كريم[*] النفس أن يَتَودَّدا

إذا جئتَهُ مسترفداً نيلَ بِرِّهِ ... أنالَ وأولاكَ الجميلَ وأرفدا

فلو أنّني خُيِّرْتُ بالجودِ مَوْرِدًا ... لما اخترتُ إلاّ جودَ كفَّيْهِ موردا

وما كان قَطْرُ المُزنِ يوماً على الظَّما ... بأمْرا نَميراً من نداه وأبردا[1]

وما زال يَسْعَى سَعْيَ آبائه الألى ... مفاتيحُ للجَدْوَى مَصابيحُ للهُدَى

فأضحى بحمدِ الله لمَّا اقْتَدى بهمْ ... لِمَنْ شَمِلَ الدينُ الحنيفيُّ مُقْتَدى

وما كان إلاّ مثل ما صار بَعْدَها ... وما ضَرَّ قَدْرَ العَضْبِ إنْ كان مُغْمَدا[2]

وهَبْ أنَّ هذا البدرَ يحكيه بالسَّنا ... فمن أين يحكيه نِجاراً ومَحْتِدا

تنقّلَ في أوجِ المعالي منازلاً ... وشاهدَ في كلٍّ من الأمْرِ مَشْهَدا

فما اختارَ إلاّ منزلَ العزِّ منزلاً ... ولا اختارَ إلاّ مقعدَ المجدِ مقعدا

له اللهُ مسعود الجناب مؤيداً ... زجرتُ إليه طائرَ اليُمْنِ أسعدا

يساعدني في ما أرومُ بلوغَهُ ... إذا لم يكن لي ساعدُ الدهرِ مُسْعِدا

---

(١) بأمرا: أصلها بأمرأ فخففها. مثل: أهنأ. وهي من (هنيئًا مريئًا).

(٢) العضب: من أسماء السيف.

(*) في الطبعة (١): (كرم) وصوابها من الطراز الأنفس.

وجـرّدتُ مـنه الـمَـشْـرَفِيَّ ولم يـزلْ
على عـاتقِ الأيـامِ عَـضْـبـاً مُـجَـرَّدا

فتى هـاشمٍ قد سادَ[*] بالجـود والندى
فـيـا سـيّداً لا زالَ بـالـفـضل سـيّدا

لكَ الـهِـمَّـةُ الـعـلـيـاءُ في كلِّ مـطـلبٍ
فـلو كنتَ سـيـفاً كنتَ سـيفاً مـهنّدا

أبى الـلّـهُ إلاّ أنْ تُـسَـرَّ بكَ الـعُلا
وتَحْظَى بـهـا حتّى تـغـيظَ بـهـا الـعدا

بـلـغتَ الأمـاني عـارفـاً بـحـقـوقـهـا
فـأرغـمـتَ آنـافـاً وأكْـبَتَّ حُـسَّـدا

وصـيّـرتَـني بـالـرقِّ في مـا أنـلـتَـني
وقـد تـصبحُ الأحـرارُ بـالـفضلِ أعبُدا

فـمـا راحَ من والاكَ إلاّ مُـنَـعَّـمـاً
ولا عـاشَ من عـاداكَ إلاّ مـنـكَّـدا

وهـذا لـسـاني مـطـلـقٌ لكَ بـالـثـنـا
عـلـيكَ وفي نـعـمـاكَ أمـسى مُـقَـيَّدا

يـصـوغُ لك المـدحَ الـذي طـابَ نَـشْـرُهُ
يـخـلّـدُ فـيك الـذكـرَ في من تـخـلّـدا

فـمن ثَمَّ أقلامي إذا مـا ذكـرتُـهـا
تـخـرُّ له في صـفـحـة الطِّرسِ سُجَّدا

مَـنـاقبُ إحـسـانٍ حِـسـانٌ ضَـوامِنٌ
لـعَـلـيـاكَ أنْ تُـثْـني عـلـيك وتحـمـدا

فـدتكَ الأعـادي من كـريمٍ مُـهـذَّبٍ
غِـزارٍ أيـاديه وقلَّ لكَ الـفِـدا

نُـصِـرْتُ عـلى خـصـمي به ولـطـالمـا
خَـذلتُ به خـصـمي علاءً وسـؤددا

وأرغـمتُ أنفَ الحـاسـدين بمـجـده
فلا زالَ في المجدِ العزيزَ الـمُمَجَّدا

(٢٨)

قال يمدح شيخ الإسلام السيد أبا الهدى الصيادي الرفاعي[١] حين زار بغداد سنة

(*) **في الطبعة (١): (ساجد) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.**

(١) الشيخ أبوالهدى محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني ولد في قرية خان شيخون من أعمال المعرة سنة ١٢٦٦هـ. وتعلم في حلب، وولي نقابة الأشراف فيها، ثم انتقل إلى الآستانة، واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني. وتقرب إليه فأحبه السلطان وعظمت منزلته عنده وولاه مشيخة الإسلام. وكان من كبار الثقات عنده، واستمر في منصبه زهاء ثلاثين عامًا، وكان شديد الخصومة لجمال الدين الأفغاني. بسبب اتصال الأفغاني بالماسونية، ولما خلع السلطان عبدالحميد، نفي أبوالهدى إلى جزيرة الأمراء في (رينكيبو) وتوفي فيها سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م. كان أبوالهدى من أشد الناس ذكاء وله اطلاع واسع في العلوم الإسلامية والآداب العربية. وكان مبالغاً في التصوف وصنف كتباً كثيرة منها (ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الإسلام على خمس) مطبوع، و(قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر) مطبوع، و(فرحة الأحباب في أخبار الأربعة الأقطاب) مطبوع، و(تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار) وغيرها.

وله شعر كثير طبع منه ديوانين ومنه قوله: =

بارقُ (الشُامِ) إلى (الكرخِ) سَرَى ... فرَوى عن أهل (نجدٍ) خَبَرا[1]

وبنا هَبَّتْ له بارِقَةٌ ... أضَرمتْ بالريّ منها شَرَرا

وإلى اللهِ فؤادي كلّما اسْـ ... ـتَعَرَتْ نارُ الطُّلولِ اسْتَعَرا

غَنِّ لي يا حاديَ العيسِ ولا ... تهملِ السَّيْرَ فقد طالَ السُّرى

وأعِدْ أخبارَ (نجدٍ) إنّها ... تَجْبُرُ القلبَ إذا ما انكسرا

آهِ كم من ليلةٍ طالتْ – وقد ... ذكروا (نجداً) –وهمٌ قَصَّرا

كيف لا أعشقُ أرضاً أهلُها ... شملتْ ألطافُهمْ كلَّ الورى

قُلْ بهم ما شئتَ واذكرْ فَضْلَهمْ ... إنّ كلَّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرا

كَرُموا أصلاً وطابوا مغرساً ... وَعَلَوْا قَدْراً وجادوا عُنْصُرا

إنْ ترَ منهم فتىً ظَنَّيْتَ في[2] ... ذاته كلَّ الكمالِ انْحَصَرا

قَسَماً بالزُّهرِ من أجدادهمْ ... مَنْ به طابَ ثَرى (أمِّ القُرى)[3]

مدحُهمْ ذخري وديني حبُّهمْ ... يا تُرى هل يقبلوني[*] يا تُرى[4]

يشهدُ اللهُ بأنّي عَبْدُهمْ ... تحتَ بيعٍ إنْ أرادوا وشِرا

وإذا انْجَرَّتْ أحاديثُهُمُ ... لا تسلْ عن مُقْلَتي عَمَّا جَرَى

= هل منقذ لأخي النوي ممـا به ... قطعته أيدي الحظ عن أحبابه

كالظل أضحى قائمًا شبحًا به ... جرم يلجلج في رسيس ثيابه

ما فيه إلا الروح تخبر أنه ... حي ولا رسم بطي نقابه

كمد تلهب ناره ودموعه ... كالغيث لا ينفك وبل سحابه

وقد مدحه كثير من الشعراء والعلماء و ترجمته في تنوير الأبصار – المقدمة – والعقود الجوهرية ص١١ وحلية البشر ١/ ٧٢ – ٩٤ والأعلام ٦/ ٣٢٤ – ٣٢٥ والموسوعة العربية الميسرة ٤٠.

(١) ذكر لي أستاذي الشيخ محمد بهجة الأثري أنه سمع شيخه العلامة محمود شكري الآلوسي يقول: «إن أحمد عزة باشا العمري نظم هذه القصيدة وأضافها إلى ديوان الأخرس ليسهل أمر طبع الديوان وإنها ليست من نظم الأخرس» وكذلك القصيدة رقم (١٤).

(٢) ظنيت: لغة في ظننت.

(٣) أم القرى: مكة المكرمة.

(٤) حذف الشاعر نون الوقاية من (يقبلونني) ومثله في الحديث الشريف «تركت فيكم الثقلين.. فانظروا كيف تخلفوني فيهما..» سيرة ابن كثير ٤/ ٤١٦.

(*) **في الطبعة (١): (يقبلون) وتم التصويب على الطراز الأنفس.**

وهَـبُـوا عَـيْـنِي الـكرى واحَـسْـرَتـا ... ودلالاً أحــرمــوا جَــفْـنِي الــكـرى
وتُــراني حــيــنــمــا قــد نَــفَــروا ... ألِـفَتْ عـيـني الـبُـكـا والـسَّـهَـرا
شَــرَّفُــوا الأرضَ ومن هــذا نــرى ... مــنــهـمُ في كلِّ حيٍّ أثَــرا
كـأبي الـقَـدْرِ الـمُـعَـلَّى والـهـدى ... والـنَّـدى والـعـلـمِ مـرفـوعِ الـذُّرا
بُـضْـعَـةُ الـسّـاداتِ من أهل الـعَـبـا ... كــوكبُ الإشــراق تــاجُ الأُمَــرا
وارثُ الــقُــطْبِ الـرفــاعيّ الـذي[1] ... صـيـتُهُ أمـلَى الـمَلا واشْـتَـهَـرا
عَـلَمُ الأشْـيـاخِ سُـلـطـانُ الحِـمَى ... غـوثُ أهلِ الـشـرقِ شيخُ الـفُـقَـرا
يـا لــهـا والـله من سـلـسـلـةٍ ... كـلَّـمـا طـالتْ نـداهـا انْـحَـدَرا
عـصـبـةٌ من آلِ خـيـر الأنـبـيـا ... عـزَّ من يـغـدو بـهم مُـفْـتَـخِـرا
سيّدي (يا با الـهدى) يا ابنَ الذي[2] ... خـضـعـتْ ذلاً له أُسْـدُ الـشَّـرَى
يـا كـريمَ الـطـبع يـا كـنـزَ الـتُّـقَى ... يـا شـريفَ الـقَـدْرِ أنّى حَـضَـرا
لكَ وجـهٌ لَـمَـعَـتْ من بُـرْجِهِ(*) ... شـمسُ رشـدٍ نـورُهـا لن يـنـكـرا
مـظـهـرٌ أيّـده الـلـهُ وكمْ ... أرجـو مـنه فـوق هـذا مـظـهـرا[3]
لكَ من مـجـدِ (الـرفـاعي) رفـعـةٌ ... تُـرجِعُ الـطـرفَ كـلـيلاً حَـسِـرا
ويَـدٌ روحي فـداهـا من يـدٍ ... تُـخْـجِلُ الـغـيثَ إذا الـغـيثُ جَـرى
ولِـسـانٌ راحَ يـروي قـلـبهُ ... مـا به بـحـرُ الـفـتـوحِ انـفَـجَـرا
لكَ طـرفٌ أحْـمَـديٌّ إنْ رمَى ... نَـبْـلَـةَ الـعـزمِ يـشقُّ الحَـجَـرا
لكَ صـدرٌ طـاهـرٌ من دَنَسٍ ... عن مـيـاه الحـقـدِ طـبـعـاً صَـدَرا
بـأبـيك (ابنَ الـرفـاعيَّ) وبـالْـ ... أوصِـيـا نِـعْمَ الجُـدودُ الـكُـبَـرا
لا تَـرى من حـاسـدٍ إنـكـارَهُ ... مـثلُ هـذا عن أبـيـكم ذُكِـرا
وآسْـلَمِ الـدهـرَ رفـيـعـاً سـيّداً ... مـرشـداً لم تـلقَ يـومـاً كَـدَرا
واقْـبَلِ الـعـبدَ مُـحِـبّاً خـالصَ الـ ... ـقـلب لا زالَ بـكمْ مُـفْـتَـخِـرا

---

(١) هو السيد أحمد الرفاعي وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٤).

(٢) أصلها: يا أبا الهدى.

(٣) أخذه من قول النابغة الجعدي: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وإنا لنرجـــو فوق ذلك مظهرا

انظر أسد الغابة ٥/ ٣.

(*) في الطبعة (١): (وجه) والتصويب من الطراز الأنفس.

(٢٩)

وقال يمدح العلامة عبدالغني آل جميل[١] [ويهنيه بعيد الفطر وهي من الكامل]:

هاجَ الغرامُ[*] وهيَّجا بلبالي ... برقٌ يمانيٌّ وريحُ شمال[٢]

وتَرنُّمُ الورقاءِ في أفنانِها ... ما زادَ هذا الصبَّ غيرَ خَبال

وأَشيمُ من برقِ (الغُوَيْرِ) لوامعاً ... فإخاله تبسامَ ذات الخال

زعمَ المفنِّدُ أنْ سلوتُ غرامَها ... زوراً وما خطر السُّلُوُّ ببالي

ما بالُ أحداق المَها من يعربٍ ... فتكتْ بغير صوارمٍ ونِصال

يَرْمِينَ في المُهجِ الهَوى فتظنُّها ... ترمي القلوبَ بنافذاتِ نِبال

هيفٌ من الغيدِ الحسانِ سَوانحٌ ... أحداقُهُنَّ مصارعُ الأقيال

هل أنتِ عالمةٌ بما يخفي الجَوَى ... من كلِّ داءٍ يا أمَيْمَ عُضال

لله ما فعلَ الغرامُ بأهلهِ ... والحبُّ في أهليه ذو أفعال

ولقد أقولُ لأبلجٍ لا أهْتَدي ... إلاّ بصبح جَبينِه لِضَلال

أبلَى هواكَ حُشاشتي وأذابَها ... لولاكَ ما أصبحتُ بالي البال

بالله يا مؤذي الفؤادِ بلوْمِهِ ... جَدَّ الغرامُ فلا تمَلْ لِجِدالي

حَمَّلْتَني ما لا أطيقُ وإنّما ... حُمّلتُ أثقالاً على أثقالي

كيف احْتِيالُك في سُلُوِّ مُتَيَّمٍ ... أعْيَتْ عليه حيلةُ المُحْتال

إنّي أحِنُّ إلى مَراشِفِ ألْعَسٍ ... تغني مَذاقَتُها عن الجِريال[٣]

ويشوقُني زمنٌ غَصَبْتُ سُرورَهُ ... رغماً على الأنكاد والأنكال

أيامَ نتّخذُ المَسَرَّةَ مَغْنَماً ... فنبيتُ نرفلُ في برودِ وِصال

ومليكةُ الأفراحِ تبرزُ بينَنا ... قد كُلِّلَتْ تيجانُها بلآل

يسعَى بها أحْوَى أغنُّ مُهَفْهَفٌ ... فترى الغزالةَ في يمينِ غَزال[٤]

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (الماهوري).

(٣) الجريال: من أسماء الخمر.

(٤) الغزالة: الشمس ويشبه بها الكأس.

(*) في الطبعة (١): (القرام) والتصويب من الطراز الأنفس.

ويحضُّنا داعي السُّرورِ على طِلاً ... زُفَّتْ على النُّدمان بالأرطال

ألهو فَيُطْرِبُ مسمعي من غادةٍ ... نَغَمُ الحُليِّ ورنَّةُ الخِلْخال

وألذُّ ما يلقَى الخليعُ سُوَيْعَةٌ ... خَفِيَتْ عنِ الرُّقَباء والعُذّال

أيامُها مرّتْ ولا ندري بها ... فكأنّها مَرّتْ مُرورَ خَيال

أين الأحِبّةُ بعد أسْنِمَة (اللّوى) ... قد حالَ من بعد الأحِبّةِ حالي

سارتْ ظعونهمُ وما أدّتْ لنا ... حَقّاً على الإزماعِ والتّرحال

أقمارُ أفلاكِ الجمالِ تَغَيَّبَتْ ... بعدَ الطّلوعِ على حُدوجِ جِمال

ما كنتُ أدري لا دريتُ بأنه ... هولُ الوداعِ نِهايةُ الأهوال

وجَهِلْتُ يا لمياءُ قتلَ ذوي الهوى ... حتّى بُليتُ بحبّكِ القَتّال

سُكّانَ (وَجْرَةَ) و (العُذَيْبِ) و (بارقٍ)[1] ... تحريمُكمْ للوَصْلِ غيرُ حَلال

أنتمْ أسَرْتمْ قلبَ كلِّ متَيَّمٍ ... بلحاظِ أحْوَى مائلٍ لِمَلال

أوَ تُطلقون من الإسارِ عصابةً ... غلّتهُمُ الأشواقُ في أغلال

ما جرّدتْ فينا صوارمُها النَّوى ... إلاّ لقطع حِبالِهمْ وحِبالي

أسفي على عمرٍ تَقَضَّى شطرُهُ ... في خيبةِ المَسْعَى إلى الآمال

وبناتِ[*] أفكارٍ لنا عربيةٍ ... رَخُصَتْ لدى الأعجام وهْي غَوالي

يا هذه أين الذين عَهِدْتُهُمْ ... آسادَ مُعْتَرَكٍ وغَيْثَ نَوال

عَجَباً لمثلي أنْ يقيمَ بموطنٍ[**] ... مُتَشابهِ الأشرافِ بالأنذال

تَقْذَى نَواظِرُهُ بأوْجُهِ مَعْشَرٍ ... لا يعثرونَ بصالح الأعمال

وَلِعَتْ بهم أيّامُهُمْ من دوننا ... ما أولعَ الأيامَ بالجُهّال

لولا خبالُ الدهرِ ما نالَ الغِنَى[***] ... في الناس ذو بَلهٍ به وخَبال

همُ كالبُحورِ الزاخراتِ وإنّني ... لم أنتَفِعْ من وِردِهِمْ ببِلال

---

(١) وجرة: منزل بين البصرة ومكة المكرمة. وهي سرة نجد، قرب ذات عراق من بلاد سليم، وهي من مواقيت الإحرام لحجاج العراق. انظر معجم البلدان ٥/ ٣٦٢ والعذيب وبارق موضعان مر التعريف بهما.

(*) في الطبعة (١): (ونبات) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بمواطن) وهو خطأ طباعي، وصوبت على الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الفنى) وهو خطأ طباعي، وصوبت على الطراز الأنفس.

ذهبَ المُلوكُ الباذلاتُ أكُفُّهمْ — بذلَ الغَمامِ بِعارضٍ هَطّال
حتّى عَفَتْ أطلالُ كلِّ فضيلةٍ — فَلْيَبْكِ من يبكي على الأطلال
وأرى النقيصَةَ شأنَ كلِّ مُبَجَّلٍ — فكمالُ فضلِ المرءِ غيرُ كمال
وكأنّما الأيامُ آلتْ حَلْفَةً — أنْ لا أرى في الدهر غيرَ نَكال
وأنا الذي حَلَّيْتُ أجيادَ العُلا — بعقودِ ألفاظي ودُرِّ مَقالي
إن كنتَ من حُلَلِ الفضائل ناسجاً — أبْرادَها فانسجْ على منوالي
ما فضلُ أبناء الزمان فضيلتي — كلاًّ ولا أمثالُهمْ أمثالي
إنّا لنسْمَعُ بالكرام فأينَ همْ — هيهات ما همْ غيرُ لَمْعِ الآلِ[1]
لولا وجودُ (ابنِ الجميل) وجُودِهِ — قلتُ الزمانُ من الأكارم خالي
قَرْمٌ لراحته وشدّة عزمهِ — جودُ السَّحابِ وصَوْلَةُ الرئبال
يعطي ولم يسألْ نَداهُ وهكذا — يعطي الكريمُ ولو بغيرِ سُؤال
وأحقُّ خَلْقِ الله بالمدح امْرؤٌ — كَثُرَتْ عطاياه منَ الإقلال
خَوّاضُ ملحمةِ الأمورِ بهمّةٍ — جالتْ سَوابقُها بكلِّ مَجال
ضُرِبَتْ به الأمثالُ في عزماتها — حتى غدا مثلاً منَ الأمثال
لا زال يُطلِعُ في سَماواتِ العُلا — أقمارَ مجدٍ أو نجومَ خِلال
خُلُقٌ يمازجُهُ النَّدى فكلاهما — كالراحِ مازَجَها نَمير(*) زلال
يَفْتَرُّ عن وَبْلِ المَكارمِ مثلَما — يَفْتَرُّ عن وطفاءَ برقُ الخال
وعنِ المُروءةِ وهْي شيمةُ ذاتِهِ — ما حالَ عند تقلُّبِ الأحوال
يحمي النزيلَ بنفسه وبمالِهِ — يسخو بها كسخائه بالمال
والخوفُ يومَ الطعنِ من وَشْكِ الردى — كالخوفِ يوم البذلِ من إقلال
إنّ الشّجاعَةَ والسّماحةَ حلّتا — منه بأفضلِ سيِّدٍ مِفْضال(**)
يرتاحُ للمعروف إذْ هو أهلُهُ — فَيَهَشُّ للإنعامِ والإفْضال
مثلَ الجبالِ الراسياتِ حُلومُهُ — أمِنَ الأنامُ به من الزلزال

(١) الآل: السراب.

(*) في الطبعة (١): (غير) وصوبت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (مفصال) وهو خطأ طباعي.

عَوِّلْ عليه في الشدائد كلّها ... واسألْ فَثَمَّ مَحَلُّ كلِّ سؤال
حيثُ المَحاسنُ قُسّمتْ أشطارُها ... فيه على الأقوالِ والأفعال
ومُهَذّبٍ سَبَقَ المَقالَ بفعلِه ... حيثُ الفعالُ نتيجةُ الأقوال
ولطالما وَعَدَ العُفاةَ فبادرتْ ... يُمناه بالحُسْنَى(*) على استعجال
ويمدّها بيضاءَ يهطلُ وبْلُها ... ويسيلُ شاملُ بِرِّها السَّيّال
يعطي ولا مَنٌّ ويجزي بالذي ... هو أهلُهُ ويُنيلُ كلَّ مَنال
سامٍ إذا ما قِستَ فيه غيرَهُ ... قِسْتَ الهضابَ بشامخاتِ جِبال
قَيْلٌ تَعاظمَ كالرَّواسي شأنُهُ ... وكذلك شأنُ السّادةِ الأقْيال
عَزَّتْ أبوَّتُهُ وجَلَّ فنفْسُهُ ... في العِزِّ ذاتُ أبوّةٍ وجَلال
يَمِّمْ ذُرا (عبد الغنيّ) فإنّه ... لَمُناخُ مَجْدٍ أو مَحَطُّ رِحال
(آلُ الجميل) وأهلُه ومَحَلُّهُ ... سادوا البَريةَ في جميلِ خِصال
الصّائنونَ منَ الخطوب نَزيلَهُمْ ... والباذلونَ نفايسَ الأموال
فَغَلَتْ نفوسُهمُ ببذلِ مَكارمٍ ... للوَفْدِ تُرخِصُ كلَّ شيءٍ غال
فترَى على طولِ المَدَى أيامَهُمْ ... يَوْمَين: يومَ نَدًى ويومَ نِزال
يا مَنْ سَرَتْ عنه سِباقُ مَحامِدٍ ... تَجْتابُ بين دكادكٍ ورمال
فسَرَتْ كما تَسْري نَسايمُها الصّبا ... عَبَقَتْ بطيبِ نَوافجٍ وغَوالي
عن روضةٍ غنَّاءَ باكَرَها الحَيَا ... فَزَهَتْ بقطرِ الصَّيِّبِ المُنْهال
ولقد قَرُبْتَ من المعالي قُرْبَكَ الدْ ... داني منَ العافينَ بالإيصال
فَبَعُدْتَ عن قُرْبِ الدّنيّةِ في الدُّنَا ... بُعْدَ المكارمِ من يَدِ الأرذال
وترفَّعَتْ بكَ شيمةٌ علويّةٌ ... لم تَرْضَ إلاّ بالمَحلِّ العالي
سبقَ الكرامَ الأوّلينَ.. فقَوْلُنا ... سَبَقَ الألى هذا المُجَلِّي التّالي
ممَّنْ يَذِلُّ لديه صَعْبُ خُطوبِها ... بأساً ويُبْطِلُ غيلةَ المُغْتال
فكأنَّ حِدَّةَ عَزْمِه صَمْصامُهُ الـ ... ـماضي وفَيْصَلُ عَضْبِه الفَصّال
طَلاّبُ شَأوِ الفخرِ ما بينَ الوَرى ... في المجد بين صوارمٍ وعَوالي

(*) في الطبعة (١): (الحسنى) وصوابها من الطراز الأنفس.

والمجدُ يُطْلَبُ في شَفيرِ مُهَنَّدٍ ماضي الغِرارِ وأسمرٍ عَسّال
والفخرُ في فضل الفَتَى وكمالهِ والعزُّ صهوةُ أشْقَرٍ صَهّال
لكَ منطقٌ يشفي القلوبَ كأنّه بُرءٌ من الأسْقَام والإعلال
ومَناقِبٌ كَسَتِ القَوافي بُرْدَةً في الحُسْنِ ترفُلُ أيَّما إرفال
أضحى يغرّدُ فيك مطرِبُ مَدْحِها لا بـ (العقيق) ولا بـ (ذات الضّال)
فاقْبَلْ منَ الداعي قصيدةَ شعرهِ لأعُدَّها من جُمْلَةِ الإقبال
فعليكَ يا فَخْرَ الوجودِ مُعَوّلي وإليكَ من دونِ الأنامِ مَآلي
لولا عَلاقَتُنا بمدحكَ سيّدي لَتَعَلّقَتْ آمالُنا بمُحال
فاغنمْ إذًا أجْرَ الصِّيام ولم تزلْ تَهْنَا بِعَوْدِ(*) العيد من شَوّال

(٣٠)

إذا المجدُ شادتْهُ القَنا والصَّوارمُ وقامتْ به بالمكرمات دعائمُ
فثَمَّ المعالي والرياسةُ والعُلا نوالٌ وإقدامٌ ورمحٌ وصارم

(*) في الطبعة (١): (بِعَوْرِ) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(١) هو الشيخ ناصر باشا بن راشد بن تامر السعدون. ثار على الوالي نامق باشا الكبير سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م فعزله الوالي وعين مكانه الشيخ فهد بن علي السعدون والد السيد عبدالمحسن السعدون، ثم ولي المشيخة ثانية سنة ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، برتبة ميرميران وقربه مدحت باشا، وهو الذي أسس مدينة الناصرية وسميت باسمه سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م وعين متصرفًا فيها سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م وفي سنة ١٢٨٨هـ ساهم في إخماد ثورة الأحساء مع الفريق نافذ باشا، وفي سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م عين واليًا على البصرة وقد فصلت عن بغداد وألحق بها متصرفية نجد، وفي سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٥م أخمد ثورة الأحساء، وعين ابنه (مزيد) متصرفًا في الأحساء، كما عين ابنه الثاني (فالح باشا) متصرفًا في الناصرية. وكان ناصر باشا متعاونًا مع الولاة وقد عين عضوًا في مجلس شورى الدولة في الآستانة وقد نال عدة أوسمة من السلاطين. وقضى أيامه الأخيرة في الآستانة وتوفي فيها في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م ودفن بجوار الصحابي أبي أيوب الأنصاري. ترجمته في التحفة النبهانية ١٠/ ١٠٣ و١٦٩ وفيه وفاته سنة ١٣٠١هـ وتحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٧٠ ومختصر تاريخ البصرة ١٥٤ ومباحث عراقية ق١/ ٧٦ وق٢/ ٢٥٧ والأعلام ٨/ ٣١٠ وشعراء الغري ٢/ ١٩ – ٢٠ وتاريخ السعدون ٥٠ – ٥٧.

وليس يسَودُ المرءُ إلاّ بنفسه   وإن نَجُبَتْ فيه أصولٌ أكارم
ولا حُرَّ إلاّ والزمانُ كما أرى   يُحاربُهُ طوراً وطوراً يُسالم
شديدٌ على الأيام يقسو إذا قَسَتْ   وإنْ عَبَسَتْ أيّامُهُ فهْو باسم
أخو الحزمِ يقظانُ البصيرةِ لم تَنَمْ   له أعينٌ والجاهلُ الغَمْرُ نائم
ذَرِ اللومَ إنّي بالمعالي مُتَيّمٌ   وإنْ لامني فيها على الحبِّ لائم
تركتُ الهَوى بعد المَشيبِ لأهله   وراجَعَني حلمٌ لسلمى يُصارم
وما أنسَ لا أنسَى زماناً قَضَيْتُهُ   وعودُ الصِّبا ريّانُ والعيشُ ناعم
أشيمُ به بَرق الثنايا وأصْطَلي   سَنا نارِ كأسٍ والحبيبُ مُلائم
طَروقاً إلى من كنتُ أهوى بليلةٍ   كأنّ دُجاها عارضٌ مُتَراكم
بحيثُ المَواضي والأسنّةُ شُرَّعٌ   ومَوْجُ المنايا حَولَهُ مُتَلاطم
إذا زأرَ الليثُ الهِزَبْرُ بحَيِّهِ   يُجاوبُهُ ريمٌ منَ السِّربِ باغم
واسْمَرُ نَفّاثُ المَنونِ سِنانُهُ   كما نفثَ السمَّ الزُّعافَ الأراقم
يُسامِرُني إذْ لا سميرَ اعْتَقلْتُهُ   وجُنْحُ الدُّجَى في مُهْلِكِ البيدِ فاحم
وعانقَني ما نمْتُ عَضْبٌ مُهَنَّدٌ   من البيضِ لا البيضُ الحِسانُ النَّواعم
ولي من رياضِ القَوْلِ كلُّ حديقةٍ   زها ناظمٌ فيها وأعْجَبَ ناظم
سَقَتْها يدٌ من (ناصرٍ) فَتَفَتَّحَتْ   بنُوّارِ أزهارِ الكلامِ كَمائم
تُتَرجِمُ عن إحسانه وجميله   فيا حُسْنَ ما أبدتهُ تلك التَّراجم
بِمُتَّخِذٍ زُرْقَ الأسنّة سُلّماً   إلى المجدِ والسُّمْرَ(*) العَوالي سَلالم
من العالَمِ العُلْويِّ نفساً وهِمَّةً   رفيعِ المباني والأنامُ دعائم
رُزقْتَ منَ النَّعماءِ أرفعَ سؤدَدٍ   منَ العزِّ ما تنحطُّ عنها النّعائم
فأرغَمْتَ آنافاً وأكْبَتَّ حُسَّداً   لأنفِ الأعادي حَدُّ سَيْفِكَ راغم
(أبا فالحٍ) سُدْتَ الأُمورَ بحكمةٍ   وأنت خبيرٌ بالسِّياسَةِ عالم
ورأيٍ يُريكَ الأمْرَ قبلَ وقوعه   فما ريعَ ذو لُبٍّ منَ الأمْرِ حازم
أمُسْتَعْصَمَ المَلهوفِ ممّا ينوبهُ   لكَ اللهُ من شَرِّ النَّوائبِ عاصم

(*) في الطبعة (١): (والسحر) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

وتَــرعــاكَ من عـــين الإلهِ عــنــايــةٌ ... تُـصــاحِبُ مَنْ صــاحَـبْـتَهُ وتُـســالم

فــمَنْ نــالَهُ مــنكَ الــرِّضــا هــو رابحٌ ... ومن فـاتَهُ مـنكَ الـرضـا فـهْـو نـادم

رَفَـعْتَ مَـنـارَ المجدِ فـيـهـا وحَلّـقتْ ... خَـــوافٍ إلى جَـــوِّ الـــعُلا وقَـــوادِمِ

إلـيكَ انْـتَـهى الـفعلُ الجـميلُ بـأسرهِ ... ومـــا تَــنْــتَــهي إلاّ إلــيكَ المــكــارم

مَـكـارمُ تـرتـاحُ الـنُّـفـوسُ لـذكـرهـا ... وفـيـها الـغِنَى يُرْجَى ومنـها الـغنائم

غـيـاثٌ وغـوثٌ كـلَّـمـا انْـهَلَّ سـاجمٌ ... تـــتــابَعَ في آثــارهـــا مـــنكَ ســـاجم

يُـمَـيِّـزُكَ الإقْـدامُ والــبـأسُ والـنّـدى ... وما تَسْتَوي أُسْدُ الشَّرى والبهائم

ومــا قَـعَـدَتْ عـمّــا أمَـرْتَ قـبـيـلـةٌ ... وأنتَ عـلـيــهـا بـالــمُـهَـنَّـدِ قـائم

وإنَّكَ لـــو دمَّـــرْتَ قـــومـــاً بــذنــبــهمْ ... فـــإنكَ مـــأمــــورٌ ومـــــا أنتَ آثم

لـقـد أعْـرَبَتْ عـنك الـصَّـوارمُ والـقَـنـا ... وقـد أفْـصَـحَتْ شُـكْـراً وهنَّ أعـاجم

وقد تَرْجَمَتْ عن طول باعِكَ في الوغَى ... وشـاعَتْ وذاعَتْ عـنكَ تـلك الـتَّـراجم

فـــيــا لكَ من يَــشْــقَى لــديه عَــدُوُّهُ ... لكَ الـسَّـعْـدُ والإقـبـالُ عـبدٌ وخـادم

وكم لكَ مــا بــين الخـمـيـســين وقـفـةٌ ... وقد أحْجَمَتْ عنها الأسودُ الضَّراغم

وَرَدْتَ الــمَـنـايـا والـسُّـيـوفُ مَـنـاهِلٌ ... ومـــا لكَ في ذاكَ الـــوُرودِ مُـــزاحِمِ

تـركتَ بــهـا الـقَـتْـلَى تـمجُّ دمـاؤهـا ... ولـــلــطَّــيْــرِ مــنــهــا والــوحـوشِ ولائم

فـللأرضِ من تــلكَ الـدِّمــاءِ مَـشــاربٌ ... ولــلــوحشِ من تـلك الـلـحـومِ مَطاعم

بَـطَـشْتَ بمن يَـبْـغي عـلـيك بـكـيدهِ ... وأنتَ رؤوفٌ بــــالـــرعـــيَّــــةِ راحم

وأبْـقَـيْتَ دارَ الــمُـفـسـدين بلاقـعـاً ... خلا عــالمٍ مــنــهــا وأقْـوَتْ مَـعــالم

وأنْصَـفْتَ بـين الـنـاسِ بـالحـكم عـادلاً ... فلا ثَمَّ مــــظـــلـــومٌ ولا ثمَّ ظـــالم

يُــمَـدُّ عــلـــيــهـــا مــنكَ ظلٌّ مُـظـلِّلٌ ... إذا لَـفَـحَـتْـهـا بـالخُـطـوبِ سَـمـايم

أعَـدْتَ شَـبـابَ الـدهـرِ بَـعْـدَ مَـشـيـبهِ ... فـعـادَ عـلـيـنـا عَـهْـدُهُ الـمُـتَـقـادم

(١) هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي، من كبار العرب قبل الإسلام. وكان يضرب به المثل في الكرم وحسن الجواب. تقول العرب «أجود من كعب بن مامة». وهو صاحب القصة المشهورة في الإيثار – «إسق أخاك النمري» قال أبوعبيدة: أجواد العرب ثلاثة كعب بن مامة وحاتم طيء وهرم بن سنان. انظر مجمع الأمثال للميداني ١/ ١٠٩ و١٢٣ والأعلام ٦/ ٨٦. وأبوعدي حاتم بن عبدالله الطائي من ملوك طيء قبل الإسلام، كان شاعرًا جوادًا ولد في نجد وتوفي سنة ٥٧٨م ودفن في جبل عوارض، وكان من فرسان العرب المشهورين ومن كرمائهم البارزين، شريف الأخلاق يضرب المثل بجوده، وله ديوان شعر مطبوع وأخباره كثيرة. انظر الموسوعة العربية ٦٨٤ والأعلام ٢/ ١٥١ وفيه مصادر أخرى.

لئن ذكروا في الجودِ (كعباً) و(حاتماً) ... فأنتَ لهذا العَصْرِ كعبٌ وحاتم[1]

وما بَرِحَتْ تَنْهَلُّ جوداً ونائلاً ... يمَينُك لا ما تَسْتَهِلُّ الغَمائم

ولله منها عارضٌ سَحَّ مُمْطِراً ... دنانيرُها من قَطْرِها والدّراهم

تطوّقني نعماكَ تَتْرَى بمثلها ... بأحسن ممّا طوقَتْهُ الحَمائم

وكم لي بكم يا (آلَ سعدون) مدحةٌ ... من القَوْلِ يَسْتَوفي بها الشُّكْرَ ناظم

إذا أُنْشِدَتْ سَرَّتْ نفوساً وطأطأتْ ... رؤوساً ومالتْ من رجالٍ عَمائم

وإنّي بكم يا (آل سعدون) شاعرٌ ... وها أنا في وادي ثنائكَ هائم

بطلعَتِكَ الغَرّاءِ موسمُ ثروتي ... ولي منكَ في نيلِ الثّراءِ مَواسم

(٣١)

وقال يمدح الوالي مدحت باشا[1] حين قدم البصرة متوجهًا إلى الأحساء ونجد

سَعِدتْ (نجدٌ) إذا وافَيْتَ (نَجْدا) ... بقدومٍ منكَ إقبالاً وسَعْدا

وإذا أصبحتَ في (أحسائها) ... قِيلَ للشرِّ عن (الأحساءِ) بُعْدا

---

(١) هو أحمد مدحت باشا بن الحاج حافظ محمد أشرف. ولد في استانبول في صفر ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م ونشأ فيها وتنقل مع أبيه وكان أبوه قاضيًا شرعيًا وعين في شبابه كاتبًا، ثم خدم في دمشق واستانبول وقونية وتدرج في الوظائف ونال المناصب العالية في البلقان وبورصة، وتجول في أوروبا مدة، وتأثر بالحياة الأوروبية واقتبس بعض الخطط في الزراعة والصناعة. وعين واليًا على العراق سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م وأنشأ في بغداد جريدة الزوراء ومطبعة الولاية وشركة الترامواي بين الكاظمية وبغداد. وأنشأ مدينة الناصرية وعين ناصر باشا السعدون متصرفًا فيها. ومدينة الرمادي، وبنى سراي بغداد وأنشأ فيها مدرسة الصنائع ودوائر تسجيل العقار (الطابو) ونقل من بغداد سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م حيث عين صدرًا أعظم، وكان من دعاة الدستور وأسس جمعية الاتحاد والترقي التي استغلها أعداء الدولة العثمانية من الصهاينة والماسونيين وعملاء الشرق والغرب. وكان مدحت باشا ذا صلة متينة باليهود في الأقطار التي عمل فيها.. ونفاه السلطان عبدالحميد إلى الطائف في الحجاز وقتل هناك في ١٨ رجب سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م. ترجمته في تحفة الألباء في تاريخ الأحساء ص٦١ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٥٨ – ٣٦٠ وديوان السيد حيدر الحلي ٢/ ٣٩ – ٤٠ وشعراء الحلة ٤/ ٥٦ – ٥٧ وغيرها.

أقبلَ الخيرُ عليها كلُّه ... مُنْجِزاً فيكَ بلطفِ الله وَعْدا
وأرادَ اللهُ أنْ يَعْصِمَها ... من شِرارٍ كادتِ الأخْيارَ كَيْدا
كان كالضَّائعِ مُلْكاً هَمَلاً ... فاستردَّ المُلْكَ أهلوه فَرُدّا
إذْ تَصَدَّيْتَ لأمْرٍ لم نَجِدْ ... قبلَ علياكَ له من يَتَصَدَّى
مُنْجِداً مُسْتَنْجِداً أنقذتَهُ ... بفريقٍ صالحٍ سار مُجِدّا
ورجالٍ أنتَ قد أعددتَهمْ ... يومَ تلقَى الأُسْدُ في الهيجاءِ أُسْدا
كلُّ مقدامٍ إلى الحرب يرى ... شكرَ نعمائكَ فرضاً أن يؤدَى
كاللواءِ المُقْدِمِ الشَّهْمِ الذي ... كان في الهيجاء لا يألوكَ جهدا[1]
و (فَريقٌ) نَفَذَتْ أحكامُهُ ... بالذي تأمُرُهُ حَلاً وعَقْدا[2]
و (السَّعيدُ) السّيّدُ الشّهمُ الذي ... كان من أسعدِ خلقِ اللهِ جَدّا[3]
إنّما التوفيقُ والإسعادُ ما ... بَرِحا سيفاً لعلياك وزندا[4]
جَرّبوا الأيامَ سخطاً ورضاً ... وبَلَوْا أهوالَها شِيباً ومُرْدا
بذلوا أنفسَهُمْ في خدمةٍ ... أورثتْهمْ بعدَها عِزّاً ومَجْدا
بعقولٍ لم تزلْ مُشْرِقَةً ... وسيوفٍ تحصدُ الأعمارَ حَصْدا
فَعَلَتْ آراؤهمْ ما لو جَرَى ... مَعَها العَضْبُ اليمانيُّ لأكدى
عاملوا باللطفِ منهمْ أمّةً ... لم تَجِدْ من طاعةِ السلطانِ بُدّا
جَلَبَتْ طايعَهمْ عن رغبةٍ ... حين أقصتْ من أبَى الطاعَةَ طردا
صدقوا اللهَ على ما عاهدوا ... إنّهمْ لم ينقضوا في الله عَهْدا[5]
شَمَلَتْهمْ منك باستخدامهمْ ... أنعُمٌ تَتْرُكُ حُرَّ القومِ عبدا
ولَعَمْري ليس بالمَغْبونِ من ... يشتري منكَ الرضا بالرُّوحِ نَقْدا
لِمَزايا خَصّكَ اللهُ بها ... أكثرَ الناسُ لها شُكراً وحَمْدا

---

(١) في الأصول: لم يألوك – كذا – وفي نسخة ب (كسليمان ومنصور وفي ..).

(٢) هو الفريق نافذ باشا متصرف البصرة وستأتي ترجمته.

(٣) هو السيد محمد سعيد نقيب البصرة وستأتي ترجمته.

(٤) هو أحمد توفيق باشا وستأتي ترجمته.

(٥) أخذه من قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..) سورة الأحزاب الآية (٢٣).

يا مُشيراً، بالذي يرشِدُنا ... إنّما أنتَ بطرْقِ الرُّشْدِ أهْدَى

كلُّ ما جِئتَ به مُبْتَكرٌ ... من عُمومِ النفع فِعْلاً يَتَعَدّى

فاركبِ البَحْرَ وخُضْ لُجَّتَهُ ... يا شَبيهَ البحرِ يومَ الجودِ مَدّا

وانظرِ المُلكَ الذي استَنْقَذْتَهُ ... واجْرِ تَرتيبَكَ فيه مُسْتَبِدّا[1]

يَتَلَقّاكَ بأعلَى هِمَّةٍ ... فتُحَيّا بالتَّهاني وتُفَدّى

قد أقَرَّتْ واسْتَقَرَّتْ عندما ... زَجَرَتْ طائرَكَ المَيمونَ سَعْدا

أصبَحَتْ في عيشةٍ راضيةٍ ... وبأيامك نلقَى العيشَ رَغْدا

يَسَّرَ اللهُ لكَ الأمْرَ كما ... يَنْبَغي لُطْفاً وإحساناً وقَصْدا

لا دمٌ سالَ ولا دمعٌ جَرَى ... وكَفاها ربُّكَ الخَصْمَ الألَدّا

يَهْنكَ السَّيفُ الذي أُهْدِيَ من ... مَلِكٍ أهداه إنعاماً وأسْدَى[2]

لستُ أدري سيّدي أيُّكما ... هو أمضَى إذْ يكونُ الرَّوْعُ حَدّا

كلَّما جَرَّدْتَهُ من غِمْدِهِ ... كان برقاً في أياديكَ ورَعْدا

وإذا أغْمَدْتَهُ كان له ... هامُ من يعصيكَ في الهيجاءِ غِمْدا

دُمْتَ للدَّولةِ عَيْناً ويَداً ... والحُسامَ العَضْبَ والركنَ الأشَدّا

دولةٌ قد أُيِّدَتْ واتَّخَذَتْ ... من جُنودِ الله أنصاراً وجُنْدا

ويميناً إنّها إن صَدَمَتْ ... جَبَلاً بالبَأسِ منها خَرّ هَدّا

أو أتَتْ نارَ عدوٍّ أوقَدَتْ ... لأَحالتْ حَرَّ تلك النارِ بَرْدا

يا لكَ اللهُ هُماماً بالذي ... يَدْحَضُ الغيَّ وما جانبَ رُشْدا

---

(١) إشارة إلى الحملة التي وجهها مدحت باشا على الأحساء ونجد وإلحاقها بالدولة العثمانية سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م وكان ضمن الحملة ناصر باشا السعدون والسيد محمد سعيد نقيب الأشراف في البصرة واشتركت الكويت فيها أيضا مع مدحت باشا بقيادة الشيخ عبدالله الصباح.

(٢) إشارة إلى السيف المرصع الذي أهداه السلطان إلى مدحت باشا لنجاحه في هذه الحملة.

(٣) المشتار: الدي يشتار العسل ويجمعه من الخلايا.

(*) **في الطبعة (١): (أيدي) وصوابها من الطراز الأنفس.**

مُـرَّ طَـعْـمِ الـسُّـخْـطِ حُـلْـوِيَّ الـنَّـدى | يَجْتَني الـمُشْتارُ من أيْديكَ(*) شـهدا[٣]
مــا رأتْ عَــيْــنـــاي أنـــدَى راحـــةً | مــنكَ في الجُــودِ ولا أثْــقَبَ زنــدا
راحـــةُ الـــدنـــيـــا ونـــاهـــيكَ بهِ | مــخــلـصٌ لــله مــا أخْــفَى وأبْــدى
فَـــلَـــوَ انَّي فُـــزْتُ في أنْـــظــارِهِ | جـعـلتُ بـيـني وبـين الـبـؤسِ سَدّا
أنتَ كــالــدنــيــا إذا مــا أقْــبَـلَتْ | لامْـرئٍ، والـدهـرِ إعْـراضـاً وصَـدّا
أنتَ أسْـــنَى نِـــعَمِ الـــلـهِ الـــتّي | نحنُ لا نُحْصي لـها حَصْراً وعَدّا[١]
لكَ في الـنّـاسِ عـلى الـنَّـاسِ يَـدٌ | نُـظِـمَتْ في جـيـدِ هـذا الـدهـرِ عِـقْدا
فَــقَـــدَتْ وِجْـــدانَ مــا نَــحْــذَرُهُ | لا أراعَـــتْـــنـــا بكَ الأيـــامُ فَـــقْـــدا
فــعــلى الأقــطــارِ مُــذْ وُلّــيــتَــهـا | ظـلُّكَ الـضّـافي عـلى الأقـطـارِ مُـدّا

(٣٢)

(١) أخذه من قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) سورة النحل الآية (١٨).

(٢) هو العلامة الشيخ أحمد نور بن الحافظ محمد شريف بن محمد أمين الأنصاري الشافعي البصري. ولد سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م ودرس على أبيه وكان والده عالمًا وتاجرًا. ثم درس على الشيخ عثمان بن سند حتى صار خليفته من بعده. وعين مدرسًا في المدرسة السليمانية في البصرة عند وفاة شيخه ابن سند سنة ١٢٤٢هـ وكان يعظ في جامع الكواز بالبصرة. وقد تزوج أحد أبناء باش أعيان بابنة الشيخ الأنصاري. وفي سنة ١٢٥٧هـ أسند إليه القضاء في البصرة ولبث قاضيًا عشرين سنة. وقد حج ثلاث مرات. وكان عالمًا فاضلاً أديبًا بارعًا، وكان ينظم الشعر، وله تخاميس لبعض القصائد لابن الفارض كما نظم بعض كتب الأصول في الفقه، وله رسالة (الإبانة في تحريض من له على الإعانة) وله كتاب (النصرة في أخبار البصرة) وهو تقرير قدمه إلى والي البصرة منيب باشا سنة ١٢٧٧هـ وكان الشيخ الأنصاري عضوًا في مجلس إدارة البصرة من سنة ١٢٧٩هـ إلى ١٢٩٣هـ ثم عين وكيلاً لرئيس محكمة استئناف البصرة سنة ١٢٩٦هـ ثم تخلى عن وظائفه. وكانت له صلات ومودة مع كثير من علماء وأدباء العراق ولهم فيه مدائح ومنهم الملا عباس الزيوري الحلي وكان الأخرس يقيم عنده وتوفي في بيته وكذلك أقام عنده الشيخ محمد أمين الواعظ حين نفاه الوالي علي رضا اللاظ إلى البصرة. توفي الشيخ الأنصاري يوم الأحد وشيع صباح يوم الاثنين ١٥ جمادى الأول سنة ١٣٠٢هـ ودفن بجوار الإمام الحسن البصري، وصلي عليه ثلاث مرات كما أقيمت عليه صلاة الغائب في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ترجمته في عنوان المجد ١٦٧ وأعيان البصرة ٧ – ١٠ وشعراء الحلة ٣/ ٢٤٩ – ٢٥٠.

(*) **في الطبعة (١): (أبان) خطأ طباعي.**

ألا هَلْ لـلـمُـتَـيَّمِ من مُـجـيـرِ؟ كـئـيبٍ ذي فـؤادٍ مُـسْـتَـطـيـرِ[1]
يُـقَـلِّـبُهُ الأسَى ظَـهـراً لـبـطنٍ ويُـسْـلِـمُهُ إلى حَـرِّ الـزَّفـيـر
وكـيف يَـقَـرُّ بـالـزفـراتِ صَبٌّ وفي أحـشـائه نـارُ الـسَّـعـيـر
يُـعـالِجُ بـالـهَـوَى دَمْـعـاً طـلـيـقـاً يَـصُـوبُ لِـلَـوْعَـةِ الـقـلبِ الأسـيـر
وكمْ في الحَيِّ من لـيثٍ هـصـورٍ صـريعِ لَـواحظِ الـرَّشَـأ الـغَـريـر
وكـنتُ عـلـى قـديمِ الـدهـرِ أصـبـو بـأشْـواقي لـربّـاتِ الخُـدور
وكـنتُ إذا زَأرْتُ بـأُسْـدِ غـيلٍ رأيتُ الأُسْـدَ تـفـزعُ من زئـيـري
فـغـادرني الـزمـانُ كـمـا تـراني عَـقـيـراً في يَـدِ الخـطبِ الـعَـقـور
فـأغْـدو لا إلى خِلٍّ أنـيـسٍ ومـا لي غـيـرُ هـمّي من سَـمـيـر
فـآهـاً يـا أُمَـيْـمَـةُ ثم آهـاً لمـا لاقَـيْتُ من دهـرٍ مُـبـيـر
مَـحَـا من أسْـرَتي الأشْـرافَ مـنـهمْ كـمـا مُـحِـيَتْ حُـروفٌ من سُـطـور
لـقـد بَـعُـدَ الـكـرامُ الـنُّـجْبُ عـنّي فـلَـيْـلي بَـعْـدَهُمْ لـيلُ الـضَّـريـر
عـلـى أنّي دُفِـعْتُ إلى زمـانٍ يُـخـاطـرُ فـيه ذو المجـدِ الخَـطـيـر
تَـشَـبَّـهَتِ الأسـافلُ بـالأعـالي وقـد تـاه الـصَّـغـيـرُ عـلى الـكـبـيـر
وأمـستْ هـذه الـدنـيـا تُـريـني حـوادثُـهـا أعـاجـيبَ الأمـور
ولا زالت تَـتُـوقُ لـذاك نـفـسي إلى يـومٍ عَـبـوسٍ قَـمْـطَـريـر
لـعـلّي أنْ أبُلَّ به غَـلـيلاً ويَـهْـدَأُ بـعضُ مـا بي من زفـيـر
أراني إنْ حَـلَـلْتُ بـدار قـومٍ أسـاءَ بـبـعضِ أقـوامٍ حـضـوري
وذي عُـجْبٍ أضَـرَّ الجـهلُ فـيه وأنفٍ مُـشْـمَـخِـرٍ بـالـغُـرور
يـرى من نـفـسه ربَّ المـعـالي ولا ربّ الخَـوَرْنَقِ والـسَّـديـر[2]
ضَـرَيْتُ بـوجـهه وصَـدَدْتُ عـنه كـمـا صَـدَّ الـعـظـيمُ عن الحـقـيـر

(١) غناها الأستاذ القبانجي بمقام (بنج كاه) وسجلها بأسطوانة.

(٢) الخورنق: قصر بظهر الحيرة، بناه سنمار للملك النعمان بن امرئ القيس. ثم قتله الملك بعد بنائه وهو المقصود هنا، والخورنق أيضًا قرية قرب بلخ، وفي المغرب بلد يسمى الخورنق. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٠١ – ٤٠٣.
والسدير: قصر قريب من الحيرة، بناه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم، ويقرن بالخورنق في الغالب، انظر معجم البلدان ٣/ ٢٠١.

وألقَى المُعجَبينَ بكلِّ عُجْبٍ   وأسْحَبُ ذيلَ مُختالٍ فَخور

وكم رفعَ الزمانُ وضيعَ نفسٍ   فنالَ الحظَّ بالباعِ القصير

وكم حَطَّ القضاءُ إلى حَضيضٍ   وكانَ مَحَلُّهُ فوقَ الأثير

أصونُ عن الأراذلِ عزَّ نفسي   وَصَوْنُ النفسِ من شِيَمِ الغَيور

ولا أهْدَيْتُ مُنْذُ قَرَضْتُ شِعْراً   إلى من لا يزالُ بلا شُعور

وكم في الناس من حيٍّ ولكنْ   يُرى في الناس من أهلِ القُبور

أتيتُ (البصرةَ) الفيحاءَ أسْعَى   وحُبِّك سَعْيَ مِقْدامٍ جَسور

أزورُ بها من العُلَماءِ شَيْخاً   حباهُ اللهُ بالعِلْمِ الغَزير

إلى عَلَمٍ من الأعلام فردٍ   تفيضُ علومُهُ فَيْضَ البُحور

لـ (أحمد) نُخْبَةِ الأنصارِ يغدو   مَسيري إنْ عزمتُ على المَسير

إذا ما عُدِّدَتْ أعيانُ قومٍ   وقابلْنا نَظيراً بالنَّظير

فَعَيْنُ أولئك الأعْيانِ منهمْ   وقلبٌ في صُدورِ بني الصُّدور

وإني مُذْ ركنتُ إلى عُلاه   كأنّي قد ركنتُ إلى ثبير[١]

رَغَمْتُ بودِّه آنافَ قومٍ   رَمَوْني بالعُتُوِّ وبالنُّفور

إذا أخَذَتْ بغاربِهمْ يميني   أخذتُ بغارب الجَدِّ العَثور

رَعَيْتُ لديه روضَ العزِّ غَضّاً   وأنْهَلَني من العَذْبِ النَّمير

إلى مِنْهاجِ شِرْعَتِهِ وُرودي   وعن مَوْرودِ نائلِهِ صُدوري

ركنتُ إلى المَناجيبِ الأعالي   ولم أركَنْ إلى وَغْدٍ شَرير

أبارَ بنورِ تَقْوَى اللهِ وَجْهاً   وقد يزهو على القَمَرِ المُنير

غنيٌّ عن جميع الناسِ عَفٌّ   رؤوفٌ بالضَّعيفِ وبالفقير

تَرى من وَجْهِهِ ما قد تَراهُ   على وَجْهِ الصَّباحِ المُسْتَنير

يُعَدُّ منَ الأوائلِ في تُقَاهُ   وإن وافاكَ بالزَّمنِ الأخير

وهل يَخْفَى على أبصارِ بادٍ   شُموسُ عُلاهُ باديَةُ الظُّهور

فَخُذْ عنه العلومَ فقد حَباهُ   إلهُ العرشِ بالفضلِ الشَّهير

---

(١) ثبير: جبل معروف في مكة المكرمة. تغنى به الشعراء كثيرًا، وفي مكة المكرمة جبال عديدة تسمى (ثبير) وتضاف مثل ثبير الزنج وثبير الخضراء وثبير النصع وثبير الأحدب وغيرها. انظر معجم البلدان ٢/ ٧٢ – ٧٤.

ولم نَــظْــفَــرْ بمــثلِ عُلاهُ يــومــاً بمُــطَّــلِعٍ بَــصــيــرٍ بــالأمــور
فَــسَلْ مــنه الــغَــوامِضَ مُــشْــكِلاتٍ فــإنّك قــد ســقــطتَ عــلــى الخَــبــيــر[1]
تَــحــومُ عــلــيه أهلُ الــفــضلِ طُــرّاً كــمــا حــامَ الــظّــمــاءُ عــلــى غَــديــر
ولم يَــبْــرَحْ لأهلِ الــعــلــمِ ظِلاًّ يَــقِي بــظِلالِه حَــرَّ الــهَــجــيــر
ويُــغْــنــيــني عن الأنْــصــارِ مَــوْلًى نَــصيــري حــين يَــخْذُلُــني نَــصيري
له مَــحْضُ الــمَــوَدَّةِ من خــلــوصي ومَــحْضُ الــودِّ إخلاصُ الــضَّــمــيــر
ســأجــزيه عــلــى الــنَّــعــمــاءِ شُــكْــراً بمــا يــرضــيه من عَــبْــدٍ شَــكــور
لِــمَــطْــبــوعٍ عــلــى كَــرَمِ الــسَّــجَــايــا ومَــجْــبــولٍ عــلــى كَــرَمٍ وخــيــر
زَهَتْ في حُــسْنِ مــدحــتكَ الــقــوافي كــمــا تــزهــو الــقَلائــدُ في الــنُّــحــور
وطــابَ بكَ الــثَّــنــاءُ وإنَّ شــعــري تَــضَــمَّــخَ من ثــنــائكَ بــالــعَــبــيــر
فَــدُمْ واســلَمْ عــلــى أبَــدِ الــلــيــالي وعِشْ مــا دمتَ حَــيّــاً في ســرور

(٣٣)

(١) من أمثال العرب (على الخبير سقطت) قاله مالك بن جبير العامري. وكان من حكماء العرب. مجمع الأمثال ١/ ٤٨٤.

(٢) هو الشيخ محمد جلبي بن عثمان من آل الزهير، توفي بالبصرة سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٧م. وقال إبراهيم فصيح الحيدري عن آل الزهير: «بيت الزهير بيت مجد وتجارة ورئاسة وخير وصدقات، ولهم الثروة التامة والتقدم والجاه كابرًا عن كابر، وكانت لأسلافهم الصولة في البصرة. ولهم وقائع عظيمة مع عشيرة كعب [في المحمرة] حيث إن كعبًا هجموا على البصرة عند عزل داود باشا [سنة ١٢٤٧] وقبل ورود علي رضا اللاظ. فقاتلهم آل الزهير مع عشيرة النجادة ودمروهم ومنعوهم عن البصرة. ونشأ فيهم رجال ثقاة منهم الشيخ علي يوسف بن يوسف آل الزهير. وهو من دهاة العرب. وكذلك إخوته الشيخ عبدالرزاق وعبدالعزيز وعيسى وعبدالوهاب وعبداللطيف. وكان أبوهم الشيخ يوسف وأخوه الشيخ سليمان من أكابر الناس في حلب. ولهم جامع هناك. والشيخ يوسف سكن الزبير. ولهم في البصرة بيوت. وبعد وفاة الشيخ علي استولى الشيخ عيسى شيخ المنتفق على البصرة وقتل الشيخ عبدالرزاق وخالد وأحمد ومصطفى وهم كبار عائلة الزهير». وآل الزهير أسرة عربية من قبيلة ربيعة من بلدة (العارض) في نجد، هاجرت من نجد عند انتشار الدعوة الوهابية، وأول من هاجر منها يحيى بن سليمان بن محمد الزهير وولداه يوسف وسليمان إلى الزبير وبنوا فيها بيوتًا من القصب. ولما استقر يحيى ومن معه من العشائر أخذت تتسع بهم قرية الزبير، ثم قصد بغداد وأعانه الوالي سليمان باشا سنة ١٢١١هـ – ١٧٩٧م وشجعه على بناء سور لمدينة الزبير وأعطاه مالاً لذلك، كما زوده ببعض الأسلحة للدفاع عن =

إلى العزِّ غُوري[*] يا نِياقي وأنْجِدي ... ويا همَّتي قومي إلى المجدِ واقعُدي

فلا عِزَّ حتَّى أتركَ النُّوقَ ترتمي ... بنا وجيادَ الخيلِ تَكْدُمُ باليَد

عليها من الفتيان كلُّ مجرَّدٍ ... من الضَّيْم أمضَى من حُسامٍ مُجَرَّد

يذودُ الكرى عن مُقْلَةٍ طَمَحَتْ به ... إلى شَيْمِ برقٍ من فَخارٍ وسُؤدد

تعوّدَ أنْ لا يشربَ الماءَ بالقَذى ... ولم ترضَ نفسُ المَرْءِ ما لم تَعَوَّد[1]

فَجَرَّدَها مثلَ القِسيِّ حَوانِياً ... لقطع الفياقي فَدْفَداً بعد فَدْفَد

يبيتُ الدُّجَى ما بينَ نومٍ مُشَرَّدٍ ... لفِقدان مَنْ يهوَى ودمعٍ مُبَدَّد

يُعالجُ همّاً بين جَنْبَيْهِ للعُلا ... ويَحْسرُ عن باعٍ لأروعَ أصْيَد

رَفَضْتُ الهَوَى بـ (الكرخِ) واللّهوَ بالدُّمَى ... وأعرضتُ عن بيضٍ منَ الغيدِ خُرَّد

وراحٍ كعَيْنِ الدّيكِ صَفْواً تُديرها ... نظيرةُ قَدِّ البانةِ المُتَأوّد

مُوَرَّدةٍ في الكأسِ بَعْدَ مِزاجِها ... كأنْ مُزِجَتْ من ماءِ خَدٍّ مورّد

تعاطَيْتُها صِرفاً يَنُمُّ أريجُها ... عليها فما اسْتَغْنَيْتُ عن ريقِ أغْيَد

= بلدة الزبير وصد الموجة الوهابية، ثم أصبح الشيخ يحيى واسع النفوذ وتولى مشيخة الزبير. ولما توفي يحيى سافر ولده سليمان إلى حلب واشتغل بالتجارة وبقي يوسف وقد لمع اسمه في المنطقة المحيطة بالزبير، وأخذت بعض قبائل نجد تهاجر إلى الزبير. وفي سنة ١٢٤٠هـ - ١٨٢٦م جاء إلى الزبير الشيخ إبراهيم بن ثاقب ومعه أتباعه، وتقرب إلى الولاة وأخذ يزاحم الشيخ يوسف علي المشيخة، حتى أسندت المشيخة إليه، ثم تولاها من بعده ولده محمد، وظهرت المنافسة بين الأسرتين على مشيخة الزبير، وأدت إلى تدخل الشيخ حمود الناصر، وقتل الشيخ يوسف الزهير ١٢٥٠هـ - ١٨٣٦م وتولى المشيخة محمد بن إبراهيم ثاقب. ثم قتله والي البصرة رمياً بالرصاص. وفي عهد عزيز آغا هاجر سليمان بن عبدالرزاق الزهير إلى الكويت وأجاره الشيخ جابر الصباح وأهدى إليه مقاطعة الصوفية. وبعد أن قضت الدولة على نفوذ آل ثاقب عادت المشيخة إلى آل الزهير. وتنتشر أسرتهم اليوم في البصرة والزبير والكويت ونجد.

عنوان المجد ١٦٥ والتحفة النبهانية ٩/ ١٢٥ - ١٢٦ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٠٤ وتاريخ المماليك ٧٧ ومباحث عراقية ١/ ١٤/ ١٧ ورسالة خاصة من الأستاذ إبراهيم عبداللطيف.

(*) في الطبعة (١): (خوري) وصوابها من الطراز الأنفس.

(١) أخذه من قول المتنبي:

لكل امرئ من دهره ما تعودا ... وعادات سيف الدولة الطعن في العدى

الديوان، شرح العكبري ١/ ٢٨١.

وما كان باقي الليلِ إلاّ كأنّه ... على حَدَقِ الآفاقِ آثارُ إثْمِد

ذكرتكِ يا ظمياءُ والنارُ في الحَشا ... ولولاكِ تلك النارُ لم تَتَوَقَّد

وإني إذا مَضَّتْ بقلبي مَضاضَةٌ ... منَ الوجدِ داريتُ الأسَى بالتَّجَلُّد

وما سِرْتُ عمّن سرتُ إلاّ لِمَطلبٍ ... أسُرُّ به صحبي وأكْبِتُ حُسَّدي

وأصفرَ ذي وَجْهَيْنِ من غيرِ علَّةٍ[1] ... يروحُ كما راحَ اللئيمُ ويَغْتَدي

على وَجْهِهِ من خالصِ اللؤمِ شاهدٌ ... متى اسْتَشْهَدَتْهُ رؤيةُ العينِ تَشْهَد

وشَيْبَةِ سوءٍ أنبتَ اللهُ شَعْرَها ... على عارِضَيْ وَغْدٍ ومستجهلٍ ردي

أُعَرِّفُهُ فَضْلي ويعلمُ أنَّني ... أنا الشَّمْسُ لا تَخْفَى على عينِ أرمَد

فهاتيكَ أخباري وتلكَ قصائدي ... لها نَشْرُ طيِّ الذكرِ في كلِّ مَوْرِد

تُمَزِّقُ أعْراضَ اللئام كأنَّها ... تصولُ عليها بالحُسام المُهنّد

يروحُ عليها القومُ عن نَفَثاتها ... بها السمُّ مَدْخُورٌ بخزيٍ مؤبّد

تسيرُ بها الركبانُ شرقاً ومغرباً ... فمن مُنْشِدٍ يشدو بها ومُغَرِّد

تركتُ لكمْ - أعْيانَ بغدادَ - منزلاً ... تجورُ عليه النائباتُ وتَعْتَدي

ففيمَ مُقامي عندكم ظامىءَ الحَشَا ... ولا أنا بالواني ولا بالمُقَيَّد

وإنّي عزيزُ النَّفْسِ لو تعرفونَني ... ولي بينكم ذلُّ الأسيرِ المُصَفَّد

تَمُنُّونَ إذْ تَعْفُونَ عن غيرِ مذنبٍ ... فتَبَّتْ يدا مُغْوٍ لكمْ غُلَّ من يد

ظلمتمْ عِبادَ اللهِ حينَ رَفَعْتُمُ ... أراذلَ[*] قومٍ من خبيثٍ ومن ردي

وما (البصرةُ) الفيحاءُ من بعد فعلكمْ ... بها غيرُ أطلالٍ ببرقةِ ثهمد[2]

رَفَعْتُمْ على السَّاداتِ منها أراذلاً ... لهم في حَضيضِ الذلِّ أسوأُ مَقْعَدِ

فعلتمْ كما تبغونَ لا فِعْلَ مُنْصِفٍ ... وقلتمْ ولا عن رأيِ هادٍ ومُرْشِد

هَبُوا أنّكمْ لا تَتَّقُوها مآثِمًا ... فهلاّ اتَّقَيْتُمْ من مَلامِ المُفَنِّد

---

(١) في الأصل: واصفر ذو وجهين – كذا –

(٢) برقة ثهمد: في بلاد العرب برقات كثيرة، وتضاف إلى قبائل أو مواضع وتعرف بها مثل برقة يثرب، وبرقة سمنان وبرقة النجد وبرقة واسط، وبرقة ثهمد هذه تعود لبني دارم. انظر معجم البلدان ١/ ٣٨٩ – ٣٩٩ وفي هذا البيت وما بعده إشارة إلى عزل آل الزهير عن المشيخة وعودتها إليهم.

(*) في الطبعة (١): (أرذال) وصوبناها على الطراز الأنفس.

بذلتُ لكم نُصْحي وما تجهلونه ... ولكنْ لِما في النفسِ من مُتَرصّد

فَقَوَّضْتُ والتَّقْويضُ عن مثلِ أرضكمْ ... إذا لم يَطِبْ عَيْشي ويَعْذُبُ مَوْرِدي

وقلتُ لعيسي أخْذَكِ الجِدَّ بالنَّوى ... وإيّاك بعدَ اليومِ أن تَتَبَغْدَدي[1]

فأوردتُها نَهْرَ المَجَرّةِ والعُلا ... تُحَدِّثُني أنْ قرّبِ السَّيْرَ وأبعد

فما أَرَبي من بعد (فهدٍ) و(بندرٍ)[2] ... من (البصرة) الفيحاءِ غيرُ (محمد)[3]

نجيبُ ابنُ أُنجابِ الزهيرِ الذي به ... أفاخرُ جَمْعَ الأكرمينَ بمُفْرَد

فَتَى القَوْمِ من يأوي إلى ظلِّ بَيْتِهِ ... يعِشْ عيشَةً من فَضْلِهِ لم تنكّد

فيا أيُّها الظامي وتلك شَريعةٌ ... منَ الجودِ فاصدرْ حيثُما شئتَ أوْ رِدِ

رفيعُ عمادِ المجدِ مُسْتَمْطَرُ النَّدى ... أخو المَنْهَلِ الصّافي وذو المنهلِ النَّدي

وما حَمَلَتْهُ غيرُ أمٍّ نجيبةٍ ... وإن كان من قومٍ أغَرّ مُمَجَّد

لئن قلّدَ النَّعماءَ من كان مُنْعِماً ... فما غيرُه في الناسِ كان مُقَلِّدي

تَسبَّبَ بالإحسانِ للحَمْدِ والثّنا ... ومنْ يَتَسَبَّبْ للمَحامِدِ يُحْمَد

إذا نِلْتُ منه اليومَ سابغَ نعمةٍ ... ترقّبتُ أمْثالاً لها منه في غَد

على سُنَنِ الماضينَ من غُرٍّ قَوْمِهِ ... بآبائه الغُرِّ المَيامينِ يقتدي

هم القومُ يروونَ المَكارمَ عن أبٍ ... وجَدٍّ عريقٍ سيّداً بعد سَيِّد

تَسُودُهُمْ نفسٌ هناك أبيّةٌ ... فكانوا إذًا ما بين نَسْرٍ وفَرْقَد

---

(١) أخذه الرصافي عند قوله في قصيدته (السجن في بغداد):

على أي حكم أم لأية حكمة ... ببغداد ضاع الحق من غير منشد

فأدنيت للنجوى فمي نحو سمعه ... وقلت لأن العدل لم يتبغدد

والرصافي متأثر بالأخرس في كثير من قصائده. ديوان الرصافي ١/ ٤٦.

(٢) فهد السعدون وبندر السعدون، ستأتي ترجمة كل منهما.

(٣) يقصد محمد جلبي الزهير – الممدوح.

وهَــزَّتــهُـمُ يــومَ الــنَّــدى أريَــحِـيَّــةٌ
كأنْ شربوا من كأسٍ صَهباءَ صَرْخَد

يُـطَـرِّبُـهمْ سَـجْعُ الـصَّـوارمِ والـقَـنـا
بـيـوم الـوغَى لا مـا تـرى أمُّ مَـعْـبَـد

إذا أوعـدوا الـطّـاغـينَ بـالـبـأسِ أرهـبـوا
وإنْ أحسنوا الحُسْنَى فعن غيرِ مَوْعِد

كـرامٌ إذا اسْـتَـمْـطَـرْتَ وَبْلَ أكُـفِّـهمْ
أراقَـتْه وَبْلاً من لُــجَـيْنٍ وعَـسْـجَـد

يُـقـالُ لـمَنْ يـروي أحـاديثَ فـضـلـكمْ
أعـدْ واسْـتَـعـدْ ذِكْـرَ الـكـرامِ وردِّد

ألَــذُّ من المــاءِ الــنَّــمـيــرِ ادّكــارُهمْ
على الكبدِ الحَرَّى من الحائمِ الصَّدي

سَـقـاهـمْ وحَـيّـاهـمْ بـصَـيِّـبِهِ الحَـيـا
وجـادهمُ من مُـبْـرقِ الـمُـزْنِ مُـرْعِـد

فـكم تـركـوا في المـادِحـينَ أخـا نَـدًى
قـديمَ الـعُلا يـسـعى لمجدٍ(*) ممـجَّـد

إذا هَمَّ لا تَـــثْــنــيـهِ عن عَــزَمــاتهِ
إلى المجـدِ يـومـاً حَـيْـرَةُ الـمُـتَـردِّد

يَــرى رأيَهُ مــا لا تَــرى عــينُ غــيـرهِ
وبـالرأيِ قد يَـهْدِي الـمُضَلَّ فَيَـهْتَدي

ومن لابسٍ بُــرْدَ الأبُــوَّةِ كــلَّـــمــا
تــقــادمَ قــالتْ نــفــسُهُ ويْكَ جَـدِّد

بَـنَـوْهـا ولـكن بـالـسُّـيـوفِ مَـعـالـيـاً
فـكـانتْ ولـكنْ مـثلَ طَـوْدٍ مُـوَطَّـد

وكم بـذلـوا من أنْـفَسِ المـالِ مـا غلا
فـلـم يَـرغَـبُـوا إلاّ بـذكـرٍ مُـخَـلَّـد

فـهذا (ابنُ عثمان)(**) الـمُهَذَّبُ بعدهمْ
يـشـيـدُ عـلى ذاك الـبـنـاءِ الـمُشَـيَّد

(٣٤)

تـنـقـلتَ مـثلَ الـبدرِ يـا طـلـعـةَ الـبدرِ
فـمن مـنـزلٍ عـزٍّ إلى مـنـزلٍ فَـخْـرِ

بــأمْــرِ وَلِيِّ الأمْــرِ سِــرْتَ ولـم تــزلْ
كما أنتَ تَهْوَى صاحبَ النَّهيِ والأمْر

(*) في الطبعة (١): (الممجد) خطأ طباعي.

(١) هو الشيخ بندر بن محمد بن ثامر آل السعدون، زار بغداد مرارًا، وتولى مشيخة المنتفق سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٢م بعد وفاة أخيه الشيخ عيسى وكان كبير الهمة شجاعًا محترمًا. يعتمد عليه الولاة في الأزمات. وقد أبلى بلاء حسنًا في سدود الفرات عند الفيضانات، ونال أوسمة رفيعة وقد علا صيته وامتدت سلطته وقويت شوكته، وقد ورد خبر بندر السعدون في الكتب ولم تورد شيئًا عن حصاره للكويت، وإنما ذكر الشيخ عبدالعزيز الرشيد أن السعدون قد همّ بالهجوم على الكويت ولكنه تراجع عن عزمه، توفي سنة ١٢٦٤هـ – ١٨٤٧م. انظر تاريخ السعدون ٤١ – ٤٧ والتحفة النبهانية ١٠/ ٩٠ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١١٨. ومختصر تاريخ الكويت ٦٥.

ومــثــلُكَ من يُـدعَى لــكلِّ مُــلِــمَّــةٍ منَ الدهـرِ مِقْدامٍ عـلى نُوَبِ الـدَّهـر
تُـعِـدُّكَ لـلـخَـطْبِ الـمُـلـوكُ ذخـيـرةً وإنَّ الرجالَ الشُّوسَ من أنْفَسِ الذُّخر
فـإمّـا إلى حـربٍ وقـد شَبَّ جَـمْـرُهـا لـها شَرَرٌ ترمي به الجمعَ كالقصر[1]
وإمّــا إلى بــأسٍ شــديــدٍ وقُــدْرَةٍ وإمّــا إلى عــالٍ رفـيـعٍ منَ الـقَـدْر
طلعتَ على (بغدادَ) يوماً فشاهَدَتْ بوجـهكَ يا مَوْلَى الـوَرى طلعةَ البدر
تـبـاشَـرَتِ الأشْـرافُ حـين تحـقَّـقتْ قـدومَكَ بـالإكْـرامِ والـنـائلِ الـوَفْـر
إذا قِـيلَ وافَى (بـنـدرٌ) قـالَ قـائلٌ من الـبِـشْـرِ وافـاكمْ إذًا وابلُ القَـطْر
فـأغْـمَرْتَـهمْ بـالفضلِ حتّى ملكتَهمْ بـبِـرِّكَ، إنَّ الحُـرَّ يُـمْـلَكُ بـالـبِـرِّ
قَضَتْ بك أعـيـادُ الـمَسَـرَّة والـهـنـا وهـاتـيكَ أعـيـادٌ تُـعَـدُّ منَ الـعُـمْـر
وشَـدَّ وزيــرٌ أزره بكَ فــاغْــتَـدَى لـعمري قويَّ الأزرِ مُنْشَرِحَ الصَّدر
ولـمَّـا نَـشَـرْتَ الـعدلَ من بـعد طيِّه وأحسـنتَ طيَّ الجَـوْرِ في ذلكَ النَّشْر
ذُكِرْتَ لسلطانِ الـسَّلاطـينِ كلِّـهـا وقـد قـيلَ إنَّ الأذنَ تَـعْـشَقُ بـالـذكـر
فـأهْـدَى إلى عـلـيـاكَ مـا أنتَ أهـلُهُ فـقـارنَ بـدرُ الـتّمِّ بـالـكوكبِ الـدُّري
وأرْغَــمْتَ آنــافــاً وأكــبَتَّ حُــسَّــداً وحـاقَ بـأهلِ الـمَكْرِ عاقِبَةُ المكر[2]
وقـد جـئتَ مـسـرورَ الـفـؤادِ مُـؤيّداً من الله بـالـتَّوفيقِ والـفَتْحِ والـنَّصـر
تَجُرُّ ذيولَ الـفخرِ تـيـهاً على الـعِدا ألا إنَّ خَـفْضَ الـعـيشِ من ذلكَ الجَـرِّ
تحفُّ بك الــفُــرســانُ من كلِّ جـانبٍ وتـدعـو لك الأمْلاكُ بـالـسِّـرِّ والجَـهْـر
ولــمَّــا رأيتَ المـاءَ طَمَّ عـلى الـقُـرى وأصـبح في إفْـسـاده أبـداً يَـجْـري
طَغَى والـذي يَطْغَى وقـد مَدَّ بـاعَهُ لـيُفْسِدَ أمسَى مَـدُّهُ منكَ في جـزر
ومــا ســالَ مــثلُ الـسَّـيلِ إلاّ رَدَدْتَهُ وخلَّيتَ منه سائلَ البحرِ في نـهر[3]
سلكتَ به الـنَّهْجَ الـقَـويمَ لـو اهْـتَدَى لمـا ضَلَّ هـذا المـاءُ في مَـهْـمَهٍ قَـفْـر
حَـشَـرْتَ لِـسَـدِّ المـاءِ كلَّ قـبـيـلـةٍ لهـا وقفةٌ ترضيكَ في وقفةِ الحشر

(١) أخذه من الآية الكريمة (إنها ترمي بشرر كالقصر) سورة المرسلات الآية (٣٢).

(٢) أخذه من الآية الكريمة (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) سورة فاطر الآية/ ٤٣.

(٣) مثل السيل: يقصد سيل العرم.

تَسُدُّ ثُغوراً لا تُسَدُّ ولم يكنْ ... سواكَ سدادٌ في الحقيقةِ للثَّغْر[1]

فكيف إذًا بحرٌ أضَرَّ وإنَّما ... فعلتَ بهذا البَحْرِ فعْلَكَ في البَرِّ

وما زلتَ مَدْعُوَّ الجَنابِ لمثلها ... فتكشفُ ما قد حَلَّ بالناسِ من ضُرِّ

تُدافِعُ عن مُلْكِ (العراق) وأهلهِ ... مُدافَعَةَ المُغتارِ عن ربَّةِ الخِدْر[2]

بضَرْبِ ظُبًى بيضٍ تأجَّجُ بالرّدى ... وطعنِ قناً سُمْرٍ أحَرَّ من الجَمْر

وأنتمْ أباةُ الضَّيْمِ ما ذلَّ جاركمْ ... ولا نَظَرتكمْ أعينُ الضَّيْمِ عن شَزْر

لكمْ واللَّيالي حيثُ تمضي وتنقَضي ... على كلِّ حالٍ كان في العُسْرِ واليُسْر

بيوتٌ على شطِّ (الفراتِ) رفيعةٌ ... تُرى نارها تَبْدو لمن حَلَّ في (مصر)

ولولا طروقُ الضَّيْفِ من كلِّ وُجْهَةٍ ... لما بَنَيْتَ إلاّ على الأنْجُمِ الزُّهْر

وما ضَلَّ ساري الليلِ إلاّ اهتدى بها ... كنورِ سَنا الإسلامِ في ظُلْمَةِ الكُفْر

إلى الغايةِ القُصْوَى إلى الجود والنَّدى ... إلى منزلٍ رحبٍ إلى نائلٍ وَفْر

فللضَّيْفِ فيها مَشْهَدُ الحَجِّ في (منَى) ... وللنّوقِ فيها للقِرى مشهدُ النَّحر[3]

مكارمُ قد أورِثْتُموها قديمةٌ ... وتلك مَواريثٌ لآبائكَ الغُرِّ

سلكتَ بتلك الخيمِ ما سَلَكَتْ بهِ ... وما سَلَكَتْ إلاّ بمَسْلَكِها الوَعْر

تَسُلُّ السُّيوفَ البيضَ كفُّكَ للوَرى ... فكفُّكَ للجَدْوى وسَيْفُكَ للقَهْر

وعلَّمتَها ضَرْبَ الرقابِ فأصبحتْ ... تَقُدُّ رِقابَ الفاجرينَ ولا تدري

مَلأتَ فؤادَ الضِّدِّ رُعْباً ورَهْبَةً ... وأوّلُ ما ترمي أعاديكَ بالذُّعْر

فهابكَ من خلَّى (العراقَ) وراءه ... فكيف بمن لا يُسْتَزلُّ عنِ الوَكْر

---

(١) فيه تلميح إلى قول الشاعر العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

الديوان ص٤٣ بتحقيق المرحومين رشيد العبيدي وخضر الطائي.

(٢) المغتار: الغيور.

(٣) إشارة إلى الحديث الشريف: (أيام منى أيام أكل وشرب) أي لا يصح الصيام بأيام التشريق للحجاج. ويقصد الشاعر كثرة الذبائح في بيت الممدوح.

ولم تنجُ من صمصامِ صَوْلَتِكَ العدا ... ولو أنَّها طارتْ بأجْنِحَةِ النَّسرِ
لكَ اللهُ ما شَيَّدْتَ بيتاً منَ العُلا ... على غيرِ سُمْرِ الخَطِّ والقُضُبِ البُتْرِ
لك المدحُ منّا والثناءُ بأسرهِ ... على أنَّ في الأخرى لك الفوزُ بالأجْرِ
عنِ النِّعَمِ اللاّتي بَلَغْنا بها المُنَى ... وبيضِ أيادٍ منك في الأزمُنِ الغُبْرِ
تَجِلُّ عنِ التَّعدادِ إنْ هي أحْصِيَتْ ... فيا ليت شعْري ما أقولُ منَ الشِّعرِ
عَجَزْتُ بأنْ أقضي لها حقَّ شكرها ... فليس يَفِي(*) نَظْمي بذاكَ ولا نَثْري

(٣٥)

نَبَّهَتِ الورقاءُ ذاتُ الجناحْ ... من غَفْلَةِ الصَّحْوِ إلى شُرْبِ راحْ
والليلُ قد أجْفَلَ من صُبْحِهِ ... فأكْثرَ الدِّيكُ عليه الصِّياح
مُهَفْهَفُ الأعْطافِ من قَدِّهِ ... وطَرْفِه الفَتّانِ شاكي السِّلاح
فقامَ يَسْقيها ويُهدي إلى ... روحِ النَّدامَى بالمُدامِ ارتياح
وما ألذَّ الراحَ من شادنٍ ... مُهَفْهَفِ القَدِّ وَخَوْدٍ رَداح
تَسْتَنْطِقُ العُودَ لدى مجلسٍ ... ألْسِنَةُ الأوراقِ فيهِ فصاح
والوُرْقُ في الأوراقِ ألحانُها ... مطربةٌ بين الغنا والنُّواح
ورُبَّ يومٍ كان عيدَ المُنَى ... نَحَرْتُ فيه الزِّقَّ(**) نَحْرَ الأضاح
ورُحْتُ في الحُبِّ على سكرتي ... بالغَيِّ لا أصغي إلى قَوْلِ لاح
ومَنْ يَلُمْني بالهَوَى قَوْلُهُ ... يمرُّ بي مثلَ هُبوبِ الرياح
فاصْطَلَحَ القومُ على أنَّه ... ما بين عُذّالي وبيني اصْطِلاح

---

(١) مرت ترجمة أسرة آل الزهير في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٣) ولم أعثر على ترجمة السيد عبدالله الزهير من بينهم، وهذه القصيدة في النسخة المخطوطة (ب) رقم (٦١٥) المجمع العلمي العراقي جاء فيها أنها بمدح عبدالله الصباح شيخ الكويت وكذلك في نسخة الأنكرلي وهذا وهم من النساخ، لأن ذكر آل الزهير في آخر القصيدة.

(*) في الطبعة (١): (يعني) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الذق) وما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يا صاحِ ما أنتَ وطيبُ الكرى ... فبادرِ اللذاتِ بالإصطباح

واشْربْ ولا تُصْغِ إلى قائلٍ ... هذا حَرامٌ ولهذا مُباح

ما وَجَدَ الراحةَ إلاّ امْروٌ ... أعرضَ عن عاذلهِ واسْتَراح

تنَّفسَ الصُّبْحُ فَقُمْ قائماً ... نحوَ صَراحيَّةِ ماءٍ صُراح(1)

وابتَسَمَ الوردُ ودمعُ الحَيا ... في وجْنَةِ الورد وثَغْرِ الأقاح

فاقطعْ علاقاتِ الأسَى بالطّلا ... وَصِلْ بكاساتِ الغُدُوِّ الرَّواح

وانفِقْ نَفيسَ العُمْرِ في قَهْوَةٍ ... تقضي على الهمِّ قضاءً مُتاح

مُسْتَنْشقاً منها عبيرَ الشَّذا ... تَفُوحُ كالمسْكِ إذا المسكُ فاح

معْ كلِّ نَدْمانٍ كبَدْرِ الدُّجَى ... ما افْتَضَّ بِكْرَ الدنِّ إلاّ سِفاح

حَيِّ على الرَّاحِ وقُمْ هاتِها ... وقُلْ لمن لاحَ الفَلاحَ الفَلاح

وَلْتَكُ من ريقِكَ مَمْزوجَةً ... لا أشْرَبُ الراحَ بماءٍ قَراح

يا أيُّها السّاقي الذي أثْخَنَتْ ... أحْداقُهُ في القلبِ منِّي الجِراح

يشكو إليكَ القلبُ من ضعفهِ ... فُتورَ عينيكَ المِراضِ الصِّحاح

ما خَطَرَ السُّلوانُ في خاطري ... بلائمٍ فيه فسادي صلاح

يَجِدُّ بالنُّصْح فألهو بهِ ... وأدفعُ الجِدَّ ببعضِ المُزاح

من سَرَّهُ شيءٌ فما سَرَّني ... في الدهر شيءٌ كوُجوهِ المِلاح

أو فُضِحَ الصَّبُّ فكم مُغْرَمٍ ... أسْلَمَهُ الحُبُّ إلى الإفْتِضاح

وما يَرى كِتْمانَ سِرِّ الهَوَى ... مَنْ كَتَمَ الحُبَّ زماناً وباح

إذا وَضَعْتَ الشِّعْرَ في أهلهِ ... فلي بزندِ الافتخارِ اقتراح

إنّي أرى المُنْصِفَ في أهلهِ ... يمدحُ (عبد الله) أيّ امتداح

قد أثْبَتَ الوُدُّ بقلبي لهُ ... مَحَبَّةً لم يَمْحُها قطُّ ماح

فيا رعاه الله من ماجدٍ ... طابَ به المَغْدَى وطاب المَراح

قَيَّدَني في البِرِّ من فضلهِ ... فليس لي عن بابهِ منْ بَراح

أطربُ إنْ شاهَدتُهُ مُطْرَباً ... وما على المُطْرَبِ فيه جُناح

---

(١) الصراحية: دورق من الزجاج (البلور) يوضع فيه الماء في الشتاء وكأنها مأخوذة من (الصراح) أي الخالص الصافي. وهي في لسان العرب (آنية للخمر) وأنكرها ابن دريد. انظر لسان العرب مادة (صرح).

ولم أزلْ في القُرْب من ودِّه ... أقْرَعُ بالأفْراحِ بابَ النَّجاح

تالله ما شِمْتُ له بارقاً ... إلاّ ولاحَ الجُودُ من حيثُ لاح

يلوحُ لي في الحال من وَجْهِهِ ... بِشْرُ مَيامينِ النَّدى والسَّماح

يفعلُ بالأموال يومَ النَّدى ... ما تفعلُ الأبطالُ يومَ الكفاح

أغَرُّ صافي القلبِ مُسْتَبْشِرٌ ... بالأنْسِ مرهوبُ الظُّبىَ والصِّفاح

قد خَصَّهُ اللهُ وقد زانهُ ... برفعةِ القَدْرِ وخفضِ الجَناح

لا يَعْرِفُ الهمَّ سَميراً لهُ ... ولا يُلاقيه بغيرِ انْشِراح

لم يُبقِ لي في أرَبٍ بُغْيَةً ... ولا على نَيْلِ الأماني اقْتِراح

منَ الذينَ افْتَخَرتْ فيهِمُ ... بيضُ ظُبَى الهندِ وسُمْرُ الرماح

يُصانُ من لاذَ بعلياهمُ ... ومالُهمْ من جودهمْ مُسْتَباح

لَهُمْ من العَلْياءِ إنْ سُوهِمُوا ... سَهْمُ المُعلَّى من سِهامِ القِداح(*)

مَحاسِنُ المعروفِ يُبْدونَها ... وأوجُهُ الأيامِ سودٌ قِباح

كما اسْتَهَلّتْ ديمةٌ أمطرتْ ... على الرّوابي قَطْرَها والبِطاح

تَشُقُّ يومَ الرَّوْعِ أَيْمانُهم ... قلبَ الأعادي بصُدورِ السِّلاح

ترعرعوا في حِجْرِ أمِّ العُلا ... وأُرضِعَوا منها غريبَ اللقاح

وزاحموا الأنجُمَ في منكبٍ ... يزيحُ في الأخطارِ ما لا يُزاح

كم قَدمُوا للحرب في موطنٍ ... فقرّبوا بين خُطاها الفِساح

وأرْعَفُوها من دماءٍ قَناً ... تُرمِدُ بالطعن عيونَ الجِراح

أُسْدُ الوغَى لا زالَ أسيافُهُمْ ... تنحَرُ بالهيجاء كبشَ النِّطاح

من كلَّ من تَبْعَثُهُ همَّةٌ ... تطمحُ للغايات كلَّ الطماح

لم تَنْبُ في مَضْرَبِها عَزْمَةٌ(١) ... منهمْ ولم تَصْلُدْ لدى الإقتداح

(آلُ زهيرِ) الأنجمُ الزهرُ في ... سَماءِ أفلاكِ العُلا والسَّماح

إنْ أمسَكوني فبإحسانهمْ ... أو سرّحوني فجميلُ السَّراح

لا برحتْ تُكْسَى بأمْداحِهمْ ... ذاتُ الغَواني حُسْنَ ذاتِ الوِشاح

(*) في الطبعة (١): (القراح) وهو خطأ طباعي وصوبت على الطراز الأنفس.

(١) في المطبوع: لم تنبو – كذا –

(٣٦)

وقال يمدح العلامة عبدالغني جميل[١] [ويشكو حاله وسوء الأوضاع في بغداد

سُؤالُكِ هذا الربعَ أين جَوابُهُ؟ ومن لا يعي للقول كيف خطابُهُ؟[٢]

وقفتِ وما يغنيكِ في الدار وقفةٌ سَقَى الدارَ غيثٌ مُستَهِلٌّ سَحابُه

غناؤكِ في تلك المنازل ناظرٌ بدمعٍ تَوالى غَربُهُ وانْسكابه

إلى طللٍ أقْوَى فلم يكُ بعدها[٣] بمغنيك شيئاً قُربُهُ واجْتِنابه

ذكرتِ كأيامِ الشبيبةِ عَهْدَهُ وهل راجعٌ بعد المَشيبِ شبابه

وقد كان ذاك العيشُ والغصنُ ناعمٌ يروقُ ويصفو كالرحيقِ شَرابه

وَجَدْتُ لقلبي غيرَ ما تجَدينَهُ أسىً في فؤادي قد أناخَ رِكابه

يَفُضُّ خِتام الدَّمعِ يا ميُّ حَسْرةً ذهابُ شبابٍ لا يُرَجَّى إيابُه

ودهرٍ أعاني كلَّ يومٍ خُطوبَهُ وذلك دأبي يا أمَيْمَ ودأبُه

مَسُوقٌ إلى ذي اللبِّ في الناس رُزؤهُ ووقفٌ على الحُرِّ الكريمِ مُصابه

وحَسْبُكِ منّي صبرُ أرْوَعَ ماجدٍ بمُسْتَوْطَنٍ ضاقتْ بمثلي رحابه

يبيتُ نَجِيَّ الهَمِّ في كلِّ ليلةٍ يطولُ معَ الأيام فيها عتابه

قَضَى عَجَبًا منه الزمانُ تجلُّداً وما ينقضي هذا الزمانُ عُجابه

تُذادُ(*) عنِ الماءِ النَّميرِ أسودُهُ وقد تَلِغُ العذبَ الفراتَ كلابه

ألم يُحْزِنِ الآبي رؤوسٌ تطامنتْ وفاخرَ رأسَ القومِ فيها ذنابه

وأعْظِمْ بها دَهْياءَ وهْي عظيمةٌ إذا اكتنفَ الضِّرغامَ بالذلِّ غابه

متى يَنْجَلي هذا الظلامُ الذي أرى ويُكْشَفُ عن وَجْهِ الصَّباح نقابه

وتلمعُ بعد اليأسِ بارقةُ المُنَى ويَصْدُقُ من وَعْدِ الرَّجاءِ كِذابُه

ومَنْ لي بدهرٍ لا يزالُ مُحاربي تُفَلُّ مَواضيه وتَنْبو حِرابُه

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (الأوج) ومقامات أخرى.

(٣) أقوى: أي خرب ولم يصبه مطر. وأقوى من الأضداد بمعنى افتقر وبمعنى استغنى، وهي هنا بمعنى افتقر، والأرض القي والقواء: الخراب. التي لم يصبها مطر ولا زرع فيها. انظر لسان العرب مادة (ق و ي).

(*) في الطبعة (١): (تُزاد) وما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَقورٌ على شِلْوي يَعَضُّ بِنابه[1] … وتعدو علينا بالعوادي ذئابه

رَمَتْهُ الرّوامي بالسُّباب مَذَمَّةً … وما ضَرَّ في عرضِ اللئيمِ سُبابُه

تَصَفَّحْتُ إخواني فلم أرَ فيهمُ … قَويماً على نَهْجِ الوفاءِ اصْطِحابه

أفي الناس لا والله مَنْ في إخائه … تُشَدُّ على العظمِ المَهيضِ عصابه

يُساوِرُني كأسُ الهُمومِ كأنّما … يمجُّ بها السُّمَّ الزُّعافَ لُعابه

وأبْعَدُ ما حاولتَ حُرّاً دُنُوَّهُ … دُنُوُّكَ ممّا يرتضي واقْترابه

نَصيبُكَ منه شَهْدُهُ دونَ صابه … إذا كان ممزوجاً مع الشَّهْدِ صابه

يُريكَ الرضا والدهرُ غضبانُ مُعْرِضٌ … وترجوه للأمْرِ الذي قد تهابه

ورأيكَ ليستْ في المَشارعِ شِرعةٌ … ولا مَنْهَلٌ عذبٌ يسوغُ شرابه

وماالناسُ إلاّ مثلما أنتَ عارفٌ … فلا تطلبنَّ الشيءَ عَزَّ طِلابه

بَلَوتُ بهم حلوَ الزّمانِ ومُرَّهُ … فسيّان عندي عذبُهُ وعذابه

كأنّي أرى (عبد الغنيّ) بأهله … غريبًا[*] منَ الأشْرافِ طالَ اغْترابه

يُمَيِّزُهُ عنهمْ سَجايا مَنوطةٌ … بأروعَ من زُهْرِ النُّجومِ سِخابُه[**]

ثمينُ لآلي العقْدِ حاليَةٌ به … منَ الفضلِ أعناقُ الحجَا ورقابه

إذا نابَ عن صَوْبِ[***] الغَمامَ فإنه … – إذا لم يَصُبْ صَوْبُ الغَمامِ – مَنابُه

تَألّقَ فانْهَلَّتْ عَزاليه وارتَوى … به حَزَنٌ راجيهِ وسالتْ شِعابه

أتَعْرِفُ إلاّ ذلك القَرْمَ آبياً … على الدهرِ يقسو أو تلينُ صِلابه

تَسَرْبَلَ فَضْفاضَ الأبوةِ كلِّها … وزُرَّتْ على الليثِ الهَصورِ ثيابه

ولم ينزلِ الأرضَ التي قد تطامنتْ … ولو أنَّ ذاكَ الرّبْعَ مِسْكاً تُرابه

لقد ضُرِبَتْ فوق الرَّواسي وطُنِّبتْ … على قُلَلِ المجدِ الأثيلِ قِبابه

---

(١) الشلو والشلا: الجلد والجسد من كل شيء، وكل مسلوخة أكل منها فبقيتها شلو وشلا. لسان العرب مادة (شلا). وقال خبيب بن عدي رضي الله عنه: وذلك في ذات الإله وإن يشأ … يبارك على أوصال شلو ممزع

انظر سيرة ابن هشام ٣/ ١٨٥.

(٢) في المطبوع: وحلق في جو الفخار نقابه. من أغلاط الطباعة.

(*) في الطبعة (١): (غريب) والصواب ما أثبتناه لأن أرى تنصب المبتدأ والخبر.

(**) السِّخاب: كل قلادة كانت جوهرًا أو لم تكن. انظر لسان العرب. مادة (سخب).

(***) في الطبعة (١): (صرب) وصوبت على الطراز الأنفس.

فأصبحت الشُّمُّ العَرانينُ دونهُ … وحَلَّقَ في جوِّ الفَخارِ عُقابه[2]

أَبَى اللهُ والنَّفْسُ الأبيّةُ أن يُرى … بغير المعالي همُّهُ واكتئابه

فدانتْ له الأخطارُ بَعْدَ عُتُوِّها … وذلّتْ له من كلِّ خطبٍ صِعابه

ولو شاءَ كَشْفَ الضُّرِّ فرّقَ جَمْعَهُ … وما فارقَ العَضْبَ اليَماني قِرابه

ومجتهدٍ في كلِّ علمِ أبيَّةٍ … فلا يَتَعَدّاها لعمري صَوابه

بفكرٍ يرى ما لا يَرى فكرُ غيرِهِ … يَشُقُّ جَلابيبَ الظلامِ شِهابه

مُقيمٌ على أنْ لا يزَالَ قِطارُهُ … يَصُوبُ وهذا صَوْبُهُ وانْصِبابه

وأمّا خَلا ذاك الغَمامِ فَمُقْلِعٌ … وعمّا قليلٍ يَضْمَحِلُّ ضَبابه

وناهيكَ بالنَّدْبِ الذي إنْ نَدَبْتَهُ … كفاكَ مُهِمّاتِ الأمورِ انتدابه

ذُبابُ حُسامِ البأسِ جَوْهَرُ عَضْبِهِ[1] … وما الصَّارمُ الهنديُّ لولا ذُبابه؟

عليمٌ بما يقْنْي الثَّناءَ وعاملٌ … وداعٍ إلى الخيرِ العظيمِ مُجابُه

إذا انتسَبَ الفعلُ الجميلُ فإنّما … يكون إلى رَبِّ الجميلِ انتسابه

هل الفضلُ والإحسانُ إلاّ صنيعُهُ … أمِ الحمدُ والشُّكرانُ إلاّ اكتسابه؟[2]

وإنّي متى أُخْلِيتُ من ثروةِ الغِنَى … وأُغْلِقَ من دونِ المَطامعِ بابُه

بدا لِيَ أنْ أعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ … وأصْبُو إلى ذاكَ المَريعِ جَنابه

فأصْدَرني عنه مَصادرَ واردٍ … من اليَمِّ زَخّارِ النَّوالِ عُبابه

وأصبحُ مَرْمُوقَ السَّعادةِ بَعْدَما … خَلَتْ ثُمَّ لا زالتْ مِلاءً وِطابُه

إذا ذهبَ المعروفُ في كلِّ مَذْهبٍ … إليكَ برغم الحادثاتِ مَآبه

فلستَ تَراني ما حَيِيتُ مُؤمِّلاً … سِواكَ ولم يعلقْ بِيَ النّذلُ عابه

ولا مُسْتَثيباً من دَنِيٍّ مَثوبَةً … حرامٌ على الُحرِّ الأبيِّ ثوابه

… ولا غَرّني في الظامئينَ سَرابُهُ

(١) ذباب السيف: حده وطرفه الذي يضرب به.

(٢) هذا البيت لم يرد في الأصول، وأثبته المرحوم عباس العزاوي في مجموعة شعر الأخرس.

(٣٧)

وقال مادحًا قائمقام البصرة منيب باشا[١] [وهي من البسيط]:

هُـنِّـيتَ هُـنِّـيتَ بـالإقْـدام والـظَّـفَـرِ ... فـاسـلمْ ودُمْ سـالمـاً بـالـعـزِّ وافـتَـخِـرِ

زلـزلتَ بـالـسَّـيْفِ أركـانـاً مُـشَـيَّـدَةً ... تـكـادُ تـلـحقُ بـعـد الـعَـيْنِ بـالأثَـر

أنت (الـمُـنيبُ) إلى الـلـه الـعـزيـزُ به ... والـمُـتّـقي مـنه في أمنٍ وفي خَـطَـر

بـطشتَ بَـطْشَ شـديـدِ الـبـأسِ منـتـقمٍ ... من بعـد ما كنتَ قد بالـغتَ في النُّذر

إنَّ الخَـــوارِجَ عن أمْـــرٍ أمَـــرْتَ بهِ ... جـاءتْ إلـيك لـعـمـري غـيـرَ مُـفْـتَـقِـر

همْ عــاهــدوكَ عــلى أن لا تُــمَـدَّ لــهمْ ... يـدٌ إلى شَـجَـرٍ عَـدْواً ولا عُـشَـر[٢]

ولا يـنـالـونَ مـنـهـا غـيـرَ مـا مـلـكتْ ... أيمـانـهمْ بـعـدمـا يُـودَى منَ الـعُـشُـرِ

لـو أنَّـهمْ صَـدَقـوكَ الـقـولَ يـومـئـذٍ ... قـبلتَ بـالـعـفـو عـنـهم عُـذْرَ مُـعْـتَـذِرِ

كـفَى بمـا كـان مـنكَ الـيـوم تَـبْـصِـرَةً ... - لو يعقلون - لذي سمعٍ وذي بَصَر

لَـبَّـتْكَ أبـنـاءُ(نجـدٍ) إذْ دعـوتَـهُمْ ... فـأقـبـلـتْ زُمَـراً تـأوي إلى زُمَـر

جـاءتْ إلـيك كـأُسْـدِ الـغـابِ عـادِيَـةً ... على أعاديكَ تحمي البيضَ بـالسُّمُر

تـهـونُ دونك مـنـهـم أنـفُسٌ كَـرُمَتْ ... في عـزَّةِ المـوتِ أو في لُـجَّـةِ الخَـطَـر

كـأنمـا تَـنْـتَـضـيـهـا من عـزائـمـهمْ ... صَـوارِمـاً طَـبَـعـوهـا آفَـةَ الـعُـمُـر

والحـربُ قـائـمـةٌ مـنـهمْ عـلى قَـدَمٍ ... والـنَّـقعُ يَـكْـحُلُ عَـيْنَ الـشّمْسِ بـالحَـوَر

(١) هو منيب باشا عينه والي بغداد محمد نامق باشا الكبير محافظًا على البصرة سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٩م، وزوده بتعليمات خاصة حول مقاطعات البصرة وأنهارها والعناية بها واستخلاص الأملاك والنخيل من عبث العجم وبعض عشائر العرب، حيث كانوا ينهبون الأثمار والواردات. فقام خير قيام بالمحافظة على أملاك الناس، وتحصيل واردات الدولة، وكان القاضي أحمد نور الأنصاري قد رفع له تقريرًا سابغًا وافيًا، عن أحوال البصرة وتجاراتها وأنهارها وأملاكها. وسماه (النصرة في أخبار البصرة) حققه الدكتور يوسف عزالدين ونشره سنة ١٩٧٠م. وقد نال رتبة فريق وكان رئيس الفيلق السادس ببغداد سنة ١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م وتوفي سنة ١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م. التحفة النبهانية ٩/ ٣١٣، و(بصرة ولايتي سالنامة سنة ١٣٠٩هـ ص٦٤) وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٤.

(٢) في الأصول: يدًا إلى شجر.. (كذا) وهي نائب الفاعل.

وللمَدافعِ إرعادٌ وزمجرةٌ ... ترمي جَهَنَّمُها الطاغينَ بالشَّرَر
إذا قَضَى الحَتْفُ من أبطالها وَطَراً ... ففي (سليمانَ) منها لَذَّةُ الوَطَر[1]
بغِلْمَةٍ كسُيوف الهندِ مُصْقَلَةٍ ... ما شِيبَ منها صفاءُ الودِّ بالكدَر
لا ينزلونَ على كُرْهٍ بمنزلةٍ ... ولا يُضامون في بدوٍ وفي حَضَر
وكم جَمَعْتَ وشَجَّعْتَ الرجالَ وكمْ ... علّمْتَها الحربَ بعدَ الجبنِ والخَوَر
نفختَ فيهم فقاموا يهرعون إلى ... حربٍ تشبُّ بنارٍ من لَظَى سَقَر
عَلَّمْتَهُمْ كيف يمضي السَّيفُ شفرتَهُ ... وليس يُغني حِذارُ الموتِ عن قَدَر
سَرَتْ بهمْ نَفَحاتٌ منكَ تَبْعَثُهمْ ... إلى الشَّجاعَةِ بَعْثَ النادرِ الحَذِر
وأنت وحدكَ فيهمْ عسكرٌ لَجِبٌ ... سودُ الوقائعِ من راياتكَ الحُمُر
وأنت بالله لا بالجيش منتصرٌ ... فيا لمُسْتَنْصِرٍ بالله مُنْتَصِر
قد أفلحَ الناسُ باديها وحاضرُها ... من آمرٍ بالذي تَهْوَى ومُؤتَمِر
وأنت هادٍ لها في كلِّ مُشْتَوِرٍ ... وأنتَ مِقدامُها في كلِّ مُشْتَجَر
وربَّ أمْرٍ مَهولٍ من عظائمه ... أنْ ليس ترنو إليه عينُ مُحْتَقِر[2]
فعلت بالرأي والتدبيرِ يؤمئذٍ ... ما ليس تفعلُه بالصَّارم الذَّكَر
وإنّكَ العَضْبُ راعَ العينَ منتظراً ... من صَنْعَةِ اللهِ لا من صنعةِ البَشَر
تَرِقُّ للناسِ ما تصفو ضمائرها ... برقّةٍ كنَسيمِ الروضِ في السَّحَر
والغِلُّ يكمنُ من تلك الخَوارجِ في ... قُلوبِها ككُمونِ النار في الحَجَر[3]
عادوا فَعُدتَ إلى ما كنتَ تفعلُهُ ... في حالكٍ من ظلامِ النَّقْعِ مُعْتَكِر
والخيلُ تفعلُ بالقَتْلَى سنابكُها ... لِعْبَ الصَّوالجِ يومَ الروعِ بالأُكَر
وقُمْتَ تخطبُ في حدِّ الحسام على ... مَنابرِ الهامِ بالآياتِ والسُّوَر
والسَّيْفُ أصدقُ ما تُنْبيكَ لَهْجَتُهُ ... بموجَزٍ من لسانِ الحالِ مُخْتَصَر[4]
دانوا لأمْرِكَ بعدَ الذلَّ وامْتَثلوا ... وكان عَفْوُكَ عنهم عَفْوَ مُقْتَدِر

---

(١) هو سليمان فائق بك والد حكمت سليمان، كان محاسباً في البصرة، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) في المطبوع: ترنو عليه.

(٣) في المطبوع: ككمين النار.

(٤) فيه تلميح إلى قول أبي تمام: السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
شرح ديوان أبي تمام للتبريزي ١/ ٤٥.

كم من يَـدٍ لـهم طـولى تـطـولُ عـلى … سُمْرِ العَوالي رماها اللهُ بالقِصَر

ومـنـذُ عـادوا فـقـد عـادوا لـمَـهْـلَـكـةٍ … لِـما نُـهُوا عنه من بَـغْيٍ ومن بطَر(*)

في كلَّ عـامٍ لـهمْ حـربٌ ومُـعْـتَـرَكٌ … ومـوعـدٌ لـلـمـنـايا غـيـرُ مُـنْـتَـظَـر

وهمْ متى شئتَ كانوا منك يومئذٍ … لدى المنيّةِ بين النّابِ والظُّفُر

لا يَبلُغُ الشَّرُّ منهمْ مثلَ مَبْلِغِهِ … في عامهمْ ذلك الماضي ولم يَثُر

قابلتَهُمْ بجنودٍ أمطرتْ بدمٍ … كما يصوبُ مَصابُ المُزنِ بالمطر

ورُبَّ أحْمَقَ معروفٍ لشهرته … وافاكَ من قومه الأعجامِ في نَفَر(١)

لا يعرفون وُجوهَ الموتِ تَرْهَقُهمْ … ذُلاً وتوسِعُهُمْ طرداً إلى الغَرَر

أخْزاهمُ اللهُ في الأدبار إذْ ذُبِحُوا … قبلَ الخَلائف ذَبْحَ الشّاةِ والبَقَر

وفَرَّ قائدهمْ من خوفه هَرَباً … حتى تحَجَّبَ بالحيطانِ والجُدُر

ليت المنيّةَ غالَتْهُ بمُهْلِكَةٍ … وقد أصيبَ لحَاهُ اللهُ من دُبُر(**)

إنَّ الأباعدَ لم يُوثَقْ بخدمتهمْ … همُ العدوُّ فكن منهم على حَذَر(٢)

أبْعِدْ عن العسكرِ المنصورِ منزلَهمْ … فشرُّهمْ غيرُ مأمونٍ منَ الضَّرر

لا يصلحُ الجاهلُ المَغْرورُ في نَظَرٍ … إلاّ إذا كان مَصْروفاً عنِ النَّظرَ

المُفسدونَ بأرضٍ ينزلونَ بها … والبارزونَ بقُبْحِ الفِعْلِ والصُّوَر

للّه دَرُّكَ لم تُسْبَقْ بما فَعَلَتْ … منكَ العَزائمُ في ماضٍ من العُصُر

بُعِثْتَ (للبصرةِ) الفيحاء تحفظُها … بصارمِ البأسِ من أحْداثِها الغِيَر

طَهّرْتَها من فسادٍ كان يَكْنُفُها … ولم تدعْ باغياً فيها ولم تَذَر

وصُنْتَها عن شرارِ الناسِ قاطبَةً … صَوْنَ الجنينِ لدى الإنفاقِ بالبِدَر

فَعَلْتَ فَعْلاتكَ اللاتي(***) فَعَلْتَ بها(٣) … تَبْقَى معَ الدهرِ في الأخْبارِ والسِّيَر

---

(١) يعني به الشيخ جابر شيخ المحمرة وستأتي ترجمته.

(٢) أخذه من الآية الكريمة (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) سورة المنافقون الآية (٤).

(٣) في الأصول: فعلت فعلتك اللاتي.. – كذا –

(*) في الطبعة (١): (وطر) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (دير) وهو خطأ طباعي.

(***) في الطبعة (١): (الأتي) والتصويب من الطراز الأنفس.

(٣٨)

وقال مقرّضًا كتاب (التبيان) ومادحًا مؤلفه أبا الثناء الآلوسي[1] [وهي من

أتَى ببراهينٍ غَدَا كلُّ جاحدٍ ... ببُرهانه بينَ البريَّة مُفْحَما
فألزَمَهُ بالحقِّ والحقُّ قَولُهُ ... فأسْلَمَ من بعد الجُحود وسَلَّما
فَطَوْراً تراه للأمور مُسَدِّداً ... وطوراً تَراهُ للعلوم مُعَلِّما
فلله ما صنّفتَ كلَّ مصَنَّفٍ ... سَرَى مُنْجِداً في العالمين ومُتْهِما
ومن مُشْكلاتٍ بالعلوم عَرفْتَها ... فأعربتَ عمّا كان فيهنَّ مُعْجَما
وأبكيتَ أقلامَ البَراعَة والنُّهى ... فأرضيتَ حَدَّ السيف حتّى تَبَسَّما
وما زلتَ(*) عمّا شانَ بالمجد خالياً ... وما زلت بالعلم اللَّدُنيِّ مُفْعَما
تفرَّدتَ في عِلْمٍ وفَهْمٍ وحِكْمَةٍ ... فها أنتَ والعلياءَ أصبحتَ تَوأما
وإن جئْتَنا في آخرِ الدهر رحمةً ... إذا عُدَّتِ الأمجادُ كنتَ المُقَدَّما
وحَسْبُكَ ما في الناس مثلُكَ سيِّدٌ ... أنالَ مُقلاً أو تكرّمَ مُعْدَما
وكم نَثَرْتَ نَثْراً بلاغَتُكَ التي ... أردتَ بها دُرَّ المعالي مُنَظَّما
وقد أخْرَسَتْني من عُلاكَ فَصاحةٌ ... ألستَ تَراني (أخرسَ) النُّطقِ أبكما

(٣٩)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) في الطبعة (١): (نلت) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

(٢) هو الشيخ وادي بك بن الشيخ شفلح بن شلال بن نجم بن عبدالله بن يوسف بن خضر بن عبدالله، شيخ مشايخ زبيد. قال عنه إبراهيم فصيح الحيدري: «كان أميرًا كريمًا جرارًا، له من مكارم الأخلاق والأفعال والأقوال ما لا يسعه المقام، وكانت عطاياه كعطايا البرامكة وهو من حسنات الزمان». وكان يستعمله علي رضا اللاظ والي العراق بجمع الضرائب من العشائر، كما ساهم معه في واقعة المحمرة سنة ١٢٥٣هـ. وقد ساهم مراراً بتقوية سداد نهر الفرات عند الفيضان. وكان مالكي المذهب. وهو زوج نائلة خاتون صاحبة الخيرات والمبرات، وتوفي سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨٥١م. وتزوجها من بعده مراد أفندي أبوكذيلة متصرف العمارة، وباسمها أنشأت مدرسة نائلة خاتون العلمية في بغداد، مقابل جامع الحيدر خانة في رأس الزقاق مجاور مقهى البرلمان. وقد هدمت سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. =

أمنْ بعدِ الهُمامِ القَرْمِ (وادي) ... تصوبُ غمامةٌ ويَسيلُ وادي
وهل يسقي الغمامُ (بني زبيدٍ) ... فتنقعُ غلةٌ ويبلُّ صادي
لتَصْدَى بعده الورّادُ طرّاً ... وأين الماءُ من غُلَلِ الصَّوادي
شديدُ البأسِ أروعَ مُسْتَشيطٌ ... يردُّ شكيمةَ الكُرَبِ الشِّداد
فكيف يقودهُ صَرْفُ المَنايا ... وكنتُ عَهدْتُهُ صَعْبَ القياد
قريباً كان ممَّن يَرْتَجيه ... رماه الحَتْفُ منّا بالبُعاد
وذُخْرُ الأنْجَبين وكلُّ ذُخْرٍ ... سَتُسْلِمُهُ الخطوبُ إلى النَّفاد
فَقَدْنا صبحَ غرَّته بليلٍ ... كسا الأيامَ أرديةَ السَّواد
وروِّعَتِ النُّجومُ الزهرُ حتّى ... برزنَ من الدُّجُنَّةِ في حِداد
كأنَّ له من الأحْشاءِ قبراً ... فؤادي لو شَقَقْتَ على فؤادي
يعزُّ على العَوالي والمعالي ... وسمر الخطِّ والخيلِ الجِياد
أسيرٌ بين أيديها المنايا ... فلا يُفْدَى وإن كَثُرَ المُفادي
يَغُضُّ الطَّرْفَ لا عن كبرياءٍ ... ولم يَشْغَلْ بمَكرُمَةٍ وِدادي
فليس القولُ منه بمُسْتَعادٍ ... وليس الجودُ منه بمستفاد
يبيتُ بلا أنيسٍ بين قومٍ ... نيامٍ لا تَهُبُّ من الرُّقاد
ولو يُفْدَى فَدَتْه إذاً رجالٌ ... عَوادٍ بالسُّيوف على الأعادي
وحالتْ دونَهُ بيضٌ حدادٌ ... شُفِعَنَ بُزرقَةِ السُّمْرِ الصِّعاد

= وقد أكثر الشعراء في مدائح الشيخ وادي، ومنهم عبدالباقي العمري والملا حسين الحلي، والشيخ عبدالحسين محيي الدين بقصائد عديدة قال في بعضها:

وليث إذا ما الحرب تسعر نارها ... تخوض لظاها بالحسام المهند
فدونك يا وادي المكارم مدحة ... حداني لها حق الوفا والتودد
ودم سالماً من كل ريب ونكبة ... بأرغد عيش لم يشب بتنكد

كما كتب الشيخ قاسم محيي الدين كتاباً في سيرته سماه (غياض الوادي ورياض النادي في سيرة الشيخ وادي) ما يزال مخطوطاً.

عنوان المجد ١١٢ والترياق الفاروقي ٢٤١ وعشائر العراق ٣/ ٣٢ و٣٥ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٤٩ وشعراء الغري ٥/ ١٠٤ و٧/ ٨٩ وشعراء الحلة ٢/ ٢٥٥.

ولاجْتَهَدَتْ بمَنْعَتِهِ عقولٌ ... لها في الرأي حقُّ الإجتهاد

ولكن قد أصيبَ بسهم رامٍ ... قَضَى أنْ لا يُرَدَّ عن المُراد

وليس لما قَضاه اللهُ ردٌّ ... وأمرُ الله يجري في العباد

أرى الآجالَ تطلبُنا حَثيثاً ... ونحن من الغَوايَةِ في تَهاد

وأعمارٌ تَناكَصُ بانتقاصٍ ... وآمالٌ تَهافَتُ بازدياد

وقد غلبتْ لشِقْوَتِنا علينا ... وكاد الغَيُّ يمكرُ بالرَّشاد

ونطمعُ بالبقاءِ وما برحْنا ... نُروَّعُ بالتَّفَرّقِ والبِعاد

نودّعُ نائياً بالرغم منّا ... إلى سفرٍ يطولُ بغيرِ زاد

ونسلو عن أحبَّتِنا ولسنا ... بمُلْتَقِيينَ إلاّ في المَعاد

لقد عَظُمَ المُصابُ وجَلَّ رُزْءٌ ... بفقد المُكرمينَ من البلاد

فَقَدْنا (وادياً) فيها فقُلنا ... على الدنيا العَفَا من بعد (وادي)

وفَلَّ الموتُ مضربَ هندوانٍ ... وأرزَى بالحمائلِ والنِّجاد

أذوبُ عليكَ بالحُزْنِ ادّكاراً ... وأشْرَقُ منك بالماءِ البراد

ولي نَفْسٌ تَلَهَّبُ عن زفيرٍ ... كما طار الشَّرارُ عن الزناد

على الليث الهِزَبْرِ(*) تَكادُ منه ... لُيوثُ الغابِ تُصْفَدُ في صفاد

يُماطُ عن الثِّياب وكان يكسو ... غَداةَ الرَّوْعِ سابِغَةَ الدُّؤادي

قد انقَشَعَتْ سحابةُ كلِّ عافٍ ... بوَبْلِ القَطْرِ في السَّنَةِ الجَماد(١)

وكُدِّرتِ المَشاربُ بعد صَفْوٍ ... وما يُجْديك رفقٌ من ثماد

هي الأيامُ لا تصفو لِحَيٍّ ... ولا تُبْقي المُوالي والمُعادي

ألَمْ تنظرْ لِما صَنَعَتْ بـ (عادٍ) ... وأقيالٍ مَضَتْ من بَعْدِ (عاد)

وما أدري على أيِّ اتِّكالٍ ... وَثِقْنا بالسَّلامَةِ واعْتماد

فكم نَطَأُ الرَّمادَ ونحنُ نَدْري ... ونعلمُ أنَّ جَمْراً في الرَّماد

وهَبْنا مثلَ نبتِ الزرعِ نَنْمو ... فهل زرعٌ يدومُ بلا حَصاد

وتَهْلِكُ أمَّةٌ وتجيءُ أخْرَى ... ويَخْفَى ذا وهذا اليومَ بادي

على هذا اطّرادُ الدهرِ قِدْماً ... فكيف نَرومُ عكسَ الإطِّراد

---

(١) السنة الجماد: التي لا مطر فيها ولا خصب ولا كلأ.

(*) في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (ليث هزبر) وهو خطأ طباعي يكسر الوزن ولعل الصواب ما أثبتناه.

لـقـد كـانت بُـيـوتُ (بـني زبـيـدٍ) ... ولا (إرَمٌ) بـهـا (ذاتُ الـعِـمـاد)
فـراحْت كـالـسَّـوام بـغَـيْـرِ راعٍ ... وضَـلّتْ كـالجِـمـالِ بـغـيـرِ حـاد
فَـمَنْ لـلـجـود بـعـدكَ والـعَـطـايـا ... ومَنْ لـلـحـرب يُـقْـدِمُ والجِلاد
فلا تَـسْـتَـسْـقِـيـا غَـيْـثـاً مَـريـعـاً ... وقَـرِّي يـا صَـوارِمُ في الـغِـمـاد
فـقـد فَـقَـدَ المَـكـارمَ نـاشـدوهـا ... فلا جـودٌ يـؤَمَّلُ من جَـواد
بـربِّكَ هل سـمـعتَ لـنـا نـداءً ... ومـا يُـغْـني الـنِّـداءُ ولا الـتَّـنـادي
أمـا أنتَ الـمُـجـيبُ لـكلِّ هَـوْلٍ ... بـبـيض الـهـنـدِ والـزُّرقِ الحِـداد
ومُـنْـتَـدَبُ الـكُـمـاة ومُـقْـتَـداهـا ... إذا انْـتُـدِبَ الـفَـوارِسُ لـلـطِّـراد
ووابِلُ صَـوْبِـهـا الـمُـنْـهلِّ تَـنْـدَى ... بـنـائـلـهِ الـرَّوائحُ والـغَـوادي
فـمن يُـدْعَى وقـد صمَّ الـمُـنـادى ... فـوالـهفَ الـصَّـريخِ عن المـنـادي
بَـلَـلْـتُكَ بـالـنَّـجـيعِ نَـجـيعِ دمـعي ... وأقلامي بمُـسْـوَدِّ الـمِـداد
وقـد قـلـتُ الـرثـاءَ وثَمَّ قَـوْلٌ ... يُـثـيـرُ لَـظى حَـشـاً ذاتِ اتِّـقـاد
فـلـيـتكَ كـنتَ تـسـمعُ فـيكَ قَـوْلي ... ومـا أبـديه من مَـحْضِ الـوِداد
تُـشَقُّ لـهـا قـلـوبٌ لا جُـيـوبٌ ... ولـو كـانت أفظَّ من الجَـمـاد
قَـوافٍ تَـقْـطُـرُ الـعـبـراتُ مـنـهـا ... وتَـسْـتَـسْـقِي لكَ الـدِّيَمَ الـغَـوادي
إذا نـاحَتْ عـلـيك بـكلِّ نـادٍ ... بـكَـيْـنـا المـكـرمـاتِ بـكلِّ نـاد

(٤٠)

وَقَـفـنـا بـالـركـائب يـومَ (سَـلْعٍ) ... عـلى دارٍ لـنـا أمـستْ خلاءَ[*]
نُـردِّدُ زَفْـرةً ونُـجـيلُ طـرفـاً ... يُـجـاذبُـنـا عـلى الـطَّـلَلِ الـبـكـاءِ[(١)]
وَقَـفْـنـا والـنِّـيـاقُ لـهـا حَـنـينٌ ... كـأنَّ الـنُّـوقَ أعْـظَـمُـنـا بَلاء
هـوىً إنْ لم يـكنْ مـنـهـا وإلاَّ ... فـمن إلْفٍ لـنـا عـنَّـا تَـنـاءى

(١) أي الطرف يجاذبنا البكاء على الطلل.

(*) في الطبعة (١): جاءت بعد همزة القافية ألف ممدودة في كل الأبيات وهي تلزم قراءة لا كتابة ولذلك حذفناها.

وَقَــفْــنــا عــنــد مُــرْتَــبَعٍ قــديمٍ ... فــجَــدَّدنــا بمــوقِــفِــنــا الــعَــزاء
وقـــلـتُ لـــصـــاحـــبي هل من دواءٍ ... فـقـد هـاجَ الـهَـوَى في الـركب داء
ودارٍ طـــالمـــا أوقـــفتُ فـــيـــهـــا ... فـــغـــادَرَت الـــظِّـــمـــاءُ بـــهـــا رِواء
لـــهـــا حقٌّ عـلـى الـمُـشـتـاقِ مـنَّـا ... فـــأسْـــرعْ يـــا هُـــذَيْمُ لـــهـــا الأَداء
أرِقْ يـــا (ســـعـــدُ) دَمْـــعَكَ إنَّ دَمْـــعي ... دَمٌ إنْ كـــان مـــنكَ الـــدمعُ مـــاء
ومـــا لكَ لا تـــريقُ لـــهـــا دمـــوعـــاً ... وإنّي قـــد أرقتُ لـــهـــا دمـــاء
تـــكـــادُ تُـــمـــيـــتُـــني الأطلالُ يـــأســـاً ... بـــأهـــلـــيـــهـــا وتُـــحْـــيـــيـــني رَجـــاء
هَـــوىً مـــا سَـــرَّهـــا إذْ سَـــرَّ يـــومـــاً ... وكم سَـــرَّ الـــهَـــوَى من حـــيـثُ ســـاء
كـأنَّ الـعِـيسَ تُـشْـجـيـهـا الـمَـغـاني ... فـتُـشْـجـيـنـا حـنـيـنـاً أو رُغـاء

(٤١)

وقال مادحًا السيد محمد أفندي جابي زاده[1] حين قدم من الشام قاضيًا ببغداد

دعــاه إلى الــهَــوَى داعي الــتّــصــابي ... فــراحَ بــذِكْــر[*] أيّــامِ الــشَّــبــابِ

---

(١) هو قاضي بغداد السيد محمد بن جابي زاده الشامي، استقدمه الوالي محمد نجيب باشا من الشام وعينه قاضيًا ببغداد، بإشارة من شيخ الإسلام عارف حكمت، وقد استقبله أهل بغداد سنة ١٢٦٥هـ وكرمه العلماء ومدحه الشعراء، ومنهم عبدالباقي العمري بقصائد روائع قال في بعضها:

ظـهـر الـدين طـالـعـاً من أكـنـة ... كـهلال عـنه أمـيـطت دجـنه
ونـفى الجـور عـدل قـاض بـحق ... وقـــع آرائه كـوقع الأســـــنة
وشقيق النعمان جاء من الشام ... فخلنـــاه شامة فوق وجنــــه
بيَّض الله وجهـــه ما ازدهتـه ... من سواد العراق خضراء دمنه
أخذ الزهـد والتقى عن أويْـسٍ ... والـهدى عن سفيان بن عيينه

كما مدحه أحمد عزة الفاروقي بقوله:

هو المرتجي فخر الموالي محمد ... أبوعـــارف جابي العلا والمكارم
من السادة الغر الميامين ياله ... نجارًا به ازدانـــت ذؤابة هاشم
لقد قيدت أقلامه كـــل شاردٍ ... كما شتتت كفاه شمل الدراهم

إلا أن أبا الثناء الآلوسي قد ذمه في كتابه (غرائب الاغتراب) وقال فيه: «حاله في العراق معلوم، وإن جهلته فسل عنه قاضي جبل أو سدوم. وآيته أسامةَ شيخ الإسلام. مع أنه ثعالة أهل الشام. ولعمري لو اطلع شيخ الإسلام من حاله[على] نحو ما اطلع عليه أهل مدينة السلام، ما قلده القضاء بين اثنين إلى أن يقضي الله سبحانه بين الأنام». الترياق الفاروقي ص٢٧١ وغرائب الاغتراب ٢٠٤ – ٢٠٥ وديوان أحمد عزة الفاروقي الورقة ٩ مخطوط، وحديقة الورود ج١ الورقة ٨٠ – ٨١ مخطوط.

(*) في الطبعة (١): (يذكر) وهو خطأ طباعي والتصويب من الطراز الأنفس.

يُـذيلُ مَـدامـعـاً قـد أرسَـلَـتـهـا ... لــواعجُ فَــرْطِ حُــزْنٍ واكــتِــئــاب

وأبْــصَـرَهُ الــعَـذولُ كـمـا تــراهُ ... بمـا قــاسَى شَـديـدَ الإضـطـراب

وفي أحــشــائه وَجْــدٌ كـمــينٌ ... يُــعَــذِّبهُ بــأنــواعِ الــعَــذاب

فلامَ ولم يُـصِبْ بـالـلّـوم رُشْـداً ... وكـان الـعُـذْرُ أهـدَى لـلـصَّـواب

جَـفَـتْهُ الـغـانـيـاتُ وقـد جَـفـاهـا ... فلا وصلٌ منَ الـبـيـضِ الـكِـعـاب

وكــان يُــروعُهُ من قــبل هــذا ... هـوى سـلـمى وزيـنـبَ والـرَّبـاب

يـروحُ[*] إلى الـدُّمَى صـابٍ إلـيـهـا ... ويـأنسُ في أوانِـسِـهـا[**] الـعِراب[1]

أعـيـدي الـنَّـوْحَ يـا ورقـاءُ حـتّى ... كـأنَّك قـد شـكَـوتُك بـعضَ مـا بي

بـكـيتِ ومـا بـكـيتِ لـفـقـدِ إلفٍ ... عـلى أنّي أُصِـبْتُ ولم تُـصـابي

وذَكَّـرَني وَمَـيضُ الـبـرق ثَـغْـرًا ... بَـرودَ الـشُّـربِ خَـمْـرِيَّ الـرُّضـاب

ومـا أظـمَـاك يـا كـبـدي غـلـيلاً ... إلى رشفِ الـثَّـنـايـاتِ الـعِـذاب

أتَـنْـسَى يـا (هُـذَيْمُ) غـداةَ عُـجْـنـا ... عـلى ربعٍ نـهـابٍ لـلـذّهـاب

فَـأوْقَـفْـنـا الـمَـطِيَّ عـلى رُسـومٍ ... كـآثـارِ الـكـتـابِ من الـكـتـاب

وأطلالٍ لـمَـيَّـةَ بـالـيـاتٍ ... بـكت أطلالَـهـا مُـقَلُ الـسَّـحـاب

نُـسـائـلُـهـا عن الـنـائـينَ عـنـهـا ... فَـتَـعْـجَـزُ يـا (هُـذَيْمُ) عنِ الجـواب

هـنـالكَ كـانت الـعَـبَـرات مـنَّـا ... خِـضـابـاً أو تـنـوبُ عنِ الخِـضـاب

أُمَـنّي الـنـفسَ بـعـدَ ذهـابِ قَـوْمي ... بمـا يـرجـو الـمُـفـارِقُ من إيـاب

ذريـنـي يـا أُمَـيْمَ منَ الأمـاني ... فـمـا كـانت خلا وَعْـدٍ كِـذاب

ذريـنـي أَصْـحَبِ الـفَـلَـوات إنّي ... رأيتُ الجـدَّ أوفَقَ بـالـطِّلاب

فـمـا لي يـا أمـيـمـةُ في خُـمـولٍ ... يَـطـولُ به مع الـدنـيـا عِـتـابي

سَـقـيمٌ بـين ظَـهْـرانَيْ أنـاسٍ ... أرومُ بـهـمْ شَـرابـاً من سَـراب

يُـجَـنِّـبّـني نَـداهُمْ صَـونُ عِـرْضي ... وتَـركي لـلـدنـيَّـةِ واجْـتـنـابي

وكم لي فـيـهمُ من قـارصـاتٍ ... ومـا نَـفَـدَتْ سـهـامٌ من جِـعـابي[2]

(١) عراب: جمع عروب وهي المرأة التي تحب زوجها. وكذلك عرب. وفي القرآن الكريم (عربا أترابا). سورة الواقعة الآية ٣٧.

(٢) في الأصول: (وما نفدت سهام من جعاب) وما أثبتناه أولى.

(*) في الطبعة (١): (يروع) والتصويب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (أوانها) والتصويب من الطراز الأنفس.

سأرسلُها وإنْ كانت حثيّاً ... عليها من أباة الضَّيْمِ آبي

وإنّي مثلَما عَلِمَتْ سعادٌ ... وَقورُ الجأش مِقْلاقُ الركاب

وأدَّرِعُ القَتامَ لكلِّ هَوْلٍ ... كما أغْمَدْتَ سيفاً في قِراب

وأصْحَبُ كلّ مُبْيَضِّ السَّجايا ... وجُنحُ الليلِ مسوَدُّ الإهاب

ليَأْخُذَ من أحاديثي حَديثاً ... غَنيّاً عن مُعاطاةِ الشَّراب

بمدحِ (محمَّدٍ) ربِّ المعالي ... ورائقِ صَفْوَةَ الحَسَبِ اللُّباب

وها أنا لا أزالُ الدهرَ أُثني ... عليه بالثَّناءِ المُسْتَطاب

فأطرَبُ فيه لا طربَ الأغاني ... وكأسُ الراح ترقصُ بالحَباب

إذا دارٌ نَبَتْ بي رَحَّلَتْها ... عَزائمُ باسلٍ عالي الجَناب

أطرّزُ باسْمِه بُرْدَ القوافي ... كوَشْيِ البُرْدِ طُرِّزَ بالذِّهاب

وفيه تُنَزَّلُ الحاجاتُ منا ... وتنزلُ في مَنازله الرِّحاب

إذا آبَ الرَّجاءُ إليه لاقَى ... بساحة مجده حُسْنَ المآب

تواضَعَ وهْوَ عالي القَدْرِ سامٍ ... ولا عَجَبٌ هو ابنُ (أبي تراب)[1]

شريفٌ من ذؤابة آل بيتٍ ... براءٌ في الدُّنا من كلِّ عاب

يُشَرِّفُني إذا أُدنيتُ منه ... دُنُوّي من علائي واقْتِرابي

وفي ما بيننا والفضل قُرْبَى ... منَ العرفانِ والنِّسَبِ القِراب

أهيم بمدحه في كلِّ وادٍ[2] ... وأقرَعُ في ثَناه كلَّ باب

إلى حَضَراته الأمْداحُ تُجْبَى ... ومن ثَمَّ انتَمَى فيها لـ (جابي)

يرغّبُ فَضْلُهُ الفضَلاءَ فيه ... ويُطْمِعُهُمْ بأيديه الرِّغاب

عطاءٌ ليس يَسْبِقُهُ مِطالٌ ... وقد يعطي الكثير بلا حساب

وينفقُ في سَبيلِ الله مالاً ... لأبناء السَّبيلِ وفي الرِّقاب

جَزَى الله الوزيرَ الخَيْرَ عنا[3] ... وأجْزاهُ بأضْعافِ الثَّواب

فقد سَرَّ (العراقَ) ومَن عليها ... بقاضٍ لا يروغُ ولا يُحابي

---

(١) أبوتراب: كنية الإمام علي رضي الله عنه. والممدوح يتصل بنسبه إليه.

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: (والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون..) ومعنى ذلك أنه شاعر جيد لأنه يهيم في كل واد. سورة الشعراء الآية ٢٢٤ و٢٢٥.

(٣) الوزير: هو محمد نجيب باشا ستأتي ترجمته.

وأبقَى اللهُ للإسلام شَيْخاً[1] ... به دَفْعُ المُصابِ عنِ المُصاب[*]

بمثل قضائه فَصْلُ القَضَايا ... ومثلِ خِطابه فَصْلُ الخِطاب

منَ القَوْمِ الذين عَلَوْا وسادوا ... كما تعلو الرؤوسُ على الذناب

أطلّوا بالعلاءِ على البَرايا ... كما طلَّ الجبالُ على الروابي

ليهنكِ أنتِ يا (بغدادُ) منه ... بطلعَة حُسْنِ مَرْجُوٍّ مُهاب

أقامَ العَدْلَ في (الزوراءِ) حتّى ... وَجَدْنا الشَّاءَ يأنَسُ بالذئاب

وأنّى لا يُطاعُ الحقُّ فيها ... ولا تجري الأمورُ على الصَّواب

وسيفُ الله في يَدِ هاشميٍّ ... صقالُ المتنِ مَشْحوذُ الذُّباب

خُروجُكَ من (دمشقِ الشّام) ضَاهَى ... خروج العَضْبِ أُصْلِتَ للضِّراب[2]

وجِئتَ مجيءَ سَيْلِ الطمِّ حتّى ... لقد بَلَغَ الرَّوابي والزَّوابي[3]

بعِلْمٍ منك زخّارِ العُباب ... وفضلٍ منكَ مَلآنِ الوطاب

فمن هذا ومن هذا جميعاً ... أتيتَ الناسَ بالعَجَبِ العُجاب

وراحَ الناسُ يا مولايَ تدعو ... لعزكَ بالدُّعاءِ المُسْتَجاب

فلا أَفلَتْ نُجومُكَ في مَغيبٍ ... ولا حُجِبَتْ شُموسُكَ في ضَباب

(٤٢)

وقال يمدح عبدالقادر جلبي [الكمركجي][4] حين قدم من الشام ونزل في بيت

---

(١) هو شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت الله ستأتي ترجمته.

(٢) في المطبوع: للقراب. من وهم الطباعة.

(٣) الزوابي: جمع زبية وهي حفرة تتخذ في مكان مرتفع لصيد السباع وفي المثل «لقد بلغ السيل الزبى» مجمع الأمثال ١/ ٩٦.

(٤) هو عبدالقادر جلبي المعروف بالكمركجي بن مصطفى جلبي زيادة، من تجار الشام. جاء مع حملة علي رضا اللاظ إلى بغداد سنة ١٢٤٧هـ وأصله من حلب، فعينه علي رضا مديرًا للكمرك في بغداد. وأطلق يده وأصبح موضع اعتماده، فظلم الناس وابتز أموال التجار، ثم صار يشاركهم في تجاراتهم، ولم يكتف بذلك بل حصر الاستيراد بنفسه، وصار يراسل تجار الشام، ويستورد البضائع ويبيعها بأسعار عالية، كما كان يتدخل في شؤون الإدارة ويأخذ الرشوة من الناس لتمشية مصالحهم، وفرض على التجار في بغداد أن يقيم له كل واحد منهم وليمة يوم السبت من كل أسبوع، وكان يخرج للنزهة مع اليهود يوم السبت وذلك على حساب تجار =

(*) **المصاب الأولى هي المصيبة والثانية تعني من تقع عليه المصيبة.**

أكْـرِمْ بـطـيفِ خَـيـالِـكُمْ من زائـرِ | مـا زارَ إلاّ مُـؤْذِنـاً بـبَـشـائـرِ
وافَى عـلى بُـعـد الـمَـزار وربَّـمـا | بُلَّ الـغـلـيلُ بـغـائبٍ من حـاضـرِ
والـنَّـجْمُ يَـصْـرِفُ لـلـغـروبِ عِـنـانَهُ | حـتّى بَـصُـرْتُ به كَـلـيلَ الـنَّـاظرِ
وكـأنَّ ضَـوْءَ [الصبح][*] في أثَرِ الدُّجى | إظـهـارُ حُـجّـةِ مـسـلمٍ لـلـكـافـرِ
لا تحـسـبـوا أنّي سَـلَـوْتُ غَـرامَـكُمْ | هَـجْـراً فـبُـعـداً لـلـمُـحِبِّ الـهـاجرِ
جـمراتُ ذاكَ الـوَجْـدِ حَـشْـوُ جَـوانـحي | وجـمـالُ ذاك الـوَجْـهِ ملءُ نَـواظِـري
أعِـد ادّكـارِكَ يـومَ مُـجْـتَـمَعِ الـهَـوَى | إنّي لأصْـبُـو عـنـدَ ذِكْـرِ الـذاكـرِ
أيـامَ نَـرْفُلُ بـالـنَّـعـيمِ ونَـصْـطَـلي | نـارَ المدامـةِ من عـصـيـرِ الـعـاصـرِ
ولـقـد ذكـرتُ الـعـيشَ وهْـو كـأنّـمـا | بَـرزَتْ مَـحـاسِـنُهُ بـروضٍ نـاضـرِ
ومَـلـيـكـةُ الأفـراحِ في أقْـداحِـهـا | قـد رُصِّـعَتْ تـيـجـانُـهـا بِـجَـواهـرِ
صَـبَغَتْ بـإكسـيـرِ الحَـيـاةِ لُـجَـيْـنَـهـا | فـكـأنَّـهـا مَـلَـكَتْ صِـنـاعَـةَ جـابـرِ[1]
خَـلَعَ الـعِذارَ لـهـا الـنَّـزيفُ وبـانَ في[2] | جُـنْحِ الـظلامِ مُـنـادِمي ومُـسـامِـري
مُـتَـجـاهِـرٌ يَـهْـفُـو إلى لَـذّاته | أحْـبِبْ إلى الـلَّـذاتِ من مُـتَـجـاهـرِ
ذَهَـبَتْ لَـذاذاتُ الـصِّـبـا وتَـصَـرَّمَتْ | أوقـاتُ أُنْـسِكَ في الـزَّمـانِ الـغـابـرِ
وإذا امـرؤٌ فـقـدَ الـشَّـبـابَ فـمـا له | في الـلَّـهْـوِ بـعـد مَـشـيـبِهِ من عـاذرِ

= بغداد. كما أنه جلب أخاه (صالحًا) وعينه واليًا على البصرة وأخاه الثاني عينه محافظا في الحلة.. وبقي يسلب وينهب حتى ضج منه الناس وانهزم التجار من بغداد، فغضب عليه الوالي علي رضا وحاسبه وحبسه، وكان علي رضا شريكه، ثم عزل علي رضا فعفا عنه وأطلق سراحه قبل سفره من بغداد، ورتب عبدالقادر أمره من جديد مع الولاة، وفي سنة ١٢٦١هـ استدعي عبدالقادر إلى استانبول وعين حاكمًا في إزمير. وذكره أبوالثناء الآلوسي حين اجتمع به في الآستانة فقال: «... وكان يؤنسني بطيب كلامه ومزيد تواضعه. وقد نلت بتوسطه عند شيخ الإسلام معظم ما حصل لي من منافعه ورأيت له قبولاً عظيمًا عند الرجال، وكانوا يحلونه أعلى محل ويجلونه غاية الإجلال، وكان بصدد أن يتسور وزارة بغداد. وقد أرادها له معظم الوكلاء – الوزراء – إلا أن الله تعالى ما أراد..». غرائب الاغتراب ١٢٦ و٢٠١ ونشوة الشمول ٤٥ وصور مظلمة من تاريخ العراق ٣٠٠ – ٣٠٢.

(١) جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي، فيلسوف كيميائي، أصله من خراسان واتصل بالبرامكة وانقطع إلى جعفر بن يحيى البرمكي، له تصانيف كثيرة منها (أسرار الكيمياء) و(علم الهيئة) و(أصول الكيمياء) وغيرها وقد ترجم بعضها إلى لغات متعددة، توفي في طوس سنة ٢٠٠هـ = ٨١٥م. انظر هدية العارفين ١/ ٢٤٩ ومعجم المطبوعات العربية ٦٦٤ والأعلام ٢/ ٩٠ – ٩١ وفيه مصادر أخرى.

(٢) النزيف: السكران قال اللحياني: نزف الرجل فهر منزوف ونزيف، أي سكر وذهب عقله. لسان العرب مادة (ن زف) ومنه قوله تعالى: (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) سورة الواقعة الآية (١٩).

(*) **هنا كلمة ساقطة في الطبعة (١): وأثبتناها من الطراز الأنفس.**

ولقد أقولُ لطامعٍ برُجوعِها ... كيفَ اقتناصُكَ للغَزالِ النَّافرِ؟

للهِ ما أورَى بنا مُتَلَفِّتٌ ... (يوم الفحيمِ) بجيدِ أحْوَى الناظر

والركبُ مُرْتَحِلٌ بكلِّ غَريرةٍ ... تبني الكناسَ بغابِ ليثٍ خادر

أرأيتَ ما فعلَ الوَداعُ بمقلةٍ ... ما قَرَّحَتْ بالدمعِ غيرَ مَحاجِري

وجَرَتْ على نَسَقٍ مَدامعُ عَبْرَةٍ ... شَبَّهْتُها باللؤلؤ المُتناثر

شَيَّعْتُ هاتيك الظعُون عَشيَّةً ... ورجعتُ بعدهمُ بصَفْقَةِ خاسر

لا كان يومَ وَداعِهِمْ من مَوْقفٍ ... وَقَفَ المُتَيَّمُ فيه وقفةَ حائر

والدمعُ يُلْحِقُ آخراً في أوّلٍ ... والبينُ يُرْفِقُ أوّلاً في آخِر

مَنْ ناصري منكمْ على مَضَضِ الهَوى؟ ... هيهات ليس على الهَوَى من ناصر

لا تَعْذِلَنَّ فللغَرامِ قَضيَّةٌ ... سَدَّتْ عليَّ مَسامعي ومَناظري

يا سعدُ حينَ ذكرتُ شرقيَّ الحِمَى ... هل كان قلبي في جَناحَيْ طائر

كُشِفَتْ لديكَ سَريرةٌ أخْفَيْتُها ... فَعَرَفْتَ ثَمَّةَ باطني من ظاهري

وجَفا الخَيالُ ولم يَزُرْني بَعْدَها ... أينَ الخَيالُ من الكئيب السَّاهر

يا أهلَ هذا الحَيِّ كيف تَصَبُّري ... عنكمْ ومَنْ لي بالفؤادِ الصَّابر

ولقد طَرِبْتُ لذكركمْ فكأنَّني ... (بغدادُ) يوَم قُدومِ (عبد القادر)

وافَى منَ (الشّام) (العراقَ) بطلعةٍ ... شِمْنا بها برقَ الحَيا المُتَقاطر

فَزَها بطلعته (العراقُ) وأهلُهُ ... والروضُ يزهو بالسَّحابِ الماطر

وتَقَدَّمَتْهُ قَبْلَ ذاكَ بشارةٌ ... ما جاءت البُشْرَى لها بنظائر

وافَى فأشرقَ كلّ فَجٍّ مظلمٍ ... فيه وأحْيا كلَّ فَضْلٍ داثر

وَضَفَا السُّرورُ على أفاضلِ بلدةٍ ... سُرُّوا بمَحْيَاه البهيِّ الباهر

نَعِموا بوَجْهٍ للنَّعيم نضارةٌ[١] ... فيه وقَرَّتْ فيه عينُ الناظر

بأَغَرَّ أبيضَ تنْجَلي بجبينِهِ ... ظُلُماتُ سُجْفِ سَتائرِ لدَياجِر

يَبْتاعُ بالمال الثناءَ وإنّما ... في سُوقِهِ ربحتْ تجارةُ تاجر

صَعْبٌ على صعب الخطوب وجائرٌ ... أبداً على جَوْرِ الزمانِ الجائر

---

(١) أخذه من قوله تعالى: (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) سورة المطففين الآية ٢٤.

(٢) الحاجري: نسبة إلى حاجر. وهي موضع في بلاد العرب، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي. معجم البلدان ٢/ ٢٠٤.

إن كان ذا البأسِ الشَّديدِ فرأفَةٌ ... فيه أرقُّ منَ النَّسيمِ (الحاجري)[2]

حُيِّيتَ ما بينَ الوَرى من قادمٍ ... ونَعِمْتَ بين أكارمٍ وأكابر

قد زَعْزَعَتْ بكَ عن (دمشقَ) أبوَّةٌ ... نَتَجَتْ به أمُّ الزَّمانِ العاقر

وشَحَذْتَ عَزْمَكَ للمَجيءِ غِرارَهُ ... ولربَّ عَزْمٍ كالحُسام الباتر

وطَلَعْتَ كالقَمَرِ المنيرِ إذا بَدا ... زاهٍ بأنوارِ المَحاسنِ زاهر

واخْتَرْتَ من (بغداد) أشْرَفَ منزلٍ ... ما بين خَيْرِ عِصابةٍ وأخَاير

فانزل على سَعَةِ الوَقار ورَحْبِهِ ... في منزلٍ رحبٍ وبيتٍ عامر

بُنِيَتْ قَواعدُهُ على ما ينبغي ... من سؤددٍ سامي العُلا ومَفاخر

فلئن تَعِبْتَ فَبَعْدَ هذا راحَةٌ ... أو قيلَ ما قالوا فليس بضائر

ولسوف تبلغُ بعدَ ذاكَ مآرباً ... ما ليس يخطرُ بعضُها بالخاطر

وكفاكَ ربُّكَ شَرَّ كلِّ مُعاندٍ ... ركبَ الغرورَ فلا لَعاً للعاثر[1]

(أبَني جميلٍ) إنَّني بجميلكمْ ... مُيِّزْتُ بينَ الناسِ دونَ مُعاصري

إنِّي لأفْخَرُ فيكمُ فيُقالُ لي ... لله شاعرُ مَجْدِهمْ من شاعر

فَلَوَ انَّني آتي بكلِّ قصيدةٍ ... عَذْراء من غُرَرِ القَصائد باكر

وجَلَوْتُها فكأنّما هي غادةٌ ... حَلَّيْتُها من مَدْحِكُمْ بأساور

وإذا تَناشَدَها الرُّواةُ حسبتها ... أرواحَ أنفاسِ النَّسيمِ العاطر

لم أقضِ حقَّ الشُّكْرِ من إحسانكمْ ... لكن أطاولُهُ بباعٍ قاصر

عَذُبَتْ لديكمْ في الأنامِ مَواردي ... حتّى رأيتُ من الغريب مصادري

(٤٣)

---

(١) لعًا ولعًا لك، كلمة تقولها العرب للماشي حين يعثر.

(٢) هو السلطان عبدالعزيز خان ابن السلطان محمود خان، ولد في ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥هـ = ١٨٣٠م وولي السلطنة في ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦١م بعد وفاة أخيه السلطان عبدالمجيد خان. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبدالباقي العمري بقصائد عديدة، وحسن حسني الطويراني والشيخ جابر الكاظمي والسيد إبراهيم الطباطبائي بقصيدة قال فيها:

أعز ملوكنا عبدالعزيز ... أذل عداه بالأسل العزيز

أيا ملكاً تجاوز كل ملك ... فمن ملك يجيز ومستجيز

أصرح بالمديح له واثني ... إذا ما النكس ألغز بالرموز

=

يا نائياً[*] غابَ عنّي الصّبرُ مُذْ بانا ... هلاّ سألتَ عنِ المشتاقِ ما عانَى؟[1]

ما راقَ في عَيْنه شيءٌ يروقُ لها ... ولا اصطفَى غيرَ مَنْ صافَيْتَ إخوانا

ولا إذا غَرَّدتْ ورقاءُ في فَنَنٍ ... أملَتْ عليَّ من الأوراقِ أشْجانا

وصِرْتُ في حالِ من لا يبتغي بدلاً ... بالأهلِ أهلاً وبالجيران جيرانا

ما زلتُ أخْضِلُ أجْفاني بأدمُعِها ... إذا تذكَّرتُ أوْطاراً وأوطانا

.... [2]

أشَدّهُمْ في الوغى بأسًا وأكرمُهُمْ ... كفّاً وأعظمُهُمْ في قَدْرِه شانا

خليفةُ الله في الأقطار محترمٌ[3] ... إنَّ العزيزَ عزيزٌ حيثُ ما كانا

فلا كـ (نامقَ) والِ (للعراقِ) ولا[4] ... كمثلِ (عبدِالعزيز) اليوم سلطانا

فلو وزَنْتَ ملوكَ الأرض قاطبةً ... لَزادَهمْ في النَّدى والبأسِ رُجْحانا[**]

أراعَها ما رأته من عزائمه ... فأذعنتْ لمَليكِ الأرضِ إذْعانا

ولم يَرِبْهُ ركوبُ البحرِ من خطرٍ ... لمّا تَنَقَّلَ بلدانًا فبلدانا

كالشَّمْسِ إذْ تملأ الدنيا أشعَّتُها ... لا تستطيعُ لها الأقطارُ كِتْمانا

قد صانَ مملكةَ الإسلام أجمعَها ... فصانه اللهُ حِفْظًا مثْلَما صانا

وما ادَّعى الفخرَ مجدٌ في صنائعه ... إلا أقامَ على ما قال برهانا

اللهُ يكلؤه ممّا يُحاذِرُهُ ... وزاده اللهُ بَعْدَ الأمْنِ إيمانا

= وكان السلطان عبدالعزيز قد عين مدحت باشا (صدرًا أعظم). ثم اختلف معه، فعزله مدحت باشا، وفي عهد السلطان عبدالعزيز تمردت رومانيا وصربيا على الدولة العثمانية. وقد عزل في ٦ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ – ١٨٧٦م وانتحر بعد عزله بخمسة أيام. ودفن بجوار أبيه السلطان محمود. الترياق الفاروقي ٤٣٦ وتاريخ الدولة العثمانية ٢٨٧ – ٣٢٢ والموسوعة العربية الميسرة ١١٨٣ وديوان ثمرات الحياة ٢/ ١١٨ وديوان الطباطبائي ١٤١.

(١) هذه القصيدة ناقصة في نسخة آ المصورة بالمجمع العلمي العراقي وتنقص منها الصفحات ٤٠١ و٤٠٢ ولعلها لم تصور سهوًا. لأن الصفحات مرقمة بالأصل.

(٢) هنا فراغ في الأصول وقد أشار جامع الديوان إلى أنه «وجد هذه القصيدة في أوراق غير منتظمة الأساليب ضائعًا منها أكثر النسيب».

(٣) في الأصول.. في أقطار محترم – كذا – وهو من وهم النساخ.

(٤) الوالي محمد نامق باشا الكبير وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(*) في الطبعة (١): (نائبًا) والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (رحجانا) وهو خطأ طباعي.

وهل يـبـالي بـشيءٍ أو يُـحـاذرُ منْ ... أمْـرٍ ويـرهبُ أمـثـالاً وأقـرانـا

من كان مُستنْصرًا بالله مُتَّخذًا ... حزبَ الملائك أجنادًا وأعْوانا

رأتْ منَ الملكِ السَّامي جلالَتَهُ ... فطأطأتْ أرؤسًا منها وتيجانا

أبدتْ خُضوعًا وقَرّتْ أعْيُنًا وَجَلَتْ ... عنِ القلوبِ منَ الأضْغانِ أدْرانا

صافَى فَصُوفِيَ حتى لم تجدْ أحَدًا ... إلا ويوليه بالنَّعْماءِ شُكْرانا

صلبٌ على الخَصْمِ لو تُلقِي الخطوبُ به ... في نارها طولَ هذا الدهرِ ما لانا

يقضي النَّهارَ بأحكامٍ يدبرُّها ... رأيًا ويتلو بجُنْحِ اللَّيْلِ قُرْآنا

وأظْهرَتْ بـ (العراقِ) العَدْلَ رأفَتُهُ ... من بعد ما مُلئتْ ظُلمًا وعُدوانا

فانْقادتِ الناسُ عن أمرٍ لطاعَتهِ ... طَوْعَ القِيادِ فلا تأباه عِصْيانا

نِعْمَ الرجالُ رجالٌ يُحْدقونَ به ... كانوا لدولَتهِ الغَرّاءِ أركانا

كم أحْرَقَتْ شُهْبُهُ للماردين فما ... أبقتْ على الأرض للباغينَ شيطانا

رأتْ له مُعْجزاتِ الفَخْرِ فاخْتلقتْ ... مَذاهبًا في مَعاليه وأديانا

فأَجْمَعَتْ أممُ الإفرنجِ واتَّفقَتْ ... على مَحَبَّته شيبًا ووِلْدانا

بيْنا تَراهُمْ أسودَ الحَرْبِ إذْ وُجِدوا ... يُحَلِّقونَ بجوِّ الفَخْرِ عِقْبانا

يقاتلون العدا صَفّاً فتحسبهمْ ... في يومِ مُعْتَركِ الأعْداءِ بُنْيانا[1]

فـ (البصرةُ) الآنَ في خفضٍ وفي دَعَةٍ ... وكلُّ خيرٍ أتاها من (سليمانا)[2]

أجادَ في ما يَراهُ من سياسَتِها ... فَزانَ ما كان قبلَ اليومِ قد شانا

وكيفَ أسْلو أَحِبّاءً مُنيتُ بهمْ ... وما وَجَدْتُ لهذا القلبِ سُلوانا

يا شدَّ ما راعَني يومُ الفراقِ ضُحًى ... ودَّعْتُ فيه من الغادينَ أظْعانا

ولا يَميلُ إذًا إلا إلى شَرَفٍ ... ذو اللبِّ مُتَّخذُ الأشْرافِ أخْدانا

ولا سَمِعْتُ بشيءٍ من مَناقبه ... إلا انثنيتُ بما أُسْمِعْتُ نَشْوانا

تَتَبَّعوا المجدَ حتى قالَ قائلُهُ ... أحْيَتْ ملوكُ (بني عثمانَ) (عثمانا)

فأطلَقَتْ أَلْسُنُ الدنيا مَدائحَهُ ... وأسْمَعَتْ من بها سرّاً وإعْلانا

جَمَعْتَ منها قلوبًا قلَّما اجْتَمَعَتْ ... مَحَبَّةً فيك ساداتٍ وأعيانا[3]

وإن تَلَفَّظْتَ في نطقٍ وفي قَلَمٍ ... قَرَّطتَ من دُرَرِ الألفاظِ آذانا

---

(١) أخذه من قوله تعالى: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص) سورة الصف الآية (٤).

(٢) هو سليمان فائق محافظ البصرة وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٣) في الأصول.. ساداتًا – كذا – من وهم النساخ.

لقد حكيْتَ – وما فاتَتْكَ فائتةٌ –[*] (قسٌّ)[١] الفصاحةِ أو ناظرتَ (سَحبانا)
أحسنتَ في كلِّ ما دَبَّرْتَ من حِكَمٍ جُزيتَ عن ذلك الإحسانِ إحسانا
فمِنْ كمالِكَ عن رأيٍ ومعرفةٍ وَضَعْتَ للعدلِ والإنصافِ ميزانا
فضلٌ من الله أوتينا الكمالَ به فَضَلْتَ غيرَكَ معروفًا وعرفانا
لله درُّكَ بين الناس من فَطِنٍ حَيَّرْتَ في ذهنكَ الوقّادِ أذهانا
حِلْمٌ به تَتْرُكُ النِّيرانَ باردةً وعَزْمَةٌ تتركُ الأمْواهَ نيرانا
لا تُنْزِلُ الجودَ إلا في منازلِهِ ما عزَّ عندك من شيءٍ وما هانا
أبْصَرْتَ أشياءَ لا تَخْفَى منافعُها كان الأوائلُ عنها الدهرَ عُميانا
والناسُ من ذلك التَّنظيفِ يومئذٍ كأنَّما انتَشَقَتْ روحًا ورَيْحانا[٢]
سَقَيْتَنا الماءَ عذبًا ما به رَنَقٌ فأصبح الظامئُ العطشانُ ريَّانا
ولم تَدَعْ وجميعُ النّاسِ تملؤُ ممّا يزيدُ بمرضَى البحرِ بحرانا[**]
صَحَّتْ بكَ (البصرةُ) الفيحاءُ[***] من مرضٍ أضرَّ بالناس أرواحًا وأبْدانا
من بعدِ ما كانتِ الأمْراضُ قد صُبِغَتْ منها الوُجوهُ بصبغِ الموتِ ألوانا
من ذا الذي ينكرُ الأشياءَ حينئذٍ وقد قَلَبْتَ منَ الأبْدانِ أعْيانا
يا دَوْحَةَ المجدِ تزكو في مَغارسِها أصْلاً وفَرْعًا وأغْصانًا وقُضْبانا
على جبينكَ خطَّ المجدُ أسْطُرَهُ وكم قرأتُ لذاك الخطِّ عُنْوانا
ويا لك اللهُ إن حَرَّرْتَ[****] من رجلٍ يُمثِّلُ السِّحرَ ألفاظًا وتِبْيانا
تُجْنَى ثمارُ المعالي من رسائلِهِ حتى غَدَتْ في رياضِ الفَضْلِ بُسْتانا
ومُذْ بدا وَجْهُكَ الزاهي لأعْيُننا جَلا عنِ (البصرةِ) الفيحاءِ أحْزانا
وفي قُدومِكَ ما تَمَّ السُّرورُ به وربَّما غابَتِ الأقْمارُ أحْيانا

(١) هو قس بن ساعدة الأيادي، كان خطيب العرب وشاعرهم وحكيمهم في عصره. وله دور بارز في سوق عكاظ. وقد سمعه رسول الله (ﷺ) يخطب فأعجبه كلامه وعاش طويلاً وتوفي قبل البعثة النبوية. وسحبان وائل من خطباء العرب المشهورين يضرب به المثل. الأعلام ٦/ ٣٩ وفيه مصادر أخرى.

(٢) في نسخة ب: (كأنما أنشقت روحًا وريحانًا).

(*) في الطبعة (١): (فاتنة) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) بُحرانا: البُحران هو التغير الذي يحدث للعليل في الأمراض الحادة. انظر لسان العرب. مادة (ب ح ر).

(***) في الطبعة (١):(الفجار) والصواب من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (حرزت) وصوابها من الطراز الأنفس.

(٤٤)

إنَّ الأكـــــــارمَ والمـــــــكـــــا رمَ والأفـــــاضـلَ والأمـــــاجـــــدْ

فَـقَـدَتْ (مـحـمَّـدهـا الأمـينَ)[1] فـيـا لمـفـقـودٍ وفـاقـدْ

وخَـلَتْ مـعـاهـدُ لـلـتُّـقَى وتـعـطَّـلـتْ تـلـك المـعـاهـد[2](*)

وبـكـتْ عـلـيـه مَـدارسٌ من بـعـده وخَـلَتْ مـسـاجـد

قـد كـان أعـظمَ حُـجَّـةٍ في الـدين تُـفْـحِمُ كلَّ جـاحـد

مـا في الـبـريَّـةِ كـلِّـهـا أقـوَى وأعْـدَلُ مـنـه شـاهـد

---

(١) هو السيد محمد أمين الشهير بواعظ القادرية ابن السيد محمد بن السيد جعفر الحنفي الأدهمي الحسيني الأعظمي. ولد ببغداد سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م ودرس على أجلة علماء عصره، وتخرج على أبي الثناء الآلوسي حتى نبغ وصار من كبار فقهاء الحنفية، وكان يلقب بأبي يوسف الثاني، وله معرفة واسعة باللغة والأدب والشعر الجيد ومنه قوله:

يـا لـيلـة الـوصل عـودي وبـالـتواصل جـودي

وكـرري لي حـديـثـا يـزري بـنـاي وعـود

وعـلـلـيـنـا بـذكـرى سـكـان (وادي زرود)

فـإن لي فـيـه حِـبًـا مـعـذبي بـالـصـدود

وأخذ فنون الخط العربي عن الخطاط الشهير سفيان الوهبي البغدادي، وكان الواعظ يكتب الصكوك والإعلانات الشرعية، ومن آثاره الخطية (تسع مجلدات من تفسير روح المعاني) ونصب مدرسًا في المدرسة الخاتونية ووعظ مدة طويلة في الحضرة القادرية حتى لقب بواعظ القادرية، وقد اشتدت الأزمة بينه وبين الوالي محمد نجيب باشا. فنفاه الوالي إلى البصرة، ونزل على الشيخ أحمد نور الأنصاري. ثم عفا عنه الوالي وعاد إلى بغداد فهنأه عبدالباقي العمري بقصيدة، واشتغل بالتدريس وكان سلفي العقيدة محاربًا لأهل البدع والأهواء. وكان والده قاضيًا في الحلة وقتل هناك. ومن مؤلفات الواعظ (العليم الزخار ومنهاج الأبرار) مخطوط و(فتاوى في فقه الحنفية) و(نظم التوضيح شرح التنقيح) مخطوط بالفقه. وله تعليقات على كثير من الكتب والرسائل، توفي ببغداد سنة ١٢٧٣هـ = ١٨٥٦م. وشيع بموكب كبير ودفن في تكية البكري بمحلة باب الشيخ ورثاه الأدباء والعلماء. الروض الأزهر ٧٤ - ١٣٩ والدر المنتثر ٩٢ والمسك الأذفر ١٠٣ - ١٠٩ والبغداديون ٢٤ والأعلام ٦/ ٢٦٨. ومقامات ابن الآلوسي (الرابعة).

(٢) في المطبوع: (وخلت منه المساجد) وهو معلول. وفي نسخة آ: (وخلت مساجد) والتصويب من نسخة ب.

(*) **في الطبعة (١): (المساجد) والتصويب من الطراز الأنفس.**

بـــــــالـــــــلـه أقـــــــسـمُ إنَّـه		فـي مـــــلّـــــةِ الإسلامِ واحـــــد
كـــــانـتْ مَـــــواردُ عِـــــلْـــــمِهِ		شــــرَعـــــاً شُــــرِعْـنَ لـــكلِّ وارد
قـــد كـــان لـــلـــدين الـــقـــويـ		ـمِ إذا نَـــظَـــرْتَ يَـــداً وســـاعـــد
يـــا واعِـــظـــاً بـــوجـــوده		عِـــظَـــةً(*) تَـلـــينُ لـــهـــا الجَلامِـد
يـــا نـــائـــيـــاً عن صَـــحْـــبِهِ		هل أنتَ بـــعـــدَ الـــنَّـــأيِ عـــائـد
فَـــلَـــكَمْ سَـــدَدْتَ عـــلى امْـــرِئٍ		بـــابَ المــطـــالبِ والمـــقـــاصـد
وأذَبْتَ دَمْـــــعـــــاً كـــــان لي		من قـــبل هـــذا الـــيـــومِ جـــامـد
أينَ الـــفَـــرائـــدُ والـــشَّـــرا		ئـدُ(١) والـعـوائـدُ(**) والـفـوائـدْ
مـــــا كـــــنـتُ آمَلُ أنَّـــــني		أنـــعي(***) عـــلى الأيـــام واجـــد
وألـــينُ بَـــعْـــدَ أحِـــبَّـــتي		لـــلـــحـــادثـــاتِ منَ الـــشَّـــدائـد
لا ســـاعِـــدي فـــيه الـــقـــويُّ		ولا عـــلى زمـــني مُـــســـاعـــد
ولـــقـــد سَـــئِـــمْتُ منَ الحـــيـــا		ةِ بمـــا أشـــاهـــدُ أو أكـــابـــد
لـــمّـــا فَـــقَـــدْتُ الـــصـــالحـيـ		ـنَ عـــلـمتُ أنَّ الـــدهـــرَ فـــاسـد

(٤٥)

وقال مادحًا عبدالقادر أفندي (الكولند)(٢) كاتب العربية بالبصرة [ويهنيه بالعيد

---

(١) في الأصول: أين الفوائد – كذا – والصواب ما أثبتناه وذلك لتكرار كلمة الفوائد.

(٢) عبدالقادر أفندي الكولند كان رئيس الكتاب في ديوان المحافظة بالبصرة وأرسله الوالي مدحت باشا سنة ١٢٧٥هـ مع محمد باشا الديار بكري إلى البحرين لتبليغ الشيخ محمد آل خليفة برفع العلم العثماني فوق الدوائر الرسمية وعين قائمقامًا في العمارة سنة ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م وأنشأ فيها محلة عرفت باسمه (القادرية) كما أنشأ فيها الجامع الكبير وفي منارته القديمة تاريخ بنائها وهو:

فقل لمن يسأل عن تاريخها		قد عمرت أيام عبدالقادر

وقد أظهر حنكةً في إدارة العشائر. وأحبه الناس واتسعت المدينة في عهده وبقي في العمارة إلى سنة وفاته وهي ١٢٨٣هـ = ١٨٧٦م، ثم عين بدله مراد أفندي أبوكذيلة زوج نائلة خاتون. انظر: التحفة النبهانية ١٧٨ وموجز تاريخ عشائر العمارة ٢١ و٤٠.

(*) في الطبعة (١): (عظمة) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (والعرائد) والصواب ما أثبتناه. وفي الطراز الأنفس:

أينَ الفَوائدُ والشَّرائدُ		والعوائدُ والفوائدْ

(*) في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (أنعي) ، وقد تركناها كما وردت ولعلها (أبقى على الأيام واجد) أي أبقى حزينًا على الفقيد، أو (أبقي على الأيام واحد) أي وحيدًا بعد فقد الأصدقاء.

مُـذْ سَلَّ في الـعُـشّـاق سَـيْـفَ الـنـاظرِ وَسَـطـا كـمـا يـسـطـو بمـاضٍ بـاتـرِ

جَـرَحَ الـفـؤادَ بـصـارمٍ من لَـحْـظهِ رشـأٌ يـصـولُ بـلـحظِ خِـشْفٍ فـاتـر[1]

مـا كـنت أعـلمُ أنْ أرى صَـرْفَ الـرَّدَى من أعـيُنٍ تحـكي عُـيـونَ جَـآذر

ويلاه من تـلك الـعـيـونِ فـإنَّـهـا فـتـكتْ بـنـا فَـتْكَ الـهِـزَبْـرِ الـثَّـائـر

تـبدو الـعُيـونُ الـنُّـجْلُ في حَـرَكاتِـها في زيٍّ مَـسْحـورٍ وسـيمـا سـاحـر[2](*)

قَـمَـرٌ إذا نـظـرَ الـعَـذولُ جَـمـالَهُ أضـحى عَـذولي بـالـصَّـبابـةِ عـاذري

يَجْـفـو ويـوصلُ في الـهَـوَى لـمَـشـوقهِ والـصَّـدُّ من شِـيَم الـغَـزالِ الـنَّـافـر

أمـسَى يُـعـاطـيـني مُـدامَـةَ ريـقهِ والنَّـجْمُ يـلحظنـا بطرفٍ(**) سـاهـر[3]

مـا زلتُ أَلْـثِـمُهُ وأرشفُ ثَـغْـرَهُ حـتّى بـلـغتُ به مُـنـاءَ الخـاطـر

لـلـهِ أيـامُ الـوِصـالِ فـإنّـهـا مـرَّتْ ولـكنْ في جَـنـاحَيْ طـائـر

وإذا ذكـرْتُ لُـبـانَـةً قـضَّـيْـتُـهـا ولَـعَتْ مَـدامعُ أعْـيُـني بمَـحـاجـري

ولَـيـالـيـاً بـ (الأبـرقَـيْنِ) تَـصَـرَّمَتْ كـان الحـبيبُ مُـنـادمي ومُـسـامـري

إنْ غـابَ مَنْ أهـوَى وعَـزَّ لِـقـاؤهُ فـالـقـلبُ لم يَبْـرَحْ بـوَجْـدٍ حـاضـر

لي حَـسْـرَةٌ مِـمَّنْ أودُّ ولَـوْعَـةٌ وَقَـدَتْ لـواعجُ نـارهـا بـضَـمـائـري

لم يَـبْقَ لي أمَلٌ أُرَجّي نَـيْـلَـهُ إلاّ نَـوالَ يمـينِ (عـبـد الـقـادر)

لـو لـم يـكنْ بَـحْـرَ الـنَّـوالِ لمـا غَـدا يَـهَـبُ المـؤَمِّلَ من نَـدًى وجَـواهـر

وتَـرى الـركـائبَ حـاملاتٍ في الـوَرى أخـبـارَ حُـسْنِ حَـديـثِهِ الـمُـتَـواتـر

ذو هِـمَّـةٍ وعَـزائمٍ بـينَ الـمَلا أغْـنَـتْهُ عن حَـمْلِ الحُـسامِ الـشَّـاطـر

---

(١) الخشف: ولد الغزال.

(٢) في الأصول: وسيمة ساحر.

(٣) في مجموعة السيد عبدالخالق العزاوي: والنجم يشزرنا.

(*) في الطبعة (١): (ساهر) وما أثبتناه أولى بقرينة الهامش رقم (١)، وكلمة (مسحور) الواردة في عجز البيت وتم التصويب على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بطرق) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أحْيا حَديثَ الفَضْلِ بعدَ مَماتِه ... وجَمالَ ذيّاكَ الزمانِ الغابرِ

والتَّارِكُ العافي بجَنَّةِ فضله ... تركَ المُعادي في لُحودِ مَقابرِ

ودَليلُ شيمَتِه صَفاءُ جَنانِه[1] ... والشَّيُّ باطِنُهُ يُرى من ظاهرِ

شِيَمٌ له نَتْلو بحُسْنِ ثَنائها ... كُتِبَتْ محاسِنُها بكلِّ دفاترِ

يَعْفُو عنِ الجاني ويَغْفِرُ ذَنْبَهُ ... والعَفْوُ أحسنُ ما أتَى من قادرِ

لم ألْقَ بينَ الناسِ أكرمَ ماجِدٍ ... لوفوده ولضِدِّه من قاهرِ

بالرأي (آصفُ) ما يُحاوِلُ رأيَهُ[2] ... يقِفُ الذَّكيُّ لديه وقفةَ حائرِ[3]

هيهات أنْ يأتي الزمانُ بمثله[4] ... نَتَجَتْ به أمُّ الزَّمانِ العاقرِ

يأتي من الدنيا بكلِّ بَديعَةٍ ... ومنَ الفَضائلِ في عَجيبٍ باكرِ

في وَجْهِه آياتُ كلِّ فَضيلةٍ ... يلقَى العُفاةَ تَرَحُّبًا ببشائرِ

إنّ الحياةَ لوَفْدِه بيَمينِه ... وبسيفِه قَتْلُ العدوِّ الفاجرِ

ذو همَّةٍ وشَجاعَةٍ يومَ الوَغَى ... في الحرب يسطو كالعُقابِ الكاسرِ

من عُصْبَةٍ جَمَعوا الشَّجاعَةَ والنَّدى ... نالوا المَعالي كابراً عن كابرِ

وإذا أتَيتَ لبابِه في حاجَةٍ ... أغناكَ في بَذْلِ(*) العَطاءِ الوافرِ

بَسَطَ اليَدَيْنِ على الأنامِ تَكرُّماً ... ونَوالُها مثْلُ السَّحابِ الماطرِ

صَدَرَ المؤَمِّلُ عن مَواردِ بَحْرِه ... يروي أحاديثَ العَطا عن جابرِ[5]

مُتَقَمِّصٌ بالمكرمات مُؤَزَّرٌ ... من ربِّه في عِزَّةٍ ومَفاخرِ

قَسَماً ببارِقِ مُرْهَفٍ في كَفِّه ... حينَ النزالِ وبَحْرِهِ المُتكاثرِ

---

(١) في الأصول: صفاء جنابه، والتصويب من مجموعة عبدالخالق العزاوي.

(٢) آصف بن برخيا: هو اسم أحد وزراء النبي سليمان عليه السلام وكان من الحكماء.

(٣) في مجموعة عبدالخالق العزاوي: وقفة باكر من وهم الناسخ.

(٤) هذا البيت فيه تضمين ولم يحصره بين قوسين كما في الأصول وهو لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد:
هيهات يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لبخيل «الديوان ص٢٣٥»

(٥) في هذا البيت توجيه لطيف في كلمتي (العطا) و(جابر) فالعطاء هو الكرم وجابر صفة الرجل الكريم الذي يجبر كسر الفقر لقلوب الناس. كما أن هناك رجالاً من رواة الحديث اسم كل منهم عطاء منهم عطاء بن أبي رباح التابعي المتوفى سنة ١١٤ وعطاء بن دينار المتوفى سنة ١٢٦ وغيرهم. كما أن من الصحابة رجالاً يحملون اسم جابر منهم جابر بن عبدالله الأنصاري. وغيره. الأعلام ٥/ ٢٩.

(*) في الطبعة (١): (بذلك) مما يكسر الوزن والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

لم أَلْقَ بـــينَ الـــنـــاسِ قَطُّ مُـــمـــاثلاً ... لجَــنـــابِه الـــعـــالي ولا بمُـــنـــاظـــر

غــوثُ الـصَّــريخ(*) إذا دُعِي لِـمُـلِـمَّـةٍ ... في كـــشْـــفِه الأخـــطـــارَ أيّ مُـــبـــادر

كم واردٍ نَـــهْــرَ الـــنُّـــضـــارِ بـبـابه(1) ... من فـضـلـه الـسَّـامي وكمْ من صـادر

يـــا أيُّـــهـــا المـولَى الـــذي أفْـــضـــالُهُ ... في عـاتـقي وثـنـاؤه في ضـامـري

خُـذْهـا إلـيكَ قَـصـيـدةً من (أخـرسٍ) ... بـثَـنـاكَ يـنـطقُ في لـسـانٍ شـاكـر

هـنِّيتَ بـالـعـيـدِ الجديـدِ ولم تـزلْ ... سـعـدَ الكـرامِ ورغمَ أنْفِ الـفـاجـر

لا زلتَ مَـسْـعـودَ الجَـنـابِ مُـؤيَّـداً ... وعِـــداكَ في ذلٍّ وحـــالٍ بـــائـــر

(٤٦)

انْـظُـرْ إلى الأشـراف كـيفَ تَـسـودُ ... وإلى أُبـــاةِ الـــضَّـــيْمِ أينَ تُـــريـــدُ

إذْ يـدّعي بـالـمُـلك من هـو أهْـلُهُ ... والحزمُ يـقـضي والسُّـيوفُ شُـهـود

يـومٌ ثَـوى فـيه (ثـويـني) في الـثَّـرَى ... يـــومٌ بـ(ســالم) لـــلـــبـــريَّـــةِ عـــيـــد

مـا لـلـذي عَـبَـدَ الـصُّـخـورَ منَ الـذي ... عَـــبَـــدَ الإلهَ وديـــنُهُ الـــتَّـــوحـــيـــد

قُلْ لـــلـــذي ذَمَّ الإمـــامَ بـــشِـــعْـــرِهِ ... قـد فـاتَكَ المـطـلـوبُ والمـقـصـود

ولـقـد عـمـيتَ عنِ الـهُـدَى في من له ... نـــظـــرٌ بـــغـــايـــات الأمـــورِ حَـــديـــد

الـسـيِّـدُ الـسَّـنَـدُ الـرفـيعُ مَـقـامُهُ ... ومَـــقـــامُهُ المـــمـــدوحُ والمحـــمـــود

---

(١) في مجموعة عبدالخالق العزاوي: نهر الضفار – كذا – من وهم الناسخ.

(١) الشيخ سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان، أمير عمان ومسقط، كان في صباه يعين أباه في شؤون الحكم وتدبير الأمور، ثم طمع بالملك فاغتال أباه في ميناء (صحار) سنة ١٢٨٢هـ = ١٨٦٥م وانفرد بالحكم، ثم جمع أمراء القبائل في مسقط وأخبرهم بأنه قتل أباه لظلمه. فرضوا بعمله وبايعوه، فبقي بالحكم سنتين ثم ثاروا عليه، فاستنجد بالبرتغاليين في الخليج العربي، وكانت لهم سفن حربية هناك فأعانوه أول أمر ثم خذلوه. فاضطر إلى الهرب من عمان إلى الهند سنة ١٢٨٥هـ وتولى الحكم من بعده عمه تركي بن سعيد، وتوفي سالم في الهند سنة ١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م. انظر الأعلام ٢/ ٦٦ و٨٩ وفيه مصادر أخرى.

(*) في الطبعة (١): (الصريح) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أنَّى تُحَقِّرُ بالفَهاهَةِ سيِّداً ... من حَقِّه التَّعظيمُ والتَّمجيد

سَخِطَ الحَسودُ بما به من (سالمٍ) ... رضي الإلهُ الواحدُ المعبود

من لامَ (سالمَ) في (أبيه) فَلَوْمُهُ ... حُمْقٌ لعمري ما عليه مَزيد

ما عَقَّ والِدَه ولا صَدَقَ الذي ... نَسَبَ العُقوقَ إليه وهْو جحود

وافَى (ثويني) في الفِراشِ حِمامُهُ ... وأتَى عليه يَوْمُهُ الموعود

هذا قَضاءُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... لا والدٌ يَبْقَى ولا مولود

رأيٌ رأى فيه الإصابةَ (سالمٌ) ... باللهِ أقسمُ إنَّه لَسَديد

فله يَصِحُّ الإجتهاد بعلمه ... في شَأنه ولِغَيْرِهِ التَّقْليد

لمّا تَيَقَّظ عَزْمُهُ من غَفْلَةٍ ... فيها عُقولُ الجاهلين رُقود

وأرابَهُ أمْرٌ يعمُّ وَبالُهُ ... وعلى (عُمان) بما يسوءُ يعود

وَلِيَ الأمورَ بنفسه فَتَصَرَّمَتْ ... تلك الحَوادِثُ والخُطوبُ السُّود

وأقَرَّ هاتيك المَمالِكَ بعدَما ... كادتْ تَمورُ بأهْلِها وتَميد

ولقد حَماها بالصَّوارمِ والقَنا ... فـ (عُمانُ) غيلٌ والرجالُ أُسُود

لا خيرَ في مُلْكٍ إذا لم يَحْمِهِ ... بأسٌ – يذوبُ له الحَديدُ – شَديد

تَرِدُ الطُّغاةُ الحتفَ من صَمْصامِهِ ... هذا ومنهلُ جوده مَوْرود

مَهْ يا عَذولُ مُفَنِّدًا من جهلِهِ ... ماذا يُفيدُ العذلُ والتَّفْنيد

ولقد قَضَى نَحْباً أبوه وقد مَضَى ... ما لامْرئٍ في الكائنات خُلود

خيرٌ منَ المفقود عندَ وَفاته ... هذا الإمامُ (السّالمُ) الموجود

أبقَى له الذكرَ الحميدَ فَصيتُهُ ... قد يُخْلِقُ الأعمارَ وهْو جَديد

سَفَهاً لهنديٍّ أرادَ بِنُصْحِهِ ... غِشّاً وكلُّ مَقالِهِ مردود[1]

نظمَ القَريضَ ليَسْتَميلَ قلوبَنا ... عنه وذاكَ من المُريد بعيد

خَفِيَتْ على فَهْمِ الغَبيِّ مَقاصِدُ ... فيها وما عرفَ المرامَ بليد

مُتَوَعِّدُ الإسلامِ من أعدائه ... ما ضِمْنَهُ التَّقْريعُ والتَّهديد

---

(١) يبدو أن بعض الشعراء في الخليج العربي أو من العرب المقيمين في الهند قد نظم قصيدة تناول فيها سالمًا. والأخرس هنا يرد عليه، ولكننا – مع الأسف – لم نعثر على قصيدة بهذا الغرض في آثار شعراء تلك الفترة. ولذلك لم نستطع معرفة الهندي الذي ذكره الأخرس.

ليكيدَ فيها المسلمينَ بخدعةٍ — لا يعرفُ الشَّيْطانُ كيف يَكيد
ليست (عمانُ) ولا (صحارُ) و(مسقطٌ) — (هنداً)، ولا العَرَبُ الكِرامُ هنود
لو تَقْرُبُ الأعْداءُ منها لاصْطَلَتْ — ناراً لها في المُلحدين وَقود
وإمامُ (مَسْقَط) لا يَرُوعُ جَنابَهُ — عند اللِّقاءِ بَوارقٌ ورُعود
قد بايَعَتْهُ على (عمان) رجالُهُ — أكْرِمْ بهم فهمُ الرجالُ الصِّيد
ووراءهُ مَلِكُ الملوكِ جميعِها — (عبدُ العزيز) وظِلُّه الممدود[1]
مَلِكٌ يَقومُ بنصره فتمدُّه — أنَّى يَشاءُ عَساكرٌ وجُنود
ووراء ذلك أمَّةٌ عربيةٌ — الدينُ فيها والتُّقَى والجود
من كان (عبدُ الله) من أنصاره — (آل السُّعودِ) فإنه لسعيد[2]
واللهُ خيرُ الناصرين ولم يكنْ — إلا لديه النَّصْرُ والتأكيد

(٤٧)

وقال مادحًا العلامة عبدالله أفندي باش عالم[3] العمري [وهي من البسيط]:

(١) السلطان عبدالعزيز خان العثماني مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

(٢) هو الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي آل سعود، كان أمير الأحساء وتمرد على أخيه سعود سنة ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م واستنجد بمدحت باشا. فأرسل له جيشًا بقيادة الفريق نافذ باشا فاحتل الأحساء وألحقها بالدولة العثمانية. تحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ وتاريخ الكويت ٢/ ٢٩ - ٣٠ والعربية السعودية ص٦٤ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٢٤٠ و٢٥٧.

(٣) العلامة الشيخ عبدالله أفندي بن محمد جلبي بن عبيدالله العمري الموصلي. ولد في الموصل سنة ١٢٠٨هـ = ١٧٩٤م ونشأ نشأة دينية، ودرس على علماء عصره في الموصل وتخرج على الشيخ علي أفندي محضر باشي، وزار بغداد وأقام فيها مدة الوالي داود باشا وقرأ على بعض علمائها، وأخذ عنه أبوالثناء الآلوسي علم القراءات. وكان رئيس العلماء والمدرسين في الموصل وهو شاعر مجيد، له ديوان شعر كبير في ثلاثة مجلدات كبيرة ما يزال مخطوطًا. منه نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العراقي وقد سافر إلى إستانبول وأنعم عليه السلطان برتبة (باش عالم) وتولى الإفتاء في الموصل مدة وقد مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة العمري بقوله:

لقد زادني وجدًا إليه تشوقي — كما زاد عبدالله في العلم مرقاه
هو المتقي فخر العبادلة التي — لتعظيم دين الله عظمها الله

وكذلك مدحه الشاعر عبدالباقي العمري بقوله:

للإمام الفاروق دام الهناء — واستدامت لعاصم السراء
بفتى أحرز الفضائل طرًا — من بنيه تعنو له الفضلاء =

إنْ جئتَ آلَ سُليمى(*) أو مغانيها ... فاحفظْ فؤادَكَ واحْذَرْ من غَوانيها

تلك المَغاني مَعاني الحُسْنِ لائحةٌ ... منها لعينكَ فاشرحْ لي معانيها

مَعالِمٌ كلَّما استسقتْ مَعاهدُها ... وَبْلاً منَ الدمعِ باتَ الوَبْلُ يسقيها

مَنازِلٌ وقَفَ العاني بها فَشَكا ... ما يشتكي من صروف الدهرِ عافيها

واحْبِسْ بها الركبَ أنْ تقضي حقوقَ ثرًى ... على المُتَيَّم حقٌّ أنْ يؤديها

قفْ بي أصبُّ بها دمعًا أُشيبَ دَماً ... فإنّما أنا صَبُّ الدارِ عانيها

ويلاه من كبدٍ حَرَّى أضرَّ بها ... منعُ الأحبَّةِ شُرْبَ الراحِ منْ فيها

لي مُهْجَةٌ والقُدودُ السُّمْرُ ما برحتْ ... تُميتُها والصَّبا النجديُّ يُحْييها

يأتي إليكَ هَواها بالصَّبا سَحَراً ... فهل عرفتَ الهَوَى من أينَ يأتيها

فما لهاتِفَةٍ تشجي الخليَّ جوًى ... وما رماها بسهم البينِ راميها

للهِ ما فعلتْ بي في تفنُّنِها ... ورقاءُ في الدَّوحِ تشجيني وأشجيها

وَهَيَّجَ البَرْقُ لمّا لاحَ وامِضُهُ ... لَواعجاً في هَوَى ميٍّ أعانيها

فَعَبَّرتْ عَبَراتُ الدمعِ حين جَرَتْ ... عن صَبْوَةٍ بتُّ أخفيها وأُبديها

يا بَرْقُ سلِّمْ على حيٍّ بـ(ذي سلمٍ) ... وجُزْ بأحْياءِ (ميثاءٍ) وحَيِّيها

حَيٍّ حَياةُ المُعَنَّى في مُواصلهمْ ... كانوا مُنَى النفس لو نالتْ أمانيها

قد طالَ عهدي بأحبابٍ شُغِفْتُ بها ... ولا أرى طولَ هذا العَهْدِ يُنْسِيها

ما للمَلامَةِ تُغريني ولي أذُنٌ ... تَمَلُّها وأرى العُذّالَ تمليها

يا عاذِلي كلّما أبْصَرْتَ حالَ شَجٍ(١) ... فَخَلِّهِ فهْو مَشْغوفٌ وخلّيها(٢)

= كل علم في بلدة الموصل الخضـ ... ـراء منــه استفادت العلماء

ومدحه أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب بقوله:

من لي بألسنة الأوائل ... في مدح خاتمة الأفاضل

الفرد عبدالله سيد ... كل مفضال وفاضل

أستاذ أهل الشرق ثم ... الغرب ما في ذا مجادل

انظر الترياق الفاروقي ٣٩٤ وغرائب الاغتراب ٥١ ونشوة الشمول ٧ وديوان الشدياق (كنز الرغائب) ص٦٣ وديوان أحمد عزة العمري ٤٤ مخطوط والموشحات الموصلية ١١٩.

(١) في المطبوع: يا عذالي. من وهم الطباعة.

(٢) الصواب (وخلها).

(*) في الطبعة (١): (سلمى) مما يكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فلا تُعَذِّبْ أُخَيَّ اليومَ مُهْجَتَهُ ... فإنّ ما لَقِيَتْ في الحُبِّ يكفيها
لا تَلْحَني فتزيدَ القلبَ صَبْوَتَهُ ... وربّما جَرَحَ العُشَّاقَ آسيها
أقولُ للبرقِ إذْ لاحتْ لَوامعُهُ ... يحكي تَبَسُّمَ ذاتِ الخالِ تَشْبيها
باللهِ كرِّرْ أحاديثَ (العُذَيب) فما ... بغيرها غُلّة الأشواق ترويها
وارفقْ بمهجةِ مُشْتاقٍ لقد رَديَتْ ... وكلُّ نفسٍ هواها كان مُرْديها[*]
ويا نَسيماً سَرَى من أرضِ (كاظمةٍ) ... يروي أحاديثَ نَشْرٍ عن رَوابيها
احْمِلْ إلى (الموصل الحَدْبا) تَحيَّتَنا ... واقرا السَّلامَ على من قد سَما فيها
وإنّما هو (عبدُ الله) عالِمُها ... ومُقْتَداها ومَهديها وهاديها
الفاضلُ الفردُ فيهم في فضائلهِ ... لا يستطيعُ حسودٌ أن يُواريها
من عُصْبَةٍ برئتْ من كلِّ مَنْقَصَةٍ ... منَ الورَى فتَعَالى اللهُ باريها
منهمْ تبلَّجَ صبحُ الفضلِ وابْتَهَجَتْ ... رياضُهُ فَزَها بالحقِّ زاهيها
عُلاهُمُ سُقْمُ أكبادِ الحَسودِ كما ... تَشْقَى صدورُ المعالي في عواليها
فلتفخرِ (الموصلُ الحدباءُ) أَنّ لكمْ ... نهايةَ الفَخْرِ قاصيها ودانيها
وللفَضائلِ أهلٌ في الوَرى أبَداً ... وما برحتمْ مَدى الأيامِ أهليها
صُحْفُ البَلاغَةِ قد أصبحتَ ناشرَها ... من بعدِ ما كاد هذا الدهرُ يطويها
جُزيتَ عن بنتِ فكرٍ قد بعثتَ بها ... إلى محبيك تُهْديها فتَهديها
فلو نُجازيكَ عن معشارِ قيمَتِها ... جُوزيتَ إذ ذاكَ بالدنيا وما فيها
ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ باكَرَها ... غيثٌ فأضْحَكَها إذْ باتَ يَبكيها
يوماً تَضَرَّجَ فيها الوردُ وجْنَتَهُ ... حتّى تَبَسَّمَ من عُجْبٍ أقاحيها
أبْهَى وأبْهجَ من نَظْمٍ نَظَمْتَ به ... زُهْرَ الكواكبِ نَظْماً في قَوافيها
بيوت فَضْلٍ حَوَتْ من كلِّ نادرةٍ ... أحْكَمْتَ في يدكِ الطُّولَى مَبانيها
رَقَّتْ إلى أنْ تَخَيَّلْنا النَّسيمَ سَرَى ... منها ولم يَسْرِ إلاّ من نَواحيها
تُملَى على السَّمْعِ أحياناً فَتَمْلؤهُ ... لآلئاً ومَعانيها لآليها
كأنّما طَلْعَةُ الأقْمارِ مَطْلَعُها ... والأنجمُ الزهْرُ أمستْ من قَوافيها[1]

(١) تكررت القافية بعد أربعة أبيات وهذا من العيب.

(*) في الطبعة (١): (مرديتها) خطأ طباعي.

كمْ أسْكَرتْنا ولم نُسْقَ كؤوسَ طلاً   وإنّما الخَمْرُ مَعْنًى من مَعانيها
مَصوغَةٌ من دُموعِ العينِ صافيةٌ   ما زال ظاهرُها يبدو كخافيها
من مُظْهرِ السِّحرِ من بادي رَوِيَّتهِ   بصورةِ الشِّعْرِ تَخْييلاً وتَمْويها
رويّةٍ كلَّما نادتْ بمعجزةٍ   من البلاغة جاءتْها تُلَبِّيها
كم أبْهَرَ العينَ حُسناً من سَنا كَلِمٍ   بَدا وتَوْرِيَةٌ فيها تُورّيها
وكيف نأتي لها يوماً بثانيةٍ   وأنتَ يا واحدَ الآحادِ مُنْشيها

(٤٨)

متى لاحَ رَسْمُ الدار من طللٍ قَفْرِ   فلي زفرةٌ تذكو ولي عَبْرةٌ تَجري[٢]
ذكرْتُ الهَوَى يوماً بِـ (مُنْعرَجِ اللِّوى)   ولا بدَّ للمُشتاقِ فيه إلى الذكر
سَقَى اللهُ عهداً في (النعيم) و(حاجرٍ)[٣]   وجادَ على أرجائها وابلُ القَطْر
وحيّا بصَوْبِ المزنِ في الحَيِّ منزلاً   ليَ العذرُ فيه من رَسيسِ الهَوَى العُذري
وأيامَنا الّلاتي قَضَتْ باجتماعها   على أنَّها تمضي[*] ولم تمض من فكري
خَليليَّ ما بي كلَّما هَبَّتِ الصَّبا   تَصَبَّبَ من عَيْنَيَّ ما ليس بالنَّزر[٤]
وإنّي لَمَطْويُّ الضُّلوعِ منَ الجَوى   على لاعجٍ بَرْحٍ أَحَرَّ منَ الجَمْر
كأنَّ التهابَ البرق يُبرزُ لوعتي   ويُبْرِزُ للأبصارِ ما كان في صَدْري

(١) رفعت بك بن أحمد آغا (ينجري أغاسي) رئيس الإنكشارية ببغداد، ولد في بغداد سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م. ونشأ بها وتعلم. وكان رجلاً فاضلاً بديع التحرير بالعربية. لين الجانب محبًا للخير، يسعى في مصالح الناس، وكان حسن العقيدة. وهو والد شوكت باشا، وجد سامي وصائب وناجي أولاد شوكت. توفي ببغداد يوم الإثنين ١٦ ذي الحجة سنة ١٣١٧هـ = ١٨٩٩م ودفن في صحن جامع الشيخ عمر السهروردي ببغداد. انظر البغداديون ١٣١ والدر المنتثر ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) هذه القصيدة غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (البيات).

(٣) النعيم: موضع في طريق المدينة المنورة، بين رابغ والجحفة (ينبع) أقطعه رسول الله أوفى بن موالة العنبري. وشرط عليه إطعام ابن السبيل والمنقطع، وكتب له بذلك كتابًا. انظر معجم البلدان ٤/ ٢١٤. وحاجر: تقدم شرحها.

(٤) في الأصول: تصبب من عيناي - كذا - من وهم النساخ.

(*) في الطبعة (١): (قضي) وصوابها من الطراز الأنفس.

ولم أدْرِ مـا هـاجَ الحـمـام بـنَـوْحِهِ ... فَـهَـيَّجَ أشْـجـانَ الـفُـؤادِ ولا يـدري
كـأنّي به يـشـكـو الـفِـراقَ على الـنَّوى ... ولا غـابَ عن إلْفٍ(*) ولا طارَ عن وَكْرِ
أَحِـبَّـتَـنـا هل تـذكـرونَ لَـيـالـيـاً ... لـنـا في الحمَى كانتْ تُعَدُّ منَ العُمْرِ
تـطوفُ علـينا الـكـأسُ من كفِّ أَغْيَدٍ ... كما ذَرَّ(**) قَرْنُ الشَّمْسِ في راحَةِ البَدْرِ
تَـحَـدِّثُنا عن نـارِ (كسـرى) لِـعَـهْدِهِ ... قَديمةُ عَـهْـدٍ بالمعـاصيرِ بالعصرِ
فَحَيَّا بـهـا أحْـوَى منَ الـغـيـد أبلَجٌ ... مُـذاباً من اليـاقـوتِ تَبْسِمُ عن دُرِّ
وقلتُ لساقيها رُويدَكَ(***) بالحَشا ... فقد زدتَني بالراحِ سُكْراً على سُكْرِ
بـربِّكَ هلْ أبْصَرْتَ منـذُ شَـرِبْتَـهـا ... ألَذَّ لطيبِ العَيْش من قَدَحِ الخمرِ
ونُدمانِ صِدْقٍ تَشْهَدُ الراحُ أنَّهمْ ... إذا سكروا أحْلَى من السُّكَرِ المصري
هنالكَ أعْطَيْنا الخَلاعَةَ حَقَّها ... وقُمْنا إلى اللّذاتِ نَعْثُرُ بالسُّكْرِ(١)
إلى أنْ بَدا للصُّبْحِ خَفْقُ بُنودِهِ ... وطارَ غُرابُ اللَّيْلِ عن بَيْضَةِ الفَجْرِ
وغارتْ نُجومُ اللَّيل من حُسْنِ مَعْشَرٍ ... خَلائقُهُمْ أبْهَى منَ الأنْجُمِ الزُّهْرِ
بَلَوْتُ اللَّيالي عُسْرَةً بعد يسرةٍ ... وكم ذُقْتُ من حُلْوِ المَذاقِ ومن مُرِّ
فما أبْلَتِ الأيامُ جِدَّةَ عَزْمَتي ... ولا أخَذَتْ تلك الحَوادثُ من صَبْري
إذا لم تكنْ لي في النَّوائبِ صاحِباً ... فما أنتَ من خَيْري ولا أنتَ من شَرِّي
وليس تَفِي مثل الصَّوارمِ والقَنا ... إذا عَبَثَتْ أيدي المَودّاتِ بالغَدْرِ
إذا أنا ألْفَيْتُ(****) الهَوانَ بمنزلٍ ... تركتُ احْتمالَ الضَّيْمِ فيه إلى غيري
وما العزُّ في الدنيا سوى ظَهْرِ سابحٍ ... يُقَرِّبُ ما يَنْأى من المَهْمَهِ القَفْرِ(٢)
سواءٌ لديه الوَعْرُ والسَّهْلُ إنْ جَرَى ... ولَفُّ الرُّبا بالسَّهلِ والسَّهلَ بالوَعْرِ
تَعَوَّدَ جَوْبَ البيدِ فاعْتادَ قَطْعَها ... فأنْجَدَ في نَجْدٍ وأغْوَرَ في غَوْرِ

---

(١) تكررت القافية.

(٢) أخذه من قول المتنبي: أعز مكان في الدنا سرج سابح ... وخير جليس في الأنام كتاب
شرح الديوان ١/ ١٩٣.

(*) في الطبعة (١): (أنف) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (ذكر) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (وريدك) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (أنفيت) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

عَتيقٌ منَ الخَيْلِ الجيادِ كأنَّه   لشدَّته صَخْرٌ وما قُدَّ من صَخْر
وناصِيَةٌ(*) ميمونةٌ منه أعْلَنَتْ   بأنَّ لها فيه مُقَدَّمَةَ النَّصْر
وإنَّ جِيادَ الخيلِ عندي هو الغِنَى   وليس الغِنَى بالمال والبيضِ والصُّفْر
وأشْهَبَ يكسوه الصباحُ رداءَه   كما أشْرَقَ الإسلامُ في مِلَّةِ الكُفْر
أبَى أن يَشُقَّ اللاحقون غُبارَهُ   فكالبَرْقِ إذْ يَهْفو وكالريحِ إذْ تَسْري
إذا ما امْتَطاه (رفعتٌ) وجَرَى به   رأتْ أعْيُني بَحْراً ينوفُ على بَحْر
أعَدَّ له عندَ الشَّدائدِ عُدَّةً   وأرْصَدَهُ فيها إلى الكرِّ والفرِّ
فَتَى المجد من أهل الصَّدارة في العُلا   وليس مَحَلُّ القلبِ إلاّ منَ الصَّدْر
تُناظرُ جَدْواهُ السَّحائبَ بالنَّدى   وأنّى لها(**) جَدْوَى أناملِه العَشْر
إذا جِئْتَهُ مُسْتَرْفِداً منه رِفْدَهُ   فنلْ منه ما تَهْوَى منَ النَّائلِ الغَمْر
وحسبُكَ من أيْدٍ تَدَفَّق جُودُها(***)   وناهيكَ من وَجْهٍ تَهَلَّلَ بالبِشْر
كما سَقَت المزنُ الرياضَ عَشيَّةً   فأصبحَ زهرُ الروضِ مُبْتَسمَ الثَّغْر
بياضُ يَدٍ تَنْدَى ومُخْضَرُّ مَرْبَعٍ   تروقُ برَغْدِ العَيْشِ في الخُطَطِ الغُبْر
وما زال مَوْصولَ الصِّلاتِ ودأبُه   منَ البِرِّ أنْ يُسْديه بَرّاً إلى بَرِّ
مَكارمُهُ لا تَتْرُكُ المالَ وافراً   وهل تركتْ تلك المَكارمُ من وَفْر
وما ادَّخَرَتْ للدهرِ مالاً يَدُ امرئٍ   يَعُدُّ الثَّناءَ المَحْضَ من أنْفَسِ الذُّخْر
كما لم يَزَلْ يُرْجَى لكلِّ مُلِمَّةٍ   ويُعْرَفُ فيه الأمنُ في مَوطنِ(****) الذُّعْر
ولا خَيْرَ في عَيْشِ الفَتَى وحَياته   إذا لم يكنْ للنَّفعِ يُرْجَى وللضُّرِّ(١)
له المَنْطقُ العَذْبُ الذي راقَ لَفْظُهُ   رَمَى كلَّ مِنْطيقٍ منَ الناسِ بالحصْر
فلا ينطقُ العَوْراءَ سُخْطاً ولا رضًا   قريبٌ من الحُسْنَى بعيدٌ من الهُجْر

---

(١) أخذه من قول الشاعر قيس بن الخطيم:

إذا أنت لم تنفع فضُرَّ فإنما   يُرَجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا(*****)

الديوان ص١٧٠ وينسب إلى عبدالأعلى بن عبدالله.

(*) في الطبعة (١): (وناصيته) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (له) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (جورُها) وصوابها من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (مواطن) خطأ طباعي.

(*****) في الطبعة (١): (وينفع) وهو خطأ طباعي.

سـواءٌ إذا أثْـرَى وأمـلَقَ جُـودُه ... جوادٌ على الحالين في العُسْر واليُسر

صَـبـورٌ عـلى الأيـام كـيف تـقـلَّبتْ ... جليدٌ شديدُ البأسِ فيها على الدهر

وقد أخْلَصَتْهُ الحادثاتُ بسَبْكها ... فكان بذاكَ السَّبْكِ من خالصِ التِّبر

إذا ما حَمِدْنا في الرجالِ (ابنَ أحمدٍ) ... فعن خالصٍ في الودِّ بالسِّرِّ والجَهْر

يُعَطِّرُ أرْجاءَ القَوافي ثناؤه ... ورُبَّ ثَناءٍ كان أذْكَى منَ العِطْر

نَشَرْنا له الصُّحْفَ التي كان طَيُّها ... على طيبِ ذاتٍ فيه طيِّبَةِ النَّشْر

ولي في أبيه قَبْلَه – وهْو أهْلُها – ... مَحاسنُ أوْصافٍ تَضيقُ عنِ الحَصْر

فيا أيّها المولى الذي عَمَّ فَضْلُهُ ... لكَ الفضلُ فاسمعْ إن تكنْ سامعاً شعْري

خَدَمْتُكَ في حُرِّ الكلام مَدائحاً ... فقالَ لسانُ الحالِ يا لكَ من حُرِّ

وقد راقَ شِعْري في ثنائك كلُّه ... ألا إنَّ بعضَ الشِّعْرِ ضَرْبٌ منَ السِّحْر

فخُذْها من الداعي قصيدةَ (أخرسٍ) ... عليكَ مَدَى الأيامِ تنطقُ بالشُّكْر

ترِيني لدى علياك ما قد يسُرّني ... وترفعُ قدري فيك يا (رفعت) القَدْر

(٤٩)

وقال يمدح الشيخ سليمان الزهير[1] ويهنيه بالظفر على من غزا قصبة الزبير

---

(١) هو الشيخ سليمان بن عبدالرازق بن يوسف آل الزهير شيخ النجادة في قصبة الزبير ». وقد عزل الشيخ سليمان عن مشيخة الزبير. ووليها من بعده الشيخ محمد بن ثاقب، وكان الشيخ سليمان ذا أموال طائلة وقد أودعها لدى بعض رجال اليهود في البصرة وهو ساسون بن دانيل، ولما اشتد النزاع بين الشيخ سليمان الزهير وبين محمد الثاقب أمير الزبير. ذهب الشيخ سليمان إلى اليهودي واختفى عنده، إلا أن اليهودي أضمر الغدر. فوشى به لدى محمد الثاقب، فأحضره محمد الثاقب، وطلب الزهير من الثاقب أن يفدي نفسه بالمال جميعه، على أن يسلمه في الكويت. فذهب الزهير إلى الكويت ومعه رجال محمد الثاقب، فالتجأ إلى الشيخ جابر أمير الكويت فأجاره وسلم من محمد الثاقب.

وكان الشيخ سليمان الزهير وكيلاً للشيخ ناصر باشا السعدون على أملاكه في البصرة، وحين عين تامر باشا محافظًا على البصرة سنة ١٢٩٢هـ = ١٨٧٤م عاد الشيخ سليمان إلى البصرة وكيلاً للوالي على أملاكه وشيخًا للزبير. إلا أن المنافسين والحاسدين أغروا صدر الوالي عليه فعزله عن الوكالة وحاسبه. فسدد الزهير طلب الوالي وبقي بذمته مال كثير. اضطر معه إلى أن يرهن أملاكه ونخيله في دائرة الأملاك باسم ناصر باشا السعدون رسميًا. ثم عزله ناصر باشا عن مشيخة الزبير وعين الشيخ عبداللطيف بن محمد بن عون بدلاً منه، ثم بارح الشيخ سليمان البصرة متجهًا إلى الهند، ومنه إلى مكة المكرمة فأدى فريضة الحج وعاد إلى البصرة مريضًا. فتوفي فيها سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٥م ودفن في مقبرة الزبير. انظر عنوان المجد ١٦٥ والتحفة

لـلّـه دَرُّ (أبـي داود) مـن رجـلٍ ... يَسْتَنْزِلُ العُصْمَ من مُسْتَعْصَمِ القُلَلِ

لـو رامَ قَـلْعَ الجـبـالِ الـشمِّ مـا تـركتْ ... عـزائمٌ فـيه يـومَ الـرَّوْعِ من جَـبل

لهُ منَ الـلـهِ في سـلمٍ ومُـعْـتَـرَكٍ ... بـأسُ الحديـدِ وجُـودُ العـارضِ الـهَطِلِ

شـيخٌ حَـمـاهـا بـفـتـيـانٍ إذا زأروا ... تَـخَـوَّفَـتْـهمْ أسـودُ الـغـيلِ بـالـغِيَلِ

حَـفَّتْ به من بـني نَـجْـدٍ أُغَـيْـلِـمَـةٌ ... أعَـدَّهمْ لـنُـزولِ الحـادثِ الجَـلَلِ

إذا دعـاهم (أبـو داود) يـومـئـذٍ ... جـاؤوا إلـيه بلا مَـهْلٍ عـلـى عَـجَلِ

الـمُـدْرِكـونَ بـعـون الـلـه مـا طـلـبـوا ... والـفـائـزونَ بمـا يـرجـونَ من أَمَلِ

كم فَـتْـكَـةٍ لـ(سـلـيـمـانٍ) بـهمْ فـتـكتْ ... ومـا تـقـولُ بـفـتكِ الـفـارسِ الـبَـطَلِ

لـقد قَضَى اللهُ بـالـنَّصْرِ الـعزيزِ لهُ ... في مـا قَضـاه منَ الـتَّقـديـر في الأزلِ

والـلـهُ أعـطـاه في خَـلْقٍ وفي خُـلُقٍ ... الـصـدقَ بـالـقـولِ والإخلاصَ بـالـعَمَلِ

جـاءَ الـصَّـريخُ إلـيه يَـسْـتَـجـيـرُ بـه ... مُسْتَنْجِداً منه بـالخَطيَّةِ الذُّبُلِ(*)

فَـجَـهَّـزَ الجـيشَ والـظَّـلْـمـاءُ عـاكـفـةٌ ... والـرَّعْـدُ والـبَـرْقُ ذو وَمْضٍ وذو زَجَلِ

سَـرَى إلى الـقـومِ في لـيلٍ يَـضِلُّ به[1] ... سربُ القطا وجبانُ القوم في الكلَلِ

بـحـيثُ لا يـهـتـدي الـهـادي بـهـا سُبُلاً ... يَـهـديـهمُ الـرأيُ مـنـهـا أوْضَحَ السُّبُلِ

فـوارسٌ بَـلَـغَتْ (نجـدٌ) بـهم شَـرَفـاً ... يَسْمو وفي غـير طعنِ الـرمحِ لم يُنَلِ

فـأدْرَكتْ من عـداكمْ كلَّ مـا طـلـبَتْ ... فـصـار يُضـربُ فـيهـا الـيومَ بـالـمَثَلِ

وصَـبَّـحَـتْـهُمْ بـبـيضِ الـهـنـدِ عـاديَـةٌ ... فـأصْبَحتْ وهْي حُمْرُ الحلِّ والحُلَلِ

قَـتْلٌ وأسْـرٌ وإطلاقٌ يُـمَنُّ بهِ ... عـلـى الـعَـدُوِّ وإرسـالٌ بلا رُسُلِ

فـكـان عـيـدٌ من الأعـيـاد سُـرَّ به ... أهلُ الحـفـيـظـة من حـافٍ ومُـنْـتَعِلِ

إذْ يُحْشَرُ النّاسُ في ذاك النَّهار ضُحًى[2] ... والخـيلُ قـد أقْبَلَتْ بـالـشَّـاءِ والإبلِ

هـذا هـو الـفَـخْـرُ لا كـأسٌ تُـدارُ عـلى ... شَـرْبٍ ولا نَـغَمُ الأوتـارِ بـالـغَـزَلِ

فَلْيَهْنكَ الظَّفَرُ العالي الذي انقلبتْ ... به أعـاديك بـعـد الخـزْيِ بـالـفَـشَلِ

وقَـرَّ عَـيْـنـاً فـدتكَ الـنـاسُ في ولـدٍ ... يُـحـيي الـمَـنـاقبَ من آبـائك الأُوَلِ

فـأرَّخـوه وقـالـوا يـومَ مَـوْلِـدهِ ... (يُقِرُّ عينَ سليمان الزهير علي)[3]

---

(١) في الأصول: يظل به وما أثبتنا أولى.

(٢) أخذه من قوله تعالى: ﴿**قال موعدكم يوم الزينة وإن يحشر الناس ضحى**﴾ سورة طه الآية/ ٥٩.

(٣) لم يذكر رقم التاريخ في المطبوع.

(*) **في الطبعة (١) (الذيل) وهو خطأ طباعي.**

(٥٠)

وقال يمدح أسعد مخلص أفندي(١) دفتري بغداد [وهي من مجزوء الكامل]:

قـــلبٌ يـــذوبُ عـــلـــيك وَجْـــدا	وحَـــشًـــا تَـــوقَّـــدُ مـــنكَ وَقْـــدا
وجُـــــفـــــونُ صَبٍّ لا تـــــزا	لُ بـــهـــذه الـــعَـــبـــراتِ تَـــنْـــدى
من زَفْـــرَةٍ تحتَ الـــضـــلـــو	عِ تـــمـــدُّ سَـــيْلَ الـــدمعِ مَـــدّا
يـــا قـــامَـــةَ الـــغـــصنِ الـــرطـــيـ	ـبِ ومُـــقْـــلَـــةَ الـــرَّشـــأ الـــمُـــفَـــدَّى
وســـيـــوفُ لحـــظكَ إنّـــهـــا	قَـــد جـــاوزتْ في الـــقَـــتْلِ حَـــدّا
ســـاعـــاتُ بَـــيْـــنِكَ لا أزا	لُ أعـــدُّهـــا لـــلـــهَـــجْـــرِ عَـــدّا
وأقـــولُ هـل يـــدنـــو الـــوصـــا	لُ وتُـــنْـــجَـــزُ الآمـــالُ وَعْـــدا
مـــا لـي مَـــراحٌ من هـــوا	كَ ولا لـــهـــذا الـــشـــوقِ مَـــغْـــدَى
كم عـــاذلٍ قـــد لامَـــني	فَـــسَـــدَدْتُ عـــنه الـــسَّـــمْعَ سَـــدّا
وعَـــصَـــيْتُ عُـــذّالي عـــلـــيـ	ـكَ وقـــلتُ لـــلُّـــوامِ بُـــعْـــدا

---

(١) هو أسعد مخلص أفندي، كان دفتري ولاية بغداد لدى السردار عمر باشا كانت له صلات وثيقة مع أدباء بغداد وعلمائها. وقد كتب إبراهيم فصيح الحيدري رسالة ملمعة بالعربية والتركية على لسان أسعد مخلص أفندي وبعث بها، إلى الأديب أحمد عزة الفاروقي. كما مدحه الشاعر أحمد عزة الفاروقي بقوله من قصيدة:

مثلما ارتاح لذكرى أسعد	من غدا مثواه مثوى للنجاح
مخلص العافين مما تختشي	بل مثير المجد في هذي النواحي
مازج الأكباد ذكرى حبه	كامتزاج الراح بالماء القراح

وكذلك مدحه الشاعر عبدالباقي العمري بعدة قصائد قال في بعضها:

يا من بخدمة هذا الملك قد ظهرت	آثـــاره فحكت نارًا على علم
سواك يستخدم الأقلام جارية	على قـــراطيسها مسودة اللمم
وأنت صابت مساعيك الحسان بها	لا زلـــت تستخـــدم الإقليم بالقلم

ثم ساءت العلاقة بين أسعد مخلص والشاعر عبدالباقي العمري فشكاه العمري إلى الوالي ببيتين من الشعر أثارت حفيظة الوالي عمر باشا السردار فعزله سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨م ثم أعاده الوالي الجديد مصطفى نوري باشا بن حسن آغا إلى وظيفته، فأساء التصرف وجاوز حدود الوظيفة وتدخل بالإدارة، فنقل إلى وظيفة رئيس مجلس الرسومات في الآستانة وكانت وفاته هناك. انظر الترياق الفاروقي ٤٢٦ – ٤٢٧ و٤٣٠ ديوان أحمد عزة باشا الفاروقي ١٠ – ١١ مخطوط. صور مظلمة من تاريخ العراق (جعفر خياط) ٣٣٧ و٣٤٧ وفهرس مخطوطات الأوقاف ٣/ ٦١.

إنّي لأرعَى عَهْدَ مَن ... لم يَرْعَ لي في الحُبِّ عَهْدا
يا ويحَ نفسي قد حَفِظْـ ... ـتُ وضَيَّعَ الأحْبابُ ودّا
ولقد شَرَيْتُ هَواهُمُ ... بالرُّوحِ قبلَ اليومِ نَقْدا
وفَقَدتُ صبري بعدهمْ ... لا ذاقَ مَنْ أهواهُ فَقْدا
وأنا الفِداءُ لمالكٍ ... لم يَرْضَني في الحبِّ عَبْدا
كالغُصْنِ قَدّاً والبَنَفْـ ... ـسَجِ عارضاً والوردِ خَدّا
يا ظَبْيُ كم صَرَعَتْ عُيو ... نُكَ قَبْلَنا في الدهرِ أُسْدا
ورَمَتْ فلم تُخْطِ الفؤا ... دَ بسهمِ ذاك اللَّحظِ عَمْدا
وسَقامُ هاتيك الجُفو ... نِ لقد عَداني بل تَعَدَّى
ولقد ذَكَرْتُكَ والهُمو ... مُ تَمُرُّ بي عَكساً وطَرْدا(١)
والليلُ يَقْدَحُ شُهْبَهُ ... في فَحْمَةِ الظَّلْماءِ زَنْدا
فَقَضَتْ دموعي واجِباً ... في مثلِ ذكْرِكَ أنْ يُؤدّى
أحيَيْتُه بكَ حَسْرةً ... وقَضَيْتُه أرقاً وسُهْدا
هَزَلَ اصْطِباري في جَفا ... كَ وعاد هَزْلُ الوَجْدِ جِدّا
وألانَني الدهرُ المَشُو ... مُ وهَدَّني بالبَيْنِ هَدّا
لولاكَ كنتُ على الزَّما ... نِ كما يُريدُ الحَزْمُ صَلْدا
أمُعَذِّبي من غيرِ ذنـ ... ـبٍ صَبْوَةً وجَوىً وصَدّا
أنتَ الذي أغْوَيْتَني ... حتّى رأيتُ الغَيَّ رُشْدا
وهَواكَ أضْناني فكُنْـ ... ـتُ منَ الضَّنَى عَظْماً وجِلْدا
أطْلَقْتَ دمعي بَعْدَما ... قَيَّدْتَني بالوَجْدِ قَيْدا
وصَحِبتُ وَجْدي في هوا ... كَ فكان لي خَصْماً أَلَدّا
تالّلهِ لا أَجِدُ المُدا ... مَ لَذيذةً والعَيْشَ رَغْدا
مُذْ قَوَّضَتْ عنّي الظُّعو ... نُ وأزْمَعَتْ للبينِ سُعْدى
فهناكَ أظفرُ بالمُنَى ... وأفوزُ في جَدْواهُ قَصْدا
حُلْوُ الفُكاهةِ لو تذا ... قُ(٢) وَجَدْتُها خَمْرًا وشَهْدا

(١) في الأصول: تمر لي. وهي من وهم النساخ.

(٢) في الأصول:... لا تذاق. وهي من وهم النساخ.

وأروحُ أزجُرُ طائراً   في أسْعَدِ الأُمَراءِ سَعْدا

ما في الرجالِ نَظيرُهُ   فيهمْ لهذا القَرْمِ نِدّا

لا زالَ يُكْبِتُ حاسداً   في مَجْدِهِ ويغيظُ ضِدّا

فجوابُهُ وثَوابُهُ   قد أعْجَبا أخْذاً ورَدّا

ومَناقِبٌ مأثورةٌ   نُظِمَتْ بجيدِ الدهرِ عِقْدا

نَعِمَ (العراقُ) بماجدٍ   قد زادَهُ عِزّاً ومَجْدا

بأجَلّ مَنْ وَلِيَ الأمو   رَ وجادها حَلاً وعَقْدا

بَلَغَتْ به غاياتِها الـ   ـعُليا ولم يبلغْ أشُدّا

حَمَلَتْ يداه كالغما   مَةِ للنَّدى برقاً ورعدا

فاسْتَهْدِهِ في كلِّ خَيْـ   ـرٍ إنَّه في الخيرِ أهدَى

وبذلك الخُلُقِ الحميـ   ـدِ وَسِعَتُهُ شكراً وحَمْدا

الجامعُ الفضلِ الذي   أمسى وأصبح فيه فَرْدا

غَمَرَ العُفاةَ بنائلٍ   منه إلى العافينَ يُسْدَى

من راحَ يُسقَى من نَدا   هُ فلا أظنُّ الدهرَ يَصْدَى

وإذا تَصَدَّى للجميـ   ـلِ فَثِقْ به في ما تَصَدّى

يا من يُحيلُ سَمومَها   إنْ شاءَ بعدَ الحَرِّ بَرْدا

كم بَشَّرَ استبشارُهُ   بالرِّفْدِ قبلَ النَّيْلِ رِفْدا

خُذْها ولا الإبلَ الشَّوا   ردَ بالثناءَ عليكَ تُحْدَى

وقَوافِيًا سَيَّرتُها   فَمَضَتْ تقدُّ السَّيْرَ قَدّا

فاهنأ بعيدٍ لا يزا   لُ كما تؤمِّلُ مُسْتَجِدّا

لا يَحْرِمَنّي منكَ حظٌّ   بالأبوَّةِ قد تَردّى

ولقد أساءَ بما جَنَى   حتّى امتَلَيْتُ عليه حِقْدا

أنّى وكيفَ وهل أرى   في شِرْعَةِ الإنْصافِ وِرْدا

من كانَ حُرَّ زمانِهِ   كانَ الزمانُ عليه وَغْدا

(٥١)

وقال مادحًا المشير محمد نجيب باشا[(١)] ومؤرخًا واقعة كربلاء [وهي من الطويل]:

١) المشير الحاج محمد نجيب باشا من أهل استانبول من أسرة كبيرة معروفة هناك، تخرج من دائرة الأقلام وتولى الدفترية وترقى في المناصب، حتى عين واليًا على الشام برتبة وزير، ونقل إلى بغداد بعد علي رضا اللاظ سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م. وكان ذا عدالة ومتانة وشخصية قوية وشجاعة نادرة وكان قادري الطريقة. وفي أيامه تم تثبيت الحدود بين العراق وإيران، وكان شديد الكره للأجانب وبخاصة الأفرنج وقد زار النجف سنة ١٢٥٨هـ ونزل على الشيخ حسن آل كاشف الغطاء. وهو الذي حبس زعيم البهائية محمد بن شبل العجمي ببغداد كما حبس (قرة العين)(*) في بيت المفتي(**) أبي الثناء الألوسي.

ونجيب باشا أنشأ حديقة عامة في باب المعظم سماها (النجيبية) وأقيم فيها بعد ذلك مستشفى المجيدية (مستشفى الجمهورية) بعد ذلك. كما أنشأ سدة الصقلاوية عند الفلوجة على الفرات، وأجرى تعميرات في كربلاء، وأوصل إليها المياه، وأنشأ فيها حوضًا سنة ١٢٦١هـ.

وفي أيامه عاد الأمن إلى كربلاء بعد الفوضى والاضطراب وذلك أن بعض الأشرار كانوا يفرون من السلطة ويلتجئو إلى كربلاء منذ أيام داود باشا، وكان في كربلاء السيد إبراهيم الزعفراني وأصله عجمي من إيران قد تزعم هؤلاء الأشرار والسفهاء وأطاعه بعض الأرذال والغرباء حتى صاروا قوة عظيمة مؤثرة وأعلنوا العصيان وأخذوا أموال الناس حتى أنهم اختطفوا أحد مجتهدي كربلاء وهو (السيد إبراهيم القزويني) ولم يطلقوا سراحه حتى أدى لهم أربعة آلاف قران في سكة محمد شاه.. وقد حاصرهم مرة الوالي علي رضا اللاظ، فأدوا له سبعين ألف قران فعفا عنهم. قال الدكتور محمد مهدي البصير: «إن سكان كربلاء كانوا يأبون الخضوع للدولة العثمانية وإن الولاة الذين سبقوا نجيب باشا كانوا يتحاشون الفتك بهم وإخضاعهم بالقوة، رعاية لمنزلة كربلاء الدينية، إلا أن نجيب باشا أبى أن يتبع هذه السياسة، فأرسل إلى أهل كربلاء يأمرهم بنزع السلاح وإلقاء أنفسهم في أحضان الدولة كرعايا مخلصين، ولكنهم رفضوا الإصغاء إلى أوامره، فأمهلهم شهرًا كاملاً يدرسون فيه موقفهم ويقررون مصيرهم بأنفسهم، وأنذرهم سوء العاقبة، إذا هم أصروا على سياستهم السابقة، وانقضى الشهر الممنوح لهم ولم يطرأ أي تبدل على موقفهم فعندها ضربهم المشير العثماني ضربة قاضية».

وعزل نجيب باشا عن بغداد سنة ١٢٦٥هـ – ١٨٤٨م وتوفي في شهر رجب سنة ١٢٦٧هـ – ١٨٥٠م. في استانبول ودفن في جامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري، وإليه تنسب محلة نجيب باشا في الأعظمية وهي من أوقافه. انظر الترياق الفاروقي ٢٤٤ – ٢٤٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ج٧/ ٦٤ – ٦٥ وماضي النجف وحاضرها ٥٨ و٢٣٢ ونهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ١٢٥ – ١٢٦ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٤٠، وتاريخ بغداد (سليمان فائق) ١٦٥.

(*) اسمها رزين تاج الدين بنت الحاج صالح القزويني، ولدت بقزوين في إيران سنة ١٢٣١ أو ٢٣٣ أو ١٢٣٥هـ، عرفت بـ (قرة العين) جاءت إلى العراق ملتحفة بالشادور الإيراني، وبعد إقامتها مع زوجها طالب العلم بكربلاء، تبنت أفكار الشيخية ثم (البابية). =

لقدْ خَفَقَتْ في النّحـرِ ألويـةُ النَّصْرِ   وكـانَ انْـمـحـاقُ الـشَّـرِّ في ذلك النّحـرِ

وفَـــتْحٌ عـــظــيمٌ يــعـــلمُ الـــله أنَّه   ليَسْتَصْـغِرُ الأخطارَ من نُوَبِ الدهر

عَــلَتْ كـلــمـــاتُ الـله وهْيَ عــلــيَّــةٌ   بـحــدّ الـعــوالي والمـهـنَّـدةِ الـبُـتْـر

تَــبَــلَّجَ دينُ الـــله بـــعـــدَ تَـــقَـــطُّبٍ   ولاحتْ أسـاريـرُ الـعـنـايـةِ والـبِـشْـر

مَحا البغيَ صمصامُ (الوزير) كما محا   دُجَى الليلِ في أضوائه مطلعُ الفجر

وكــرّ الـبلا في (كـربلاء) فــأصــبــحتْ   مـواقفَ لـلـبـلْـوَى ووَقْـفـاً عـلى الـضـرِّ

غَـداةَ أبـادتْ مـفـسـدي أهلِ (كـربلا)[1]   وكــرَّتْ مَــواضــيهِ بــهـــا أيَّــمـــا كــرِّ

فـــدانتْ – ومـــا دانتْ لمن كـــان قَــبْــلَهُ   من الـوُزَراءِ الـسَّـابـقـينَ – إلى الـفـخـر

ومـــا أدركـوا مــنــهـا مـرامــاً ولا مُـنَى   ولا ظـفـروا مــنــهــا بـلُـبٍّ ولا قِـشـر

وحَـــذَّرهمْ من قـــبل ذلك بَـــطْـــشَـهُ   وأمـهـلـهمْ شـهـراً وزادَ عـلى الـشـهـر

وعـــامَـــلَـــهُمْ هـــذا الـــوزيــرُ بــعــدله   وحـاشـاه من ظلمٍ وحـاشـاه من جَـوْر

وأنـذرهمْ بـطـشـاً شـديـداً وسـطـوةً   وبـالـغَ بـالـرُّسلِ الـكـرامِ وبـالـنُّـذْر

ولـو يـصـبـرُ الـقَـرْمُ الـوزيـرُ عـلـيـهمُ   لـقـيل به عـجـزٌ ومـا قـيلَ عن صـبـر

وصـــالَ عـــلـــيـــهمْ عـــنـــد ذلك صـولـةً   ولا صولةَ الضرغام بالبيض والسُّمر

وســارَ بــجــيشٍ والخــمــيسُ عَــرَمْــرَمٌ   فكالليل إذ يسري وكالسيل إذ يجري

= رافقت (الباب)، في الدراسة بكربلاء وقيل إنها مهندسة أفكاره، استبدلت الشادور بعباءة تسمح بكشف الوجه والكفين وحرية أكثر في حركة الجسد، وخاطبت الرجال وجهًا لوجه، بعد أن كانت تتحدث إليهم من خلف ستارة. ضاقت بها مدينة الكاظمية آنذاك وبخطبها في مجالس الرجال، برغم طلاقة لسانها ورزانة فكرها مما لم يترك مجالاً للفتنة بجمالها، فانتهت سجينة في دار مفتي بغداد أبي الثناء الألوسي الذي ناظرها وقدر علمها، وتم ترحيلها إلى إيران. وقتلت عام ١٨٥٢م.

(**) في الطبعة (١): وردت كلمة (المغني) أمام اسم أبي الثناء الآلوسي مما يسبب اللبس وصوابها (في بيت المفتي أبي الثناء الآلوسي).

(١) في الأصول:.... أبيدت مفسدي – كذا – من وهم النساخ.

وقـد أفسـدوا شـرّ الـفـسـاد بـأرضـهـم[1] إلـى أنْ أتـاهـمْ مـنه بـالـفَـتْـكَـةِ الـبِـكْـر

رَمَـتْـهمْ بـشُـهْبِ المـوت مـنه مَـدافعٌ لـهـا شـررٌ في ظلمـةِ اللَّيْلِ كالـقصـر[2]

رأوا هـولَ يـومَ الحشـرِ في موقفِ الردى وهـل تُنْكَرُ الأهـوالُ في مَـوْقِفِ الحشـر؟

فَـدَمَّـرَهُـمْ تـدمـيـرَ (عـادٍ) لـبَـغْـيـهـمْ بـصـاعـقـةٍ لم تُـبْقِ لـلـقـوم من ذكـر

ألم تَـرَهُـمْ صَـرْعَى كـأنَّ دمـاءهـمْ تـسـيلُ كـمـا سـالتْ مُـعَـتَّـقَـةُ الخـمـر

وكم فـئـةٍ قـد خـامَـرَ الـبَـغْـيُ قـلـبَـهـا على أنَّـها [صِيدتْ][*] بـأحبولة الحصر

فـراحتْ بـهـا الأجـسـادُ وهْي طـريـحـةٌ تُـداسُ عـلى ذنبٍ جَـنَـتْهُ لـدى الـوِزر

فـإنَّ مـرادَ [الـلهِ][**] جـارٍ عـلى الـورى ولا بـدّ أنْ يُـجْـرَى ولا بـدَّ أن يـجـري

تجـولُ المـنـايـا بـيـنـهم بـجـنـودهـا بـحـيثُ مـجالُ الحربِ أضـيقُ من شِـبر

تلاطمَ فـيـهـا المـوجُ والمـوجُ من دمٍ تَلاطُمَ موجِ الـبـحـر في لُـجَّـةِ الـبـحـر

فلاذوا بـقـبـر ابن الـنـبيّ مـحـمـدٍ فـهل سُرَّ في تدميرهم صاحبُ القبر[3]

فـإن تُـركـوا لا يـتـركُ الـسَّـيْفُ قـتـلـهمْ وإن ظـهـروا بـاؤوا بـقـاصِـمَـةِ الظَّـهـر

ولا بـرحتْ أيّـامُهُ الـغـرُّ غُـرَّةً تضـيءُ ضـيـاءَ الـشمسِ في طلعةِ الظُّهر

ولا زالَ في عـيـدٍ جـديـد مـؤرِّخـاً فقد جاءَ يومُ العيد بالفتح والنصر[4]

(١) في الأصول: وقد فسدوا.

(٢) أخذه من قوله تعالى: (ترمى بشرر كالقصر) سورة المرسلات الآية ٣٢.

(٣) هل: بمعنى قد، كقوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) سورة الإنسان الآية/ ١.

(٤) إن حادثة كربلاء وقعت يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٥٨هـ ومجموع التاريخ يساوي ١٢٥٩هـ. فلعل الحادثة دامت أسبوعين أو أن الشاعر تأخر في نظم القصيدة حتى دخل المحرم من سنة ١٢٥٩هـ.

(*) في الطبعة (١): عجز البيت مكسور بسقوط كلمة بعد (أنها) وصوبت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): صدر البيت مكسور بسقوط كلمة بعد (مراد) وقد صوبت على الطراز الأنفس.

(٥٢)

وقال مادحًا السيد محمد سعيد[1] نقيب الأشراف في البصرة [وهي من

متى يشفَى بكَ الصَّبُّ العَميدُ ... ويبلغُ من دُنُوّكَ ما يريدُ[2]

شَجٍ يُحييه وصلٌ من حَبيبٍ ... ويقتلُهُ التجنُّبُ والصُّدود

وما أنْسَى لنا ساعاتِ لهوٍ ... مَضَتْ والعيشُ يومئذٍ حميد

ونحن من المَسَرَّةِ في رياضٍ ... تُحاكُ من الرَّبيع لها بُرود

وبنتُ الكرم قد طلعتْ علينا ... يكلّلُ تاجَها الدرُّ النَّضيد

مُعَتَّقَةً تُسَرُّ النفسُ فيها ... وقد طافتْ بها حسناءُ رود[3]

وقد صَدَحَتْ على الأغصان وُرقٌ ... فأغصانُ النَّقَا إذْ ذاكَ ميد

تُعيدُ عليَّ ما تُبدي غَراماً ... فكم تُبدي الغرامَ وكم تُعيد

تُجاوِبُها الغَواني بالأغاني ... فيطربُنا لها نايٌ وعُود

فحينئذٍ يُدارُ على النَّدامى ... مُذابُ التِّبْرِ والماءُ الجَمود

وَيُرجَمُ كلُّ شيطانٍ مَريدٍ ... بحيثُ الهمُّ شيطانٌ مَريد

سَقَى أيامَ لهوٍ في (زَرودٍ) ... وما ضَمَّتْ معانيها (زَرود)[4]

---

(١) هو أبورجب السيد محمد سعيد بن السيد طالب الرفاعي البصري. نشأ بالبصرة ودرس على علمائها اللغة والأدب والفقه، وكان رجلاً فاضلا سخيًا جوادًا يقصده الشعراء ويسترفدون عطاياه بمدحه. وكانت له خدمات كبيرة للدولة العثمانية وقد حصل على نياشين وأوسمة من السلاطين. وكان الولاة يستعينون به في حل مشاكلهم وبخاصة مع القبائل العربية لما له من المنزلة والاحترام في قلوبهم، وقد ساهم بحملة نافذ باشا التي وجهها مدحت باشا إلى الأحساء سنة ١٢٨٨هـ. كما ولي السيد محمد سعيد قضاء البصرة، وتوفي سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م. ودفن في حجرة خاصة قرب الحسن البصري في مقبرة الزبير. وهو جد السيد طالب النقيب وزير الداخلية الأسبق انظر تنوير الأبصار ١٣٥ وعنوان المجد ١١٤.

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (أورفة) كما غناها الأستاذ يوسف عمر بمقام (أورفة) كذلك. وقد خمس هذه القصيدة السيد راضي القزويني النجفي وقدمها إلى الممدوح السيد محمد سعيد النقيب انظر شعراء العزي ٤/ ٣٣.

(٣) رود: أصلها رؤود – مهموز – وهي المرأة التي تطوف على جاراتها. انظر لسان العرب مادة (رود).

(٤) زرود: موضع الرمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. معجم البلدان ٣/ ١٣٩.

(*) **في الطبعة (١): (وهي من الطويل) والصواب أن القصيدة من الوافر.**

نُـــجَـــدِّدُ ذِكْــــرَهـــــا فـي كلِّ يـــومٍ ... وهل يَــبْــقَى مع الــذكـرِ الجـديـد
فـقـد مَـرَّتْ لـنـا فـيـهـا لَـيـالٍ ... كـمـا نُـظِـمَتْ قلائـدُهـا الـعـقـود
لــيـــالٍ لم نــكنْ نُـصْــغي لِلاحٍ ... أيُــنْــقِصُ بــالــمَلامــةِ أم يَــزيـد
فــــكم في الحُبِّ من لاحٍ لــــصَبٍّ ... يــفـيـدُ بـزعـمه مـا لا يـفـيـد
أحِـبَّـتَـنـا لـقـد طـالَ الـتَّـنـائي ... وحـالتْ بـيـنـنـا بـيـدٌ فـبـيـد
فــيـا زمنَ الـصِّـبـا هَلْ من رجـوعٍ ... ويـا عَـهْـدَ الـشَّـبـابِ مـتى تـعـود؟
سَلامُ الــلـهِ أحــبـابي عــلــيـكمْ ... إلى (بـغـدادَ) يَـحْـمِـلُـهُ الـبـريـد
يُــهَــيِّجُ لَــوْعَــتي وَجْـدٌ طـريفٌ ... لــكم ويُــشَــوِّقُــني وَجْـدٌ تَـلـيـد
فــهل أُخْــبِــرْتُمْ أنّي بــحــالٍ ... يُـسـاءُ بـهـا من الـنـاسِ الحَـسـود
تـقـرُّ (الـبـصـرةُ الـفـيـحـاءُ) عـيـني ... بمـا يـولي (مـحـمـدُّهـا الـسـعـيـد)
فــتىً لا زالُ يُــولــيــني نَـــداهُ ... ويـــغـــمـــرني له كــــرمٌ وجُـــود
تــدفَّقَ مَــنــهلاً عَــذْبــاً فُــراتــاً ... فــلي من عَــذْبِ مَــنْــهَــلِهِ وُرود
ولــولا بــرُّه [مــا][*] طـبتُ نَـفـسـاً ... ولم يَـخْـضَـرَّ لي في الـدهـرِ عُـود
أشــاهــدُ مــنه إذْ يــبــدو هلالاً ... وبـدراً من مَـطـالـعه الـسُّـعـود
وغــيــثًــا كــلّــمــا يـنـهلُّ جـوٌّ ... ولَـيْـثـاً كـلّـمـا خَـفَـقَتْ بـنـود
فــدتْهُ الــنــاسُ من رجلٍ كــريمٍ ... تـــنـــبَّهَ لــلــجــمــيل وهم رُقــود
وشَــيَّــدَ مـا بَـنَـتْهُ من المـعـالي ... له الآبــاءُ قِــدمــاً والجــدود
فَــتىً من (هــاشمٍ) بــيضِ الأيــادي ... بــحــيثُ حَــوادثُ الأيــام سُــود
رؤوفٌ بــالــمُــلِّمِ له رحــيــمٌ ... صــديقٌ صــادقٌ بَــرٌّ وَدُود
ومَن آوى إلــيــه وحَلَّ مــنــه ... بــأكــرم مــا تَــحُلُّ به الــوفــود
فــقــد آوى إلى ركنٍ شــديــدٍ[(١)] ... ولــيس كــمــثــله ركنٌ شــديــد
هـمُ آلُ الــنَّــبِيِّ وكلُّ فَــضْلٍ ... لـديـهم يـسـتـفـيـدُ الـمُـسْـتَـفـيـد
هُمُ يــومَ الــنَّــوالِ بــحــارُ جُــودٍ ... وفي يــوم الــنِّــزالِ همُ الأسُــود
فــمن جـودٍ تـصـوبُ به الـغَـوادي ... ومن بــأسٍ يــلــينُ له الحــديــد

(١) أخذه من قوله تعالى: (قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) سورة هود الآية/ ٨٠.

(*) **في الطبعة (١):، كلمة ساقطة من صدر البيت أثبتناها من الطراز الأنفس.**

هـمُ الأقــطــابُ والأنْــجــابُ فــيــنــا | إذا دارتْ دوائـــرهـــا الـــوجـــود
وإنْ عُـرِضَتْ كـرامَـتُـهُمْ عـلـيـنـا | فـمـا لـلـمـنـكـرين لـهـا جـحـود
ومـا احـتـاجَ الـنـهـارُ إلى دلـيلٍ[1] | وقــد شــهــدتْ به مــنه شُــهــود
فـمـنـهـا مـا نُـشـاهِـدُهُ عِـيـانـاً | إذا مـا الـنـارُ أضْـرمَـهـا الـوقـود
ولـلأكــفــاءِ يــومــئــذٍ عَــلَــيْــهمْ | هـبـوطٌ في الحَـضـيضِ ولا صُـعـود
رجـالٌ كـالجـبـال إذا اشْـمَـخَـرَّتْ | تَـبـيـدُ الـراسـيـاتُ ولا تـبـيـد
يُــخــلَّــدُ ذكــرُهُمْ في كلِّ عــصــرٍ | ومـا لـلـمـرءِ في الـدنـيـا خُـلـود
فـيـا بـيتَ الـقَـصـيـدِ إليك تُـهْـدَى | من الـعـبـد الـرقـيقِ لكَ الـقَـصـيـد
فَـيُـطْـرِبُكَ الـنَّـشـيـدُ وكلُّ حُـرٍّ | كـريمِ الـطـبعِ يـطـربُهُ الـنـشـيـد
فـإنَّكَ والـثـنـاءُ عـلـيك مـنّي | ومــا أمــلَــيْــتُهُ طــوقٌ وجــيــد
لـقـد سُـدْتَ الـكـرامَ ولا عـجـيبٌ | فــمــثــلُكَ في الأكــارم مَنْ يَــســود
ومـا اسـتـغـنـيتُ عـنكَ بـكلِّ حـالٍ | وهل يـغـني عن المـاءِ الـصَّـعـيـد؟
خَـدَمْـتُكَ بـالـقـريض فـطـالَ بـاعي | كـمـا خـدمتْ مَـوالـيـهـا الـعَـبـيـد
ونِــلْتُ بك الــمُــرادَ منَ الأمــاني | فـنـلتَ من الـمُـهَـيْـمنِ مـا تُـريـد

(٥٣)

---

(١) آخذه من قول المتنبي: وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل
شرح الديوان ٣/ ٩٢.

(٢) الفريق شعبان باشا شعيب العينتابي، كان أمير العساكر ببغداد، وكانت له معرفة وتذوق للأدب العربي، وكان له مجلس حافل يرتاده علماء بغداد وأدباؤها يتطارحون فيه الأشعار والأخبار، وكانت يتردد على المجالس البغدادية وكان يكثر من زيارة أبي الثناء الآلوسي.

وقد عين شعبان باشا قائمقامًا في العمارة سنة ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٤م وهو الذي أجار قاسم باشا الزهير من سطوة ناصر باشا السعدون محافظ البصرة وقد أوصله إلى بغداد. وعين شعبان باشا محافظًا على البصرة =

إلى (شعبانَ) مَولايَ المُفَدَّى ... ربيعِ الفضلِ والروضِ النضيرِ

إلى من لم تزلْ أيديه فينا ... كأمثالِ القَلائدِ في النُّحور

يُعَرِّجُ بي الغَرامُ وينثني بي ... لأسبابٍ تمرُّ من الخطور

وقد سَأَلَ الأميرُ الأمسِ عنّي ... وعن سببِ القُعودِ عن المَسير

ومن كرمِ السَّجايا والمزايا ... إذا سألَ الكبيرُ عن الصَّغير

وقالوا كيف لا تمضي إليه ... فترجعُ بالسُّرور وبالحُبور

فلم أكْشِفْ لهم عن كُنْهِ أمْري ... وأطْلِعْهُمْ على ما في ضميري

وما تركي زيارتَهُ بقَصدي ... ولا كان انقطاعي عن قصوري

وما استغنيتُ لا وأبيك عنه ... غِنَى الظَّامي عن الماءِ النَّمير

ولا من دونِ شِرْعَتِه وُرودي ... ولا من غيرِ مَوْرِدِه صُدوري

نَهاري عنده لَمَعانُ برقٍ ... وليلي بعده ليلُ الضَّرير

فَظَاظَةُ حاجبٍ وَرَدِيُّ حَظٍّ ... يَعُوقُ العبدَ عن بابِ الأمير

وَجَدْتُ ببابه البَوّابَ يَعْدو ... أشَدَّ عليَّ من كلبٍ عَقور

وصار الكلبُ ينبَحُني بسَبٍّ ... ويُكثِرُ بالنَّبيحِ وبالهَرير

(وأكْرَهُ أنْ أكونَ له مُجيباً)[1] ... وما أنا من مُجاوَبَةِ الشّرير

فهل أبصرتُمُ كلباً يُحامي ... مُحافَظةً على الليثِ الهَصور

لمن أشكو الحِجابَ ومَنْ نَصيري ... وأبدي الاعتذارَ ومَنْ عَذيري

= سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م ثم نقل أميرًا للعساكر في بغداد وفي سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م تولى إطفاء الفتنة القائمة بين عشيرتي الزقرت والشمرت في النجف. وعزل حاكم النجف ونفي بعض رجال القبيلتين إلى الشام ثم عين قائمقامًا في الديوانية وتوفي فيها وقبره في ظاهر المدينة. انظر غرائب الاغتراب ٢١٤ والمسك الأذفر ١٠٥ - ١٠٦ والتحفة النبهانية ٩/ ٣٢٦ وشعراء الغريّ ٢/ ١٢٤. والوقائع الحقيقية لعلي البازركان ص٢٠.

(١) تضمين لقول الشاعر:

إذا جاء اللئيم يسب عرضي ... وأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهة فأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراق طيبا

ولم يحصر بين قوسين في الأصول.

(٥٤)

حُـيِّـيتَ من قـادمٍ حَلَّ الـسُّـرورُ به ... ومَـا له عن مَـقـام الـعِـزِّ تـأخـيـرُ

إنَّ الـشَّـدائـدَ والأهْـوالَ قـد ذَهَـبَتْ ... ولـلـخـطـوب اسـتـحـالاتٌ وتَـغْـيـيـر

أرتْكَ صـدقَ مَـوَدّات الـرجـالِ بـهـا ... وبـانَ عـنـدك صـدقُ الـقـولِ والـزُّور

ولم تَـجِـدْ كـ (سـلـيـمـانٍ) لـديك أخـاً[٢] ... عـليك مـنه جـمـيلُ الـصُّنْـعِ مَـقْـصـور

شـكـراً لأفـعـاله الـحُـسْـنَى فـإنَّ له ... يَـداً عـلـيك وذاك الـفـعلُ مـشـكـور

لقد وفَى لكَ واسْتَرْضَى (المُشير) فما ... أبـقَى قُـصـوراً ولا في الـبـاع تـقـصـيـر

إنَّ (الـمُـشـيـرَ) أعـزَّ الـلـه دولَـتَهُ[٣] ... بـرٌّ رحـيـمٌ لـديه الـذنبُ مـغـفـور

كـأنـني بكَ مَـغْـمـورٌ بـنـعْـمَـتِه ... وأنتَ مـلـحـوظُ عـينِ الـسَّـعْـدِ مـنـظـور

أهـدى إلـيك سلامـاً من سـعـادتهِ ... لِـلُّـطْفِ[*] فـيه إشـاراتٌ وتـفـسـيـر

---

(١) الشيخ منصور باشا بن راشد بن تامر السعدون، ولي إمارة المنتفق بعد ابن عمه فارس بن عقيل، وهو أول أمير من آل راشد، ثم نقل إلى عضوية المجلس الكبير ببغداد سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م. وأعاده الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكي إلى مشيخة المنتفق مرة ثانية سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥١م وفي سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٤م عين الوالي قائمقامًا لسوق الشيوخ وهو حسين حافظ باشا أحد أمراء العسكر. وأبقى منصور باشا شيخًا على العشائر وفي سنة ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٥م أعاده الوالي عمر باشا السردار شيخًا وحاكمًا برتبة قائمقام، وبقي إلى سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٥٦م حيث انتقلت المشيخة إلى بندر بن ناصر السعدون. ثم استدعاه والي بغداد محمد نامق باشا الكبير واتفق معه إلى إلغاء المشيخة سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٢م وعينه قائمقامًا على المنتفق، وعين معه سليمان فائق بك إداريًا ومحاسباً.

وكان منصور باشا في خصام مع أخيه ناصر باشا، وعند عودة منصور من بغداد بوظيفة قائمقام وإلغاء المشيخة، عارضه ناصر باشا وأبقى المشيخة وتولاها وثار على السلطة، فاضطربت الأمور وهرب الموظفون من المنتفق، فأمر الوالي بعزل منصور باشا، وتعيين فهد بك السعدون بدلاً منه. وتوفي الشيخ منصور ببغداد سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٩م ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني. انظر التحفة النبهانية ١٠/ ٩١ و٩٥ – ٩٦ و١٦٩ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٩٣ و١٠٥ و١٣٠ وعشائر العراق ٤/ ١١٥ ومباحث عراقية من ١/ ٧٥ و٢/ ٢٥٥ وتاريخ السعدون ٤٨ – ٤٩.

(٢) هو سليمان فائق بك مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤) وكان يوازن بين ناصر باشا وأخيه منصور باشا في مشيخة المنتفق.

(٣) هو المشير محمد نامق باشا الكبير، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ٢٤. وكان قد أرسل منديل الأمان مع ملا خضر كاتب آل السعدون. إلى الشيخ منصور.

(*) في الطبعة (١): (لطف) وهو خطأ طباعي.

فسوف يُغْنيكَ من سُلْطانه نَظَرٌ — وإنَّما نظرُ السُّلطانِ إكسير
قد كانَ ما كانَ والأقدارُ جاريةٌ — ولا يفيدُ مع الأقدار تدبير
حَسْبُ الفَتَى من قَضاءِ الله معذرةٌ — والمرءُ في ما قضاه اللهُ معذور
وابشِرْ بما سوف تَحْظَى من عنايته — وأنتَ منه بما يرضيكَ مسرور
والنصرُ فيكَ له والخيرُ أجْمَعُهُ — وإنَّما أنْتَ يا (منصورُ) منصور

(٥٥)

وقال يمدح الشيخ صالح بن عيسى[(١)] حين قدم بغداد وخلع عليه المشير وأسند

نَعَمْ ما لهذا الأمر غيرُك (صالحُ) — وإنْ قيل هَلْ من صالحٍ قيل (صالحُ)[(٢)]
سَعَيْتَ إلى نيل العُلا غيرَ كادحٍ — وغَيْرُكَ يَسْعَى للعُلا وهْو كادح
وتاجرتَ للمجد الذي أنتَ أهْلُهُ — وأنتَ بهاتيكَ التِّجارةِ رابح
فُهُنِّيتَ من بين الشُّيوخِ بخلعةٍ — شذاها بأقطار (العراقينِ) فائح
مطارُ فَخارٍ طار في الأرض صيتُهُ — فأنتَ مقيمٌ وهو في الأرض سائح
بعلياكَ قد شدّ الوزارةَ أزْرَها — وزيرٌ لأبواب الأبّوةِ فاتح
وإنَّ (مُشيراً) قد أشارَ بما رأى — مُشيرٌ لعمري في الحقيقة ناصح

(١) الشيخ صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر السعدون. أسندت إليه المشيخة بعد منصور بن راشد السعدون في أيام الوالي محمد نامق باشا الكبير حيث قصد بغداد في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٦٨هـ = ١٨٥١م واستقبله الوالي المشير وخلع عليه خلعة المشيخة، وهو الذي أنشأ في شطرة العمارة قلعة فسميت باسمه (قلعة صالح) سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٢م وهي قلعة عظيمة تقع على الهور أمام ساحل الغبيشية وهي غير قلعة صالح (القضاء) الواقعة في جنوب مدينة العمارة. انظر التحفة النبهانية ١٠/ ٩٢ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٩٦ وعشائر العراق ٤/ ١١٣.

(٢) وجدت في ديوان أحمد عزة باشا الفاروقي قصيدة يمدح فيها الفاروقي ابن عمته صالح أفندي وقد جاء في مطلعها:
نعم ما غلا مدحي لغيرك صالح — وإن قيل هل من صالح قيل صالح

قلت: هذا ليس توافقا في الخواطر، لأن الفاروقي هو الذي جمع ديوان الأخرس. ولاشك أنه حفظ هذا البيت، ثم جاء على لسانه عفوًا. انظر ديوان الفاروقي مخطوط الورقة ٢٢.

رأى بـ (ابن عيسى) بعد (عيسى) صلاحَها[1] وفي صالح الأعمال تُقْضَى المَصالح
ورجَّحَ منك الجانبَ الضَّخْمَ في العُلا وفي الناس مَرْجوحٌ وفي الناسِ راجح
لعلّ بكَ النّارُ التي شَبَّ جَمْرُها من القومِ تُطْفَا وهْو إذْ ذاكَ لافح
وقد طوَّحَتْ - من بعد (عيسى) و(بندرٍ)[2] و(فهدٍ) - بهاتيكَ الديارِ الطَّوائح[3]
بَكَتْها - وَقَد تُبكى المنازلُ - أعْيَنٌ وناحَتْ على تلك الرُّسومِ النَّوائح
وكانت أمورٌ قد أصابتْ فدمَّرتْ[4] وما حَسُنَتْ في العين منها المَقابح
أمورٌ قَضَتْ أنْ لا يرَى الأمنَ قاطنٌ لديها ولم يفرحْ بما كان نازح
وَجَرَّتْ منَ الأرزاءِ كلَّ جَريرةٍ وسالتْ ولكن بالدِّماءِ الأباطح
وقد جرّدوها بعد (آلِ محمدٍ) مثقَّفةٌ تَدْمَى وبيضٌ صَفائح
وكانتْ حروبٌ يعلمُ اللهُ أنّها سعيرٌ أهاجَتْه الرياحُ اللوافح[5]
وما نفعتْ فيهم نصيحةُ ناصحٍ وهل نفعتْ في الجاهلين النَّصائح؟

---

(١) الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر السعدون وهو والد الشيخ صالح صاحب (قلعة صالح) ولي المشيخة بعد أخيه عقيل سنة ١٢٤٤هـ = ١٨٣٠م. واحتل مدينة الزبير سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٥م وفتك بأهلها وانتقم من آل الزهير شيوخ الزبير وقتل رجالهم وشتت شملهم، حيث بلغه أن الشيخ يحيى الزهير قد سم عمه راشد بن ثامر السعدون فقتله، وكان الشيخ عيسى قد احترق ديوانه وهو من قصب وكان بداخله فمات فيه وذلك سنة ١٢٥٩هـ = ١٨٤٣م وتاريخ ذلك (الشيخ حريق). وكان يتردد إليه السيد جعفر الخرسان النجفي وله فيه قصائد حسان. وولي المشيخة بعده الشيخ ناصر باشا السعدون. انظر تاريخ السعدون ٤١ ومباحث عراقية ١/ ٧ والتحفة النبهانية ٩/ ١٢٤ وشعراء الغري ٢/ ٩ و٢٠ وعشائر العراق ٤/ ١١٣ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) بندر بن محمد بن ثامر السعدون، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

(٣) فهد باشا بن علي ثامر السعدون. والد السيد عبدالمحسن السعدون رئيس الوزراء الأسبق في العراق المنتحر سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م. ولي المشيخة سنة ١٢٦٧هـ = ١٨٥٠م. واختلف مع السلطة، فعزل عن المشيخة وعين بدلاً عنه الشيخ صالح بن عيسى، ثم أسندت المشيخة إليه ثانية عند تمرد ناصر باشا على أخيه منصور أيام الوالي محمد نامق باشا الكبير سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٢م وقد أمر الوالي بعزل الشيخ منصور وتعيين الشيخ فهد، وبقي في المشيخة إلى سنة ١٢٨٣هـ = ١٨٦٥م، حيث حاربه الشيخ ناصر باشا وتفوق عليه وانتزع منه المشيخة، وهو الذي مد أسلاك البرق في أرجاء المنتفق. ثم عينه مدحت باشا متصرفًا في الديوانية سنة ١٢٨٦هـ = ١٨٦٩م. توفي في صفر سنة ١٣١٤هـ - ١٨٩٨م ودفن في الحي بجوار ضريح التابعي سعيد بن جبير رضي الله عنه. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد جعفر الخرسان النجفي. انظر التحفة النبهانية ١٠/ ٩٦ و١٦٩ وتاريخ السعدون ٥٠ ومباحث عراقية ١/ ٧٦ وعشائر العراق ٤/ ١١٧ وشعراء الغري(٢/ ٢٠.

(٤) كانت: هنا تامة. بمعنى حصلت.

(٥) في الأصول: اللواقح بالقاف. وما أثبتناه أولى.

فــــذلك مــــــقـــــتــــولٌ وذلك قـــاتلٌ وذلك مـــــــجــــــــروحٌ وذلك جـــــارح

إلى أن بَـلَـغْتَ الـيـومَ مـا قـد بَـلَـغْـتَهُ ومـــا هـــذه الأقــســـامُ إلاّ مــنـــائح

ولاحتْ لـنـا مـنك المـعـالي بُـروقُـهـا وبـرقُ المــعــالي من مُـحَـيّـاكَ لائح

لَـمَـحْـنـا بك الآمـالَ تُـجْـنَى ثـمـارُهـا كـمـا نَـتَـمَـنّـاهـا فـهل أنتَ لامح

ومـا أنت عـمّـا تَـبْـتَـغـيه بـبـارحٍ وغـيـرُك عـنـهـا لا مـحـالـةَ بـارح

وإنْ أحْـجَمَ الـمِـقـدام عن طلب الـعُلا فــإنّك مِــقْـدامٌ إلـيـهـا وجـامح

وإن غُضَّ طـرفٌ عن مَـكـارمِ مـاجـدٍ فلا طـرفَ إلاّ نـحـوَ جَـدْواكَ طـامح

نـعم أنـتُمُ الـبـحـرُ الخِـضَـمُّ لـواردٍ وأينَ من البحر الخِضَمِّ الضَّحاضِحِ

منحتَ الـذين اسْـتَمْـطَروكَ مكـارماً وكل كـريم بـالمَـكـارم مـانح

لِـيَـأْمَنَ في أيّـامِكَ الـغـرِّ خـائفٌ ويصدَحَ في روض البِشارةِ صادح[1]

فَـخُـذْهـا لـدى عـلـيـاكَ أولَ مـدحـةٍ ولي فـيـكمُ من قـبلِ هـذا مـدائح

(٥٦)

---

(١) في الأصول: يصدع وما اثبتناه أولى.

(٢) أبوعيسى العلامة الشيخ محمد بن عبدالغني آل جميل. كان من أعيان بغداد وأفاضل رجالها، درس على أبيه وعلى علماء بغداد حتى نبغ. وكانت له مواقف حميدة في بغداد يقصده الناس في حوائجهم وله منزلة عظيمة في نفوس الحكام والرعية. وهو الذي شفع للشيخ عبدالمجيد الملا أيوب الأعظمي خطيب الحضرة الأعظمية حين اشتدت الخصومة بينه وبين الوالي مدحت باشا فحبسه الوالي. ولمحمد آل جميل موقف مشكور في فيضان سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٤م. حيث أنجى بغداد من الغرق. وكان يشجع الناس على محافظة السداد وينقل التراب معهم على كاهله. وقد مدحه الشاعر شهاب الدين الموصلي بهذه الحادثة فقال:

طغيان دجلة خطب من الخطوب المخلة

طغت وزادت وكادت تستغرق الكون كله

بغت ونالت منالاً لم يبلغ النيل نيله

والفضل لابن جميل في جملة بعد جمله

لولاه بغداد كادت أن تغتدي مضمحله

وقد كان عالمًا فاضلاً وأديبًا كاملاً. تقلد وظائف مهمة في الدولة، وكان عطوفًا على الفقراء وله صلات وثيقة مع شعراء وأدباء عصره ونال أوسمة من الولاة والسلاطين، توفي فجأة ليلة الإثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م وشيع بموكب حافل ودفن في جامع آل جميل بمحلة قنبر علي ببغداد ورثاه الشيخ محمد القزويني الحلي بقوله:

لأبي عيسى بكت عين المعالي فهوى في فقده بدر الكمال

فلعيسى أسوة بالمصطفى يتسلى ومحمود الخصال(*)

كما رثاه أسعد أفندي الطبقجلي وغيرهم. انظر بغداد القديمة ٢٠١ - ٢٠٢ والبغداديون ٣١ وفيضانات بغداد ٢/ ٣٧٨.

(*) **عجز هذا البيت مكسور الوزن مختل المعنى ولعل صوابه (يتأسَّى وبمحمود الخصال).**

أنــا فـي هَــواكمْ مُــطْـلَقٌ ومُــقَـيَّـدُ ... وبــقُــرْبــكمْ أجِـدُ الـحـيــاةَ وأفْــقِـدُ

إنْ تـعـطِفـوا فـهـو الـمُنى أو تـهـجُروا ... فــحــشًــا تــذوبُ ولــوعــةٌ تَــتَــوَقَّــد

يــا دمعَ عَــيْــنَـيَّ الــمُــراقُ له دمي ... مـا لي عـلـى الـزفـراتِ غـيرُكَ مُـسْـعِد

ولـقـد وَجَـدْتُ الـوجْـدَ غـيـرَ مُـفـارقي ... وفـقـدتُ صـبـري وهْـو ممَّـا يُـفْـقَـد

لا تــســألــوا عن حــالِ صَبٍّ بــعـدكمْ ... لا يـــومُهُ يـــومٌ ولا غَـــدُهُ غَـــد

لا دمــعُهُ يــرْقَــا ولا هــذا الجَــوَى ... يــفْـنَى ولا نــارُ الجــوانحِ تَــخْـمُـد

وأنـا المـريضُ بـكم فـهل من مُـمْـرِضٍ ... غـيـرُ الـصَّـبـابـةِ فـلـتَـعُـدْني الـعُـوَّد

بـنـتمْ فـمـا لـلـمُـسْـتَـهام عـلى الـنَّوى ... جَـلَـدٌ يَـقَـرُّ بمـثـله الـمُـتَـجَـلِّـد

هـلاّ وَقَـفْـتُمْ يــومَ جَـدَّ رحـيــلُـكم ... مــقــدارَ مــا يــتــزودُ الــمُــتَــزَوِّد

أشــكــوكمُ مــا بي وإن لم تــســمــعـوا ... وأريـــكُمُ وَجْــدي وإنْ لم تــشـــهــدوا

ولَـــكَمْ أقـــولُ لَـــكُمْ وقــد أبــعــدتُمُ ... يـا مُـبْـعِـدونَ بـحـقـكمْ لا تَـبْـعُـدوا

ســاروا ومــا عــطــفــوا عــليَّ بــلــفــتــةٍ ... ولــربّـمــا انـعـطفَ الـقَـوامُ الأمْـلَـد

أتْــبَــعْــتُـهـمْ نــظـري فــكــان وراءهمْ ... يَـقْـفُـو الأحـبَّـة أغْـوَروا أو أنْـجَـدوا

يـا أختَ مُـقْـتَـنِصِ الـغَـزالِ لـقـد رمى ... قــلــبي بــنــاظــره الــغــزالُ الأغْـيَـد

ومنَ الــقُــدودِ كـمــا عــلــمت مُــثَــقَّفٌ ... ومن الــنــواظــر في الــفــؤاد مُــهَــنَّـد

لم أنسَ - لا نُـسِـيَتْ - لـيـالـيـنـا الـتي ... كــان الــسُّــرورُ بــعَــوْدهــا يَـتَـجَـدَّد

والــرَّبْعُ مُــبْـتَـسِمُ الأقــاحِ تـعـجُّـبـاً ... مــنــهــا وبــانــاتُ الــنَّــقَــا تَــتَــأوّد

لـو أبـصـرتْ عـيـنـاكَ جـامـدَ كـأسـنـا ... لـرأيت كـيفَ يُـذابُ فـيـهـا الـعَـسْـجَد

في روضــةٍ سُـقِـيت أفــاويقَ الحَـيَـا ... فــالــبــانُ يــرقصُ والحــمــامُ يـغـرِّد

تُــمــلـي من الأوراق في ألْـــحــانــهــا ... مـا لـيس يُـحْـسِـنُه هـنـالكَ (مَـعْـبَد)[1]

يَـحـكي سَـقـيطُ الـطلِّ في أرجـائـهـا ... دُرَراً عـلـى أغـصــانــهـا تَـتَـنَـضَّـد

يـا دارنـا سَـحَـبَتْ عـلـيكِ ذُيـولَـهـا ... وطـفـاءُ تُـبـرقُ مـا سَـقَـتْكِ وتـرعـد[2]

---

(١) أبوعياد معبد بن وهب المدني مولى بني مخزوم. نشأ بالمدينة المنورة وكان يرعى الغنم واشتغل بالتجارة ونبغ بالغناء وكان جميل الصوت وأنغامه متسقة وأقبل عليه كبراء المدينة واتصل بالأمراء من بني أمية وكان فصيحا أديبا توفي سنة ١٢٦هـ انظر الأعلام ٨/ ١٧٧ - ١٧٨ وفيه مصادر أخرى.

(٢) الوطفاء: السحابة الماطرة التي تدلت ذيولها.

هل أنت راجعةٌ كما شاءَ الهَوَى … والعيشُ أطيبُ ما يكونُ وأرغَد

ذَهَبَتْ بأيام الشَّباب وأعْرَضَتْ … عنّي بجانبها الحسانُ الخُرَّد

وَيْلُمِّ(*) نازلة المَشيب فإنَّها … كادَت يَشيبُ لها الغُرابُ الأسود

ذَهَبَ الشَّبابُ فما يقولُ مُعَنِّفٌ … في القلب منه حرارةٌ لا تَبْرُد

من بَعْدِ ما طالَ المقامُ فأقصِروا … عنّي الملامَ فصوِّبوا أم صَعِّدوا

ذَهَبَ الزمانُ بحلوه وبمرِّه … ومضى المؤمَّل فيه والمُسْتَنْجَد

فانظرْ بعينكَ هل يروقُكَ منظرٌ … بعد الذين تفرقوا وتَبَدَّدوا؟

إنَّ الجميلَ وأهلَهُ ومَحَلَّهُ … وأبو الجَميلِ ابنُ الجميل (محمد)

حَدِّثْ ولا حرجٌ عليك فإنّما … خيرُ الكرام إلى عُلاه(**) يُسْنَد

وأعِدْ حديثك واشْفِ في تَردادهِ … قلباً يَلَذُّ إليه حين يُردَّد

المُسْبِغُ النَّعماءَ ليس يشوبُها … مَنٌّ ولا في ما يؤمّل مَوْعِد

هذا أبيُّ الضّيم وابنُ أُباتهِ … والبيضُ تركعُ والجَماجمُ تسجد

يُهِنِ القويّ بقوةٍ من بأسه … وإلى الضعيف تَحَنُّنٌ وتَودُّد

تفري برأيك غيرَ ما تفري الظُّبَى … فالرأيُ مُنْصَلِتٌ وسيفُكَ مُغْمَد

يَعِدُ الأماني من نداه بفوزها … ويريعُ منه الأخسرينَ(***) تَوَعُّد

ممَّن إذا تُلِيَتْ عليه قصيدةٌ … صدقَ القصيدُ وفازَ فيه المقصد

كم قرَّبت لي فيه آمالي به … أملاً يشقُّ على سِواهُ ويَبْعُد

فرأيتُ من معروفهِ(****) ما لا يُرى … وَوَجَدْت من معناه ما لا يوجد

وإذا أفادكَ جاهُهُ أو مالُهُ … فهناكَ عِزٌّ يستفادُ وسؤدُد

شِيدَتْ معاليه وطال علاؤه … إنَّ المعالي كالبناء تُشَيَّد

كم من يَدٍ بيضاءَ أشكرها له … في كلِّ آونة وتَتْبَعُها يَد

تُسدي إليَّ وما نهضتُ بشُكرها … نِعَمٌ تُعَدُّ ولم تزلْ تَتَعَدَّد

ولكم وَرَدْتُ البحرَ من إحسانه … لا ماؤه ملحٌ ولا هو مُزْبِد

(*) في الطبعة (١): (ويلُ أمِّ) والدارج أن تكتب وتلفظ كما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (أعلاه) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الأخسدين) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (معرفة) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس..

فـوردت أعـذب مَـنْـهَلٍ(*) من مـاجـدٍ ... لي مـصـدرٌ عن راحَـتَـيْهِ ومَـوْرِدِ
مُـسْـتَـوْدِعٌ في مـا يـثـيبُ مَـثـابهُ ... بـخـزائن الـله الـتي لا تَـنْـفَـدِ
أمـزيلَ نَـحْسِ الـوافـدين بـسَـعْـده ... شَـقِـيَتْ بكَ الحُسّادُ في ما تُـسْعـدِ
حـتّى عـلـمتُ – ولم أكنْ بكَ جـاهلاً ... يـا ثـالثَ الـقَـمَـرَيْن – أنَّك مُـفْـرَدِ
إنّي ربـيبُ أبـيك وابنُ جـمـيـلهِ ... والـلَّه يَـعـلمُ والخلائقُ تَـشْـهَـدِ
لي نـسـبـةٌ فـيـكم وأيـةُ نـسـبـةٍ ... منكم يـقومُ لـهـا الـفَخـار ويَـقْـعُـدِ
إنْ تُـولَـدوا من صُـلْبِ أكـرمِ والـدٍ ... فـكـذلك الأخلاقُ قـد تَـتَـولَّـدِ
من مَـحْـتِـدٍ زاكي الـعـنـاصـر طـيِّبٍ ... طـابتْ عـنـاصِرُهُمْ وطـابَ الـمَحْـتِدِ
هم عَـوَّدوا الـنـاسَ الجـمـيلَ وإنّـهمْ ... تجـري عـوائـدُهم عـلى ما عُـوِّدوا
إنّي لأعـهَـدُ بـعـد فـقـدِ أبـيـهمُ ... مـا كـنتُ مـنه قـبلَ ذلك أعْـهَـدِ
قـد كـان عـزَّ المسـلمـين ومَجْـدَهمْ ... وعِـيـاذَهُمْ وهـو الأعَـزُّ الأمْـجَـدِ
ومُـخَـلَّـدَ الـذكـرِ الجـمـيلِ إلى مَدىً ... يـبـقَى ومـا في الـعـالـمين مُـخَـلَّـدِ
تُـتـلَى مـنـاقـبُهُ ويُـذكَـرُ فَـضْـلُهُ ... فـيُـسَـرُّ سـامـعُـهـا ويُـطـرِبُ مُـنْـشِـدِ
كـقلائـد الـعِـقـيـان فـيه مـحـاسنٌ ... جِـيدُ الـزمـانِ بـعِـقْـدهـا يَـتَـقَـلَّـدِ
جـادَ الـغَـمـامُ عـلى ثَـراهُ فـإنَّه ... لأبَـرُّ من صَـوْبِ الـغَـمـامِ وأجْـوَدِ

(٥٧)

(*) **في الطبعة (١): (فهل) خطأ طباعي يكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

(١) المشير نافذ باشا كان متصرفًا في استانبول، ونقل قائدًا للفيلق السادس في العراق، وهو برتبة فريق، وكان الأمير عبدالله بن فيصل بن تركي آل سعود، قد استنجد بمدحت باشا، لينصره على أخيه سعود، الدي احتل الأحساء سنة ١٢٨٨هـ. فاستجاب له الوالي مدحت باشا، وأرسل الفريق نافذ باشا، يقود خمسة أفواج، ومعهم المدافع والخيالة، ورافق هذه الحملة ناصر باشا السعدون، والسيد محمد سعيد نقيب البصرة، كما شاركت الكويت بقيادة عبدالله الصباح أمير الكويت، وتمكن نافذ باشا من إلحاق الأحساء بالدولة العثمانية، وعين نافذ باشا متصرفًا في نجد، ثم نقل إلى البصرة متصرفًا سنة ١٣٠٥هـ – ١٨٨٧م. انظر تاريخ الكويت ٢/ ٢٩ – ٣٠ وتحفة الألباء في تاريخ الأحساء ٦١ والعربية السعودية ٦٤ والتحفة النبهانية ٩/ ١٣٠ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٣٦٣ – ٣٦٤ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ٢٤٠ و٢٥٧. كذا في الديوان المطبوع. وفي نسخة أ المخطوطة يمدح نافذ باشا وفي فهرسها (حافظ باشا) وفي نسخة ب يمدح حافظ باشا قومندان الأوردي السادس. وفي نسخة الأنكرلي حافظ باشا. أيضا. وهو حسين حافظ باشا عينه الوالي محمد نامق باشا الكبير سنة ١٢٧٢هـ = ١٨٥٤م قائمقامًا لسوق الشيوخ أيام مشيخة منصور باشا السعدون. وهو من أمراء العساكر ببغداد.

ألا منْ مُبْلِغٌ عني سَلامي ... رئيساً في (العراقِ) على النّظامِ

تحيَّةَ مخلصٍ بالوُدّ يُبدي ... صبابةَ ذي فؤادٍ مُسْتَهام

ويُبْلِغُهُ على البُعْد اشتياقاً ... من الداعي إلى الشَّهْمِ الهُمام

لقد طلعتْ فَضائلهُ[*] علينا ... طلوعَ البدرِ في جُنْحِ الظلام

سنشكرُهُ على ما كان منه ... كشُكْرِ الروض آثارَ الغمام

وما أسْداهُ من كَرَمِ السَّجايا ... وفاءً بالمَودَّة والذِّمام

زَهَتْ في (ناصرٍ) أبياتُ شِعْرٍ[1] ... أتَتْ في المدحِ من حُرِّ الكلام

لقد أثنَى الرئيسُ بها عليه ... ثناءً باحترامٍ واحتشام

تُسَرُّ بها لعمري أولياءٌ ... وتُعْقَدُ عنه ألْسِنَةُ الخِصام

وإنَّ الفضلَ يعرفه ذووه ... به امتازَ الكرامُ عنِ اللئام

رآهُ (مدحتُ) الدنيا حُسامًا[2] ... وقد يغنيه عن حَمْلِ الحُسام

فَقَدَّمَهُ المشيرُ ليوم بُؤسٍ ... يَقُدُّ من الخَوارجِ كلَّ هام

فيا لله من والٍ مُشيرٍ ... عظيمِ الشَّأنِ عالي القَدْرِ سامي

لئن باهتْ به (الزوراءُ) أرْبَتْ ... بهمَّتِه على (حَلَبٍ) و(شام)

إذِ انتَظَمَ (العراقُ) به فأضحى ... يفاخرُ غَيْرَهُ بالإنتظام

ودَمَّرَ بالصَّوارمِ مُفْسِديها ... وأوْرَدهمْ بها ورْدَ الحِمام

ومَدَّ إلى (الحَسا) كفّاً فطالتْ ... ونالَ بطولها صَعْبَ المرام

رمَى مَنْ بـ (العراق) عُصاةَ (نجدٍ) ... وزيرٌ ما رمى مَرْماهُ رامي

... بهمَّتِهِ لسُلْطانِ الأنام

(*) في الطبعة (١): (فائله) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) ناصرباشا السعدون وكان قد ساهم في حملة نافذ باشا على الأحساء مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠). وكان الأولى بالشاعر أن يقول (نافذ) بدل (ناصر) ولكن يبدو لنا أن الأخرس قد مدح هؤلاء الثلاثة في هذه القصيدة فقال: زهت في (ناصر).. ثم زهت في (نافذ).. وزهت في (حافظ)..) ووقعت هذه القصيدة بأيدي النساخ فنسبت كما نراها في المخطوطات يمدح (نافذ) وتارة (حافظ) وفي الأبيات (ناصر).

(٢) في الأصول: مدحت الدنيا. وفي المطبوع (مفخر الدنيا) ويبدو لنا أن الناشر أحمد عزة الفاروقي قد غير ذلك عند الطبع خشية أن يلتفت إلى ذلك مبغضو مدحت ويمنعوه من النشر.

(٥٨)

ألِمَّا على لَوْمي وَجِدّا مُجَدَّدا ... فإنّي لأدري ما الضَّلالُ وما الهُدَى

فمن مبلغُ السُّلوانِ عنّي بأنني ... فَنيتُ وشَوقي لا يزالُ مُخَلَّدا

عَذولي انتِصاحٌ منك لا أستفيدُهُ ... ومن عَدَّه عدلاً فقد جارَ واعْتَدى

وما كان أدرى بالذي قد دَرَيْتُهُ ... واخطأ ذاك العذلُ لمّا تُعُمِّدا

أعلِّلُ نفسي بـ (العُذَيْب) وكلَّما ... أرَدْتُ به إطفاءَ وَجدي تَوَقّدا

خَليليَّ ضاعَ القلبُ هل تعرفانِه ... مَشُوق فؤادي عندما رحلوا فِدا

وما أسَفي إلا على عُمْرٍ مُغْرَمٍ ... قضاه ولكنْ في تَبَعُّدِكُمْ سُدى

ولم تَدْرِ أجْفاني بكم سِنَةَ الكرى ... وما زال طرفي في هواكمْ مُسَهَّدا

وآهٍ على يومٍ قَضَى الأنسُ نَحْبَهُ ... توسَّدَ عرفانَ الهَوَى إذْ توسَّدا

ليالِيَ فيها العيشُ كان اخْضِرارُهُ ... رقيقَ الحَواشي بالمطالب أوردا

أخِلاّيَ كم جاد الزمانُ بنيْلِها ... وهل كان طرفُ الدهرِ عنهنّ أرمدا

وأوْرَدَنا صَفْوَ المُنَى فكأنّه ... على وجْنَةِ الأيامِ كان توردًا

قَسا قلبُكُمْ عني ولا غَرْوَ حيثُ لي ... حظوظٌ تُعيدُ الماءَ إذْ ذاكَ جَلْمَدا

وما كنتُ لولا الحظُّ أحظَى لأنّني ... قدحتُ زنادَ الجِدِّ فيكمْ فأصْلَدا

تَمادَى مَداكُمْ واسْتَمرَّ على الجَفَا ... وقد كادَ أن يقضي مداكمْ على المَدَى

ومَن لِعَليلٍ أنْحَفَ السُّقمُ جِسْمَهُ ... تردّى – ولكنْ من ضَنَى وَجْدِهِ – ردا

---

(١) الشيخ عبيدالله بن الشيخ عبدالغفور الحيدري. ولد سنة ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م درس على علماء بغداد وشيوخها، وكان بارعًا لبقًا أديبًا، له كتاب (شرح المسائل الهندية) وله رسالة في التصوف والطريقة النقشبندية، وهو أول خليفة للشيخ خالد النقشبندي ببغداد، وكان له براعة في النظم والنثر، ويدرس العلوم العقلية والنقلية، وكانت له أحوال في إذلال النفس وقهرها، وقد ولي الإفتاء ببغداد فكتب الشيخ خالد النقشبندي كتابًا إلى خلفائه يشعرهم بذلك. وفيه إشارات إلى عدم رضاه عن الحيدري لقبول هذه الوظيفة، توفي الشيخ الحيدري سنة ١٢٤٢هـ = ١٨٢٦م وخلف ولدين هما عبدالحكيم وعبدالحليم، وكانت له مكتبة حافلة باعها ورثته من بعده واشتراها السيد عبدالرحمن النقيب ووقفها في المكتبة القادرية ببغداد. انظر عنوان المجد ١٢١ و١٣٠ والحدائق الوردية ٢٦٠ والآثار الخطية ١/ ١٦٨ – ١٦٩ وفهرس مخطوطات الأوقاف ٢/ ٢٠٦ وتاريخ شهرزور لعباس العزاوي مخطوط ص٢٨٤.

وإنَّ اصْطِباري بعد طول بُعادكمْ ... دعا جَلِداً منه يُبينُ التَّجَلُّدا
أعيدا لها ذكرَ الديار لعلَّها ... تُبلِّغُني تلك المعاهدَ مَقْصِدا
ولما أتَتْ تلك الطُّلولَ ورسْمَها ... غَدتْ تشتكي شكوى الفراقِ كما غَدا
أنادي الحِمَى بالنَّوح عن ساكنِ الحِمَى ... فيا حَبَّذا لو أنَّه يسمعُ النِّدا
تَكُرُّ به الأشْواقُ من كلِّ جانبٍ ... إذا كرَّرَ الذكرى لديه وردَّدا
وما مرَّ بـ (الجَرْعاءِ) إذْ عاد ذِكْرُهُ ... أعاد عليه وَجْدَه فتجدَّدا
بياضُ مُحَيّا ذلك العيشِ بعدكمْ ... فما زال ذاكَ الوجهُ أغْبَرَ أسْوَدا
رأى البينُ مجموعاً على القرب شملَنا ... فبدَّدهُ منّا النَّوى فَتَبَدَّدا
شَذا وَرْدِ ذاك الوصلِ من روضِ قُرْبِكمْ ... هزارُ اشتياقي كلَّما هبَّ غَرَّدا
ونَشْوانُكمْ(*) ما قد أفاقَ ولا ارْعَوَى ... غَدا مثلَ ما أمسَى أوَ امسى كما غَدا
وقد جابَ وَعْرَ الشَّوقِ في بيد هجركمْ ... ومن زادِ تَقْواهُ عن العَذْلِ(**) زُوِّدا
أضِلُّ فأُهْدَى في هواكمْ ويَنْثَني ... إليَّ هوىً يَهدي عِياناً ويُهْتَدَى
رشادُ (عبيد الله) للحقّ إنّه ... سَنا نورِ رشدٍ فيه يَسْتَأنسُ الهُدَى
دَرَى كلَّ علمٍ في الوجودِ وُجودُهُ ... ولم تَدْرِ يمناه سِوى السَّيْفِ والنَّدى
يحلُّ عُقودَ المشكلات برأيه ... إذا أشكلَ المعنَى الدقيقُ وعُقِّدا
وأحْيَا دروسَ العِلْمِ في عِلْمِ دَرْسِه ... بَدَتْ فيه آثارُ الفضائلِ مُذْ بَدا
لعمركَ فليفخرْ على السُّؤددِ امْرؤٌ ... يرى السُّؤدَدَ العلياء مَجْداً وسؤددا
وأفْصَحُ من (نهجِ البَلاغةِ) منطقاً ... تخرّ له الأقلام في الطِّرسِ سُجَّدا
به اسْتَسْهَلوا حَزْنَ العلومِ ووَعْرَها ... وأيسرُ شيءٍ عنده ما تَشَدَّدا
إذْ أضْرَمَتْ أعداؤه نارَ باطلٍ ... أثارَ عليها الحقَّ يوماً فأخْمَدا
فلو رامَ أسْبابَ السَّماءِ لنالَها ... وسار بمضمار المرام وما كدا(١)

(١) كدا: كدت الأرض تكدو كدوًا فهي كادية: إذا أبطأ نباتها، والكادي: البطيء الخير من الماء، وكدا الزرع وغيره من النبات: ساءت نبتته. والكدية: صخرة صلبة تبرز في الطريق فتعثر بها المارة، وكدا: عثر. انظر: لسان العرب مادة (كدا).

(*) في الطبعة (١): (ونشواتكم) وهو خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (العزل) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

ومــا مــالَ إلاّ لــلــعــبــادة والــتُّــقَى ... كـأنْ عـنه شـيـطـانُ الـوسَـاوِسِ صُـفِّدا
ومــا هــو إلاّ قــطـبُ دائــرةِ الــعُلا ... إمـامٌ لأربـاب الـطـريـقـةِ مُـقْـتَـدَى
تُـنيلُ نـوالَ الـيُمْنِ يُـمْـنـاهُ بَـسْـطُـها ... ومـا مَـدَّ إلا نـحـوَ خـالـقِه يَـدا
ولم تُـبـلَغِ الآمـالُ في غـيـر مـالهِ ... وفي غير ذاك العَذْبِ لا يُنقَعُ الصَّدى
ألا يـا سَحـابـاً أغـرقَ الـوَفْـدَ غَـيْـثُهُ ... لـظـامي الـنَّـدى كانت أياديه مَـوْرِدا
فـلـو حـاولَ المجـدُ الأثـيلُ مَـقـامَهُ ... لحـاول ذاك المجـدُ بـالمجـدِ أمْـجُـدا
مـكـارمُ طـبعٍ في عُلاهُ ظُـهـورُها ... وكـان لـهـاتـيكَ المـكـارمِ مَـوْعِـدا
وأُنْـبِتَ بـالـتَّـقْـوَى بـأحسن مـنـبتٍ ... وقـد طـابَ أصلاً مثلَما طابَ مَحْتِدا
يُـقَـضِّي لـعـمرُ الله صـومـاً نَـهـارَهُ ... ويُـحْـيي لـيـالـيه دُعـاً وتـعـبُّـدا
ولـمَّـا ادَّعى ما إنْ أتَى الـدهرُ مِـثْلَهُ ... فـأتـبعَ في مـا يـدّعـيه وقـلِّـدا
وأشـرعَ لـلـشَّـرعِ الحـنيفِ مَـنـاهـجاً ... قَـواعـدَ دينِ الـلهِ أضـحى مُـمَـهِّـدا
تَـصَـرُّفُهُ في بـاطنِ الحـالِ بـاطنٌ ... إلى الرشدِ أصحابَ الحقيقةَ أرشَدا
ومُـتَّـبِعٌ شـرعـاً لِـمـا هـو ذاهبٌ ... ومَـذْهَـبُه يـنـحـو طـريـقـةَ (أحـمـدا)
ومــا كــان إلاّ حــينَ يُــسْــألُ ردُّهُ ... بـأسـرع من حـاكٍ يُـجـاوبُهُ الـصَّـدَى
وأدركَ ممَّنْ فـضـلُهُ يملأُ الـفَـضَـا ... تُـعَـدُّ أيـاديه بـألـسِـنَـةِ الـعِـدا
ولِـلـهِ في مـا قـد أنـالكَ حـكـمـةٌ ... فـأعْـدَمَ فـيك الجـهلَ والـعـلمَ أوْجَـدا
سَـعَـيْتَ ويُـجْدي الـسَّـعدُ بالـسَّعْي رَبَّهُ ... وأصـبَحتَ في صدرِ السَّعادةِ أسْعُدا
فـيـا زهـرَ روضٍ أنـتمُ زهـرُ كُـمِّهِ ... لـقـد مـاسَ غُصْنُ الـفخرِ فيكمْ تَـأوُّدا
ظَـهَرْتُمْ ولا يَـخْفَى من الـشمس نورُها ... وحـادي انتشارِ الـذكرِ في ذِكْرِكُمْ حَدا
إذا مـا مـضَى مـنكم عن المجد سـيّدٌ ... أقـامَ لـكمْ في مـوقفِ الـفـخـرِ سـيِّدا
وذِكْـرُكَ حـتَّى يـقـضِيَ الـلهُ أمْـرَهُ ... عـلى طـول مـا طـالَ الـزمـانُ تـأبَّـدا
أبَـرَّتْ – عـلى مـا تـدَّعيه – يمـيـنَـهـا ... مَـتى تُـقْـسِمُ الأيـامُ أنَّك مُـفْـردا[1]

---

(١) جعل الشاعر اسم إن وخبرها منصوبين وهي لغة كقول عمر بن أبي ربيعة:

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن ... خطاك خفافًا إن حراسنا أسدا

انظر مغني اللبيب ١/ ٣٦.

وَلَمَّا دَعَاكَ الأَصْلُ يَوْماً لِفَرْعِهِ رُواةُ المَعَالي عن جَنابِكَ أَخْبَروا
وَرَدْتَ فَما أَبْقَيتَ لِلنّاسِ مَوْرِدا حَديثاً عن العَلياءِ صَحَّ وأُسْنِدا
ويُورِدُ عَنك المدحَ والحمدَ كُلَّه غِياثٌ وغَوْثٌ لا يُجَارَى جَوادُهُ
كَمالُكَ يُروينا كَما لكَ أَوْرَدا ومَلْجَأُ مَنْ آويتَ كُنتَ ومُنْجِدا
ونِلْتَ بِتوفيقِ العِنايةِ رُتْبَةً وحَسبُ الذي عاداكَ في ما يَرومُهُ
عَدُوُّك يَلْقَى دونَها مَوْرِدَ الرَّدى جَعلتَ عليه لَيل هَجْرِكَ سَرْمَدا
عَلى رغمِ من عاداكَ قُلتُ مُؤَرِّخاً (بِفَتْوَى عُبَيْدِ اللهِ لا زالَ يُقْتَدى)[1]

(٥٩)

وقال مادحًا الحاج محمد أمين أفندي [الزند][2] مفتي بغداد ويهنيه بختان أولاده

---

(١) مجموع حساب التاريخ يساوي سنة ١٢٢٥هـ. إذا اعتبرنا الياء ألفا. وهذا التاريخ لا يناسب عمر الأخرس وإذا اعتبرناه (ياء) فيكون التاريخ ١٢٤٣هـ. والحيدري توفي سنة ١٢٤٢هـ والأنسب أن تكون رثاء. وتاريخا للوفاة لا تاريخا للإفتاء.

(٢) أبوكامل الحاج محمد أمين أفندي الزند المعروف بالكهية. ذكره محمود شكري الآلوسي فقال «كان مفتي الحنفية ببغداد، ثم صار كتخدا لوالي بغداد، ثم سافر إلى الآستانة وصار من الأعيان ورجال الدولة هناك. وكان ذا أخلاق حميدة وحياء وورع وحلم وكان محبًا للخير وعمل البر، حتى أنه لما ختن أولاده في بغداد ختن معهم أربعمائة ولد من الأيتام والفقراء وكساهم أحسن اللباس..» ولد في بغداد سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م ودرس على والده وعلى علماء بغداد حتى نبغ وعين نائبًا للقاضي في المحكمة الشرعية ثم عين مفتيًا ببغداد، وفي تلك الأيام طبع كتاب (تاريخ القرماني) بمطبعة مجرية ببغداد. ثم عينه والي بغداد نامق باشا بوظيفة (كهية) أي وكيل الوالي أو نائبه ثم سافر إلى الآستانة وانتخب نائبًا عن بغداد ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ثم عينه السلطان عبدالحميد عضوًا في (مجلس شورى الدولة) وكان عضوًا في لجنة (مجلة الأحكام العدلية) وهو عالم فاضل له بحوث ومقالات وكان رجلاً حازمًا كريمًا سخيًا وكان يحسن اللغات العربية والكردية والتركية والفارسية وكان قد جمع كتبًا كثيرة مختلفة الفنون، وكان ينوي إنشاء مكتبة عامة في منزله ببغداد، إلا أن المنية عاجلته في الآستانة سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م وكان ولده كامل بك قد قدم من الآستانة إلى بغداد سنة ١٣٢٠ - ١٩٠٢م ونفذ رغبة والده فعمر قسمًا من داره وجعله مسجدًا. عرف باسم (جامع الكهية). في محلة الميدان - رأس الكنيسة - وجعل في المسجد مكتبة حافلة بأمهات الكتب الخطية بأحسن نظام، وقد هدم المسجد عند توسيع الشارع وأنشئ بدلا منه مسجد صغير بجوار مقبرة الإمام الغزالي ببغداد سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م. وما تزال أسرته في بغداد تعرف باسم (بيت الكهية). كما أن له أحفادًا في الآستانة وأقارب بين عشيرته (زند) في قضاء (كفري - صلاحية) في محافظة كركوك. انظر تاريخ مساجد بغداد وآثارها للآلوسي ٥٩ - ٦٢ ومشاهير الكرد وكردستان ٢/ ١٤١ - ١٤٢ وتاريخ مساجد بغداد الحديثة ٢٨١.

لِيَهْنِكَ ما بلغتَ منَ الأماني ... فلمْ تبرح بأيام التَّهاني
تُسَرُّ وقد تَسُرُّ الناسَ طُرّاً ... ببيضِ فعالكَ الغُرِّ الحِسان
وفي ما قَدْ فَعَلْتَ جُزيتَ خيراً ... وهل تُجْزَى سِوَى خُلْدِ الجِنان
فعلتَ الواجبَ المأمورَ فيه ... وما سَنَّ النَّبيُّ منَ الخِتان
وَأولَمْتَ الوَلائمَ فاستَلَذَّتْ ... لها الفقراءُ من قاصٍ ودانِ
وأكثَرْتَ الطَّعامَ بهنّ حتّى ... لقدْ ضاقَ الطعامُ عنِ الجِفان[1]
وجاءَ الناسُ أفْواجاً إليها ... فلمْ يُعْرَفْ فُلانٌ من فُلان
شَرابُهُمُ شرابٌ سكَّريٌّ ... وممّا يشتهونَ لحوم ضان
لقد قيل الطعامُ فلم تُدانِ ... وقد قيل السَّماعُ فلم تُدان
بذكرِ الله إنَّك قَبْلَ هذا ... قدِ اسْتَغْنَيْتَ عن كلِّ الأغاني
وما تلهو عن السِّبع المَثاني ... بأصواتِ المَثالثِ والمَثاني
خَتَنْتَ بنيكَ في أيامِ سَعْدٍ ... بمعتَدِلِ الفُصولِ منَ الزمان
وأربعَمائةٍ خُتِنَتْ وكانتْ ... يَتامَى لم تُسَنَّنْ بالخِتان
كَسَوْتَهمُ المَلابسَ فاخراتٍ ... فراحوا مثلَ روضِ الأقحوان
فمن خُضْرٍ ومن صُفرٍ وحُمرٍ ... كأمثالِ الشَّقيقِ الأرجواني
كازهار الرَّبيعِ لها ابتهاجٌ ... وقد سُقِيَتْ حَيا المزنِ الهِتان
أتيتَ بها منَ الصَّدَقاتِ بِكْراً ... وما كانت لعَمرُكَ بالعَوان
أرَدْتَ بذاكَ وجْهَ الله لا ما ... يُقالُ ويُستَفاضُ منَ اللسان
أُحِبُّكَ لا لمالٍ أقْتَنيه ... ولا طمعٍ بجودٍ وامتِنان
ولا أثني عليكَ الخيرَ إلاّ اعْـ ... ـتِقاداً باللّسان وبالجَنان
وكيفَ وأنْتَ للإسلام ركنٌ ... تُشادُ به القواعدُ والمَباني
أعزَّ الله فيك الدينَ عزّاً ... ولم يَكُ قبلَ ذلكَ بالمُهان
فكنتَ الرَّوحَ والمعْنَى المَعالي ... فقلْ ما شئتَ عن (روحِ المعاني)[2]
تقولُ الحَقَّ لا تخْشَى مَلاماً ... ولستَ عنِ المَقالةِ بالجَبان

---

(١) يريد ضاقت الجفان عن الطعام

(٢) توجيه لطيف إلى كتاب (روح المعاني) وهو التفسير الكبير لأبي الثناء الآلوسي.

ولا داريْتَ أو مـــــاريتَ قـــــومـــــاً　بــرفــعــةِ مــنـصـبٍ وعُـلُـوِّ شــان
ولم تحـــكُمْ عـــلى أمْـــرٍ بــشيءٍ　إلى أنْ يَـسْـتَـبـينَ إلى الـعِـيـان
فـتـدركُ مـا تحـاولُ بـالـتَّـأنِّي　وإنْ رُمْتَ الجـــمـيـلَ فلا تَـــوان
(مــحــمّــدٌ الأمــين) أمِـنْتَ ممّـا　تُـــحـــاذرُه وإنَّك في أمـــان
كـفـاكَ الـلهُ ألـسِـنَـةً حِـداداً　لـهـا وَخْـزٌ ولا وَخْـزُ الـسِّـنـان
ولم أســمعْ مَـقـالاً فـيكَ إلاّ　مـقـالَ الخـيـرِ آنـاً بَـعْـدَ آن
بـقـيتَ لـنـا ولـلـدنـيـا جـمـيـعـاً　وكلٌّ غـيـرُ وَجْهِ الـلـهِ فـانِ

(٦٠)

وقال مادحًا السيد محمود أفندي النقيب[١] حين دخول علي رضا باشا لبغداد

بَـدا والـصُّـبحُ غَـارَ عـلى الـظَّلامِ　وعِـقـدُ الـنَّـجمِ مَـحْـلولُ الـنِّـظـامِ
فـحـيَّـا بـالـرُّضـاب وبـالحُـمَـيّـا　فـأحْـيَـا بـالـرُّضـاب وبـالـمُـدامِ
إذا مـا الـشَّـيْخُ في الكـأس احْتَساهـا　غـدا في الحـال أنـشطَ من غُلام

(١) السيد محمود بن السيد زكريا القادري نقيب الأشراف ببغداد، كان من ألمع شخصيات بغداد في أيامه وله التأثير الكبير في المجتمع، وقد أجرى تعميرات في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني في سنة ١٢٤١هـ – ١٨٢٦م وقد أثنى عليه أبوالثناء الآلوسي في مقاماته. وكان السيد محمود من أشد أعوان الوالي داود باشا، وقد وقف إلى جانبه أيام عزله ومحنته. وأخرج راية الشيخ عبدالقادر الكيلاني ونشرها ثم أمر بضرب الطبول والدمامات فهيج الناس لنصرة داود باشا ومقاومة علي رضا اللاظ. وبقي على ذلك أياما. وكان السيد أحمد متولي الإمام الأعظم قد خشي من الفتنة وعلم أن داود باشا لا يستطيع مقاومة الحصار طويلاً، فأرسل المتولي بعض الرجال من الأعظميين فاختطفوا السيد محمود النقيب وأطفأوا الفتنة وشفعوا له عند الوالي علي رضا وكذلك شفعوا لداود باشا، فاستجاب علي رضا اللاظ وعفا عنهما وأكرمهما. وكان السيد محمود النقيب رجلاً محترمًا كريماً محبوبًا مدحه كثير من الشعراء منهم عبدالباقي العمري. والشيخ صالح التميمي بقوله:

كل بـدعـواه فـيه يـنـتـهي الجـود　وغـير مـحـمـود مـا بـالـعـصـر مـحـمـود
لـيس الـسـمـاح مـواعـيـدًا مـجـردةً　ولـيس تـورق حـتى يـورق الـعـود

كما مدحه السيد مهدي القزويني الصغير الحلي. انظر مقامات ابن الآلوسي (الثالثة) وحديقة الورود ج٢ الورقة ١٢٢ مخطوط والترياق الفاروقي ٤٣٤ وشعراء الحلة ٥/ ٣٩٢ وديوان التميمي ٣١ والآثار الخطية ١/ ١٩.

لـئنْ عـلَّـلـتَـنـي يـا صـاحِ يـومـاً | بـأحـبـابي فَـعَـلَّـلْـني بـجـام
دَعَـا عـنّي الـمَلامَـةَ في الـتَّـصـابي | فـقـد رَوَّعْـتُـمـاني بـالـمَلام
ألا يـا صـاحِـبَيَّ وبي غَـرامٌ | أعـيـنـاني عـلـى داءِ الـغَـرام
ويـا ريحَ الـصَّـبـا الـنَّـجْـدِيِّ بـلِّغْ | سُـلَـيْـمَى يـا صَـبـا (نجـدٍ) سَلامي
ومن لي بـالـكـرى يـومـاً لَـعَـلِّي | أرى طَـيْفَ الـمَـلـيـحـةِ بـالـمَـنـام
ومـا أنْـسَى لـهـا في الـركب قَـوْلِي | وقـد نَـظَـرَتْ لأجـفـانٍ دوامي
نُـحـولي مـا بـخَـصْـرِكِ من نُـحـولٍ | وسُـقـمي مـا بـطَـرْفِكِ من سَـقـام
سَـقَى الأَثَلاتِ[*] في (سَلْعٍ) سُيولاً[1] | فـقـد جَـلَـبَتْ حَـمـائِـمُـهـا حِـمـامي
بـكـيتُ ومـا بـكتْ في الـدَّوح وُرْقٌ | تـظنُّ هـيـامَـهـا أبـداً هـيـامي
ولـو كـان الـهـوى من غـيـر دمعٍ | قَـضَـيْـنـا بـالـغَـرامِ عـلى الحَـمـام
أداوي مـهـجـةً يـا (سـعـدُ) جَـرْحَى | رَمـاهـا من رُمـاةِ الحُـسْنِ رام
رَمَـيْنَ قُـلـوبَـنـا غـزلانُ (سـلـعٍ) | فـمـا أخـطـأنَ[**] هـاتـيك المـرامي
فَـبِـتُّ جـريحَ ألحـاظٍ[***] مـراضٍ | ورُحْتُ طـعـينَ ذَيّـاكَ الـقَـوام
قُـدودُ الـبـيض لا سـمـرَ الـعـوالي | ولَـحْـظُ الـسِّـرْبِ لا حَـدَّ الحُـسـام
كـتـمتُ الحُبَّ مـتّـهَـمـاً عـلـيه | ومـا لـي طـاقـةٌ بـالإكـتـتـام
وكـيفَ أطـيقُ والـعـبـراتُ مـنّي | تُـعَـبِّـرُ عن فـؤادٍ مُـسْـتَـهـام
ومـا نـقصَ اشْـتِـياقُ الـصَّبِّ شـيـئـاً | عـلى وجهٍ حـكى بـدرَ الـتَّـمـام
يَـدِبُّ هـواكِ يـا سـلـمى بـروحي | دبـيبَ الـصَّـرخـديَّـةِ في الـعـظـام[2]
وفَـيْتُ بـعـهـدِ مَنْ نـقَـضَتْ عُـهـودي | ومـا لـلـوفـاءِ مَـيٍّ من دوام
فـلـيتَ (المـالـكّـيـةَ) حـين صَـدَّتْ[3] | رَعَـيْتُ ذمـامَـهـا وَرَعَتْ ذِمـامي

---

(١) سلع: جبل وموضع قرب المدينة المنورة – وهو المقصود هنا – وقد تغنى به الشعراء كثيرًا، وسلع حصن بوادي موسى قرب القدس، وسلع جبل في ديار هذيل، انظر معجم البلدان ٣/ ٢٣٦ – ٢٣٧.

(٢) الصرخدية: الخمر، ومن أسماء الخمر (صرخد).

(٣) المالكية: هي عبلة بنت مالك ابنة عم عنترة وحبيبته.

(*) **في الطبعة (١): (الأثلاث) وتم تصويبها من الطراز الأنفس..**

(**) **في الطبعة (١): (أخطات) وبذلك ينكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

(***) **في الطبعة (١): (ألفاظ) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

صَبَرْتُ على الحَوادِثِ صَبْرَ حُرٍّ   يَرى بالصَّبرِ إبلاغَ المَرامي
وقلتُ مُعَلِّلاً نفسي ولكنْ   مَقالي كان أصدقَ من حَذام[1]
سأَحْمَدُ عند (محمودِ) السَّجَايا   عَواقِبَ أمْرِ أخطارٍ عِظام
وأَسْتَغْني به عَمّا سواهُ   كما يُغْني الركامُ عنِ الجَهام
وأرجو أن تُظَفِّرَني سَريعاً   عنايَتُه بغاياتِ المرام
لقد دَرَّتْ سحائبُهُ إلى أنْ   زَهَتْ فيهنّ أزهارُ الكلام
فَحَدِّثْ عن مكارمه فإنّي   لَتُعْجِبُني أحاديثُ الكرام
إذا ما جئتَني بحديث جودٍ   لقَرْمٍ جودهُ كالغَيْثِ هام
فما حَدَّثْتُ إلاّ عن أشمٍّ   ولا أخْبَرْتُ إلاّ عن هُمام
ذَكاءٌ فيه أورى من زنادٍ   وكفٌّ منه أنْدَى من غَمام
وآراءٌ إذا نَفَذَتْ لأمْرٍ   فهنّ اليومَ أنفَذُ من سِهام
يرى فِعْلَ الجميلِ عليه فرضاً[2]   كمُفْتَرَضِ الصَّلاةِ معَ الصِّيام
وقامَ له على الأعْناقِ شكرٌ   فلا يُقضَى إلى يوم القِيام
سريعُ الجُودِ إنْ يُدْعَ لحُسْنَى   وما هو ذا بَطيءُ الإنْتِقام
أياديه حَطَمْنَ المالَ جُودًا   فما أبقتْ يداه من حُطام
على أبْوابِهِ الآمالُ منّا   قَدِ ازدَحَمَتْ لنا أيَّ ازدحام
تَخَيَّرْ ما تَشاءُ وسَلْهُ تُعْطَى   من ابنِ (المصطَفَى) خيرِ الأنام
تَيَقَّنْ أنَّ أمرَكَ سوف يُقْضَى   إذا ما شِمْتَ منه سَنا ابتسام
أخو الهِمَمِ التي تحكي المَواضي   وتِفْتِكُ فَتْكَ خوَّاضِ القَتام
تَسامىَ مَجْدُهُ فَعَلا مَحَلاً   وإنَّ مَحَلَّ أهلِ المجد سامي

(١) حذام هي بنت العتيك بن أسلم، وهي زوجة لجيم بن صعب، وكانت ذكية حاذقة صادقة قامت عند الفجر فرأت القطا قد ترك مفاحصه وطار فأخبرت زوجها وأهلها أن عدوًا أو سيلاً سيطرقهم. وقد وقع ذاك. فقال زوجها لجيم:

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام
ولولا المزعجات من الليالي   لما عاف القطا طيب المنام

والاسم حذام بكسر الميم معدول عن حاذمة. انظر لسان العرب مادة (حذم).

(٢) في الأصول: فرض. وهو من وهم النساخ.

(*) في الطبعة (١): (جوّان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

جَــــمــــيــــلُكَ قـــاطنٌ في كلِّ أرضٍ ... وذِكـــرُكَ ســـارَ جـــوّابَ(*) الـــمَـــوامي
طَـــمَـــيْتَ وأنْتَ يـــوم الجـــودِ بَـــحْـــرٌ ... وبــــحــــرُكَ لا يـــزالُ الـــدهـــرَ طـــامي
ومن جَـــدْواكَ كم قـــد ســـالَ سَـــيْلٌ ... فـــروّى ســـيلُ جـــودِكَ كلَّ ظـــامي
لـقـد أولـيْـتَـني نـعَـمـاً جِـسـامـاً ... فـمـا أهـداكَ لـلـنِّـعَمِ الجِـسـام
دَعـــاكَ لأمْـــرِهِ الـــمَـــوْلَى (عـــليٌّ)[1] ... فـــكـــنْتَ وأنتَ في أعْـــلَى مَـــقـــام
وعُـــدْتَ لـــديه يـــا عـــينَ المـــعـــالي ... بـــرأيكَ نـــاظـــراً أمْـــرَ الـــنِّـــظـــام

(٦١)

عَـــدِّ عـــمَّنْ لجَّ في قـــالٍ وقـــيلِ ... أنـــا لا أصـــغي إلى قـــولِ الـــعَـــذولِ
وأعِـــدْ لي ذِكْـــرَ مَن صَحَّ الـــهَـــوى ... منه بـالـطَّـرف(*) وبـالجسمِ الـعـلـيل
فَـقَـدَ الـصَّـبْـرَ معَ الـوَجْـدِ فـمـا ... لاذَ بـالـصَّـبْـرِ عنِ الـوَجْـهِ الجـمـيل
من قُـدودٍ طَـعَـنَتْ طَـعْنَ الـقَـنـا ... ولحـاظٍ فـتـكـتْ فَـتْك الـنُّـصـول
دَنِفٌ لـــولا تَـــبـــاريحُ الجَـــوَى ... مـا قَـضَى الـوَجْـدُ عـلـيه بـالـنُّـحـول
كـلّـمـا شـامَ سَـنـا بـارقِهِ ... جَـدّ جِـدُّ الـوَجْـدِ بـالـدمعِ الـهَـمـول
إنَّ مـــا أُضْـــرِمَ في أحـــشـــائه ... من خـلـيلٍ في الـهـوى نـارُ الخـلـيل
وإذا هـــبَّتْ به ريحُ صَـــبًـــا ... راحَ يَـسْـتَـشْـفي عَـلـيلٌ بـعَـلـيل
كَـــبِـــدٌ حَـــرَّى ودمعٌ واكِفٌ ... فـــهْـــو مـــا بـــينَ حَـــريقٍ وسُـــيـــول
لـــو تَـــراه إذْ نـــأتْ أحْـــبـــابُهُ ... تَـــطَـــأُ الأرضَ بـــوَخْـــدٍ وذَمـــيل
لا تَـسَلْ عن مـا جَـرَى كـيف جَـرَى ... ســـائلُ الـــدمعِ عـــلى الخـــدِّ الأســـيل
أيّ يـــومٍ يـــومَ ســـارتْ عـــيـــسُـــهمْ ... وَدَعـــا داعي نَـــواهمْ بـــالـــرَّحـــيل
وتَـــراني بَـــعْـــدَهُمْ أشـــكـــو الأسَى ... لـــبَـــقَـــايـــا من رُســـومٍ وطُـــلـــول
وبـــرسْمِ الـــدار من أطلالـــهمْ ... مـــا بـجـسـمي من سَـقـامٍ ونُـحـول

---

(١) هو علي رضا باشا اللاظ الوزير، مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

(*) **في الطبعة (١): (بالطرق) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

بخلوا بالوصلِ لمّا أعْرَضوا ... ومنَ البَلْوَى نوالُ من بخيل

ليت شِعْري ولَكَمْ أشكو إلى ... باردِ الرِّيقة من حَرِّ الغَليل

لا أرى المحنةَ كالحبِّ ولا ... كالهَوَى للصَّبِّ من داءٍ قَتُول

بأبي مَنْ أخَذَتْ أحْداقُهُ ... مُهْجَةَ الوامِقِ بالأخْذِ الوَبيل

وشِفائي قُربُ من أسْقَمَني ... بسَقامِ الطرفِ والخَصْرِ النَّحيل

هل علمتمْ أنّ أحْداقَ المَها ... خَلَقَتْ حينئذٍ سِحْرَ العُقول

يا دياراً لأحِبّاءٍ نَأتْ ... ألناءٍ عنك يوماً من وُصول؟

كان روضُ العيشِ فيها يانعاً ... قبْلَ أن آذَنَ عودي بالذُّبول

بمُدامٍ أشْرَقَتْ أقْداحُها ... بَزغَتْ كالشَّمسِ في ثَوْبِ الأصيل

وشَدَتْ وَرقاءُ في أفنانها ... أوتِيَتْ عِلْماً بموسيقى الهَديل

حَبَّذا اللّهوُ وأيامُ الصِّبا ... وشَمالٌ وكؤوسٌ من شَمول

ونَدامَى نَظَمَتْهمْ ساعةٌ ... وقعتْ منّا بأحْضانِ القَبول

علِّلاني بعدها عن عَوْدها ... بمرامٍ غير مَرْجُوِّ الحُصول

إذْ مَضَتْ وهْي قَصيراتُ المَدَى ... فَلَها طالَ بكائي وعَويلي

جَهِلَ اللائمُ ما بي ورأى ... أنْ يفيدَ العِلْمَ نُصْحاً من جَهول

لا ينالُ الحَمْدَ في مَدَحي له ... من يَعُدُّ الفَضْلَ من نوعِ الفُضول

وأراني والحجا من أربي ... في عريضِ الجاهِ ذي الباعِ الطويل

كلّما أنظمُها قافِيَةً ... تنظمُ الإحْسانَ في قولٍ مَقول

وعلى خِفَّتِها في وزنها ... تطأ الحُسّادَ بالقولِ الثَّقيل

بالِغٌ في كلِّ يومٍ مَرَّ بي ... من (أبي عيسى) نَوالاً من مُنيل

لا يُريني العيشَ إلاّ رَغَداً ... في نَعيمٍ من جميلِ (ابنِ الجميل)

يَنْظُرُ النَّجْمُ إلى عليائه ... نَظرَ المُعْجَبِ بالطَّرْفِ الكليل

يرتَقيها درجاتٍ في العُلا ... فترى الحاسدَ منها في نُزول

قَصَّرَتْ عن شَأوه حُسّادُهُ ... وانْثَنَى عنهمْ بباعٍ مُسْتَطيل

نُسِبَ الجودُ إلى راحَتِهِ ... نِسْبَةَ السِّحرِ إلى الطرفِ الكحيل

ورَوَى نائلُهُ عن سَيْبِهِ ... ما روَى الريُّ عنِ الغيثِ الهَطول

كاد أنْ تَمْزِجَهُ رِقَّتُهُ ... بنَسيمٍ من صَبا (نجد) بليلِ
أيُّها الآخِذُ عن آبائه ... سُنَنَ المعروف بالفعلِ الجميل
مكرُماتٍ جِئتَ للناسِ بها ... عَجَزَتْ عنها فحولٌ من فُحول
هذه الناسُ التي في عَصْرِنا ... ما رأينا لكَ فيهمْ من مَثيل
شَرَفٌ أوضَحُ من شمس الضُّحَى ... ليس يحتاجُ سَناها لدَليل
إنْ هَزَزْناكَ هَزَزْنا صارماً ... يَفْلِقُ الهامَ بَرِيّاً من فُلول
أسألُ اللهَ لكَ العِزَّ الذي ... كان من أشْرَفِ آمالي وسولي
دائِمَ النعمةِ مُنْهَلَّ الحَيَا ... مُوردَ الظامي بعذبٍ سَلْسَبيل
فَلِنَعْمائِكَ عندي أثَرٌ ... أثرُ الوابلِ في الروضِ المُحيل
لو شكرتُ الدهرَ ما خَوَّلَتَني ... لا أفي حَقَّ كثيرٍ من قليل
إنَّما أنتم غيوثٌ في النَّدى ... وإذا كانت وَغىً آسادُ غِيل
نُجَباءٌ من كرام نُجُبٍ ... والكرامُ النُّجْبُ من هذا القَبيل
ألبَسوني الفخرَ في مدحي لهم ... وكَسَوْني كلَّ فَضْفاضِ الذُّيول
وأرَوني العِزَّ خَفْضاً عَيْشُهُ ... والرَّدَى أهونُ من عيشِ الذليل
زيَّنوا شعري بذكري مَجْدَهُمْ ... في أعاريضِ فعيلٍ وفَعول
إنَّهمْ فضلٌ وبأسٌ ونَدىً ... زينةَ الإفْرندِ للسَّيْفِ الصَّقيل
وزكَتْ أعْراقُهُمْ منذُ نَمَتْ ... بفُروعٍ زاكياتٍ وأُصول
في سبيل اللهِ ما قد أنْفَقوا ... لليَتَامَى ولأبناءِ السَّبيل
أنفَقُوا أمْوالَهُمْ وادَّخَروا ... حَسَناتِ الذكرِ في المجدِ الأثيل
تخلقُ الدهرَ وتكسو جِدّةً ... وتُعيدُ الذكرَ جيلاً بَعْدَ جيل
يا نُجوماً أشْرَقَتْ في أفْقِنا ... لا رماكِ اللهُ يوماً بالأُفول
أنتمُ الكنزُ الذي أذخَرُهُ ... لِلْمُلِمّاتِ منَ الخَطْبِ الجَليل
وإليكمْ يَنْتَهي لي أمَلٌ ... كاد أنْ يُطْمِعَني بالمُسْتَحيل
كمْ وكمْ لي فيكمُ من مِدَحٍ ... رَفَعَتْ ذكري بكمْ بَعْدَ الخُمول
فمَتَى أغْدو إلى إحسانكمْ ... إنّما أغْدو إلى ظلٍّ ظَليل
لم أزلْ أحْظَى لديكمْ بالغِنَى ... والعَطاءِ الجَمِّ والمالِ الجَزيل

(٦٢)

ضَحِكَ البرقُ فأبكاني دَمَا وجَرَى دَمْعي له وانْسَجَمَا

وأهاجَ الوَجْدُ في إيماضِهِ كبداً حرَّى وقلباً مُغْرَمَا

ما أرى دائِيَ إلاّ لَوْعَةً من حَشًا تُورَى ومن دَمْعٍ هَمَى

مِنْ سناً لاحَ ومِنْ برقٍ أَضَا ما بكى الوامقُ إلاّ ابْتَسَمَا

فكأنَّ البرقَ في جُنْحِ الدُّجَى ألبسَ الظلماءَ بُرداً مُعْلَمَا

باحَ في الحُبِّ بأسْرارِ الهَوَى وأبَى سِرُّ الهَوَى أنْ يُكْتَمَا

يا أخِلاّئي وهلْ من وقفةٍ بعدكمْ بـ(الجَزْعِ) من ذاكَ الحِمَى

أنْشُدُ الدارَ التي كنتمْ بها ناشِداً أطلالَها والأرْسُمَا

---

(١) السيد داود أفندي بن الحاج سعدي البغدادي، درس على علماء بغداد من آل السويدي ورافق أبا الثناء الآلوسي مدة وأخذ عنه وتخرج به. وقد عينه الوالي محمد رشيد باشا الكوزلكي مدرسًا في المنتفق ومفتيًا فيها سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٣م ذكره إبراهيم الدروبي بقوله: «كان من العلماء الأعلام، أخذ من شتى العلوم نصيباً وافرًا وحاز من فنون الأدب ما جعله في الطبقة الممتازة من مراجع الأدب، عرف بكثرة حفظه وحدة ذكائه وقوة ذاكرته، حفظ للعرب أخبارهم وحوادثهم وأيامهم ووقائعهم وأسواقهم ومآثرهم ولهذا عرف بحجة العرب وصار مرجع الناس والعشائر والقبائل والأفخاذ في أنسابهم وأحسابهم، وكانت له أبهة الملوك ويمتطي من الخيل جيادها». وهو الذي أنقذ سليمان فائق حين حاول أهل سوق الشيوخ قتله لما تشدد في الأمور الحسابية. وله شعر حسن ومنه قوله شاكرًا أستاذه أبا الثناء الآلوسي حين زاره في مرضه:

لقد شرفت فيك الديار وأهلها ولا غرو إذ أنت الرؤوف المشرف

وإن تك للمرضى رعيت حقوقهم فأنت لكل الخلق مولى ومسعف

ولا زلت محمود الفعال وقدوة ولا زلت بالجاني المقصر ترأف

وتصدر للتدريس والفتوى بجانب الكرخ وكان يصلي الجمعة في جامع الشيخ صندل، وهو واسع الثراء سخي اليد، يحب الأبهة توفي سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م ودفن في الكرخ قرب الشيخ داود الطائي. وهو والد السيد محمد رشيد السعدي صاحب كتاب قرة العين في تاريخ العراق والجزيرة والنهرين، وجدُّ الأستاذ المحامي داود السعدي. انظر حديقة الورود ج٢ الورقة ٢٥ و٥٦ مخطوط وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٤٤ ومباحث عراقية ق١/ ٨٥ والبغداديون ٥٨ - ٥٩.

يـا ديـاراً بـ(الـغَـضَـا) أعْـهَـدُهـا مَـرْبَضَ الأُسْـدِ ومِـحْـرابَ الـدُّمى

سَـوَّلتْ لـلـدَّمْعِ أن يـجـري بـهـا وقَـضَتْ لـلـوَجْـدِ أنْ يَـضْـطَـرِما

أين سُـكَّـانُكِ لا كـان الـنَّـوى أعْـرَقَ الـبـينُ بـهمْ أم أشْـأَمـا؟

كـان عَـهْـدي بـظِـبـاءِ (الـمُـنْـحَـنَى) تَـصْـرَعُ الـظـبـيـةُ فـيه الـضَّـيْـغَـما

وبـنـفـسي بـين أسْـرابِ الـمَـهَـا ظـالمٌ لم يَـعْفُ عـمَّن ظُـلِـمـا[1]

إنَّ في أحْـداقِ هـاتـيكَ الـظِّـبـا صـحـةً تـورثُ جـسـمي سَـقَـمـا

ومـلـيـحٍ بـابـلـيٍّ طَـرْفُهُ سـاحـرِ الـمُـقـلـةِ مَـعْـسولِ الـلَّمى

حَـرَّمَ الـلـهُ دمي وهْـو يَـرى أنَّه حَلَّ لـه مـا حُـرِّمـا

كم أراشَتْ أسْـهُـمًـا ألْـحـاظُهُ يـا لـه في الحُـبِّ مـن رامٍ رَمَـى

أشْـتَـهي عَـذْبَ ثَـنـايـاه الـتي جَـرَّعَـتْـني في هـواه الـعَـلْـقَـما

وَصَـلـتْ أيّـامُهُ وانْـقَـرَضَتْ أفَـكـانتْ لـيتَ شـعـري حُـلُـمـا

عـلِّلاني بـعَـسَـى أو ربّـمـا فـعـسى تُـغْـني عـسى أو ربّـمـا

حـارَ حُـكْمُ الحُبِّ في الحبِّ فـمـا أنـصَفَ الـمَـظـلـومَ مِـمَّنْ ظَـلَـمـا

لـيـتَه يـعـدلُ في الحـكم بـنـا عَـدْلَ (داودَ) إذا مـا حَـكَـمـا[2]

أيَّـدَ الـلـهُ به الـدينَ امْـرؤٌ كـان لـلـدين به مُـسـتَـعْـصَـما

ذو مَـزايـا تُـرْتَـضَى أطْـلَـعَـهـا مـنه في أفْقِ الـمَـعـالي أنْـجُـمـا

بَـلَغَ الـرشْـدَ كـمـالاً وحـجًـا قـبلَ أنْ يـبـلـغ فـيـهـا الحُـلُـمـا

ومَـبـاني المجْـدِ في أفـعـالهِ قـد بـنـاهنَّ الـبِـنـاءَ الـمُـحْـكَـمـا

نـاشـئٌ في طـاعـةِ الـلـه فَـتـىً لم يـزل بَـرًّا رؤوفـاً مُـنْـعِـمـا

قـد عَلا بـالـفـضلِ في مَنْ قـد علا وسَـمـا بـالـعـلم في مَنْ قـد سَـمـا

(١) في الأصول: ممن ظلما. وما أثبتناه هو الصواب.

(٢) تورية لطيفة بين اسم الممدوح والنبي داود عليه السلام وفيه إشارة إلى قوله تعالى: (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب. إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط) سورة ص الآية (٢١ و٢٢).

كم وكم في مَن تَولّى أمرَهُ   أعينٍ قَرَّتْ وأنف أُرْغِما
رَجُلٌ لو مَلَكَ الدنيا لما   تركتْ أيديه شخصاً مُعْدَما
فإذا جاد فما وَبْلُ الحَيا   وإذا جادلَ خَصْماً أفْحَما
بُسِطَتْ أيديه بالجُود فما   تركتْ ممّا اقْتَناه درهما
أظْهَرَ الحقَّ بياناً وجَلا   من ظلامِ الشَّكِّ لَيْلاً مُظْلِما
سيّدٌ من (هاشمٍ) إذْ ينتمي   لرسول الله أعْلَى مُنْتَمَى
واعِظٌ إنْ وَعَظَ الناسَ اهْتَدتْ   لسَبيلِ الرشدِ من بعدِ العَمَى
كلّما ألْقَى إلينا كَلِماً   لُفِظَتْ من فيه كانتْ حِكَما
تَكْشِفُ الرَّانَ عنِ القلبِ وما   تركتْ في الدين أمْرًا مُبْهَما
قولُهُ الفَصْلُ وفي أحكامه   ما يُريكَ الحكمَ أمْراً مُبْرَما
إنْ قَضَى بالدين أمْراً ومَضَى   أذعنَ الآبي له واسْتَسْلَما
يَحْسِمُ الداءَ من الجهل وكمْ   حُسِمَ الجَهْلُ به فانْحَسَما
نَجَمَ العِلْمُ به إذْ نَجَما   ونَمَا الفضلُ به مُنذُ نَمَا
وبدينِ اللهِ في أقرانِهِ   لم أجِدْ أثْبَتَ منه قَدَما
يدفعُ الباطلَ بالحقِّ الذي   يَفلِقُ الهامَ ويَبْري القِمَما
واكْتَفَى بالسُّمرِ عن بيض الظُّبَى   أغْمَدَ السَّيْفَ وأجْرَى القَلَما
وَجَدَ الفضلُ به مُفْتَتَحاً   لا أرى في فَقْدِهِ مُخْتَتَما
عُلَماءُ الدّينِ أعْلامُ الهُدَى   كلُّ فَرْدٍ كان منهمْ عَلَما
إنّما أنتَ لعمري واحدٌ   ما رأينا لكَ فينا توأما
أنتَ أندَى الناس إنْ تَثْرَى ندًى   يا غماماً سَحَّ يا بَحْراً طَمَى
إنَّ أيامَكَ أعْيادُ المُنَى   حيثُ كانت للأماني مَوْسِما
سيّدي أنتَ وها أنتَ لنا الـ   ـعُرَوَةُ الوُثْقَى التي لن تُفْصَما
نَظَمَ الشِّعْرَ لكمْ داعيكمُ   فتَقَبَّلْ فيكَ ما قد نَظَما
ذاكراً من أنْعُمِ الله لكمْ   نِعَماً تُسْدي إلينا النِّعَمَا

(٦٣)

وقال مادحًا ومودعًا المشير محمد نامق باشا[١] عند انفصاله عن ولاية بغداد وتعيينه مشير المدفعية في الأستانة [وهي من الطويل]:

دعـاكَ أمـيـرُ المـؤمـنـين وإنّـمـا … دعا مسرعاً في ما يرومُ مسابقا

فـلـبَّـيْـتَهُ لـمّـا دعـاكَ ولم تَـجِـدْ … عن السَّيْرِ في تلك الإجابةِ عائقا

وقـدَّمْتَ لـلـتَّـرحـال عَـزْمَـتَكَ الـتي … تحثُّ إلى المجد الجيادَ السَّوابقا

عـلى ثِـقَـةٍ مـنه بمـا أنتَ أهـلُهُ … وما كان إلاّ في جنابكَ واثقا

فـكـان إذا مـا اعْـتَلَّ أمـرٌ بمـلـكه … رآكَ طبيباً للمَمالِكِ حاذِقا

بـرأيٍ إذا هَـزَّ الأسِـنَّـةَ واخـزٍ … وعزمٍ إذا اسْتَلَّ الظُّبى كان فالِقا

نـظـرتَ بـنـورِ الـلهِ في كلِّ غـامضٍ … بعيدِ المَدَى حتّى عرفتَ الحَقائقا

وفـيكَ معَ الإقْـدامِ والـبـأسِ في الـوغَى … خَلائقُ ما زالتْ تَسُرُّ الخَلائقا[٢]

صَلابَـةُ دينٍ تُـرغِمُ الـشِّـرْكَ أنْـفَهُ … وتَخْذِلُ أعْلاجاً له وبَطارِقا

يَـسُـرُّ بـهـا من كـان بـالـله مـؤمـنـاً … ويَكْبِتُ فيها مُلْحِداً ومُنافِقا

ولا غَـرْوَ من كـان الـفـتـوحُ بـوجـهه … إذا اسْتَفْتَحَ الإسلامُ فيه المَغالِقا

إذا الـنَّقْعُ أمسى عارضـاً مُـتَراكِـماً … وأرسلتِ الشهبُ المنايا صواعقا

تُـحـيلُ نـهـارَ الحَـرْبِ أسْـوَدَ حـالِـكـاً … وسَوْسَنَ أوراقِ الحديدِ شَقائقا

فـكم نـاطقٍ بـالـكـفـر أصـبـح أخـرسًا … وكم (أخرسٍ) بالشِّعْرِ أصبحَ ناطِقا

جُـزيتَ جَـزاءَ الخـيـرِ عن أهل بـلـدةٍ … ببأسِكَ تكفيها الخُطوبَ الطَّوارِقا

غَـرَسْتَ من الإحـسـانِ فـيـنـا أيـاديـاً … فأنْبَتْنَ بالذكرِ الجميلِ حَدائقا

(١) نقل إلى وظيفة مشير المدفعية بإستانبول سنة ١٢٦٩هـ = ١٨٥٢م وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٢) الخلائق الأولى: جمع خليقة. وهي الصفة الحميدة من الأخلاق.

أجَـدْتَ نـظـامَ الـمُـلْكِ حـتّى كـأنَّه   من الحُسْن أضحى لـؤلـؤاً مُتَناسـقـا
وفـارقـتـنـا بـالـكُـرهِ مـنـا ولم تـزلْ   حـمـيـدَ الـسَّـجـايـا مُـقْـبِلاً ومُـفـارقـا
فَـحَـقَّ لـ(بـغـدادَ) الـبـكـاءُ وكـيفَ لا   وقـد فـارقَـتْ فـخـرَ الـوزارةِ (نـامِـقـا)
وكـنـتَ بـنـا بَـرّاً رؤوفـاً ووالـيـاً   عَـطـوفـاً وبَـحْـراً بـالـمَـكـارمِ دافِـقـا
وعَـوَّدَنـا مـنكَ الجَـمـيلُ عـوايـداً   إذا عُـدَّتِ الـعـاداتُ كُنَّ خَـوارِقـا
فـدَبَّـرْتَ مـنّـا رقـعـةً مـا تـدبَّـرت   وكم فَـرْزَنَتْ[*] أيـديكَ فـيـنـا بَـيـادِقـا
وفي مـا أراكَ الـلـهُ إصلاحَ شـأنِـهـا   سَدَدْتَ على أهلِ الـفَـسـاد الطَّـرائـقـا
تُـروقُ وتَـصْـفـو إنْ كُـدُرْتَ سَـريـرةٌ   فـلـو كـنـت مـاءً كـنتَ إذ ذاكَ رائـقـا
فَـسِـرْ في أمـانِ الـله من كلّ طـارقٍ[1]   مُـهِمٍّ فلا تَـخْـشَى معَ الأمن طـارقـا
إلى مـلكٍ تَـحْـظَى[**] لـديه بـحُـظْـوَةٍ   بَـنَـيْتَ بـهـا فـوقَ الـنُّـجـومِ سُـرادِقـا
تـكـونُ بمَـرأى من عُلاهُ ومَـسـمَـعٍ   فَـتَـتَّـخِـذَ الـبُـشْـرَى رفـيـقـاً مُـوافِـقـا
إذا كـنتَ من سُـلْـطـانِـنـا بمـكـانـةٍ   فـقـد أمِنَ الـسُّـلـطـانُ فيكَ الـبَـوائـقـا
عـلـيكَ ولا ريبٌ بـذاك اعـتـمـادُهُ   كمـا اعْـتَمَـدَ المرءُ الجِبالَ الشَّـواهِـقـا
عـزمتَ إلـيه بـالـرَّحـيل وطـالمـا   قـطـعتَ إلى الأمْـر الـمُـهِمِّ الـعَـوائـقـا
وشـاقَكَ مـنه حَـضْـرَةٌ مَـلـكـيَّـةٌ   ومـا كـنـتُـمـا إلاّ مَـشـوقـاً وشـائـقـا
سَـتُـرْزَقُ من ثَـمَّ الـسَّـعـادةَ كـلَّـهـا   فَـتَـحْـمَـدُ رزاقـاً وتـشـكـرُ خـالِـقـا
وفـيكَ مع الإقْـدام والـبـأسِ سَـطـوةٌ   تُـعـيدُ فـؤادَ الـدهـر بـالـرعبِ خـافِـقـا
فـمـا وَجَـدَ الـسُّـلـطـانُ مِـثـلَكَ نـاصِـحـاً   ولا وَجَـدَ الـسُّـلـطـانُ مِـثـلَكَ صـادقـا

(*) **فرزن: الفِرْزانُ: من لُعَب الشطرنج، أعجمي معرب، وجمعه فرازين. انظر: لسان العرب. مادة (فرزن).**

(١) في الأصول: من كان طارق.. وهي من وهم النساخ وما أثبتناه أولى.

(**) **في الطبعة (١): (تخطى) وهو خطأ طباعي.**

(٦٤)

دَنِفٌ ذو مُـهْـجَـةٍ في الحبِّ تَـصْـدا ... كُـلَّـمـا زِيـدَ مَلاماً زاد وَجْـدا(*)

أمـطـرتْ أدْمُـعُهُ وَبْلَ الحَـيـا ... وهْـو يـشـكـو من لـظَـى الأشْـواقِ وَقْدا

مُـغْـرَمٌ أخـفَـى الـهَـوى عن عـاذلٍ ... في الـهَـوَى الـعـذريِّ مـا أخْـفَى وأبدى

فَـتَـكتْ أعْـيُـنُـهـا الـغـيـدُ به ... وَرَمَـتْهُ أسـهُمَ الألحـاظِ عَـمْـدا

كـيفَ يـسْـطـيعُ اصْـطِـبـاراً وهْـوَ لا ... يَـجِـدُ الـيـومَ من الأشْـواقِ بُـدَّا

لا تَـلُـمْـني فَـصَـبـابـاتُ الـهـوى ... جـعـلتْ بـيـني وبـين الـلـومِ سَـدّا

عَـبْـرةٌ أهـرقـتُـهـا من أعـينٍ ... أَلِـفَتْ في هـجـرهـا لـلـغُـمْضِ سُـهْدا

وبمـا قـاسَـيْتُ من حَـرِّ الجَـوى ... فـي غَـرامٍ مَـدَّ سَـيْلَ الـدمعِ مَـدّا

أنْـحَلَ الحُبُّ ذويه فـاغْـتَـدَتْ ... من مـعـانـاة الـضّـنَى عَـظْـمـاً وجِـلْدا

كُـلَّـمـا يَـقْـرُبُ مـنّي عـاذلٌ ... بملامٍ قـلـتُ لـلـعـاذلِ بُـعْـدا

---

(١) القاضي الشيخ عبدالحميد ابن القاضي عبدالله بن محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن عبدالرحمن بن عبدالنافع الرحبي الموسوي الحنفي، تولى قضاء البصرة من سنة ١٢٤٥هـ إلى وفاته سنة ١٢٤٧هـ. وله كتاب في الدفاع عن الصحابة سماه (الزلزلة العظمى) رد فيه على سليمان البحراني. ألفه بطلب من عزير آغا متسلم البصرة، وله كتاب (المنظومة السراجية) وله (نظم تنوير الأبصار) في الفروع بأربعة مجلدات وله (نظم منار الأنوار) في الأصول. وكانت له صلات طيبة مع علماء وأدباء عصره وقد مدحه الشاعر السيد عبدالجليل الطباطبائي البصري بقصيدة جاء فيها:

يـا إمـامـاً أجـاد فـصل الخـطـاب ... وبـه يـقـتـدي أولـو الألـبـاب

وكـريمـاً حـاز المـعـالـي إرثـاً ... ولـقـد شـادهـا بـخـير اكـتـسـاب

لا يـلـيق الجـفـا وقـد رق طـبـع ... من حـلـيف الـوفـا كـريم الجـنـاب

فأجابه الشيخ عبدالحميد:

يـا حـبـيـباً وافى عـلى الأحـبـاب ... وبـه يـقـتـدي بـفـصل الخـطـاب

وقـديمـا حـاز الـسـيـادة قدمـاً ... وارتـقى أوجـهـا بـغـير اكـتـسـاب

وأديبـاً مـن فيضـه انتهـل ... الفضل وارتوى من علمه أولو الآداب

توفي في البصرة سنة ١٢٤٧هـ /١٨٣١م. انظر ديوانه الخل والخليل ص٤٦ مخطوط وهدية العارفين ١/ ٥٠٦ والآثار الخطية ٢/ ١٢ و٤٨٨ وفهرس مخطوطات الأوقاف ١/ ٣٦ والبغداديون ص٨٨ و١٣٦ وفيه عبدالحميد بن محمود.

(*) **في الطبعة (١): (وحدا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

رُبَّ ليلٍ أَطْبَقَتْ ظَلْماؤهُ ... تحسبُ الشُّهبَ عيوناً فيه رُمْدا

بِتُّ لا أسْتَطْعِمُ الغُمْضَ به ... وأواري عَبْرتي أنْ تَتَبَدَّى

أذكُرُ الأغْصانَ من بانِ (النَّقا) ... كلَّما أذكرُ من هيفاءَ قَدّا

ومعَ السِّرْبِ الذي مَرَّ بنا ... رشَأٌ يَصْرَعُ بالألحاظِ أُسْدا

مَن معيدٌ ليَ أياماً(*) مَضَتْ ... كان فيها الغَيُّ لو أنْصَفْتَ رُشْدا

أهْصِرُ الغُصْنَ إذا ما كان قَدّاً ... وأشمُّ الوردَ إذا ما كان خَدّا

كم أهاجَ الشَّوقُ من وَجْدٍ بها ... كلّما جَدَّدهُ الذِّكْرُ اسْتَجَدّا

وجَرَى دَمْعي من الوَجْدِ فما ... يملكُ الطرفُ لجاري الدَّمْعِ رَدّا

خَبِّراني بَعْدَ عِرْفاني بها ... كيفَ أقْوَتْ دارُ سُعدَى بَعْدَ سُعْدَى(1)

أينَ قطّانُكِ في عَهْدِ الصِّبا ... يا مَراحاً كان لِلَّهْوِ ومَغْدَى

يومَ سارتْ عنك للركبِ بهمْ ... مُشْمَعِلّاتٌ تَقُدُّ السَّيْرَ قَدّا(2)

قد ذَكَرْنا عَهْدكمْ من بعدكمْ ... هل ذكرتمْ بَعْدَنا للودِّ عَهْدا

ولَوَ انَّ الوَصْلَ ممّا يُشْتَرى ... لاشْتَرَيْنا وَصْلَكُمْ بالروحِ نَقْدا

وقُصَارى مُنْيَةِ الصَّبِّ بكمْ ... مطلبٌ جَدَّ به الوَجْدُ فأكْدَى

فسَقاكمْ وسَقَى أربُعَكُمْ ... من قِطارٍ حاملٍ برقاً ورعدا

وإذا مَرّتْ بكم ريحُ صَبا ... حَمَلَتْ ريحُ الصَّبا شيحاً ورَنْدا

زارني الطَّيْفُ فما أشْفَى(**) جَوىً ... من حَشا الصّادي ولا نَوَّلَ رِفْدا

ما عليه لو ترشَّفْتُ لَمىً ... مُزِجَتْ ريقَتُهُ خَمْراً وشهدا

نُسِبَ التَّشبيبُ في الحبِّ إلى ... ذلك الحُسْنِ فكان الهزلُ جِدّا

وإلى (عبدالحميد) انْتَسَبَتْ ... غُرَرُ الشِّعْرِ له شُكراً وحَمْدا

عالِمِ (البصرة) قاضيها الذي ... لا ترَى فيها له في الناسِ نِدّا

قولُهُ الفَصْلُ وفي أحكامهِ ... يَدْحَضُ الباطلَ والخَصْمَ الألَدّا

(*) في الطبعة (١): (إذا ما) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(١) أقوت: خلت وقفرت.

(٢) المشمعل: السريع يكون في الناس والإبل. يقال: ناقة مشمعلة وامرأة مشمعلة. لسان العرب مادة (شمعل).

(**) في الطبعة (١): (أشوى) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إذْ يُـريكَ الحَقَّ يـبـدو ظـاهـراً ... لازمـاً في حُـكْـمِهِ لا يَـتَـعَـدّى
أَوْجَبَ الـشُّـكْـرَ عـلـيـنـا فَـضْـلُهُ ... فـمن الـواجبِ(*) عـنـدي أن يـؤدَّى
سـيّـدٌ إحـسـانُهُ في بِـرِّهِ ... لم يَـزَلْ مـنه إلى الـعـافـينَ يُـسْدَى
وبـأمْـرِ الـلـهِ قـاضٍ إنْ قَـضَى ... كان أمْضَى من شَفيرِ السَّيْفِ حَدّا
ثـابتُ الجَـأْشِ شـديـدٌ رُكْـنُه ... إذْ تَـخِـرُّ الـراسِـيـاتُ الـشُّمُّ هَـدّا
سـيّـدٌ من سـيّـدٍ إذْ يـنـتَـمي ... أكـرمُ الـنـاس أبـاً فـيـهم وجَـدَّا
آلُ بـيتٍ لـبـسـوا ثـوبَ الـتُّـقَى ... تـلـبسُ الـفـخـرَ (نـزاراً) و(مَـعَـدَّا)
هم أغـاظـوا بـالـذي يَـرْضَـوْنَهُ ... زمـنـاً - تَـشْـقَى به الأحـرارُ - وَغْـدا
ذلّـلـوا الـصَّـعْبَ وقـادوا لـلـعُلا ... حـيثُ مـا انـقـادتْ لـهم قُـوداً وجُـردا
هل تَـرى أبْـعَـدَ مـنه مَـنْـظَـراً ... أو تَـرى يـومـئـذٍ أثْـقَبَ زَنْـدا
بـاسِطُ أيـدْيِهِ لـمَّـا خُـلِـقَتْ ... دِيَـمـاً مـا بـرِحتْ بـالجـودِ تَـنْـدى
عَـدِّدا لي نِـعْـمَـةَ الـلـهِ بهِ ... أنـا لا أُحْـصي له الـنّـعـمـاءَ عَـدّا
مَـكْـرُمـاتٍ لأيـاديه الـتي ... تـركتْ بـالـبِـرِّ حُـرَّ الـقَـوْمِ عَـبْـدا
حـبَّـذا (الـبـصـرةُ) في أيـامِهِ ... لا أراهـا الـلهُ من عـلـيـاه فَـقْـدا
وجـمـيلُ الـذكـر من أخْلاقهِ ... سـارَ في أقـطـارهـا غَـوْراً ونَـجْـدا
تـوأمُ المجـدِ فـريـدٌ في الحِـجـا ... جـامعُ الـفـضلِ بَـراهُ الـلهُ فَـرْدا
بـيـمـينِ الحقّ سـيفٌ صـارمٌ ... يـجـعلُ الـبـاطلَ في غَـربَـيْه غِـمْـدا
طـالمـا ألْـقَتْ إلـيه كَـلِـمـاً ... أورثَتْ مـا لم يَـرِثْهُ الـنَّـثْـرُ خُـلْـدا
فَـتَـرَنَّـمْتُ بـهـا قـافِـيَـةً ... نُـظِمَتْ في جِيدِ هـذا الـدَّهـرِ عِـقْـدا
وكـفـاني صَـوْلَـةَ الـهمِّ امْـرؤٌ ... جـاعلٌ بـيـني وبـينَ الـهَمِّ سَـدّا
رَغَـدُ الـعَـيْشِ لِـمَنْ في ظِـلِّهِ ... عـاشَ طـولَ الـدهـرِ بـالأفـراحِ رَغْـدا
كـلّـمـا يـلـحَـظُـني نـاظـرُهُ ... عُـكِسَ الأمْـرُ فـكـان الـنَّـحْسُ سَـعْـدا
بـأبي أفـديـه من قـاضٍ به ... صـرتُ في رأفَـتِـهِ ممَّنْ يُـفَـدّى

(*) في الطبعة (١): (الواجد) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

إنَّ مَنْ أخْـــلَصَ فـــيـــكمْ وُدَّهُ ... مــخــلصٌ في حُــبِّهِ الأمْــجــادَ وُدّا
نــاظِمٌ فــيـكمْ عـلـى طـولِ الـمَـدَى ... مـدَحـاً تـرفعُ لي بـالـفَـخْـرِ مَـجْـدا
فــهْـو مُــهـديـهـا إلـيـكمْ عَـبْـدُكمْ ... فَـتَـقَـبَّلْ مـا إلـيكَ الـعَـبْـدُ أهـدى

(٦٥)

وقال مادحًا الأمير سالم(١) إمام مسقط ويهنيه بالظفر على عمّه الأمير تركي بن

الـيـومَ أصـبـح فـيك الـوقتُ مُـنْـتَـظَـمـا ... وهـوَّنَ الـلـه أمْـراً كـان قـد عَـظُـمـا
أمستْ (عُمـانُ) وأنتَ الشَّـهْمُ سيِّدُهـا ... لا يُسـتـبـاح لـهـا في الحـادِثاتِ حِمَى
مُدَّتْ إلـيـهـا يـدُ الجـاني فـمـا ظـفِرتْ ... إلاَّ بمـا أعـقبَ الخُـسْـرانَ والـنَّـدمـا
من بـعـد مـا هـاجَ شـرّاً من مـكـانَـتِهِ ... وكـاد يـوقـدُ في أطـرافـهـا ضَـرَمـا
تَـمَـسُّـكـاً بـحـبـالِ الـشـمسِ من طـمَعٍ ... ومـورداً من سَـرابٍ لا يـبلُّ ظَـمـا
فـلـم يُـوفَّقْ إلى نُـجْحٍ يـؤمِّـلـه ... والمـرءُ إنْ فَـقَـدَ الـتَّـوفـيق أو عَـدِمـا
لم يَـهْـدِهِ الـرأي إلاّ لـلـضَّلالِ ولا ... يـزيـده عـدمُ الـتـوفـيقِ غَـيْـرَ عَـمَى
أضلَّ مَـسْـعـاهُ (تـركي) في غَـوايَـتِهِ ... كـأنه اخـتـارَ عن وِجْـدانِهِ الـعَـدَمـا
نَـصَـحْـتَهُ وبَـذلتَ الـنُّـصْحَ تُـنْـذِرُهُ ... مـسـتـعملاً بالـنذيرِ السَّيْفَ والقَلَما
فـمـا ارْعَـوَى لكَ عن وَهْمٍ تـوهَّـمَهُ ... كـأنَّ في أذنهِ عن نـاصحٍ صَـمَـمـا
أرادَ في زَعْـمِهِ أنْ يَـسْـتَـطـيلَ عـلى ... (عُـمـان) قَـهْـراً فـلـم يظـفـرْ بمـا زَعَـمـا
وكـان غـايَـتُهُ الحِـرْمـانُ يـومـئـذٍ ... ولـو أطـاعكَ واسْـتَـرضـاكَ مـا حُـرِمـا
خَـيَّـرتَهُ قـبلَ هـذا الـيـوم في نِـعَمٍ ... ولـم يـكن ثَمَّ ممَّن يـشـكـرُ الـنِّـعَـمـا

(١) الأمير سالم بن ثويني بن سعيد بن سلطان بن الإمام البوسعيدي، سلطان مسقط وعمان، قتل أباه سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م وتولى الحكم من بعده، فتمرد على عمه تركي بن سعيد بن سلطان، وكان يحكم عمان في عهد أخيه ثويني فانتصر سالم على عمه تركي. ورحل تركي إلى الهند، وأقام فيها إلى أن آل الأمر إلى (عزان بن قيس) فعاد تركي إلى مسقط وثار على عزان وساعده بعض النجادة فقتل عزان واستولى على أكثر مملكة عمان وتوفي سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٨م. الأعلام ٢/ ٦٦ و٨٩ وفيه مصادر أخرى.

وجـاءَ يـطـلـبُ مُـلْـكـاً مـنكَ لـيس له ... فقيلَ خصمان في إرث العلا اخْتَصَما

حـتّى إذا[*] كـان لا يُصـْغي إلى حَـكَمٍ ... حكَّمْتُما الصَّارمَ الهنديَّ بينكما

قضَى لكَ السيفُ في ما قد قَضَى ومَضَى ... فـيا له حَكَمًا عَدْلاً[**] إذا حَكَما

ومـا تَجاوَزَتِ الإنْصافَ شَفْرَتُهُ ... وما أضَلَّ بمظلومٍ وإنْ ظُلِما

وقالتِ الناسُ باديها وحاضِرُها ... ما جارَ (سالمُ) في حُكْمٍ ولا ظَلَما

أنزلْتَهُ من مَنيعاتِ الحُصونِ ولو ... تركتَ (تركي) رَهينَ الحِصْنِ ماتَ ظَما

أرادَ مُسْتَعْصَماً فيه ومُعْتَصَماً ... وما رأى في منيعِ الحِصْنِ مُعْتَصَما

ولم يَجِدْ سلَّمًا يَرْقَى السَّماءَ به ... ولو رمَى نفسَهُ في البَحْرِ لالتُقِما

وإنَّه قَبْلَ إعطاءِ الأمانِ له ... ما اسْتَشْعَرَ الموتَ حتى اسْتَشْعَرَ النَّدما

وغَرَّهُ مَن دَعاهُ في خِيانَتِهِ ... فجاءها عَقَباتِ الموتِ واقْتَحَما

أنقذْتَهُ العَفْوَ حلواً عن جنايتهِ ... وكان عَفْوُكَ عمَّن قد جنى كرما[***]

عفَوْتَ عنه ولكنْ عفوَ مُقْتَدِرٍ ... والعفوُ أقربُ للتَّقْوَى كما عُلِما[1]

وما هتكتَ وأيمُ الله حُرْمَتَهُ ... وكان عندكَ حتّى زالَ، مُحْتَرَما

وربَّما لامَكَ اللّوامُ عن سَفَهٍ ... وقد يَلومُكَ بينَ الناسِ من لَؤُما

أمَا وربِّك لو أربَى طَغَى وبَغَى ... وما عَفَا مثلَما تعفو بلِ انتَقَما

رَحِمْتَهُ ولو اسْتَوْلَى عليكَ لَمَا ... أبقَى عليكَ ولم يلْحقْ بمن رَحِما

أراد ربُّك أنْ تعفو بقدرتهِ ... ليُظْهِرَ الفضلَ والتَّمْييزَ بينكما

واللهُ يَعْلَمُ والدنيا بأجمعِها ... لو نالَ من (سالمٍ) (تركي) لما سَلِما

لا زالَ يولي جميلاً من صنائعِه ... وهكذا كَرَمُ الشَّهْمِ الذي كَرُما

من سيّدٍ بالغٍ رُشْدَ الشيوخِ نُهىً ... رضيعِ ثدي المعالي قبلَ أنْ فُطِما

(١) أخذه من قوله تعالى: (... وأن تعفوا أقرب للتقوى) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(*) في الطبعة (١): (ذا) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (حكمٌ عدلٌ) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(***) في الطبعة (١): (كراما) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

تــبـاركَ الـلـهُ مـا أبــهَى سـنــاهُ فـتـىً ... كالنجم يهدي سبيلَ الرشدِ مُذْ نَجَما

الــثــابتِ الجَـأشِ في سِـلْـمٍ ومُـعْـتَـرَكٍ ... في مـوطنِ الـفـخـرِ قـد أرسَى له قَـدَمـا

الـبـاسمِ الـثـغـرِ والـهـيـجـاءُ عـابـسـةٌ ... والسَّيْفُ يقطرُ من هامِ الكُماةِ دما[1]

فـمن صُـدورِ الـعَوالي مـا يُرى وَصَـبـاً ... ومن نـفـوس المـعـالي مـا شَـفَـى سَـقَـمـا

تسـاهَـمـا هـو والجَـدُّ الـسَّـعـيـدُ بمـا[2] ... حــازاه من كَـرَمِ الأخلاقِ واقْـتَـسَـمــا

ويـــا لـه وَلَـــدًا[*] أعــنـــيه من ولـــدٍ ... أحــيــا لـه ذِكْــرَهُ المــاضـي وإنْ قَــدُمــا

تَــحُــفُّـهُ من (عُــمــانٍ) ســادةٌ نُــجُـبٌ ... تَسْـمـو لـهـم في سَـمـاواتِ الـعَلاءِ سَما

يَــحْــمُــونَ ســيِّــدَهُمْ من كلِّ نــازلــةٍ ... بـفـيـصَلٍ يَفـلِقُ[**] الـهـامـاتِ والـقـمَـمـا

ولـم يـكـنْ غَـيْـرَهُ الحـامي لحَـوْزَتِــهـا ... إذا أدلَــهَـمَّ منَ الأخـطــارِ مــا دَهَــمــا

تَـبـيتُ لا كمُـلـوكِ (الـهـنـد) تـكـلـؤهـا ... تَـرْعَى الأسـودَ وهـم يَـرْعَـوْنَـهـا غَـنَـمـا

لـولا وجـودُكَ هــذا الـداءُ مـا حُــسِــمـا ... وذلكَ الــصَّــدْعُ لــولا أنتَ مــا الْـتَـأَمـا

لُــطْفٌ منَ الـــلـه فــيك الـــلـهُ أظْـــهَــرَهُ ... من بعـد مـا كـان سِـرُّ اللـطفِ مُكْتَتِما

وافتْ إلـيـنـا فَـوافتْ بـالــسُّـرورِ كـمـا ... نـدعـو من الـلـه فـيـهـا فـاغـرينَ فَـمـا

سُرَّتْ بها (البصرةُ الفيحاءُ) وابْتَهَجَتْ ... منها النفوسُ وأنفُ الضِّدِّ[***] قد رَغِما

بِـشـارةٌ عَـمَّت الـدنـيـا مَـسَـرَّتُــهـا ... واهـتـزَّ مـنـهـا الـعُلا والمجدُ وابـتَـسَـمـا

قـد يـسَّـرَ الـلـهُ أمْـراً أنت فـاعـلُهُ[****] ... وإنَّ لـــلـه في تــقــديــرِه حِــكَــمـــا

لا زلتَ بـالجـودِ والإحْـسـانِ مُـبْـتَـدِراً ... كـالـغيثِ حيثُ همَى والبحرِ حيثُ طَمى

فمن مَـزايـاكَ مـا تـكـسـو الـنـجـومَ سـنـاً ... ومن عـطـايـاكَ مـا قـد يُـخْـجِلُ الـدِّيَـمـا

ولـم أزلْ كــلِــمــاتي فــيكَ أنْــظِــمُــهـا ... كـمـا تـتـابعَ قـطـرُ المـزنِ وانْـسَـجَـمـا

---

(١) فيه تلميح إلى قول أبي الطيب المتنبي:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

شرح الديوان ٣/ ٣٨٧.

(٢) الجد: هنا تورية. بمعنى جده واسمه سعيد بن سلطان. والجد السعيد تعني الحظ السعيد.

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (ولدٌ) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (يغلق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الصند) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (فعله) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٦٦)

وقال مادحًا السيد حسام الدين أفندي الحلبي القدسي[1] قائمقام البصرة [وهي

مـــا أنتَ[*] أوَّلَ مُـــغْـــرَمٍ مَـــفْـــتـــونِ	فَـــتَـــكـتْ به حَـــدَقُ الـــظِّـــبـــاءِ الـــعـــينِ
وجَـــنَتْ عـــلـــيه بمـــا جَـــنَـــتْه لَـــواحِظُ	تَـــركـــتْهُ مـــنـــهـــا في الـــعـــذابِ الـــهُـــون
مـــاذا يَـــقـــيكَ منَ الـــمَـــوائسِ بـــالـــقـــنـــا	إنْ طـــاعَـــنَـــتكَ قُـــدودُهـــا بـــغُـــصـــون
وسَـــطَـــتْ عـــلـــيكَ جُـــفـــونُـــهـــا بـــصَـــوارِمٍ	مـــا أُغْـــمِـــدَتْ أمـــثـــالُـــهـــا بـــجُـــفـــون
إنَّ الـــعـــيـــونَ الـــبـــابـــلـــيَّـــةَ طـــالمـــا	جـــاءتْ بـــســـحـــرٍ لـــلـــعُـــقـــولِ مُـــبـــين
لانتْ مَـــعـــاطفُ من تحبُّ وإن قَـــسَـــا	قـــلـــبـــاً فـــلـــم يكُ وَصْـــلُـــهُ بمـــدين
هَـــوِّنْ عـــلـــيك فـــإنَّ أربـــابَ الـــهَـــوَى	لا زال تـــشـــكـــو قـــســـوةً من لـــين
ويْـــلِـــي منَ الـــلـــحـــظـــاتِ مـــا لِـــقَـــتـــيـــلِـــهـــا	قَـــوَدٌ ولـــيس أمـــيـــنُـــهـــا بـــأمـــين[2]

(١) حسام الدين أفندي بن تقي الدين أفندي قدسي زاده الحلبي. قدم بغداد بصحبة علي رضا اللاظ سنة ١٢٤٧هـ = ١٨٣٣م وأشغل بعض الوظائف الإدارية، وبقي في بغداد بعد عزل علي رضا. ثم عين بمنصب قائمقام في البصرة سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م في عهد الوالي السردار عمر باشا ثم عينه مدحت باشا سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م حاكمًا في الحلة وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد حيدر الحلي بقوله:

اطلع شمـــسَ الـــراح ليـــلاً أغيَدُ	كأنـــه منـ نورهـــا مجسدُ
وزفَّـهـا تحت الـدجى فـاشـتـبـهت	مـدامُـــهُ وخـــــدُّه المورّد
أما ترى الفيحاء كيف أصبحت	والجور مـــن ورائـها مشرد
هـذا حـسـام الـدين بـين أهـلـهـا	أصـبـح والملـك به مـقـلـد

كما مدحه السيد ميرزا جعفر القزويني بقوله من قصيدة:

يـا مـلـكـاً أضـحت عـقـول الـورى	في نـعت مـا جـاد به حـائـره

وشطر هذه القصيدة السيد نعمان خيرالدين الآلوسي. كما شطرها السيد عباس العذاري أيضا. انظر ديوان حيدر الحلي ٢/ ٢٧ - ٣٠ وشعراء الحلة ١/ ٤٢٦، وفهرس مخطوطات الأوقاف ٣/ ٨١ والشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص١٨٤.

(٢) القود: بفتح القاف والواو: الدية.

(*) **في الطبعة (١): (زلت) وصوابها من الطراز الأنفس.**

والمُسْعَدونَ من الغرامِ بمعزلٍ ... عنِّي فهل من مسْعِدٍ ومُعين

ظَعَنَ الذين أحبُّهمْ فتَناهَبَتْ ... مُهَجَ القلوبِ حواجبٌ بعُيون

وتركْنَ أربابَ الرجالِ كأنَّما ... شربتْ زُعافَ السُّمِّ بالزَّرَجُون(١)(*)

ما إنْ أطَلْتُ إلى الديارِ تَلَفُّتي ... إلاّ أطلْتُ تلفُّتي وحَنيني

ولقد وَقَفْتُ على المنازلِ وقفةً ... فقضيتُ للأطلالِ فَرْضَ دُيون

وجَرَتْ بذيّاكَ الوقوفِ مَدامعي ... ومَرَتْ لهاتيكَ الديارِ شؤوني

فسَقَى مُصابُ المزنِ كلَّ عشيَّةٍ ... عَهْداً يَصُوبُ عليه كلُّ هَتون

يا (سعدُ) قد نَفَرَتْ أوانسُ رَبْرَبٍ ... بنَوىً يشطُّ به المَزارُ شَطون(٢)(**)

فاسْعدْ أخاك على مساعدة الجَوَى ... إنْ كان دينُك في الصَّبابةِ ديني

كانتْ منازلُنا منازلَ صَبْوَةٍ ... وديارَ وَجْدِ علاقةٍ وفُتون

تَتَلاعَبُ الآرامُ في عَرَصاتِها ... فيجدُّ بي تلفي وفَرْطُ شُجوني

جُمِعَتْ فكانت ثَمَّ مجتمعَ الهَوَى ... ظبيُ الكِناسِ بها وليثُ عَرين

أيامَ كنتُ أديرُها ياقوتةً ... حمراءَ بين الوردِ والنِّسرين

والروضُ مُتَّفِقُ المَحاسنِ زهرُهُ ... بعد اختلافِ الشَّكْلِ والتَّلوين

وتَفَنُّنُ الورقاءِ في أفنانها ... يُنْبيكَ أنَّ الوُرْقَ ذاتُ فُنون

والكأسُ تَبْسِمُ في أكُفِّ سُقاتِها ... عن درٍّ مُبْتَسِمِ الحَبابِ ثمين

ضَمِنَتْ لشاربها السُّرورَ فحبَّذا ... ذاكَ الضَّمانُ لذلك المَضمون

وَمُهَفْهَفٍ ينشقُّ في غَسَقِ الدُّجَى ... من ليل طُرَّتِهِ صباحُ جَبين

وأنا الطَّعينُ بسَمْهريِّ قَوامهِ ... يا للرجالِ لِصَبِّه المَطعون

قد بِعْتُهُ روحي ولا عِوَضٌ لها ... ورجعتُ عنه بصفقةِ المَغبون

---

(١) الزرجون: الماء الصافي يستنقع في الجبل، يطلق على الخمر أيضاً. انظر: لسان العرب، مادة (زرجن).

(٢) شطن: بعد والشطون: البعيد والطويل، ونوى شطون: سفر شاق بعيد متعب. ومنه سمي الشيطان لأنه بعيد عن الخير وعن رحمة الله. انظر لسان العرب مادة (شطن).

(*) والزرجون: كرم العنب، ومن هنا قيل للخمرة ابنة الزرجون وهو ما عناه الشاعر. انظر: لسان العرب، مادة (زرجن).

(**) شطون: الشَّطَن هو البعد وهنا جاءت صفة للنوى فاقتضى حذف الياء والتصويب من الطراز الأنفس.

عَـلِمَ الـضَّـنينُ بـوَصْـله في صَـدِّهِ ... أنّي بـبَـذْلِ الـروح غـيـرُ ضَـنـين

قـارعتُ أيـامي لـعَـمـرُكَ جـاهـداً ... حتى انـتـضَـيْتُ لـهـا (حُسامَ الدين)

جَـرَّدتُهُ عَـضْـبـاً يـلـوحُ يمـانـيـاً ... جـادتْ بـصَـيْـقَـلِـهِ يمـينُ الـقـين[1]

فـإذا ركـنتُ إلى نجَـيبٍ لم يـكنْ ... إلاّ إلى ذاك الجَـنـاب رُكـوني

أعـلَى مَـقـامي في عَـلِيٍّ مَـقـامه ... فـرأيتُ مـنـزلـةَ الـكـواكبِ دوني

وظَـفِـرتُ مـنه بمـا به كـان الـغِـنَى ... عن غـيـره في الـعِـزِّ والـتَّـمـكـين

وصَـدَدْتُ عن قـومٍ كـأنَّ نَـوالـهَمْ ... مـالُ الـيـتـيم وثـروةُ الـمِـسـكـين

فـتـكـاثـرتْ نِـعَمٌ عـليَّ بـفـضـلهِ ... من فـضـله وأقـلُّـهـا يـكـفـيـني

الـسَّـيِّدُ الـسَّـنَدُ الـذي صَـدَقَتْ به ... في مـا تُـحَـدِّثُ عن عُلاهُ ظُـنـوني

يَـمْـحُـو ظَلامَ الـشَّكِّ صـبحُ يـقـينهِ ... والـشَّكُّ يـنـفـيهِ ثُـبـوتُ يَـقـين

مُـتَـيَّـقظُ الأفـكـارِ يـدركُ رأيُهُ ... مـا لم يـكنْ بـالـظنِّ والـتَّـخْـمـين

من أسـرةٍ رَغَـمـوا الأنوفَ وأصـبـحوا ... من أنفِ هـذا المجْـدِ كـالـعِـرنـين

قـومٌ يُـصـانُ منَ الخـطـوبِ نَـزيلُـهمْ ... ونَـوالُـهمْ بـالـبِـرِّ غـيـرُ مَـصـون

اللابـسـونَ منَ الـفـخـارِ ملابـسـاً ... ومنَ الـوقـارِ سـكـيـنـةً بـسُـكـون

إنّ الـذي نَـجَـبَتْ به أمُّ الـعُلا ... ظَـفِـرت به في الأكـرمـينَ يمـيـني

مـا زلتُ في وُدِّي له مُـتَـمَـسِّـكـاً ... أبـداً بـحـبلٍ من عُلاهُ مَـتـين

أنـفكُّ أقـسمُ مـا حَـيـيتُ أَلـيَّـةً[2] ... بـالـلهِ بل بـالـتِّـينِ والـزَّيْـتـون

لـولاه مـا فـارقتُ مَنْ فـارقْـتُهُ ... وهَـجَـرْتُ ثَـمَّـةَ صـاحـبي وخَـديـني

وَوَجَـدْتُ من شَـغَـفي إلـيه زيـارتي ... ضَـرْبـاً من الـمَـفـروضِ والـمَـسـنون

وَحَـثَـثْتُ يـومـئـذٍ ركـائـبيَ الـتي ... لَـقَّتْ سُـهـولَ فَـدافـدٍ بـحُـزون

كم من يـدٍ بـيـضـاءَ أنْـهـلَـني بـهـا ... مـا انـهلَّ من وبلِ الـسَّـحـابِ الجُون

ورأيتُ من أخْـلاقِـهِ بـوُجـودهِ ... مـا أبـدعَ الخَلاّقُ بـالـتَّـكـوين

ولَـكَمْ تَـجَـلَّى بـالـمَـسَـرَّةِ فـانْـجَـلَى ... صَـدَأُ الـهُـمـومِ لـقـلـبِيَ الـمَـحـزون

---

(١) القين: الحداد: وصانع السيوف وشاحذها. وهو بسكون الياء واستعمال الأخرس له في القافية يعتبر سنادًا. لأن حرف الروي متحرك وهذا ساكن وهو عيب.

(٢) أنفك: أصلها: لا أنفك. والألية: القسم واليمين والحلف.

حـيثُ الـسَّـعـادةُ والـرئـاسـةُ والـعُلا ... تَـبْـدو بـطـلـعَـةِ وَجْـهِهِ الـمَـيْـمـون

يـا مَنْ جـعَلتُ لِـمـا يـقـولُ مَـسـامِـعي ... أصْـدافَ ذاكَ الـلـؤلـؤِ الـمَـكـنـون

إنّي أهشُّ إذا ذُكِــرتَ فـــأجـــتَـــلي ... راحـــاً تَــســُــرُّ فـــؤادَ كلِّ حَـــزين

وإذا صَـحَـوْتُ فـفي حَـديـثِكَ نَـشْـوَتي ... وإذا مَـرِضتُ فـأنتَ من يـشـفـيـني(*)

بـفـكـاهـةٍ تـشـفي الـصُّدورَ وبَـهْـجَـةٍ ... قَـرَّتْ بــهـا في الأنجـبـينَ عـيـوني

أطْـلَـقْتُ أَلْـسِـنَـةَ الـثَّـنـاء عـليكَ في ... مـا أبـدَعَـتْهُ بـأحْـسَنِ الـتَّضْـمـين(**)

إنْ دوَّنـــوا فـــيكَ الـــمديحَ فـــإنّـــمـــا ... مَـــدْحُ الـــكـــرامِ أحَقُّ بـــالـــتَّـــدوين

فـاسْـلَم ودُمْ أبـداً بـأرغَـدِ عـيـشَـةٍ ... تَـبْـقَى الـمَـدَى في الحـينِ بـعدَ الحـين

(٦٧)

سَـطـا بـحُـسـام مُـقْـلـتِهِ وَصَـالا ... كـأنّي جـئتُ أسْـألُهُ الـوِصـالا(٢)

وجـارَ عـلى الـمُـتَـيَّمِ في جَـفـاهُ ... وأجْـرَى أدْمُعَ الـصَّبِّ انْـهِـمـالا

ومَـهْـمَـا ازددتُ بـين يـديه ذلاً ... يَـزِدْ عِـزّاً ويُـتْـبِـعْهُ دلالا

حـكى الـبَـدْرَ الـتَّـمـامَ له مُـحَـيّـاً ... وشـابَهَ قَـدُّهُ الـغُـصْنَ اعْـتِـدالا

وأذَّنَ حُـسْـنُهُ لـلـوَجْـدِ فـيه ... فـشـاهـدْنـا بِـوَجْـنَـتِهِ بِلالا(٣)

---

(١) السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد إسماعيل بن السيد خليل بن السيد إسماعيل البغدادي الطبقجلي، ينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين. ولد سنة ١٢٠٣هـ – ١٧٨٩م ودرس على علماء بغداد الفقه والأدب واللغة وتخصص بالشيخ عبدالرحمن الروزبهاني ولازمه حتى تخرج عليه وبرع وأجاد. ثم عين مدرسًا في مدرسة علي باشا ببغداد (العلية) ثم تركها وأخذ يدرس طلابه في داره، وكان طيب النفس كريمًا طلق الوجه. ولم يعقب أحداً، وله كتاب في التوحيد، شرح به شرح والده بكلمة التوحيد، وقد وقف كتبه في داره الواقعة بجوار جامع العاقولي ببغداد، وجعلها مدرسة وهي التي تعرف (بمدرسة الطبقجلي) ووقف عليها أملاكًا، توفي ببغداد سنة ١٢٦٥هـ – ١٨٤٩م ودفن في مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني. انظر المسك الأذفر للألوسي ص٩٠ – ٩٣.

(٢) لم ترد هذه القصيدة في الأصول، وقد وردت في كتاب (المسك الأذفر) لمحمود شكري الآلوسي ص٩٠ – ٩٣.

(٣) توجيه لطيف حيث أشار بكلمة بلال إلى الخال في وجنة الحبيب.

(*) ينظر الشاعر إلى قوله تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين» سورة الشعراء الآية (٨٠) ويقصد الشاعر في ذلك أن الممدوح يعالجه في حالة المرض سواء بالبذل أو بالسلوك والمعاملة، وانظر ماذا يقول الشاعر في البيت التالي، وما الشافي إلا الله عز وجل.

بِقَلبي نارُ خَدٍّ قد تَلَظَّتْ ... فتورثُ في جَوانِحيَ اشْتِعالا

وفي جسمي سَقامُ عُيونِ خِشْفٍ ... عَدَتْ منها لِيَ الدَّاءَ العُضالا[1]

وما أنْسَى بـ(ذاتِ الرمثِ) عَهْداً[2] ... مضَى لكنْ حسبناه خَيالا

زماناً لم نُحاذرْ فيه واشٍ[3] ... ولم نَسْمَعْ لعُذّالٍ مَقالا

وكم قد زارني رَشَأٌ غَريرٌ ... فأرشَفَني على ظَمَأٍ زُلالا

وعَهْدي لَيلُهُ أبداً قصيرٌ ... فلمّا سارَ مَنْ أهواهُ طالا

وأنَّى يَرْتَجي اللاحي سُلُوّي ... وقد ذابتْ حُشاشتي انْسِلالا

أيهديني عن الأشواقِ لاحٍ ... وما قد زادني إلاّ ضَلالا

فلا تسألْ وُقيتَ الشَّرَّ دَمْعاً ... إذا ما لاحَ برقُ (الخَيْفِ)(*) سالا

أحَلَّتْ سِرْبُ ذاكَ الرَّبْعِ قَتْلي ... ولم يَكُ قَبْلَهنَّ دمي حَلالا

ولو أبْصَرْتَ إذْ رَحَلوا فؤادي ... رأيتَ الصَّبْرَ يَتَّبِعُ الجِمالا

ألا للهِ ما فَعَلَتْ بقلبي ... جُفونٌ لم تُخَلْ إلاّ نِصالا

ورَبٌّ قد كسا الأحْبابَ حُسْناً ... كساني من صَبابَتِها انْتِحالا

وإنّي في الغَرامِ وفي التَّصابي ... كمثل (محمَّدٍ) حُزْتُ الكَمالا

فَتىً في العِلْمِ والإكْرامِ بَحْرٌ ... وكان وُرودُهُ عَذْباً زلالا

له عَزْمٌ حَكى الشُّمَّ الرَّواسي ... وخُلْقٌ قد حَكى الريحَ الشَّمالا

ومرتاحٌ إلى الإكْرامِ طَبْعاً ... ولا يَحْوي - لبذلِ المالِ - مالا

أحَبُّ الناسِ في الدنيا لَدَيْهِ ... فَتىً أبدَى لنائلِهِ السُّؤالا

ويَهْوَى المَكرُماتِ بكلِّ آنٍ ... ولن نلقَى به عنها مَلالا

---

(١) في الأصل (عدت منها إلى الداء العضالا) وقد سها المؤلف فأضاف حرف الألف في كلمة (لي) فصارت (إلى) وجعل المحقق كلمة (كذا) عند نهاية البيت ولم يتبين له وجه الصواب

(٢) ذات الرمث: واد لبني أسد ومرعى من مراعيهم. قال دريد بن الصمة:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

انظر معجم البلدان ٣/ ٦٨.

(٣) واش في لغة طي ومنه قول القائل:

ولو أن واش باليمامة داره ... وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

(*) في الطبعة (١): (الحيف) خطأ طباعي.

وكان نَداهُ للعافينَ وَصْلاً — وكان على أعاديه وَبالا

كساه اللهُ تاجاً من فَخارٍ — وألْبَسَهُ المَهابَةَ والجَلالا

فلو زالتْ جِبالُ اللهِ عنها — لكان وَقارُهُ فيها جِبالا

نَدِيُّ الكفِّ راحتُهُ غَمامٌ — فلو لمسَ الحَصَى فيها لَسالا

وما بَخِلتْ له أبَداً يمينٌ — وما عَرَفَ المَواعِدَ والمِطالا

هُمامٌ لو يرومُ الأفْقَ نَيْلاً — بباعٍ من عَزائمِهِ لَنالا

ويُؤذِنُ بِشْرُهُ بسَحابِ جودٍ — وكانَ تَبَسُّمُ الكُرَماءِ خالا[1]

لقد نِلْنا به صَعْبَ الأماني — فلم نعرفْ بساحته المُحالا

وحَبْرُ العِلْمِ بل بَحْرٌ غَزيرٌ — أجلُّ الناسِ في الدنيا نَوالا

بدا منه مُحَيّا ثم نورٌ — فأمسَى في ذوي الآمالِ فالا

ومَدَّ يمينَهُ في البَسْطِ يوماً — فأغْمَرَنا عطاءً واتّصالا

حَباه اللهُ في حُسْنِ السَّجايا — وتلكَ عَطِيَّةُ الباري تَعَالى

خِلالٌ كالصَّوارمِ مُرْهَفاتٌ — أجادتْها مَحاسِنُهُ الصِّقالا

فإن قُلنا لدَى الدنيا جميلٌ — عَنَيْنا حُسْنَ خُلقِكَ والخِصالا

أتُحْصِي المادحونَ له كمالاً — ومن ذا عَدَّ في الأرضِ الرِمالا

وما غالتْ بك المُدّاحُ حَمْداً — إذا ما فيك أطْنَبَ ثمّ غَالَى

أعوذُ ببَأسِه من كلِّ خَطْبٍ — فقد أضحى على الدنيا عِقالا

وعزمٌ يَقْهَرُ الأعداءَ قَهْراً — وإنْ لم تَلْتَقِ منه قِتالا

فلو طاوَلْنَهُ السُّمْرُ العَوالي — على نَيْلِ المَرامِ إذًا لَطالا

وقد كَمَلَ العُلومَ وكلَّ فَخْرٍ — وقد زانَ المَفاخِرَ والكَمالا

وما هو غيرُ بدرٍ في المعالي — فلا عَجَبٌ إذا نالَ الكَمالا[2](*)

---

(١) الخال: السراب(*).

(٢) تكررت القافية.

(*) والخال: ليس السراب، بل من معانيه البرق والوهم والظن، والخال أيضًا: السحاب الذي يظن فيه المطر ثم لا يمطر أو السحاب الذي لا يخلف مطره فهو من الأضداد.. والمعنى الأخير هو الذي أراده الشاعر وللخال معانٍ أخرى، منها: الكبر والخيلاء. انظر: لسان العرب، مادة (خيل).

(**) لعل صوابها (اكتمالا) حتى لا تتكرر القافية.

فـلـو شـاهَـدْتَ في الـتَّـقـريـرِ مـنهُ بَـيـانـاً خَـلْـتَهُ الـسِّـحْـرَ الحَلالا
ويــهــدي الـلـهُ فـيه الخَـلْقَ رُشْـداً وفـــيه يَـــكْـــشِفُ الـــلـهُ الـــضَّلالا
ولم يَـتْـرُكْ لأهلِ الـفَـخْـرِ فَـخْـراً ولم يـــتـــركْ لـــذي قـــولٍ مَـــقـــالا
فـــمـــا خـــابتْ ظـــنـــونُ أخي مَـرامٍ أصـــارِكَ في مـــطـــالـــبِهِ مَـــآلا
فـخُـذْهـا سـيّـدي مـنّي[*] قـصـيـداً وصَـــيِّـــرْ لي رضـــاكَ بـــهـــا نَـــوالا

(٦٨)

زِيـدَ[**] لَـوْمـاً فـزادَ في الحُبِّ وَجْـدا مُـسْـتَـهـامٌ تَـخَـيّلَ الـغَيَّ رُشْـدا
مـــــازجَ الحُبَّ مَـــــرَّةً فـــــأراهُ أنَّ هَــزْلَ الـــغَـــرامِ يـــصـــبحُ جِـدّا
ورمَى قــــلــــبَهُ بــــجــــذوةِ نــــارٍ أوقَـــدَتْهُ بلاعجِ الـــشَّـــوقِ وَقْـــدا
من غـــــرامٍ رمَى به كلَّ مَـــــرْمى يَـــتَـــلَـــظَّى فـلم يَـجِـدْ عـنه بُـدّا
لـو صَـغَى لـلـعَـذولِ مـا كـان أمسى دَنِـــفـــاً في شـــؤونه يَـــتَـــردَّى
يَـسْـألُ الـركبَ عن مـنـازلِ (نَـجْـدٍ) نـاشـداً مـنه كـيف خـلّـفْتَ (نَـجْـدا)
يَـتَـشَـافَى من عَـهْـدِهـا بـالأحـاديـ ـثِ ويَـرْعَى لـهـا عـلى الـنَّـأْيِ عَـهْـدا
فـهْـو يَـقْـضِي لـهـا حُـقـوقـاً عـلـيه ويـــؤدِّي مـــا يَـــنْـــبَـــغي أن يُـــؤدَّى
يـا ابنَ ودّي وأكـثـرُ الـنـاس حَـقّـاً في الـتَّـصـابي عـلـيك أكـثـرُ ودّا
كَـفْـكِفِ الـدمعَ مـا اسـتـطـعتَ فـإنّي لـــستُ أسْـــطـــيعُ لـــلـــمَـــدامعِ ردّا
وإذا مـا دَعَـوْتُ لـلـصَّـبـر قـلـبي كـان لي يـا هُـذَيْمُ خَـصْـمـاً ألـدّا
زارني طــــارقُ الخَــــيــــالِ ووافَى من سُـلَـيْـمَى يـجـوبُ غَـوْراً ووَهْـدا
كـيف زارَ الخَـيـالُ في غَـسَقِ الـلـيـ ـلِ إلى أعْـــيُـــني وأنَّى تَـــسَـــدَّى
وتَـــوالَى حَـــرُّ الحَـــشـــا وتَـــولَّى إذْ تَـصَـدَّى لِـمُـغْـرَمٍ مـا تَـصـدّى

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(*) في الطبعة (١): (منها) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (ريدَ) وهو خطأ طباعي.

وشَجَتْني والصَّبُّ بالبينِ يَشْجَى   أينقٌ(*) في ظعونِ ظَمْياءَ تُحْدَى

ورُسومٌ من آلِ ميٍّ بَوالٍ   أصبحتْ فيه أعينُ الركبِ تَنْدَى

بَعْدَما كان للنِّياق مُناخاً   ولِعَهْدِ الهَوى مَراحاً ومَغْدَى

زَجَرَ العِيسَ صاحبي يومَ أقبلْـ   ـنَ عليها فقلتُ مَهْلاً رويدا

خَلِّنا والمَطيَّ نَسْتَفْرِغِ الدَّمْـ   ـعَ لأطلالِها ونَذْكُرُ عَهْدا

ونُعاني أسىً لأرسُمِ دارٍ   شَقِيَتْ من بُعادِ سَلمى وسعدى

يا سَقَتْها السَّماءُ وبْلَ غَوادٍ   حامِلاتٍ للرِّيِّ برقاً ورَعْدا

كلَّما قَطَّبتْ من الجَوِّ وَجْهاً   عاد فيها بَياضُه مُسودّا

من نِياقٍ ضَوامرٍ جاوزَ الوَجْـ   ـدُ بأحْشائها من الحُبِّ حَدّا

تَتَرامَى بنا لدارِ (عليٍّ)   ذي الصِّفاتِ العُلا ذَميلاً ووَخْدا

كلَّما أصْدَرَتْ أياديه وَفْداً   أوْرَدَتْ من نَمِيرِ(**) جَدْواهُ وفدا

باذلٍ من نَفيسِ ما يَقْتَنيهِ   من نَوالٍ ما يُخْجِلُ الغَيْثَ رِفْدا

أَرْيَحِيٌّ تُهْدَى إليه القَوافي   والقَوافي لمِثْلِ عَلياه تُهْدَى

فيُرينا السَّحابَ يمطرُ وَبْلاً   ونُريهِ الرِّياضَ تُنْبِتُ وَرْدا

يَنْظِمُ المجدَ من مَناقِبِ عَلْيا   ه بجِيدِ الأنامِ عِقْداً فعِقْدا

ولآبائه الكرامِ الأعالي   زادَهمْ ربُّهمْ نَعيماً وخُلْدا

حَضَراتٌ تُطْوَى إليها الفَيافي   وتُقَدُّ البَيْداءُ بالسَّيْرِ قَدّا

إنْ سَرَتْ من ثَنائهمْ نَفَحاتٌ   عاد فيها حَرُّ الهَواجِرِ بَردا

فكأنَّ السِّرَّ الإلهِيَّ منهمْ   لازمٌ في أهْلِيهِ لا يَتَعَدّى

يا (عليٌّ) الجَنابِ وابنَ (عليٍّ)   أكرمَ الناسِ أحسنَ الناسِ جَدّا

أنتَ أعلى يداً وأطولُ باعاً   في المعالي وأنتَ أثْقَبُ زَنْدا

هل تُدانَى برفعةٍ وعلاءٍ   أو تُضاهَى فلم نَجِدْ لكَ نِدّا

مَثُلَتْ لي أيديكَ وهْي تُهادي   مِثْلَ وبْلِ الغَمامِ بل هي أنْدَى

لا أرى الوِرْدَ بَعْدَ ظِلِّكَ عذباً   لا ولا العيشَ بعدَ جودِكَ رَغْدا

(*) في الطبعة (١): (أنيق) خطأ طباعي.

(**) في الطبعة (١): (غير) وصوابها من الطراز الأنفس.

كـلّـمـا قـلـتُ أَوْرِدُ الـعُـدْمَ نـقـصـي | مَـــدّني بـــالـــنَّـــوالِ جُـــودُكَ مَـــدّا
يَــرْتَــجي غــيــريَ الــثَّــراءَ وأرجــو | مــنكَ بــعـد الــثَّـراءِ عِـزّاً ومَـجْـدا
فـــإذا زدتُ من جَـــنـــابك قُـــربـــاً | زِدْتُ عن خُـطَّـةِ الـنَّـوائبِ بُـعْـدا
كلُّ يـــومٍ أنـــالُ مـــنك مـــرامـــاً | من بُـلـوغِ الـمُـنى وأبـلُـغُ قَـصْـدا
فـــإذا كـــنتَ راضـيـاً أنتَ عـــنِّي | لا أُبـالي أنْ يُـضْـمِـرَ الـدهـرُ حِـقْـدا
إنَّ نَـعْـمـاكَ كـلّـمـا صَـيَّـرَتْـني | لكَ عَـبْـداً أرى لِيَ الـدهـرَ عَـبْـدا
لـستُ أقـضـي شُـكـرانَـهـا ولَـوَ انّي | أمْلأُ الخـافِـقَـينِ شُـكْـراً وحَـمْـدا
فـاهْنَ يـا سـيّـدي بـأشـرفِ عـيـدٍ | كلَّ عـامٍ عـلـيكَ يُـرْزَقُ عَـوْدا

(٦٩)

مَن يـحـاولْ في الـدهـرِ مـجـداً أثـيلا | فـلـيُـجَـرِّدْ له الحـسـامَ الـصَّـقـيلا
جُـعِلَ الـسَّـيْفُ ضـامـنـاً وكـفـيلاً | بـالمـعـالي لمن أرادَ كـفـيـلا
في ظلالِ الـسُّـيـوفِ أيّ مَـقـيلٍ | لـبـني المجـد فـاتَّـخِـذْهُ مَـقـيلا
وإذا مـا سـلـكتَ ثَمَّ سـبـيلاً | فـاجْـعَلِ الـسَّـيْفَ هـادِيـاً ودلـيلا
عَـرَّفَـتْـكمْ حَـوادِثُ الـدهـرِ أمْـراً | كـان من قـبلِ هـذه مـجـهـولا
كَشَـفَتْ عن ضـمـائـرٍ تُضْـمِـرُ الـغَدْ | رَ وتـبـدي وفـاءهـا الـمُـسْـتَـحـيلا
وإذا لم تَـجِـدْ خَـلـيلاً وفـيّـاً | فـاعـلـمَ انَّ الحُـسـامَ أوفَى خـلـيلا
طـالمـا عَـرَّفَ الـزَّمـانُ بـقـومٍ | بَـدّلَـتْـهُمْ خُـطـوبُهُ تَـبْـديلا
لا تَـبُلُّ الـغَـلـيلَ مـا عِـشْتَ مـنـهمْ | أو يَـبُلُّ الـصَّـمـصـامُ فـيـهم غـلـيلا
وإذا لم يـكنْ لحِـلْـمِكَ أهلٌ | فـمِنَ الحـلـمِ أنْ تـكـونَ جَـهـولا
لا أرى فِـعْـلَكَ الجـمـيلَ بمن لمْ | يَـرْعَ عَـهْـداً منَ الجَـمـيلِ جَـمـيلا

---

(١) الشيخ فارس بن عجيل (عقيل) بن محمد بن ثامر بن سعدون، ولي إمارة المنتفق سنة ١٢٦٥هـ = ١٨٤٧م وبقي فيها حتى نازعه المشيخة ابنا عمه ناصر ومنصور فانتصرا عليه، وأخذا المشيخة منه سنة ١٢٦٦هـ - ١٨٤٨م وكان رجلاً شجاعًا كريمًا، مدحه كثير من الشعراء منهم السيد صالح القزويني النجفي. انظر التحفة النبهانية ١٠/ ٩١ ومباحث عراقية ق١/ ٧ و٢٨٢ وشعراء الغري ٤/ ٢١٢ وتاريخ السعدون ٤٨.

رَضِيَ اللهُ عنكَ أغضَبْتَ قوماً ... ما أرادوا غيرَ الفسادِ حُصولا

فلبئسَ القومُ الذينَ أرادوا ... بكَ من سائرِ الأنامِ بَديلا

وسَعَوْا في خَرابِها فاسْتَفادوا ... أمَلاً خائباً وعَوْناً خَذولا

ويميناً لو يملكوها علينا[1] ... تَركوها مَعالِماً وطُلولا

إنّما حاولوا أمانيَّ نفسٍ ... حَمَّلَتْهُمْ إذْ ذاكَ عِبْئاً ثقيلا

ربما غَرَّتِ المطامعُ قوماً ... غادرتْ منهمُ العَزيزَ ذليلا

أمَّلوا والمُحالُ ما أمّلوه ... سؤدُداً عنك فيهمُ لن يَحُولا

لم ينالوا ما نلتَ من رفعةِ القَدْ ... رِ ولو جيءَ بالجُيوشِ قَبيلا

أجمَعوا أمْرَهُم ولله أمْرٌ ... كان من فوق أمْرِهِمْ مفعولا

ثم لمّا جاؤوا إليكمْ سراعاً ... نزلوا عن مَرابضِ الأُسْدِ ميلا

فَعَبَرْتُمْ نهرَ المَجَرَّةِ مُخْلِيـ[2] ... ـنَ مَكاناً لهم عريضاً طويلا

نزلوا منزلَ الشُّيوخِ وتأبَى ... شفرةُ السَّيْفِ أن يكونوا نُزولا

ثمَّ لم يلبَثوا خِلافَكَ في الدّا ... رِ كما يشتهونَ إلاّ قليلا[3]

رحَّلَتْها عنهمْ سيوفٌ حِدادٌ ... ورجالٌ تُعْيي الرجالَ الفُحولا

إنْ تُصادمْ بها قواعِدَ (رَضْوى)[4] ... أوشكتْ في صِدامهمْ أن تزولا

بذلتْ نفسَها لديكَ ورامتْ ... منكَ في بذلها الرِّضا والقَبولا

كلّما اسْتَلَّتِ المُهنَّدَةَ البيـ ... ـضَ أسالتْ منَ الدِّماءِ سُيولا

فَتَرَكْتَ الأعداءَ ترتقبُ المَوْ ... تَ منَ الرعبِ بُكرةً وأصيلا

وملأتَ الأقطارَ بالخيلِ والرَّجْـ ... ـلِ صليلاً - مُريعةً - وصَهيلا

إنّ يوماً عَبَرْتَ فيه عليهمْ ... كان يومًا على العُداةِ مَهولا

يومَ ضاقَ الرَّحْبُ الفسيحُ عليها ... فتنادتْ عنك: الرَّحيلَ الرحيلا

---

(١) الصواب: لو يملكونها، وبها يختل وزن البيت.

(٢) نهر في ميسان (محافظة العمارة).

(٣) اقتباس من الآية الكريمة (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) سورة الإسراء، الآية (٧٦).

(٤) رضوى: جبل في الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة قرب ينبع وقد تغنى بها الشعراء كثيرا. معجم البلدان ٣/ ٥١.

هربوا قبلَ أن يَرَوْا صولةَ الليْـ ... ـث وأن يشهدوا(*) دماً مَطلولا(**)

يوم كان الفِرارُ أهونَ من أنْ ... تَسْتَبيحَ السُّيوفُ منها قتيلا

ذلَّ من لا يرى المَنِيّةَ عِزّاً ... في سبيل العُلا وعاشَ ذليلا

لو أقاموا فيها ولو بعضَ يومٍ ... لأخذتَ الأعداءَ أخذاً وبيلا

ولأكْثَرْتَ فيهمُ القتلَ والسَّبـ ... ـيَ ومَثَّلتَهُمْ بها تمثيلا

وتَركْتَ النِّساءَ ثكْلَى أيامَى ... تُكْثِرُ النَّوْحَ بعدهمْ والعَويلا

إنَّ لله حكمةً حيّرتْ فيـ ... ـكَ حُلومًا سليمةً وعُقولا

بلَّغَتْكَ الأقْدارُ ما كنت تبغيـ ... ـه وكفّتْ عَدُوّكَ المَخْذولا

وشَفَيْتَ الصُّدورَ منّا فقُلنا ... صَحَّ جسمُ العُلا وكان عَليلا

أيّد الله (فارسَ بنَ عجيل) ... مثلَ ما أيّدَ الإلهُ (عجيلا)(١)

وبما رَحْمَةٍ منَ الله حَلّتْ(٢) ... بلغَ اليومَ آملٌ مَأمولا

أمِنَ الخائفونَ في ظلِّ قومٍ ... منعَ الخطبَ بأسُهُ أنْ يصولا

عادَ للمُلْك حافظاً ومن اللـ ... ـه على الناس سَتْرُهُ المَسْبولا

كلّما كرَّ كرّةً بعد أخرى ... بعثَ الرعبَ في القلوبِ رسولا

ما ثناهُ عن المَكارمِ(***) ثانٍ ... وأبَى أن يُرى الكريمُ بخيلا

يقْتَفي إثْرَ جَدِّه وأبيهِ ... وكذا تَتْبَعُ الفُروعُ الأصولا

---

(١) عجيل (عقيل) بن محمد بن ثامر السعدون، عينه داود باشا أميرًا على المنتفق سنة ١٢٤٢هـ = ١٨٢٧م بعد عزل عمه حمود بن ثامر، حين تحالف حمود مع الشيخ عيث بن عضبان أمير كعب في الأحواز وحاصر الزبير وضمها إلى إمارته، فقاومه شيخ الزبير علي بن يوسف الزهير. وقد استطاع الشيخ عقيل أن يكسب إلى جانبه بعض شخصيات الزبير مثل عبدالله الفداغ وأخيه سليمان وكان قويًا محافظًا على الأمن تخشاه القبائل وتهابه، حتى أنه كان يضع التمر على عيدان البردي ويجعلها في نهر الفرات ويمضي بها الماء وتخاف الناس من التقرب إليها. وتمكن عقيل من اعتقال عمه حمود في أطراف البصرة وأرسله إلى بغداد فسجنه داود باشا وتوفي حمود في السجن سنة ١٢٤٦هـ – ١٨٢٨م. انظر: مختصر تاريخ البصرة لعلي ظريف ص١٥٠ والأحواز في أدوارها التاريخية ٢/ ٢٨٠ و٢٨٢ وتاريخ السعدون ٣٩ وتاريخ الكويت السياسي ١/ ٩٩.

(٢) اقتباس من الآية الكريمة (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ لقلب لانفضوا من حولك).

(*) في الطبعة (١): (ويشهروا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (مطولا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (المكالام) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فـهـنـيـئـاً لـكمْ مَـعـارجَ لـلـمَـجْـ ... ـدِ شَـبـابـاً تَـسْـمـونَـهـا وكُـهـولا
رِفْـعَـةٌ في الـعَلاءِ أورِثْـتُـمـوهـا ... من قـديمِ الـزمـانِ جـيلاً فـجـيلا
والمـعـالي لا تـرتـضي حـيثُ شـاءتْ ... غَـيْـرَ أكْـفـائـهـا الـكـرامِ بُـعـولا
إنَّ أسْلافَـكمْ إذا خَـطَـبـوهـا ... جَـعَـلـوا مَـهْـرَهـا قَـنـاً ونُـصـولا
قـد بـذلـتمْ منَ الـنُّـضـار سُـيـولاً ... وَجَـرَرْتُمْ من الـفَـخـارِ ذُيـولا
لا تَـنـالُ الـعُـداةُ مـنـكم مَـرامـاً ... أَفَـيـرجـون لـلـنُّـجـومِ وُصـولا
كـيف تـدنـو مـنـكمْ وأنـتمْ أُسُـودٌ ... مـا اتَّـخَـذْتُمْ غـيـرَ الأَسِـنَّـة غـيلا
فـإذا مـا ادَّعَـيْـتُمُ الـفـخـرَ يـومـاً ... فـكـفَى بـالـقـنـا شُـهـوداً عُـدولا
قـد خـلـقـتمْ صـبـابـةً في المـعـالي ... صَـبْـوَةَ الـصَّبِّ مـا أطـاعَ الـعَـذولا
فـانـتـشـيـتمْ ولـلـهـوى نَـشَـواتٌ[1] ... فـكـأني بـكم سُـقـيـتُمْ شَـمـولا
لا بَـرِحْـتُمْ مَـنـاهلاً تَـرِدُ الـعـا ... فـونَ من عَـذْبِ وِرْدِهـا سلسبيلا
وبـقـيـتمْ مَـدَى الـزمـانِ وأبـقَـيْـ ... ـتُمْ حـديـثـاً عن بـأسِـكمْ مـنـقـولا

(٧٠)

(١) في الأصول (فانتشيتم بها وللهوى نشوات) زائدة ويختل الوزن معها.

(٢) راشد باشا أرسله السلطان عبدالمجيد خان لتفتيش الولايات، والنظر في معاملة الحكام والولاة للرعية، وقد وصل بغداد في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٢٧٣هـ وكان لا يحسن العربية، وقد رحب به الشاعر عبدالباقي العمري بقوله:

من الروم للزوراء شرف راشد ... بأمر مليك العصر للخلق يرشد
ومن وطئت أرض العراق ركابه ... إلى الأوج جربناه لا شك يصعد

وقضى أيامًا في بغداد في الولائم والدعوات التي أقامها له الوالي عمر باشا السردار، وبعض كبار تجار بغداد من اليهود، ورتب له الوالي منهجًا لزيارة الإمام الأعظم والصحابي الجليل سلمان الفارسي والإمام موسى الكاظم والمراقد الشريفة في النجف وكربلاء، وقضى أيامه متنعمًا ولم يعد بطائل، وكان أبوالثناء الآلوسي قد زاره في استانبول أثناء رحلته سنة ١٢٦٧هـ، واستعار راشد باشا من أبي الثناء مجموعة شعرية، وعندما عزم أبوالثناء على العودة كتب إلى راشد باشا يقول:

أيها المفرد الذي لا يُثَنّـي ... بكمالٍ تُثْنَى عليه الخناصر
عندكم للفقير مجموعُ شعرٍ ... فتفضل به فإني مسافر

انظر الترياق الفاروقي ٤٣١ وروضة الأزهار وجامعة كل ممتاز ومختار، لنعمان الآلوسي، مخطوطة تحت رقم ٥٦٤٠ في مكتبة الأوقاف المركزية العامة ببغداد.

قَدِمْتَ قُدومَ الخيرِ من بعد غيبةٍ كما غابَ بدرٌ ثم أشرقَ وانْجَلَى[1]

وأقبلتَ إقْبالَ السَّعادةِ كلِّها علينا فحيّا الله وجْهَكَ مُقْبِلا

فكنتَ كصَوْبِ المزنِ صادفَ ممحلاً وكُنّا بكَ الظمآنَ صادفَ مَنْهلا[2]

وشِمْنا سَنا برقِ المُنَى غيرَ خُلَّبٍ تهلَّلَ يَمري العارضَ المُتهلِّلا

تَنَقَّلْتَ من دارٍ لدارٍ تنقُّلاً ومن عادة الأقمارِ أنْ تَتَنَقَّلا(*)

وجئتَ إلى (بغدادَ) تكشفُ ما بها من الضُّرِّ حتّى تَرجِعَ الحالُ أوَّلا

فأهلاً وسهلاً ما أقمتَ ومرحباً عزيزاً بأكنافِ المعالي مُبَجَّلا

بأصدق من وافَى منَ الروم لهجةً ومَنْ بعثَ السلطانُ عَيْناً وأرسلا

أمينٌ على العُمّالِ تخذلُ ظالماً وتنصرُ مظلوماً وتُنقذُ مُبْتَلى[3]

فقلنا غَداةَ اسْتَبْشَرَ الناسُ كلهُّمْ عسى هذه الأحوالُ أنْ تَتَبَدَّلا[4]

وفي ضِمْنِ لَحْنِ القولِ لولا مَوانعٌ دقائقُ لا تَخْفَى على من تأمّلا

وكم فَرَجٌ لله من بعد شِدَّةٍ تُعَلِّلُنا فيه الأماني تَعَلُّلا

فنحنُ وإنْ لم يُحْسِنِ الكشفُ حالَنا ولا شِتَتَّا خرقاءَ واهيةَ الكلا[5]

ومَنْ نظرَ الأشياءَ نظرةَ عارفٍ رآها لديه مُجْمَلاً ومُفَصَّلا

وحسبُ الفتى ذي اللبِّ متنُ إشارةٍ[6] يرى شرحَها لو كان شرحاً مطوّلا

وما اخْتَصَّكَ السلطانُ إلاّ لعِلْمِهِ بأنَّك لن تُرْشَى ولن تَتَبَرْطَلا[7]

فمن فضله واللهُ يجزي بفضلهِ علينا أميرُ المؤمنين تَفَضَّلا

---

(١) هذه القصيدة لم ترد في الديوان المطبوع ولا نسخه الخطية. وإنما وردت في مجموعة أدبية مخطوطة تحت رقم [١١/ ٢٢٨١١ مجاميع] في مكتبة الأوقاف المركزية العامة ببغداد.

(٢) في الأصل: الضمئان (كذا).

(٣) في الأصل: وتنقد بالدال المهملة. وهي من السهو.

(٤) يبدو أن الأخرس أرسل هذه القصيدة إلى الممدوح مباشرة. ولم تلق في مجلس أو ناد. لأنه لا يستطيع أن يقول ذلك أمام الحاضرين كالوالي وحاشيته. وبعض المنتفعين.

(٥) كذا في الأصل، وأرجح أنها (ولايتنا خرقاء..).

(٦) في الأصل: ذو اللب.

(٧) البرطيل: الخطام يقاد به الحيوان، ويستعار للرشوة لأنها تقود المرتشي كالخطام.

(*) **في الطبعة (١): (تنتقلا) وهو خطأ طباعي يكسر الوزن ولعل الصواب ما أثبتناه.**

لتُذْهِبَ عنّا البَغْيَ جيئةُ (راشدٍ) ... ونحمدُ فيه آملاً ومُؤَمَّلا
وننتظرُ العُقْبَى فإنَّ وراءها ... منَ اللطف ما يحظَى به سائرُ المَلا
فلا زال ظلُّ الله يأتي بعَدْلهِ ... وما وَلِيَ الأحكامَ إلاّ ليَعْدِلا
ومن عَدْلهِ أنْ يصطفيكَ لقُرْبهِ ... ويُدنيكَ من نَيْلِ الرياسةِ والعُلا
ولم أرَ مثْلَ الفضلِ يرفعُ أهلَهُ ... ولا حليَةً كالصِّدْقِ في القولِ من حُلى
فَقُلْ ما تَشَا والقولُ في ما تقولُهُ ... جَليٌّ ويأبَى اللهُ أن تَتَقَوّلا
ودُمْ وابقَ واسلمْ ترتقي كلَّ منصبٍ ... إلى قُلّةِ العلياءِ تعلو وتُوقِلا[1]

(٧١)

وقال مخمسًا القصيدة اللاّمية لمفتي بغداد العلامة السيد عبدالغني آل جميل[٢] [وهي من الطويل]:

أقلِّبُ طرفي لا أرى غيرَ منظرٍ
متى تختَبِره كان أَلأمَ مَخْبَرٍ
فلم أدرِ والأيامُ ذاتُ تغيُّرٍ
(أيذهبُ عمري هكذا بين معشرٍ)
(مجالسهم عاقَ الكريمَ حُلُولُها)[٣]
أسفتُ على من ليس يرجى لعودةٍ
وكان يُرى عوناً على كلّ شدةٍ

(١) توقل: تصعد.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢) وقد نظمها بعد نكبته سنة ١٢٤٧هـ على يد أتباع الوالي علي رضا اللاظ، وقد خمسها الأخرس في صفر سنة ١٢٦٨هـ كما ذكر المرحوم عباس العزاوي في مجموعة شعر الأخرس، قلت: ويبدو أن الأخرس خمسها عند نكبة أبي الثناء الآلوسي على يد الوالي نجيب باشا سنة ١٢٦٧هـ فجمع الأخرس شكوى النكبتين.

(٣) في المجموعة للعزاوي: (مجالسهم عاف الكريم حلولها) وهذا خطأ لأن القافية مرفوعة.

قَـضَـى الـلـهُ أنْ يـقـضـي بـأقـرب مُـدَّةٍ

(وأبــقَـى وحـــيـــداً لا أرى ذا مــــودةٍ)

(منَ الـنـاس لا عـاشَ الـزَّمـانَ مَـلـولُـهـا)

إذا الحُـر في (بـغـداد) أصـبحَ مُـبْـتَـلـى

وعـاشَ عـزيـزُ الـقـوم فـيـهـا مُـذَلَّلا

فلا عَـجَبٌ إنْ رُمْتُ عــنــهــا تحــوُّلا

(وكـيف أرى (بـغـدادَ) لـلـحُـرِّ مـنـزلا)

(إذا كـانَ مَـفْـرِيَّ الأديمِ نـزيـلُـهـا)

لـقـد كـنتُ لم أحْـفِلْ بـأيـام عـرسِـهـا

ولم يـتـبـدَّلْ شـهـمُـهـا بـأخَـسِّـهـا[1]

فـكـيف بـهـا إنْ سـادهـا غـيرُ جِـنْـسِـهـا

(ويـسـطـو عـلـى آسـادهـا ابنُ عِـرْسِـهـا)

(ويـرقَى عـلى هـام السِّـماكِ ضـئـيلُـهـا)

عـجـبتُ لـنـدبٍ ثـابتِ الجـأشِ مُـفـضِلٍ

يـــرى بـــدلاً من أرضـه بمُــــبَــدَّلٍ

ولـم يكُ عن دار الـــهَـــوانِ بمـــعـــزلٍ

(فـمـا مـنـزلٌ فـيه الـهـوانُ بمـنـزلٍ)

(وفي الأرض لـلـحـرِّ الـكـريم بـديلُـهـا)

سـأركـبُـهـا[*] يـا سـعـدُ كلَّ مُـعَـدَّةٍ

أجـوبُ عـلـيـهـا شِـدَّةً بـعـد شِـدَّةٍ

---

(١) في المجموعة ص٤٦ حاشية (١) قال العزاوي: من هذا المقطع لم يرد في الديوان ص٤٧٢. قلت: هذا وهم وهو مثبت في الديوان، وسنشير إلى ابتداء المجموعة في ما يلي.

(*) **في الطبعة (١): (سأركلها) والتصويب من الطراز الأنفس.**

وإن مِتُّ أُلفي البيدَ موتةَ وحدةٍ
(فلَلموتُ خيرٌ أن أقيمَ ببلدةٍ)
(يفوقُ بها الصِّيدَ الكرامَ ذليلُها)
فكم قَرَصَتْني من عِدًا بقَوارِصٍ
هوابطَ من أرض المَساوي شَواخِصٍ
ولاقيتُ صَعْبَ المُرتَقَى غيرَ ناكصٍ
(وأصْعَبُ ما ألقَى رئاسةُ ناقصٍ)[1]
(مَساويه إنْ عُدَّتْ كثيرٌ قليلُها)
أُنَبِّهُ طرفَ الحَظِّ والحَظُّ راقدٌ
وأنهضُ للعلياءِ والجَدُّ قاعِدٌ[2]
وأنَّى أَسودُ اليومَ والدهرُ فاسدٌ
(وما ساد في أرضِ (العراقين) ماجدٌ)
(من الناس إلاّ فَدْمُها ورذيلُها)
بلادٌ بقومٍ قد سَعَوْا في خَرابها[3]
فليس شرابٌ يُرتَجَى من سَرابها(*)
ولا لكريمٍ منزلٌ في رحابها[4]
(فَسِرْ عن بلادٍ طوَّحتْ لا تَرى بها)
(مَقيلَ كريمٍ للعِثار مَقيلُها)

(١) في المجموعة: قال العزاوي حاشية ٢ ص٤٦: «في الديوان ص٤٧٢ (واصعب ما ألقاه صحبة ناقص)» قلت: في الديوان رئاسة ناقص. كما في الأصول.

(٢) في الديوان (وانهض للعياء..) من غلط الطباعة.

(٣) في المجموعة ص٤٧ (بلاد سعت جهالها في خرابها) وهو أجمل.

(٤) في المجموعة ص٤٧ (... في قرابها).

(*) **في الطراز الأنفس:**

بلادٌ يكون البغضُ حشوَ إهابها — وقد لاحَ للأبصار ماءُ سَرابها
فهل لكريمٍ منزلٌ في رحابها — (فسر عن بلاد طوّحت لا ترى بها)

فـلـيس عـلـيـهـا بـعـد هـذا مُـعَـوَّلُ

ولا عـنـدهـا لـلآمِـلـين مُـؤَمَّلُ

فـيـالكِ دارًا قـد نـبَتْ بي ومـنـزلٌ(*)

(بـهـا الجودُ مـذمـومٌ بـهـا الحُـرُّ مُـهْـمَلُ)

(بـهـا الشُّحُّ مـحـمـودٌ فـهل لي بديلُـهـا)

ورُبَّ أخٍ لـلـمـجـد في المجـد آلِفُ

له في ربـوع الأأمـين(**) مـواقفُ

أقـولُ له والـقـولُ كـالـسُّمِّ زاعفُ

(ألا يـا شـقـيقَ الـنفس عـنـدي صـحـائفُ)

(لـقـومٍ لـئـامٍ هل لـديك قَـبـولُـهـا)

صـحـائفُ ذي غـيظٍ عـلى الـدهـر واجـدِ

عـلـيـهـا طـوى قَـسْـراً جَـوانِحَ حـاقـدِ

وأنَّ لِـمـا يُـبْـدي لـسِـاني وسـاعـدي

(سـأنـشُـرُهـا والـهـنـدوانيُّ شـاهـدي)

(وأذكـرُهـا والـسَّـمـهـريُّ وكـيـلُـهـا)[1]

فـمن مـبـلغٌ عـني كلامـاً مُـلَـخَّـصـا

أهـانَ به عِـرْضَ الـلـئـيمِ وأرخَـصـا

أنـاسـاً يـعـيش الحُـرُّ فـيـهمْ مُـنـغَّـصـا[2]

(ولي كـلـمـاتٌ فـيـهـمُ تـصـدعُ الحَـصَى)

(إذا حـكَّـمـوا الـعَـضْبَ الـيـمـاني أقـولُـهـا)

فـكم مَـهْـمَهٍ(*) قـفـرٍ طَـوَيْتُ مُـشـافَـهـا

بـهـا كلُّ هـولٍ لم يـزلْ مَـتَـشَـابِـهـا

---

(١) في المجموعة ص٤٧ قال العزاوي: لم يرد في الديوان ص٤٧٢. قلت ورد في صفحة ٤٧٣.

(٢) في المجموعة ص٤٨: أناس... والصواب أناسًا.

(*) وردت في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس: (فيالك دار قد نبت بي ومنزلُ)، ولعل صحتها (دارًا) ولكن يبدو أن القافية ألجأت الشاعر إلى رفعها حتى يعطف عليها (ومنزل).

(**) في الطراز الأنفس (المُحْنَقِينَ).

وواجَـهَـنـي مـا لم يـكن لي مُـواجِـهـا

(عـفـا الـلـه عـنـي كم أجـوبُ مَـهـامِـهـا)

(منَ الأرضِ يَسْتَفُّ التُّرابَ دليلُها)[1]

طـويتُ فـيـافـيـهـا ذهـابـاً وجِـيَّـةً

أكـان عَـنـاءً طـيُّـهـا أم بـلـيّـةً

كـمن يَـبْتَـغـيـهـا مُـنْيَـةً أو مَـنِـيَّـةً

(لـعـلِّي ألاقي عـصـبـةً عـبـشَـمِـيَّـةً)

(فُـروعَ مَـنـاجـيبٍ كـرامٍ أصـولُـهـا)[2]

إذا نَـطَـقُـوا بـالـقَـوْل فـالـقـولُ مُـفْـلِقٌ

وإنْ حـاولـوا مَـجْـداً فـعـزمٌ مُـحَـلّقٌ

لَـهُمْ أرَجٌ لم يُـكـتَـتَمْ فـهْـو مُـعـبِقٌ

(يـنمُّ بـهمْ مـجـدٌ رفـيـعٌ ومـنـطقٌ)

(ويُنْبي عن الخيل العِتاقِ صَهيلُها)[3]

لـقـد طـالمـا قـد بِتُّ أطـوي وأنـطَـوي

على مِضَضٍ أمسَتْ على الضَّيْمِ تحتوي

فـيـا سـعـدُ قلْ لي إنْ نـصـحتَ فـأرعـوي

(مـتى يـلـثمُ الـلـبَّـاتِ رُمـحي وتـرتـوي)

(سـيوفٌ بـأعـنـاق الـلـئـام صَـلـيلُـهـا)[4]

أحِنُّ إلى يـومٍ عَـبـوسٍ عَـصَـبْـصَـبٍ

يَـبُلُّ غَـلـيـلـي مُـنْـجِبٌ وابنُ مـنـجِبٍ

---

(١) في المجموعة ص٤٨: يستاف. وهي خطأ. ويستف أي يثير الغبار.

(٢) في المجموعة ص٤٨ قال العزاوي: هذا المقطع لا يوجد في الديوان. قلت هو في صفحة ٤٧٣.

(٣) في المجموعة ص٤٨ (ويبني..) ثم قال في الحاشية (كذا) ولم يتبين له وجه الصواب.

(٤) في المجموعة ص٤٨ قال العزاوي: ليس له ذكر في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٣.

فـيـا لـيت شِـعْـري هل أراني بمـوكبٍ
(وحـولي رجـالٌ من مَـعَـدٍّ ويـعـربٍ)
(مَصاليتُ للحرب العَوانِ قَبيلُها)
شِفاءً لنفسي يا أميمةُ حشرجتْ[1]
أو الساعة الخَشْنا إلى الأمر أحْوَجَتْ
فهل مثلُ آسادِ الشَّرى حينَ هُيِّجَتْ
(إذا أوقدوا للحرب ناراً تأجَّجَتْ)
(مَجامِرُها والبيضُ تَدمَى نُصولُها)
كُهولٌ وشُبّانٌ كُماةٌ بأيِّهمْ
ظفرنا رَأَينا كَهْلَهُمْ كَفَتِيِّهمْ
حماةٌ بماضيهم وفي سَمْهَرِيِّهمْ
(وبالسُّمْرِ تحمي البيضَ شبّانُ حَيِّهمْ)
(وبالبيض تحمي السّمرَ قَسْراً كهولُها)[2]
من القوم ما زالتْ تُطَبِّقُ سُحْبُهُمْ
وفي عَدَمِ الجَدْوَى تفارَطَ صَوْبُهم
كرامٌ بيوم الجَدْبِ يُعْرَفُ خِصْبُهمْ
(يهشُّون للعافي إذا ضاقَ رَحْبُهمْ)
(وجوهاً كأسيافٍ يُضيءُ صقيلُها)
نَماهم أبٌ عالي الجناب سَمَيْذَعُ
وعن أصلِ زاكي العنصرينِ تَفَرَّعوا
فإنْ يدّعوا العلياءَ كان كما ادَّعَوا[3]
(إلى خِنْدِفٍ(*) يُنْمَى عُلاهمْ إذا دُعوا)[4]
(ومن خير أقيالٍ إذا عُدَّ قيلُها)[5]

---

(١) في المجموعة ص٤٨: شفاء لنفسٍ.

(٢) في المجموعة ص٤٩ قال العزاوي: ليس له ذكر في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٣.

(٣) هنا العين مفتوحة وهو عيب.

(٤) خندف: لقب لقبيلة قريش وهو اسم جدة لهم.

(٥) في المجموعة ص٤٩ قال العزاوي: لم يكن في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٤.

(*) في الطبعة (١): (خندق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فَـمَنْ لي بـأبـيـاتٍ يـروقُكَ وَصْـفُـهـا
يُـهـانُ مُـعـاديـهـا ويُـكـرَمُ ضَـيْـفُـهـا[1]
بـحـيث الـعُلا والـعِـزُّ ممـا يَـحُـفُّـهـا(*)
(ومـا الـعِـزُّ إلاّ في بـيـوتٍ تـلـفُّـهـا)
(عَـذارى وأبـكـارُ الـمَـطيِّ حَـمـولُـهـا)
تُـلِمُّ بـهـا إنْ داهَـمَـتْـهـا مُـلِّـمَـةٌ[2]
رجـالٌ مَـسـاعـيـهـا إلى المجـدِ جَـمَّـةٌ
وإنْ هـي زمَّـتـهـا عـلى الـسَّـيْـرِ أزْمَـةٌ
(تَـحُفُّ بـهـا من آلِ وائلَ غـلْـمَـةٌ)
(لـهم صـولـةٌ في الحـرب عـالٍ تَـليـلُـهـا)[3]
وإنّي لأشـكـو عُـصْـبَـةً مـا تَـطـأطـأتْ
لـرشـدٍ وإنْ تُـدْعَ إلى الـرُّشـد أبـطـأتْ
لـهـا الـويلُ قـد خَـطّتْ ضَلالاً وأخـطـأتْ[4]
(إلى الـلـه أشـكـو عـصـبـةً قـد تـواطـأتْ)
(عـلى دَخَنٍ بَـغْـيًـا فَـضَـلَّتْ عُـقـولُـهـا)[5]
إلامَ المـعـالي يمـلـكُ الـرَّذْلُ رِقَّـهـا[6]
ويمـنَـعُـهـا من ظـلـمِه مُـسْـتَـحِـقَّـهـا
ألا دعـوةٌ لـلـمَـجْـدِ نَـعْـرِفُ(**) صِـدْقَـهـا
(ألا غـيـرةٌ تـقـضـي المـنـازلَ حَـقَّـهـا)
(وتـوقِظُ وَسْـنـانَ الـتُّـرابِ خُـيـولُـهـا)

---

(١) في الأصول: ظيفها. (كذا).

(٢) في الأصول: .. ساهمتها ملمة. وما أثبتناه أولى.

(٣) في المجموعة ص٤٩ قال العزاوي: لا يوجد في الديوان. قلت هو في صفحة ٤٧٤.

(٤) في الديوان: .. قد أخطت ضلالاً وأخطأت. وصوبتها إلى (خطت..) من الخطة. وفي المجموعة قال العزاوي: لا يوجد في الديوان، قلت هو في صفحة ٤٧٤. وقال: «في غرائب الاغتراب (.. واخطلت) وهو الصواب» قلت: بل الخطأ. لأن الشاعر التزم الهمزة في القافية.

(٥) الدخن: بفتح الدال والخاء. الحقد والضغينة، وفي المثل: (هدنة على دخن).

(٦) في المجموعة ص٤٩ (.. رقمها) وهي غلط.

(*) في الطبعة (١): (يحضها) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (نَوْفُ) خطأ طباعي ولعل الصواب ما أثبتناه، وبه يستقيم الوزن.

عَـواد بِمـيـدان الـوَغَى لِـمَـفـاخـرٍ
بـكلِّ نِـزاريٍّ عـلى المـوتِ صـابـرٍ
إذا أقْـبَـلَتْ من كلِّ عـوجـاءَ ضـامـرٍ
(عـلـيـهـا رجـالٌ من نـزارٍ وعـامـرٍ)
(مَـطاعـينُ في الـهَيْجـا كريمٌ قـتيلُـهـا)
إذا نـحنُ لم نَـحْـمَـدْ بـحـالٍ ذهـابَـنـا
إلى شَـرِّ جـيلٍ شَـرُّهُمْ قـد أنـابَـنـا
فَـلِمْ لا نُـعـاني حُـزْنَـنـا واكـتِـئـابَـنـا
(كَـفَى حَـزَنـاً أنَّـا نُـعـنِّي ركـابَـنـا)
(إلى مَـعْـشَـرٍ من جـيلِ يـافثَ جـيلُـهـا)[1]
تـركتُ ديـارَ الـلّـهـو والـعـقلُ تـابـعي
وبـدَّلْتُ سُـكـنَـاهـا بـسُـكـنَى الـمَـرابعِ
ومـا غـرّني في الـكـون بـرقُ المـطـامعِ
(إذا كـانتِ الـعـلـيـاءُ حَشْـوَ مَـسـامِـعي)
(يـريني المـعالي سـفـحُـها وطُـلـولُـها)[2]
لـقـد خـابَ مَـسْـعـاهـا إلـيـهِمْ وبـئسَ مـا
تَـقَـحَّـمَتِ الأمْـرَ الخـطـيـرَ تَـقَـحُّـمـا
تــروحُ رِواءً تــرتــمي أيَّ مُــرْتَــمَى[3]
(فـترجعُ حَسْرى ظُلّعـاً شَـفَّـها الظَّـمـا)
(فـيـا لـيتَـهـا ضَـلَّتْ وسـاءَ سَـبـيلُـهـا)
لـئن كـان صـحـبي كلُّ أروعَ يَـجْـتَـري
عـلى كلِّ لـيثٍ في الـكـريـهـة قَـسْـوَرِ

(١) في المجموعة ص٥٠ قال العزاوي: لم يوجد في الديوان، قلت: هو في صفحة ٤٧٤.
(٢) في المجموعة ص٥٠ قال العزاوي: إنه في صفحة ٤٧٣ من الديوان. قلت: لم يرد هذا المقطع في الديوان.
(٣) في المجموعة ص٥١: تروح رواحاً.. وهي خطأ.

تـرفَّـعتُ عن رَذْلِ الـصِّـفـاتِ مُـصَـعَّـرِ[1]
(فلا ألـوي[*] لـلأنـذالِ جـيـدي ومـعـشـري)
(بـهـالـيلُ مُـسْـتَنٌّ المـنـايـا نـزولُـهـا)
إذا لم يـكـنْ ظلٌّ خـلـيَّـاً منَ الأذى
تـلـذذتُ في حَـرِّ الـهَـجـيـرِ تـلـذُّذا
وبـدّلتُ هـذا بـعـد أن عِـفْـتُهُ بـذا
(رعَى اللهُ نـفسي لم تَـرِدْ مَـوْرِدَ الـقَذَى)
(وتَـصْدَى وفي ظلّ الـهَـجـيـرِ ظلـيـلُـهـا)
يـرى المجـدَ مَـجْـداً من أغـارَ وأنْـجَـدا
ولم يُـبْقِ في جَـوْبِ الـفَـدافِـدِ فَـدْفَـدا
إلى أنْ شَـكَـتْهُ الـبـيـدُ راحَ أو اغْـتَـدى
(ومن رامَ مـجـداً دونَهُ جَـرَعَ الـردى)
(شـكـته الـفَـيـافي وَعْـرُهـا وسـهـولُـهـا)
رِجـالُ المـعـاني بـالمـعـالي مـنـالُـهـا
مُـنـاهـا إذا مـا حـانَ يـومـاً نـزالُـهـا
هي المجـدُ أو مـا يُـعْـجِبُ المجدَ حـالُـهـا
(ومـا المجـدُ إلاّ دولـةٌ ورجـالُـهـا)
(أسـودُ الـوغَى والـسَّـمْـهَـرِيَّةُ غِـيلُـهـا)[2]
ديـارٌ بـهـا نِـيـطَتْ عـليَّ تـمـائـمي[3]

---

(١) في المجموعة ص٥١: مصغر (بالغين المعجمة) والصواب بالمهملة.

(٢) إلى هنا في الديوان المطبوع والباقي من مجموعة شعر الأخرس للمرحوم عباس العزاوي.

(٣) تضمين لقول الشاعر:

بلاد بـهـا نـيـطت عـليَّ تـمـائـمي
وأول أرضٍ مسّ جـسـمي تـرابـهـا

ولم يحصره بين قوسين في الأصول.

(*) **هكذا وردت في الطبعة (١): والطراز الأنفس وبها ينكسر الوزن، ولعل صوابها (فلم ألو).**

وكــان الــعُلا إذْ ذاكَ عَــبْــدي وخــادِمي

فــكــيفَ أرى فـي الــلَّــهْـوِ لَــمْـعَــةَ شـائمِ

(إذا أبْـرَقَتْ في السَّـفْحِ صـوبَ الـغـنـائمِ)

(وشــاقَ لــعــينِ الــنــاظـرينَ هُــمــولُــهــا)

يُــذَكِّــرُني ذاكَ الــعِــهــادُ مَــعــاهِــدا

يــــروقُكَ مَــــرْآهُ إذا كــــنتَ رائــــدا

فـكنْ لي عـلـى صَـوْبِ الـدمـوعِ مُـسـاعِـدا

(مــتى سَــمِــعَتْ أذْنــاكَ مــنّي رَواعِــدا)

(تـصـوبُ عَـزالـيـهـا وتَــهْـمي سـيـولُــهـا)

ذكــرتُ زمــانــاً قــد مـضَـى في رحــابــهـا

سَـقَـتْهُ عـيـونُ المـزنِ حـينَ انْـسـِكـابـهـا

لـقـد شـاقـني ظبيُ الـكِنـاسِ الـذي بـهـا[1]

(فـكم مـرةٍ في بُـعْـدِهـا واقْـتِـرابِــهـا)

(تـشـافتْ من الأرض الجُـرازِ[*] مُـحـولُـهـا)

فــأنــبـتَتِ الـخـضــراءُ مُــحْـمَــرَّ وَرْدِهــا

وفــاخَــرَتِ الــبـيـداءُ في وَشْـيِ بُــرْدِهـــا

ولمــا طــغتْ في جَــزْرِهــا بــعــد مَــدِّهــا

(سَـقَى كلَّ أرضٍ صـوبُـهـا فـوق حَـدِّهـا)

(وراوَحَـهـا[**] عُـقْبَى الـنَّسـيم بـلـيلُـهـا)

فــيـا لــيت شــعـري هل أرى بـعـد دارهـا

من الــعَــنْــبَــرِ الــورديِّ مَــوْقِــدَ نــارِهــا

وهـل نـــاشقٌ من رَنْــدِهـــا وعَـــرارِهـــا

(عــلـى أنّــهــا معْ قُــرْبِـهـا من مَـزارِهـا)

---

(١) من عيوب القافية أن يجعل الشاعر (الذي بها) بالياء. مع (رجالها وانسكابها) بالألف.

(*) **الأرض الجراز: الأرض المجدبة التي لا نبات فيها أو الأرض التي أُكل نبتها.**

(**) **في الطبعة (١): (ورواحها) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

(تلوحُ لعَيْني في البُعادِ تُلولُها)

قضيتُ بها عيشاً على الرغم ناعما

أرى صادحاً في صَفْحَتَيْهِ وباغِما[1]

فيوقظُ مَنْ قد كان في الطَّيْفِ حالما

(ولم يستمعْ فيها عَذولاً ولائما)

(إذا كانتِ الورقاءُ فيه عَذولُها)

فكم راكبٍ فوقَ الكُمَيْتِ وسابقٍ

بحَلبَةِ مَجْراهُ غَدا غيرَ لاحقٍ

إذا لَمَعَتْ في الليلِ لَمْعَةُ بارقٍ

(يَذُرُّ عليه بالسَّنا ضوءُ شارِقٍ)

(كما ذرَّهُ مِصْباحُها وفَتيلُها)

فكن مُسْعِدي يا سعدُ حين انقضائها

متى نَفَرَتْ جيرانُها من فِنائها

وأقَفَرَ ذاك المُنْحَنَى من ظِبائها

(وحَلَّ سوادُ في مكانِ ضيائها)

(وما أُعْطِيَتْ عند التَّوَسُّلِ سولُها)

فما العيشُ إلا مُنْيَةٌ أو مَنِيَّةٌ

به النفس ترضَى وهْيَ فيه حَرِيّةٌ

فهذي بُرودٌ نَسْجُها سُنْدُسِيَّةٌ

(وما النفسُ إلاّ فطرةٌ جَوْهَرِيةٌ)

(يروقُ لديها بالفعال جَميلُها)

ففيها يكونُ المرءُ شهماً مُعَظَّما

لدَى كلِّ من لاقاه يغدو مُكرَّما

فهذا تراه بالفَخار مُعَمَّما

(إذا المرءُ لم يجعلْ حِلاها تَحَلُّما)

---

(١) الصادح: الطير.. والباغم: الظباء.

(٢) في المجموعة (وظل) – كذا –

(فقد خابَ مَسْعَاها وضَلَّ مَقيلُها)[٢]

فألطفُ آثار الحبيب طُلولُها

وأنفسُ أطْرارِ السُّيوفِ نُصولُها[١]

فهذي المزايا قلَّ من قد يقولُها

(وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ عقولُها)

(وأحسنُ أنواعِ النّياقِ فحولُها)

كمالُ الفتى يحلو بحسنِ صفاتهِ

فيزهو لدى الأبصارِ لطفُ سِماتهِ[٢]

يفوقُ الفَتَى أقرانَهُ في هِباتهِ

(وهل يقبلُ الإنسانُ نَقْصاً لِذاتهِ)

(إذا كان أنوارُ الرجالِ عُقولُها)

فلا العِرْضُ من هذا الفَتَى بمدنَّسِ

إذا حلّ في نادٍ بخيرٍ مؤسَّسِ

وهذا الذي قد فاز في كلِّ أنفَسِ

(فكم أثمَرَتْ بالمجد أغصانُ أنفُسِ)

(إذا ما زكتْ أعراقُها وأصولُها)

يُؤرِقُني في ذكرهمْ حين يَعرِضُ

نسيمُ الصَّبا يسري أو البرقُ يومِضُ

أحِبَّةُ قلبي حين صدّوا وأعرضوا

(ويوحشُني مَنْ بالرُّصافةِ قوّضوا)[٣]

(ولي عَبَراتٌ في الديار أُجيلُها)

أرى جاهلاً قد نالَ في جَهْلِهِ المُنَى

كذا عالِماً عانَى على عِلْمِهِ العَنا

وذلك من جَوْرِ الزمان وما جَنَى

(ومن نَكَدِ الأيام أنْ يُحْرَمَ الغِنَى)

---

(١) في المجموعة (أطوار..) – كذا – وما أثبتناه أولى. واطرار جمع طرير وهو حد السيف.

(٢) في المجموعة فتزهو.

(٣) في المجموعة (وبوحش من بالرصافة قوضوا) ولا يستقيم معها المعنى ولا الوزن.

(كـريمٌ، ويـحـظَى بـالـثَّـراءِ بـخـيـلُـهـا)

أراني وأنْــــيـــاقي لإلفٍ وصـــاحـــبي

إلى جـانبٍ أصـبـو وتَـصْـبـو لجـانبِ

فـمـا بـالُـنـا لم نَـتَّـفِقْ في المـذاهبِ

(تَــحِنُّ إلى أرضِ الـعــراقِ ركـائـبي)

(وصَحْبي بـأرضِ الـشـامِ طابَ مَقيلُها)

فـهل تـسـمحُ الأيـامُ لي بـرجـوعِـهـا

فـأحـظَى بـأحـبـابٍ كـرامٍ جـمـيـعِـهـا

لـقـد عـاقَـني عـنـهـا نـوىً بـنـزوعِـهـا

(وأخّــرني عن جِــلَّقٍ وربـــوعِـــهـــا)

(علائقُ قـد أعْـيـا البَـخـاتي حـمولُـهـا)[1]

لـقـد عـادتِ الأيـامُ تـزهـو بـوصـلِـهـا

وإشـراقِ مَـحْـيـاهـا وأبـيضِ فِـعْـلِـهـا

تـذكّـرتُـهـا والـعـينُ غَـرْقَى بـوَبْـلِـهـا

(وعــاودَني ذِكْــرَى دمــشقَ وأهــلِــهـا)

(بـكـاءُ حـمـامـاتٍ شَـجـاني هـديـلُـهـا)

شَـجَـتْـني ومـا قـلبُ الـشـجيِّ كـقـلـبِـهـا

ولم تَـحْـكِ من عَـيْـنَيَّ مُـنْـهَلَّ صَـوْبِـهـا

فـمـا بَـرِحَتْ من شَـجْـوِهـا أو لحـبِّـهـا(*)

(تُــرَدِّدُ ألحـــانــاً كــأنَّ الــذي بـــهــا)

(منَ الـوَجْـدِ مـا بي والـدمـوعُ أُذيـلُـهـا)

مــنــازلُ أشــواقي ومَــنْــشَــا علاقَـتي

---

(١) البخاتي: جمع البخت وهو البعير [ومفردها بختي. والبختية وهي الإبل الخراسانية تنتج بين عربي وفالج، وقيل إن البخت عربي] انظر: لسان العرب. مادة (بخت) وفي الحديث يصف شعور النساء (كأسنمة البخت).

(*) **في الطبعة (١): (لجّها)، ولعل الصواب ما أثبتناه.**

وسكرُ صَباباتي بها وإفاقتي

حَلَفْتُ يميناً صادقاً جهدَ طاقَتي

(لئن بَلَّغَتْني رَمْلَ يبرينَ ناقتي)[1]

(عَلَيَّ حَرامٌ ظهرُها ومَشيلُها)

ولم أنسَ - لا أنسيتُ - في كلِّ ضامرٍ

وُقوفي على ربعِ لظمياءَ[*] داثرٍ

بحَسْرَةِ مَلْهوفٍ وصَفْقَةِ خاسرٍ

(وكم لي على جيرونَ وقفةُ حائرٍ)[2]

(له عَبَراتٌ أغرَقَتْهُ سُيولُها)

أَلَمْ تنظرِ الأرزاءَ كيف تَعَدَّدَتْ

وساعَدَتِ النَّحْسَ الشقيَّ وأسْعَدَتْ

قَعَدْنا وقامتْ أرذلونا فسُوِّدَتْ

(وكم باسقاتٍ بالرُّصافةِ أُقْعِدَتْ)

(على عَجْزِها حيثُ اسْتَطالَ فسيلُها)

لقد نالَها دنيا دَنِيٌّ تَجَبَّرا

فَتاهَ على أشْرافِها وتكبَّرا

وكان أذلَّ العالمين وأحْقَرا

(لحَا الله دنيا نالَها أحْقَرُ الورى)

(وتاهَ على القوم الكرام فُسولُها)

لعلَّ خُطوباً قد أساءتْ تَسُرُّني

عَواقِبُها حتّى أراها بأعيُني

وإنّي على وَهْني لِما قد أمَضَّني

---

(١) يبرين: عدة مواضع في بلاد العرب وبهذا الاسم منها قرية قرب حلب. وصقع في البحرين، معجم البلدان ٥/ ٤٢٧.

(٢) جيرون: حصن في دمشق، وقيل هي دمشق عينها. معجم البلدان ٣/ ١٩٩.

(*) **في الطبعة (١): (الظمياء) وهو خطأ طباعي.**

(٧٢)

وقال يرثي الشيخ بندر بن محمد بن ثامر آل السعدون[١] شيخ المنتفق [وهي

بَكتْ بدمٍ من بعد (عيسى) و(بندرٍ)[٣] ... عيونُ ذوي الحاجاتِ من كلِّ مَعْشَرِ

وأهْرقَتِ الدمعَ الغزيرَ عليهما ... لواعجُ حزنٍ في الجَوانحِ مُضْمَرِ

فلم تبقَ منه زفرةٌ ما تأجَّجَتْ ... ولا عَبْرةٌ من مقلةٍ لم تَحَدَّرِ

أقولُ لركبٍ راحَ يرتادُ منزلاً ... لربعٍ على نهرِ المَجَرّةِ مُقْفِرِ

سَرَى ضارباً في الأرض ما بينَ مُنْجِدٍ ... يخدُّ أخاديدَ الفَلاةِ ومُغْورِ

أقيموا عل قَبْرٍ ثَوى فيه (بندرٌ) ... صُدورَ المطايا ما ثوَى قبرُ (بندر)

ولا تَسْأموا من واكِفِ الدمعِ وامزجوا[*] ... من الحزن مُبْيَضَّ الدموعِ بأحمرِ

ولا تندبوا غيرَ المكارمِ والعُلا ... لعالٍ كما صَدْرِ القناةِ مُشَهَّرِ

بكيتُ فأكثرتُ البكاءَ وحُقَّ لي ... بكائي على وفدٍ منَ العزِّ مُكثرِ

وإنّي لمعذورٌ إذا ما بكيتُهُ ... بأكثرَ من قطرِ الغمامِ وأغْزَرِ

ولي عَبرةٌ لم تَرْقا عند ادّكاره[٤] ... كما ليَ فيه عبرةُ المُتَفَكِّرِ

وهيهات أنْ أسلوه يوماً وأنّني ... خلا منه يوماً خاطري وتذكُّري

حسامٌ صقيلُ المتنِ أُغمِدَ في الثَّرى ... ووارى ترابُ الأرض طلعَةَ نَيِّرِ

وقد كان لم يَحْجُبْ سناه بحاجبٍ ... ولم تَسْتَترْ أضواؤه بمُسَتِّرِ

فوا أسَفي إنْ كان يغني تأسُّفي ... وما حَذَري إنْ كان يجدي تحذُّري

وكنت أراني في النَّوائب صابراً ... فأعْدَمني صبري فأنَّى تَصَبُّري

وإنّي لَمَقبولُ المَعاذيرِ في الأسَى ... ومن يعتذرْ مثلي إلى الصبر يُعذَرِ

لقد ضِقْتُ ذرعاً بَعْدَ فِقدانِ باسلٍ ... منَ الصِّيدِ مفتولِ الذِّراعِ غَضَنْفَرِ

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٤).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في أصول الديوان وقد وردت في (مخطوطة شعر الأخرس) التي حققها ونشرها الدكتور يوسف عزالدين وهي رقم ٢ في المخطوطة. وأصل المخطوطة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم [٦٥٢٥].

(٣) الشيخ عيسى بن محمد بن ثامر آل السعدون. مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥).

(٤) في الأصل: لم ترقَ. والصواب بإثبات الألف وتخفيف الهمزة ولا يجوز حذف الألف.

(*) **في الطبعة (١): (وافرجوا) والصواب ما أثبتناه من مخطوطة شعر الأخرس، شاعر العراق في القرن التاسع عشر، تحقيق الدكتور يوسف عزالدين، منشورات دار البصري، بغداد ١٩٦٣م..**

وما سرّ نفسي بعده ما يسرّها
ولا راقَ - ما قد راقَ - شيءٌ لِمَنظري

فيا عَبَراتي كلّ آنٍ تَحَدَّري
ويا نارَ أحشائي عليه تَسَعَّري

فقد غاضَ بحرٌ كلَّما مَدَّ راحةً
إلى الوَفْدِ فاضَتْ منه خَمسةُ أبْحُر

فَتَسْخَرُ من وبلِ السَّحاب أكفُّهُ
بأبرعَ من وبلِ السَّحاب المُسَخَّر[1]

إلى الله خطبٌ كلَّ يومٍ يُعادُ لي
بـرُزْءٍ من الأرزاءِ يقطعُ أبْهَري

مُصابٌ أُصيبَتْ فيه (آلُ محمدٍ)
برغم العَوالي من وشيجٍ وسَمْهَري[2]

أصيبتْ بقَومٍ(*) ما أصيبتْ ولم تُصَبْ
به (مُضَرُ الحمرا) ولا آلُ (حِمْيَر)

أرتَنْا المنايا كيف تُصمي سهامُها
وكيف تصولُ النائباتُ وتَجْتَري

ولو أنَّه يُفدَى فَدَتْهُ أماجدٌ
ترى الموتَ - إلاّ فيه - أربحَ مَتْجَر

ولو أنه يدعو الكُماةَ لنَصْرِه
عليها أجابَتْهُ بنصرٍ مؤَزَّر

ولكنها اغْتالَتْهُ إذْ ذاكَ غيلةً
ولم تَمتَنِعْ عنه بجندٍ وعَسْكر

خُذي مَنْ تَشائي بَعْدَ أخْذِك (بندراً)
من الناسِ من قد شِئْتِهِ وتَخَيَّري

فما كان مَفْقودٌ تَشُقُّ جُيوبَها
عليه المعالي يومَ مجدٍ ومَفْخَر

سقاكَ الحَيا المُنهلُّ يا قبرَ (بندرٍ)
وحيّاكَ مُهْراقُ الغَمامِ المُمَطِّر

سألتكَ والأجفانُ يَرْفَضُّ ماؤها
عن الضَّيْغَمِ العادي فهل أنت مُخْبِري

تدلّى عقيراً فيك والحتفُ صارمٌ
لعمري متى يُعْقَرْ به الليثُ يُعْقَر

محاسنُ ذاك الوَجْهِ كيف تغيّرتْ
وكان على الأيام لم تَتَغَيَّر

وكان يُلاقي ضَيْفَهُ مُتَهلّلاً
بوَجْهٍ صَباحٍ بالمحاسنِ مُسْفِر

وقد نُكِّرتْ من بعد عِلْمي بأنَّها
معارفُ للمعروفِ لم تَتَنكَّر

مضَى لا مضَى إلاّ إلى عَفْوِ ربِّهِ
ومَسْرَحِ جناتٍ ومورِدِ كوثر

فهل وَدَّعَتْهُ المَشرَفيّةُ والقَنا
وناحتْ عليه البيضُ في كلِّ مَحْضَر

لمن تَركَ الخَيْلَ الجيادَ كأنّها

---

(١) في الأصل: وبل الحساب. وهي من غلط الطباعة.

(٢) في الأصل: (من مشيح..) بالحاء المهملة وكتب المحقق في الحاشية: في نسخة ش و ب (من نشيج). قلت: والصواب ما أثبتناه والوشيج هو الرمح.

(*) في الطبعة (١) وفي مخطوطة شعر الأخرس :(بقوم) ولعل صوابها (بقرم).

صَـواهِـلَ يَـعْـشَـقْنَ الـطـرادَ بمـوقفٍ ... عــرائسُ مــا زُفَّتْ لــغـيـر مُـظَـفَّـر

دَعَـوْنـاه لـلـجَـدْوَى مِـراراً فـلـم يُـجبْ ... تـبيعُ الـردى فـيه الـكُمـاةُ وتـشـتـري

وكــان من الــداعي بمــرآى ومــســمـعٍ ... دُعــاءً لــنــا عن عِــزَّةٍ وتــكــبُّــر

قـريبٌ منَ الحُـسْنَى مـجـيبٌ لمن دعَـا ... وفـي مـنـظـرٍ ممّـا يـروقُ ومَـخْـبَـر

تُـراه سَلانـا بـعـد هـذا بـغـيـرنـا ... زعـيمٌ بـأخـذ الـفـارسِ الـمُـتَـجَـبِّـر

ألم يَـدْرِ أنَّ الـمُـلكَ أُهـمِلَ بـعـده ... بـأرغَـدِ عـيشٍ أم بـأكـرمِ مَـعْـشَـر

وأنَّ بـني الـعـلـيـاءِ ضـاقتْ صُـدورُهـا ... ولـيس سـوى (فـهـدٍ) له من مُـدَبِّـر[1]

ومن نَـظَـرَ الأيـامَ مُـعْـتَـبِـراً بـهـا ... لـفـقـدانِ ذاكَ الـسـيّـدِ الـمُـتَـصَـدِّر

تحـذّرنـا صَـرْفُ المـنـونِ نُـزولَـهـا ... رآهـا بـعـين الـذاهلِ الـمُـتَـحَـيِّـر

ونَـغْـتَـرُّ بـالآمـالِ لا في سَـرابـهـا[2] ... وتُـنْـذِرُنـا في كلِّ يـومٍ بمُـنْـذِرِ

ونـبكي عـلى الـدنـيا عـلى غـيـر طـائلٍ ... شـرابٌ ولا مـنـهـا ورودٌ لمـصـدر

نـؤمّلُ فـيـهـا أنْ يـدومَ لـنـا بـهـا ... ومـا أحـدٌ من أهـلـهـا بمُـعَـمَّـر

ونـطمعُ مـنـهـا بـالـمُـحـال ولم تـكنْ ... حياةٌ وما دامتْ لـ (كسرى) و(قيصر)

وهـذي هيَ الآجـالُ قـد قُـدِّرتْ لـنـا ... أمـانـيُّـنـا إلاّ أحـاديثَ مُـفْـتَـر

ولا بـد أن يُـمْـشَى بـنـا فـوقَ أرْبَعٍ ... ولـم يَـنَلِ الإنـسـانُ مـا لـم يُـقـدَّر

ولـو أنـنـا كـنّـا بـقـصـرٍ مُـشَـيَّـدٍ ... إلى حـفـرةٍ لا مِـشْـيَـةَ الـمُـتَـبَـخْـتِر

وإنَّ المـنـايـا كـائـنـاتٌ لِـوَقْـتِـهـا ... وحـصنٍ حـصـينٍ بـالحـديـدِ مُـسَـوَّر

ولا وَزَرٌ ممـا قَـضَى الـلـه عـاصمٌ ... إذا قُـدِّمتْ لـلـمـرءِ لم تَـتَـأخَّـر

عـلى أنـهـا الـدنـيا إذا مـا صـفـا لـنا ... ولا يُـتّـقَى مـنه بـدرعٍ ومِـغْـفَـر

ومن تـرك الـدنـيـا رآهـا بـعـيـنهِ ... بـهـا الـعيشُ شـابتْ صَـفْوَه بمـكدّر

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٥).

(٢) في الأصل: وتغتر. وهي من غلط الطباعة.

(٣) في الأصل: أضفر (كذا).

(٧٣)

أتُــرى في الــوجــود مــثــلُكَ عــالِمْ ... يَــردُ الــنــاسُ بَــحْــرَهُ الــمُــتَلاطمْ[٢]

أنت من أشــرف الــعــوالِمِ ذاتــاً ... إنمــا هــذه الــرجــالُ عَــوالم

أظْــهَــرَ الــلـهُ فـيك لــلــنــاسِ سِــرّاً ... مــا لــذاك الــسِّــرِّ الــرُّبُــوبيِّ كــاتم

ولكَ الــلـهُ مــا بــرحتَ صــراطــاً ... مــســتــقــيــمًــا وعــارضــاً مــتــراكم

كلُّ ظــامٍ عــلى مَــنــاهلِ مــا أُو ... تــيتَ من فــضلِ [ربِّــكمْ هــو](*) حــايم

تَــتَــلَــقَّى الأفْــهــامُ مــنكَ ومــا تَــنْــ ... ــطِقُ إلاّ بــالحقِّ والحَقُّ نــاجم

كــلــمــاتٌ كــأنــهن سُــيــوفٌ ... أين من فَــضْــلِكَ الــسُّــيوفُ الــصَّوارم

يــا قِــوامَ الــدينِ الحَــنــيــفيّ والــديــ ... ــنُ لــعــمــري بمــثل ذاتِكَ قــائم

إنّــمــا أنتَ رحــمــةُ الــلـهِ في الأر ... ضِ عــلى أمَّــةٍ لــهــا الــلـهُ راحم

أنتَ لــلــحقِّ والــيــقــينِ صــبــاحٌ ... راحَ يــجــلــو لــيلاً من الــشكِّ فــاحم

شَــهِــدَ الــله أنَّــهــا مــعــجــزاتٌ ... لم تُــسَــلِّمْ بــالحقِّ من لا يُــســالم

حُــجَجٌ تُــفْــحِمُ الــمُــجادِلَ بــالــبــا ... طِلِ والجــاحــدَ الألَــدّ الــمُــخــاصم

وَضَــعَت لــلــوَرى مَــوازينَ بــالــقــســ ... ــطِ وفــيــهــا لا زالَ دفعُ المــظــالم

طــاوَلَتْ هــذه الــسَّــمــاءَ بــأيــدٍ ... قَــصَّــرتْ دونَــهــا يــدا كلِّ ظــالم

قــد رأيــنــا ولــلــيــالي صــروفٌ ... قــطَّــبتْ وَجْــهَــهــا وثَــغْــرُكَ بــاسم

لا تُــبــالي إذا حــكــمْتَ بــأمــر الــ ... ــله والــعــدلِ بــالــذي أنتَ حــاكم

آمِــرٌ بــالمــعــروف نــاهٍ عن الــمُــنــ ... ــكــرِ آتٍ بــالحقّ مــاضي الــعَــزائم

وإذا مــا أمــرتَ لــلـه أمــراً ... لــستَ تَــخْــشَى في الــله لــومَــةَ لائم

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الديوان المطبوع. وهي موجودة في مخطوطة الديوان تحت رقم (٦١٤) في مكتبة المجمع العلمي العراقي. وقد نشرتها الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي في المجلد (٢٧) من مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧٦م.

(*) **عجز البيت مكسور، ولعل صواب النص:**

كل ظامٍ على مناهل ما أو ... تيتَ من فضل [ربكم هو] حايم

لكَ جِدُّ الكلامُ والكَلِمُ الطيْـ ... ـيبُ يؤتي كلَّ امرئٍ ما يُلائم

نَبَّهَتْ من أرَدْتَ من سِنَةِ الغفـ ... ـلَةِ فاسْتَيْقَظَ الذي كان نائم

رجعَ المجرمُ الذي اقترفَ الذنـ ... ـبَ مُنيباً فيها وأصبحَ نادم

أعْرَبتْ عن بلاغةٍ لكَ أقلا ... مُ فِصاحُ الإعرابِ وهْيَ أعاجم

غَرَّدتْ ما جَرَتْ بأيديكَ في الطِّر ... سِ شَبيهاً تغريدُها بالحمائم

نافِثاتٌ وهْي الجَداولُ للفضـ ... ـلِ بقلبِ العدا سُمومَ الأراقم

اتَّبعنا بالحقِّ ملّة (إبرا ... هيمَ) حُنْفاً[*] والحقُّ بالحقِّ قائم

واتَّخذْناه قبْلَةً وإماماً ... ومُشيدَ البيتِ الرفيعِ الدعائم

أنتَ لا غيرُكَ الإمامُ لِقَوْمٍ ... سلكوا في الندى سبيلَ المكارم

نشروا ذكر ما طوته الليالي ... قبلَ هذا من عهدِ كعبٍ وحاتم[1]

كتَبوا فوقَ جَبْهَةِ الدهر أنّ الدْ ... ـدَهْرَ عبدٌ لهم رقيقٌ وخادم

زهدوا في الدُّنا فما راقَهمْ فيـ ... ـها نَفيسٌ منَ الغِنَى والغَنائم

دَرَّ دَرُّ النَّدى أعاد أكُفّاً ... من أناسٍ أعداؤهنَّ الدَّراهم

بأبي سادةُ الأنامِ جميعاً ... وهُداةُ الأنامِ أبناءُ (هاشم)

من لُيوثٍ ضَراغِمٍ وغُيوثٍ ... وبُحورٍ سَواجمٍ[**] وخَضارِمِ

قالَ منهمْ للمَكْرُماتِ قَؤولٌ ... هكذا هكذا تكونُ المَكارم

يَتَعَدَّى جَميلُ فعلهمُ النا ... سَ وإنْ كان ذلك الفعلُ لازم

طَهَّرَ اللهُ ذاتَهمْ واصطفاهمْ ... قَبْلَ ما يُنْتَجونَ من صُلْبِ آدم

دائمُ الفخرِ خالدُ الذكرِ ما غيـ ... ـرَ فَخارٍ لكم مَدَى الدهرِ دائم

واردٌ شِرْعَةَ العلومِ التي ليـ ... ـسَ عليها إذا وَرَدْتَ مُزاحِم

لم يَنَلْها سِواكَ نعمةَ مَوْلًى ... أنتَ فيها تحلُّ فَوْقَ[***] النعايم

طالما حَثْحَثَ النياقَ حثيثاً ... راغبٌ في بديعِ فضلكَ هائم

قد وَفَدْنا على كريمٍ إذا اسْتُجْـ ... ـديَ جادتْ يَمينُهُ بالكرائم

---

(١) كعب بن مامة وحاتم الطائي وهما من كرماء العرب ومرت ترجمتها في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٠).

(*) في الطبعة (١): (حنيفاً) ، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (سواهم) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(***) في الطبعة (١): (طوق) ولعل الصواب ما أثبتناه.

وَوقَفْنا بموقِفِ العلمِ والتَّدْ ... ريسِ والفضلِ والنَّدى والمكارم

وشَهِدْنا مَعالمَ المجدِ فيها ... قد تَعالتْ فيا لَها من مَعالم

ثم شِمْنا برقَ المكارمِ قد لا ... حَ سَناهُ من بينِ تلكَ المَباسِمِ

ولَثَمْنا يَدَيْ عظيمٍ قريبٍ ... من عظيمٍ نُعِدُّهُ للعَظائم

كَشَفَتْ غُمَّةَ النَّوائبِ عنّا ... ثم نابتْ لنا مَنابَ الغَمائم

لم تزلْ تُتْبِعُ الجَميلَ جَميلاً ... فهْي إذْ ذاك ساجمٌ إثرَ ساجم

هذه سيّدي عَريضَةُ داعيـ ... ـكَ وكانت عن الوِدادِ تَراجِم

كلّما أثْبَتَتْ مَديحَكَ فيها ... كان إثباتُها لِمَحْوِ المآثم

أطلبُ العَفْوَ في مديحكَ والغُفْـ ... ـرانَ والصَّفْحَ عن جميع الجرائم

فتقبّلْ مني وما زالَ قِدْماً ... ناثراً في مَديحِكَ العبدُ ناظم

(٧٤)

يا ابن الخيزيم وافَتْنا رسائلُكمْ ... مَشْحُونةً بضُروبِ الفَضْلِ والأدَبِ

جاءَتْ بأعْذَبِ ألفاظٍ منظَمةً ... حتى لقد خِلْتُها ضَرْباً من الضَّرَبِ[٢]

زَهَتْ بأوصافِ من تعنيه وابتَهَجَتْ ... كما زهتْ كأسُها الصَّهباءُ بالحَبَبِ

عَلَّلْتمونا بكُتْبٍ منكُمُ وَرَدَتْ ... وربَّما نفعَ التَّعليلُ بالكُتُبِ

فيها من الشَّوْقِ أضعافٌ مُضاعَفَةٌ ... تطوي جَوانِحَ مُشْتاقٍ على لَهَبِ

وربَّما عَرَضَتْ باللّطفِ واعترضتْ ... دعابةٌ هي بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

قَضَيْتُ من حُسْنِ ما أبدَعْتَهُ عَجَباً ... وأنْتَ تقضي على الإحسانِ بالعَجَبِ

فنحنُ ممّا انتَشَيْنا من عُذوبتِها ... ببنتِ فكرِكَ نلهو لا ابْنَةِ العِنَبِ

فأطربتْنا وهَزَّتْنا فصاحَتُها ... فلا بَرِحْتَ مَدى الأيام في طَرَبِ

---

(١) هو عيسى بن محمد المخيزيم ولد في إحدى السنوات العشر الأولى من القرن الثالث عشر الهجري، له تجارة واسعة وأعمال خير كثيرة وصلات مع عدد كبير من الناس في داخل الكويت وفي خارجها، وقد توفي في أواخر القرن المذكور، له ترجمة في كتاب «محسنون من بلدي» ص ٦٣٥ – ٦٤٠، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، بيت الزكاة، الكويت

(٢) الضرب: العسل.

أمَّا (النقيبانِ) أعلى الله قَدْرَهُما[1] في الخافِقَينِ ونالا أرْفَعَ الرُّتَب

الطّاهرانِ النَّجيبان اللّذان هما من خيرِ أمٍّ زكَتْ أعْراقُها وأب

دامَ (السَّعيدُ) لديكمْ في سعادته[2] وسالمٌ سالماً من حادثِ النُّوَب

إنَّ الكويتَ حَماها اللهُ قد بَلَغَتْ بـ(اليوسُفَينِ) مكانَ السَّبعةِ الشُّهُب

تالله ما سَمِعَتْ أذْني ولا بَصُرَتْ عَيْني بعزِّهما في سائرِ العربِ

فـ(يوسُفُ بنُ صَبيحٍ) طيبُ عُنْصُرِهِ[3] أذكى منَ المسكِ إن يَعْبَقْ وإن يَطِبِ

و(يوسُف البَدرِ) في سَعْدٍ وفي شَرَفٍ[4] بدرُ الأماجد لم يَغْرُبْ ولم يَغِبِ

فَخْرُ الأكارم والأمجادِ قاطبةً وآفَةُ الفضّةِ البيضاءِ والذَّهَب

من كلِّ من بُسِطَتْ في الجود راحَتُهُ صَوْبُ المكارمِ من أيديهِ في وَصَب

لولا أمورٌ أعاقَتْنا عَوائقُها جئنا إليكمْ ولو حَبْواً على الرُّكَب

---

(١) النقيبان هما السيد محمد سعيد بن السيد طالب الرفاعي وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢). وأخوه السيد عبدالرحمن بن السيد طالب الرفاعي البصري نقيب البصرة يتصل نسبه بالسيد شعبان نقيب مندلي. ولي أمر النقابة بعد أبيه. واشتهر أمره وقصده العلماء والشيوخ وأرباب الحاجات وكان عظيم المنزلة في قلوب الولاة والحكام. وكان يضرب المثل بكرمه وجوده، وقد ذكر إبراهيم فصيح الحيدري أن عبدالرحمن وأخاه محمد سعيد قد استوليا على أملاك وأموال بيت المفتي الحلي عند انقراضهم وتوفي في البصرة سنة ١٢٩١هـ. انظر عنوان المجد ١٦٤ وتنوير الأبصار ص١٣٥.

(٢) يعني به السيد محمد سعيد نقيب البصرة ويفهم منها أن النقيب كان في الكويت تلك الفترة.

(٣) يوسف الصبيح تاجر معاصر للتاجر يوسف البدر كان واسع الثراء، ولكنه لم يبخل بما له في سبيل الخير ولم يتوقف عن مدِّ يد العون إلى محتاج، فكان يبادر إلى تقديم ما لديه من إمكانات مادية يفرج بها كربة مكروب أو يقضي بها دين مدين، أو يسد حاجة مسكين. ترجمته في كتاب (محسنون من بلدي) ص ١٦٦٣ – ١٦٦.

(٤) يوسف البدر من تجار الكويت المشهورين، كانت له تجارة واسعة في تصدير الخيل إلى الهند، كما كان مشتغلاً ببعض أعمال الغوص (الطواشة) كانت له أعمال خير كثيرة مشهورة، توفي في سنة ١٨٧٩م، (ترجمته في (محسنون من بلدي) ص ١٧٦ – ١٧١، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، بيت الزكاة، الكويت.

(٧٥)

تَـذَكَّـرَ في رُبـوعِ الـضّـالِ عَـهْـدا | فـزادَ به وجـودُ الـذكـرِ وَجْـدا
وأضْـنـاه الـهَـوَى بـغـرامِ (نجـدٍ) | فـأَصـبحَ بـالـضّـنى عَـظْـمـاً وجِلْـدا
وشـامتْ مـنه أعْـيُـنُهُ فـأورَى | وَمـيضُ الـبـرقِ في الأحْـشـاءِ زنـدا
فَـمَنْ لِـجَـوانحٍ مُـلِـئَت غـرامـاً | كـمـا مُـلـئتْ عـيـونُ الـصَّبِّ سُـهْـدا
وفي تـلكَ المـنـازلِ كـان قـلـبي | فـمُـذْ فَـقَـدَ الأحـبَّـةَ راحَ فَـقْـدا
سَـقَى أطلالَ (رامَـةَ) في غـوادٍ | تُـخَـدِّدُ ثَمَّ وَجْهَ الأرضِ خَـدّا
وحـيّـاهـا حَـيـاً يـحـكي دمـوعي | بـهـا، يـسـقي لـهـا[*] عَـلَـمـاً ووَهْـدا
وكـيف سُـلُـوُّ أهلِ (الخَـيْفِ) ودّي | ولم أسْـلَى[**] لـهمْ في الـبَـيْنِ ودّا[٢]
تَـصَـدّى ظَـبْيُ (لَـعْـلَعَ) في تلافي | وأسْـلَـبَـني الـتَّـصَـبُّـرَ حـين صَـدّا
وظُـلْمُ مـنه حَـرَّمَ رَشْفَ ظَـلْمٍ[٣] | سِـواه لا يُـريـني الـوَجْـدَ بَـردا
ولم يـعـطِفْ عـلى دَنِفٍ كـئـيبٍ | وقـد حـاكى غُـصـونَ الـبـان قَـدّا
أعِـيـنـا مُـغْـرَمَ الـعَـيْـنـينِ صـبّـاً | تَـعـدّته الـسّـهـامُ ومـا تَـعَـدَّى
لـعـمـرك مـا الـهـوى إلاّ هـوانٌ | ومَن رامَ الـمِـلاحَ ومـا تـردّى؟[٤]
وكم مـولىً تـعـرّضَ لـلـتَّـصـابي | فَـصَـيَّـرَهُ الـهَـوَى بـالـرغمِ عَـبْـدا

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) في الأصول: ولم أسلا لهم.

(٣) الظلم بفتح الظاء. ماء الأسنان. قال الشاعر:

من لم يجد ظلم الحبيب كظلمه | حلوًا فقد جهل المحبة وادعى(**)

(٤) في حديثة الورود: ومن راد.

(*) **في الطبعة (١): (أسلُ) وصوابها من الطراز الأنفس.**

(**) **الشاعر هو كمال الدين ابن النبيه، من شعراء العصر الأيوبي، توفي عام ١٢٢٢م، ونص البيت:**

من لم يذق ظُلم الحبيب كظَلْمِهِ | حلوًا فقد جهل المحبَّةَ وادّعى

خـلـيـليَّ اسْـلُـكـا فـيـنـا حـديـثـاً ... لـنـجـفـو عـنـده سَـلـمى وسُـعـدى

وهــاتـا لي بـ(مـحـمـودٍ) مَـديـحـاً ... وقُــولا فــيه مَــدْحــاً مــا تَــوَدّا

به الــــرحــــمنُ أودعَ كلَّ فــــضلٍ ... وفي بُــردِ الــفــضــائلِ قــد تــردّى

إذا عـــــدّوا أكــــابــــرَ كلِّ قــــومٍ ... فـــأوّلُ مـــا جــنـــابُ عُلاه عُــدّا

لـــقــد زرعَ الجــمــيلَ بــكلِّ قــلبٍ ... فــكلٌّ فــاهَ في عــلــيــاهُ حَـمْـدا

وحَلَّ له عــلى الإسلامِ شــــكــرٌ[*] ... فــصــار عــلــيــهمُ فَــرْضــاً يُـؤدَّى

وَعَمَّ ثــنـــاؤه شــرقــاً وغــربــاً ... وسَــيَّـــرَ ذكــرُهُ غَــوْراً ونَــجْــدا

ويَــبْــسُطُ راحَــةً تــنــهلُّ جــوداً ... أحَبُّ مَــكــارمِ الــكُــرَمــاءِ وَفْــدا

ونُــورَدُ من يَــديْه إذا ظَــمِــئــنــا ... فــيـسـقـيـنـا بـذاكَ الـكفِّ شـهـدا

ونَــدْفَعُ في عِــنــايَــتِه خُــطــوبــاً ... إذا أضـحـتْ لـنـا خَـصْـمـاً ألـدّا

مــتى يَــمَّــمْــتَهُ تَــجْــدو نَــداهُ ... أفــادكَ من كلا الــبَــحْــرَيْنِ رِفْــدا

فــهــذا أعــلمُ الــعُــلَــمــاءِ طُــرّاً ... وأكـــرمُ من أفـــادَ نـــدىً وأجْـــدَى

وكم من حــاســدٍ لــعلاهُ يــومــاً ... فـمـاتَ بـغـيـظه حَـسَـداً وحِـقْـدا

وأمَّلَ مَــجْــدَهُ فَــغَــدا كــلــيلاً ... ورامَ بــلــوغَ هِــمَّــتِهِ فــأكْــدَى

أرَدنــا أنْ نَــعُــدَّ له صــفــاتٍ[1] ... فـمـا اسْـطَـعْـنـا لـذاك الـفَـضْلِ عَـدّا

وحــاولْــنــا نَــرومُ له نَــظــيــراً ... فـكـان[**] بـعـصـرنـا في الـنـاسِ فَـرْدا

تَـقَـلَّـدَ مـنه هـذا الـدينُ سـيـفـاً ... وزيّنَ فـيه هـذا الـعـصـرُ عِـقْـدا

وقُـلـنـا كـالحُـسـامِ الـعَـضْبِ عَـزْمـاً ... فــفــاقَ[***] غِــرارَهُ قَــطْــعــاً وحَــدّا

وَقِــسْــنــا كــفّه بــالمــزنِ جــوداً ... فــكــان يَــمــيــنُهُ من ذاك أنْــدَى

ويَــمْــزِجُ لُــطْــفَهُ آنَــا وَقــاراً ... يــذوبُ فــكــاهــةً ويــشــدُّ وَجْــدا

وهَــدَّ عــقــيــدةَ الأغْــيــارِ هَــدّا[2]

---

(١) في الأصول: صفاتا.

(٢) أغيار: جمع غير، وهو يقصد هنا (غيرنا) وهي غير سليمة وفي النسخ الخطية (الأعجام) وكأن النساخ بدلوها.

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (شكراً) ولعل الصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (فان) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (نفاق) وصوابها من الطراز الأنفس.

وصالَ بمُحْكَمِ الآياتِ يوماً ... فَحَيَّرَهُمْ بما أخْفَى وأبْدى

أبانَ لأهلِ (إيرانٍ) بَياناً[١] ... وكيف الحقُ يُنْكَرُ إذْ تَبَدّى

دَلائلَ ما استطاعوا ينكروها[٢] ... يكونُ له مَدَى الأيامِ مَدّاً[٣][*]

وبَحْرٌ ما له جَزْرٌ ولكنْ ... ويركبُ من خيولِ العَزْمِ جُرْدا

يُجَرِّدُ من سيوف الله بيضاً ... فقد نالوا به عِزّاً ومَجْدا

كفَى أهلَ (العراقِ) به افْتِخاراً ... تروِمُ بعِلْمِه للحَقِّ رُشْدا

فما ضَلّتْ لعَمرُ أبيك قومٌ ... وما أرضَى بها إلاّكَ يُفْدَى

بروحي واطِئُ هامَ المعالي ... فنلتَ بذاك توفيقاً وسَعْدا

طَلَبْتَ العِلْمَ لا طَلَباً لمالٍ ... إليكَ من القليلِ الأرضُ تُهْدَى

ولو يُعْطَى الرجالُ على حِجاها ... وهُمْ جِيَفٌ وشَمُّوا منكَ نَدّا

ولمْ لا منكَ تَغْتاظُ الأعادي[٤] ... وهيهات التَّقاربُ صار بُعْدا

فَظَنُّوا قاربوكَ بكلِّ شيءٍ ... مَدَى أيامِه شكراً وحَمْدا

عليكَ (أبا الثناءِ) يُبُثُّ عَبْدٌ ... ولا نَبْغي سِوى المَرْضاةِ قَصْدا

(٧٦)

خُذْ بالمَسَرَّةِ واغْنَمْ لذَّةَ الطَّرَبِ ... وزوِّجِ ابنَ سَماءٍ بابْنَةِ العِنَبِ[٧][***]

(١) يشير إلى كتابه (الأجوبة العراقية عن المسائل الإيرانية).

(٢) الصواب: ينكرونها. ويختل معها وزن البيت.

(٣) الصواب: يكون له مدى الأيام مدٌّ.

(٤) في الديوان المطبوع: تغتاظ (كذا).

(٥) في الأصول: نقيد باسمك.. وفي حديقة الورود (نعيد باسمك). وهو أنسب ولذلك أثبتناه.

(٦) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢).

(٧) غناها الأستاذ محمد القبانجي بمقام (البيات).

(*) بل صوابها (مَدّا) لأن الشاعر أراد أن يكون المدى مداً لبحر الممدوح وعلى هذا فهي منصوبة لأنها خبر يكون، وهي كذلك في الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (نعيد) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) ورد عجز البيت بشكل متطابق لدى كل من محمد بن موسى المقدسي وصفي الدين الحلي.

واشْرَبْ على نَغَمِ الأوتارِ صافيةً ... مُذابةً في لُجَيْنِ الكأسِ من ذَهَب

ولا تُضعِ فرصةً جادَ الزمانُ بها ... ساعاتِ أنْسِكَ بين الجِدِّ(*) واللعب

أما تَرى الروضَ قد حاكتْ مَطارِفَهُ ... أيدي الربيعِ وجادتْها يَدُ السُّحُب

والوردَ قد ظهرتْ بالحُسْنِ(**) شوكَتُهُ ... وخُضِّبَتْ وَجْنَتاهُ من دَمٍ كَذِب

وزانَ ما راقَ دمعَ الطلِّ حينَ بَدا ... تبسّمُ الأقحوان الغَضِّ عن شَنَب

والرّاحُ منعشةُ الأرواح إنْ مُزِجَتْ ... صاغَ المزاجُ لها تاجاً منَ الحَبَب

وإن بَدَتْ وظلامُ الليلِ مُعْتَكِرٌ ... رَمَتْ شياطينَ همِّ المرءِ بالشُّهُب

داوِ بها كلَّ ما تشكوه من وَصَبٍ ... ففي المدامةِ ما يَشْفي منَ الوَصَب

ودُرْ بحيثُ تَرى الأقداحَ دائرةً ... فإنها لِمَدارِ الأنْسِ كالقُطُب

يعودُ ما فاتَ من عَهْدِ الشّبابِ بها ... يَشِبُّ فيها مُعاطيها ولم يَشِب

يَمُجُّ منها فَمُ الإبريقِ رائقةً ... تخالُها أنها صِيغَتْ من اللَّهَب

في جنَّةٍ راقَ للأبصار رَوْنَقُها ... وأدمعُ المزنِ ما تنفكُّ في صَبَب

والوُرْقُ تُمْلي من الأوراقِ ما خَطَبَتْ ... على منابرِ غصنِ الدوحِ من خُطَب

وما بَرِحْتُ لأيامٍ مَضَتْ طَرِباً ... داعي المَسَرَّةِ والأفراحِ يهتفُ بي

حتّى إذا العيدُ وافانا بغُرَّته ... أقَرَّ شَوّالُ عَيْني في (أبي رَجَب)(١)

بالسيِّدِ العَلَويِّ الهاشميِّ لنا ... فوزٌ يؤمَّلُ من قَصْدٍ ومن أرَب

أحيتْ مكارمُهُ ما كنتُ أعْرِفُها ... منَ الأوائلِ في الماضي من الحِقَب

اللهُ ألْهَمَهُ فَهْماً ومعرفةً ... وحُسْنَ خُلْقٍ وحِلْماً غيرَ مُكتَسَب

إني أُباهي به الأشْرافَ أجمعَها ... بذلك النَّسَبِ العالي لِذِي(***) حَسَب

فداوُه كلُّ مَمْقوتٍ بشانئه ... فلا إلى حَسَبٍ يُعْزَى ولا نَسَب

هو (السَّعيدُ) الذي يَشْقَى العدوُّ بهِ ... من ذا يُعاديه في الدنيا ولم يَخِب

---

(١) أبورجب. هو السيد محمد سعيد. وولده رجب والد السيد طالب النقيب وزير الداخلية الأسبق في العهد الملكي ببغداد.

(*) في الطبعة (١): (المجد) والطباق والمقابلة التي اشتهر بهما الشاعر يقتضيان أن تكون (الجد) وتم تصويبها على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (بالحسف) وصوابها من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (الذي) وصوابها من الطراز الأنفس.

لَمّا دعاه وليُّ الأمر مُنْتَدِباً ... أجابَهُ وأراه خَيْرَ مُنْتَدَب
دعاه مُسْتَنْصِراً في عسكرٍ لَجِبٍ ... وقد ينوبُ منابَ العسكرِ اللَّجِب
فسار مُسْتَصْحِبَ (التَّوفيق) يومئذٍ[1] ... فسار أكرمَ مصحوبٍ ومُصْطَحَب
وصار تَدْبيرُهُ يُغْني عساكِرَهُ ... عن الكتائب بالأقلام والكُتُب
كم كربةٍ نَفَّسَتْ للجيش هِمَّتَهُ ... فَحَقُّهُ أنْ يُسَمَّى كاشِفَ الكُرب
دعا إلى طاعةِ السلطانِ فاجْتَمَعَتْ ... له القبائلُ من بُعْدٍ ومن قُرُب
لقد أجابته وانقادتْ لطاعَته ... ولو دَعاها سوى علياه لم تُجِب
أراعَهُمْ ما أراهمْ من مَكارمه[2] ... وجاءَ من بِرِّهِ المعروف بالعَجَب
تلك المزايا لأجْدادٍ له سَلَفَتْ ... فأعْقَبَ اللهُ ما للمجدِ من عَقِب
من سادةٍ شَرّفَ اللهُ الوجودَ بهمْ ... قد أورثوها عَلاءً من أبٍ فأب
فلم تَجِدْ من لِسانٍ غيرَ منطلقٍ ... ولا فؤاداً إليهم غيرَ مُنْجَذِب
فلا تَقِسْهُمْ بقومٍ دونهمْ شَرَفاً ... يوماً وكيف يُقاسُ الرأسُ بالذَّنب
لقد كفَى العسكرَ المنصورَ نائبةً ... تَجْثو لها نُوَبُ الدنيا على الرُّكَب
وقَوَّمتْ كلَّ مُعْوَجٍّ صَوارِمُهُ ... وسَكَّنَتْ منذُ وافَى كلَّ مضطرب
وأسْعَدَ اللهُ مولانا (الفريقَ) به ... فكان ثابتَ سَعْدٍ غيرِ مُنْقَلِب
وكان أعظمَ أسْبابِ الفُتوحِ له ... فيا له سَبَبًا(*) ناهيك من سَبَب

---

(١) الفريق أحمد باشا توفيق باشا. ذكره سليمان فائق فقال: «كان قائمقامًا مدة، ودام في رئاسة الجيش نحو سنة. فكان عارفًا بالمهمة وله كفاءة وقدرة على العمل، إذ كان يتطلع للمصلحة من طرف خفي ويعلم بالنافع والضار، فجاء المنصب عن خبرة فاتصل به مباشرة اتصال عارف.. فمنع الإسراف في المال وأزال الحيف الذي أجراه الوالي السابق في الالتزامات وتوقى المصاريف الزائدة فاقتصد كثيرًا..» وقد كان رئيس الفيلق السادس، وساهم في حملة نافذ باشا على الأحساء وفي هذه القصيدة إشارة إلى تلك الحملة. وعند قدومه قائمقامًا ببغداد مدحه الشاعر عبدالباقي العمري بقصيدة جاء فيها:

جاء أمر لسلطان يصحبه التو ... فيق إن التوفيق خير رفيق
فتباهت بلاده برفيق ... وتهنت أجناده بفريق

ثم عين واليًا على بغداد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧هـ – ١٨٦٠م وهو الذي عين الشيخ بندر بن ناصر السعدون قائمقامًا على المنتفق وأعطاه المشيخة. وفي عهده أسست إدارة البرق ببغداد وعزل عن ولاية بغداد يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول ١٢٧٨هـ – ١٨٦١م وتوجه إلى استانبول وودعه أعيان بغداد وكبار رجالها. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم السيد محمد القزويني الحلي انظر: الترياق الفاروقي ٤٢٩ ومرآة الزوراء ١٤٢ وتاريخ بغداد ١٧١ ومباحث عراقية ق١/ ٧٥ وشعراء الحلة ٥/ ٢٦٠ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٣٢ – ١٣٤.

(٢) في الأصول: أراعهم ما رآهم.

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (سبب) ولعل الصواب ما أثبتناه.

أما وربِّكَ لولاه لما خَمَدَتْ ... نارٌ لها غيرُ فعل النارِ بالحَطَب

دهياءَ تَفْغَرُ فاها لا سبيلَ إلى ... تركِ ابْتلاعِ سَراةِ القومِ بالنُّوب

المُطْمعينَ بنَيْلِ المجدِ أنفُسَهُمْ ... لا يَسْأمون منَ الإقدامِ في الطَّلب

وكانَ خَيْراً لهمْ لو أنَّهمْ رَجَعُوا ... عن غَيِّهِمْ بعد ذاكَ الجُهْدِ والنَّصَب

بَغَوْا لِما نَزَغَ الشَّيْطانُ بينهمُ ... والبَغْيُ يُسْلِمُ أهليه إلى العَطَب

حتّى إذا دبَّروا للحَرْبِ أمْرَهمُ ... وهُمْ عَنِ الرأيِ والتَّدبير في حُجُب

فأقْبَلَتْ برجالٍ لا عدادَ لها ... وحَيَّرَ التُّركَ ما لاقَتْ من العرب

لله دَرُّكَ ماذا أنتَ فاعلُهُ ... بَذلتَ نفسَكَ فوقَ المالِ والنَّشَب

والحَرْبُ قائمَةٌ والنارُ مُوْقَدَةٌ ... يقولُ منها جَبانُ القومِ واحَرَبي

يُساقطُ الموتُ من أبطالها جُثَثاً ... كما يُساقطُ جذعُ النَّخْلِ بالرُّطَب

بَرَزْتَ فيهمْ بُروزَ السَّيْفِ مُنْصَلتاً ... من غمْدِه وأخَذْتَ القومَ بالرُّعُب

كَفَفْتَ أيديَهمْ عمَّا تُمَدُّ له ... فما اسْتَفادوا سوى الخِذْلانِ في الغَلَب

وشَتَّتَ اللهُ ممَّن قد طغَى وبغَى ... جَمْعَ الخَوارجِ بين القَتْلِ والهَرَب

ودمَّرَ اللهُ في إقدامهم فئةً ... فكان أعْدَى إلى أُخْرَى منَ الجَرَب

تَعبْتُمُ فأرَحْتُمْ بعدها أُمَماً ... كم راحَةٍ يَجْتَنيها المرءُ من تَعَب

وعَمَّ فَضْلُكَ ذاكَ القُطْرَ أجْمَعَهُ ... يا حُسْنَ ما أصبحتْ في مَرْبَعٍ خَصِب

رأسَ الأكابرِ والأشْرافِ من (مُضَرٍ) ... صدرَ الرئاسةِ فخرَ السّادةِ النُّجُب

لِيَهْنِكَ النَّصْرُ والفَتْحُ المبينُ وما ... بَلَغْتَ من جانبِ السُّلْطانِ من أرَب

لئن حَباكَ بنيشانٍ تُسرُّ به[1] ... بطالعٍ لِقِرانِ السَّعْدِ لم يَغِب

هذا (المشيرُ) أعَزَّ اللهُ دولتَه[2] ... أبانَ فضلَكَ إعلاناً لكلِّ غبي

وخُذْ إليكَ بقيتَ الدهرَ قافيةً ... تلوحُ منكَ عليها بَهْجَةُ الأدب

---

(١) إشارة إلى النيشان الذي أهداه السلطان عبدالعزيز خان إلى السيد محمد سعيد النقيب.

(٢) المشير نافذ باشا قائد الحملة. وقد مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم ٥٧.

(٧٧)

شَربَ القومُ من لَماكَ عُقارا ... فهمُ اليومَ في هواكَ سُكارى[٢]

وتجلَّى لهم جَبينُكَ كالصبـ ... ـحِ فراحتْ به العُقولُ حَيارى

قلَّدتكَ الجُفونُ سَيْفًا صَقيلاً ... ومن القَدِّ ذابلاً خَطّارا

يا لَها من لَواحِظٍ في فؤادي ... هيَ أمضَى منَ الحُسام غِرارا[٣]

يا غَنِيَّ الجَمالِ عن كلِّ حُسْنٍ ... لستُ أشكو إلا إليك افْتِقارا

سائلينا يا ميُّ ما صنعَ الحبُّ ... فقد جاوزَ[*] الحُدودَ وجَارا

في سبيلِ الهَوَى حُشاشةُ صَبٍّ ... صَيَّرتْها حَرارةُ الوَجْدِ نارا

ملكتْ رِقَّةَ الحِسانِ وأضْحَتْ ... بهَواها تَسْتَعْبِدُ الأحرارا[**]

لا أقَرَّ النَّدى عُيونَ ظِباءٍ ... أعْدَمَتْنا يومَ الفِراقِ القَرارا

مَنْ مُجيري من لَوْعَةٍ وغَرامٍ ... تَركَتْني أعالجُ الأفكارا

ودُموعًا يُذيلُها ألَمُ البيـ ... ـنِ وقلبًا من بعدهمْ مُسْتَطارا

ساعداني على الغرام فهذا الـ ... ـوَجْدُ لم أسْتَطِعْ عليه اصْطِبارا

وانْشُدا لي قلبًا مَضَى أثرَ الركـ ... ـب وقولا عن رَكبِهمْ أينَ سارا

آلَ ميٍّ وللمُحِبِّ حُقوقٌ ... هل عرفتمْ من بعدهنَّ الذِّمارا

ما رَعَيْتُمْ حَقَّ الجِوارِ لصبٍّ ... ظلَّ يرعَى ذِمامَكمْ والجِوارا

واصْطَفَى قلبُهُ هَواكُمْ وإن كا ... نَ كما قيلَ صَفْوُهُ أكدارا

كم دموعٍ قد أطلقَ الوَجْدُ منّا ... وقلوبٍ بـ(الرَّقْمَتَينِ) أُسارى

باكَرَتْها الصَّبا صباحًا فجاءَتْ ... تحملُ الرَّنْدَ[***] عنهمُ والعَرارا

بلِّغينا يا ريحُ أنفاسَ أرضٍ ... طالما قد خَلَعْتُ فيها العِذارا

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (عجم).

(٣) الغرار: حد السيف.

(*) في الطبعة (١): (جاور) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (الأحرار) وهو خطأ طباعي.

(***) في الطبعة (١): (الزند) خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

وَوَهَبْنا منه العُقولَ عُقارًا ... أدركتْ من حوادث الدهرِ ثارا

أطلعتْ أكؤسُ السُّقاةِ شُموسًا ... يَسْتَحيلُ الظلامُ منها(*) نهارا

تحسبُ الكأسَ والحَبابُ عليه ... فَلَكًا في نُجومِه دوَّارا

كم تَبَدَّتْ لنا بوَجْهٍ مَليحٍ ... جَنَّةٌ تُدخلُ المُحِبَّ النّارا

وكأنَّ النُّجومَ طَرْفُ حَسودٍ ... قد رأى طلعةَ الصَّباحِ فَغارا

إذْ تجلَّى كأنَّه ظُلْمَةُ الشَّعْـ ... ـرِ تَبَدَّى على نُحورِ العَذارى(١)

وعلى هذه اللَّذائذِ مَرَّتْ ... واسْتَمَرَّتْ أوقاتُها اسْتمرارا

أفَيُقْضَى لها بِرَدٍّ فأقضي ... من ليالي أيامِها أوطارا

قَوِّضي للمَسير أيتها النو ... قُ وجُوبي مَهامِهًا وقِفارا

أهُبوبُ النَّسيمِ ذَكَّرَكِ الحَيْـ ... ـيَ وأذكى منكِ الجَوى تذكارا

وادَّكَرْتِ الأطْلالَ حَيّاً فأرسَلْـ ... ـتِ عليه منَ الدُّموعِ الغِزارا

والهَوَى للنفوسِ لا زالَ كالريـ ... ـحِ يُذيعُ الأشجانَ والأسْرارا

وكأنّي أرى هَواكِ وإنْ لم ... تُظْهِريه إلى الحِمَى إقْرارا

لا سَقاكِ الحَيا إذا أنت حاولْـ ... ـتِ سِوى أَرْبُعٍ لِـ(محمودَ)(**) دارا

آيةُ اللهِ يُفْحِمُ اللهُ فيه ... كلَّ من كان فاجرًا كفّارا

يُذْهِلُ الفِكرَ بالمعاني وبالخَطْـ(٢) ... ـطِ يروقُ العُيونَ والأبْصارا

راكبٌ من سوابقِ العزمِ خَيْلاً ... أمِنَتْ في سباقِهِنَّ العِثارا

أظْهَرَ المُعجزاتِ في العِلْمِ حتّى ... كادَ(***) منها الحسودُ أنْ يتَوارَى(٣)

حُجَجٌ تُلْزِمُ الجَحودَ فما يَقْـ ... ـدِرُ يومًا لشَمْسِها إنكارا

قلَّدَ اللهُ دينَنا بـ(شهاب الـ ... ـدين) سيفًا مُهَنَّدًا بتّارا

---

(١) في نسخة ب وحديقة الورود ومجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي ورد البيت هكذا:

إذ تبدى كأنه حجة الإسلام ... في ظلمة كدين النصارى

(٢) في الأصول: وباللحظ. وفي مجموعة العزاوي (وبالخط) وهو الصواب. لأن الخط يبهر العيون والأبصار. وهو أقرب إلى كلمة المعاني من اللحظ.

(٣) في حديقة الورود: (كاد منها الحساد أن تتواري).

(*) في الطبعة (١): (منا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): وفي الطراز الأنفس (سوى ربع محمود) ولعل صوابها كما أثبتناه (أَرْبُعٍ لمحمود).

(***) في الطبعة (١): (كان) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فَـحَـقـيقٌ لمـثل (بـغـدادَ) أنْ تَـفْـ ـــخَـرَ فـيه وتَـفْـضُلَ الأمـصـارا
يـا (أبـا عـبـدالـله) قـد نـلْتَ عـزّاً[1] كـان ذلاً عـلـى عِـداكَ وعَـارا
كلُّ من نـالَ غـيـرُ ذاتكَ فَـضْلاً[2] كـان حَـلْـيًـا من غـيـره مُـسْـتَـعـارا
كـلَّـمـا زِدْتَ بـالـعـلـوم اطّلاعًـا زادكَ الـلـهُ رِفْـعَـةً ووَقَـارا
وإذا طـاولَـتْـكَ أبْـواعُ قَـوْمٍ أصـبَـحَتْ عن مَـدَى عُلاكَ قِـصـارا
أنتَ في الـعِـلْمِ واحـدٌ لا يُـسـاوو كَ مَـقـامًـا ورُتْـبَـةً وفَـخـارا
هل تَنوبُ الـعِصيُّ عن مضرب السّيـ ـفِ وتـغـني عن الـعُـقـابِ الحُـبَـارى
فـإذا قِـيـسَتِ الأكـابـرُ في عـلـ ـيـاكَ كـانـوا - كـمـا عَـلِمْتَ - صِـغـارا
أعْـجَـزَ الخـلقَ مـا صـنـعتَ إلى أن عَـلِـمُـوا أنكَ الـذي لا يُـجَـارى
وبـتَـفْـسـيـرِكَ (الـكـتـابَ) الـذي أو ضَـحْتَ فـيه منَ الـعُـلـومِ مَـنـارا[3]
قـد حَلا لَـفْـظُهُ وراقَ فـهل كـنـ ـتَ من الـشَّـهـدِ لَـفْـظَهُ مُـشْـتـارا
ومَـبـانـيهِ تـمـلكُ الـلُّبَّ في الحُـسْـ ـنِ بَلاغًـا وحـكـمـةً واخْـتِـصـارا
كم رُمـوزٍ كَـشَـفْـتَـهـا بـذكـاءٍ كـاشفٍ عن دَقـيـقِـهـا الأَسْـتـارا
بـتـصـانـيـفكَ الـتي الـهَـدْيُ فـيـهـا قـد مَلأتَ الـفِـجـاجَ والأقـطـارا
فـإذا كـنتَ أكـبـرَ الـنـاسِ قَـدْرًا مـا لـنـا لا نـرى بكَ اسْـتِـكـبـارا
أنتَ مَـعْـنًى كُـوِّنْتَ في خـاطِـرِ الـدهْـ ـرِ إلى أنْ بَـرَزْتَ مـنه ابْـتِـكـارا
وكـأنَّ الـزَّمـانَ أذنبَ حـتّى بكَ قـد جـاءنـا الـزمـانُ اعْـتِـذارا
فَـتَـنَـقَّـلْتَ في مَـنـاصِبِ مَـجْـدٍ وكـذا الـبـدرُ لم يـزل سَـيَّـارا
صِـرْتَ تـاجًـا عـلـى رؤوسِ المـعـالي وأرى المجـدَ حـيـثُـمـا صِـرْتَ صـارا
مـالـكي في جَـمـالِ بِـرٍّ سَـجـايـا أعْـوَزَتْـنـا الأشْـبـاهَ والأنـظـارا
حـيثُ لم أسْـتَـطِعْ مُـكـافـاتكَ الـفَـضْـ ـلَ بـشـيءٍ، أنْـشَـدُتكَ الأشْـعـارا
وقَـلـيـلٌ لكَ المـديحُ وإنْ كـنـ ـتُ بِـمَـدْحِـيكَ شـاعـرًا مِـكْـثـارا
لا عَـدِمْـنـا عـلـى دوامِ الـلـيـالي طـلـعـةً مـنكَ تُـخْـجِلُ الأقـمـارا

(١) هو بهاء الدين عبدالله نجل أبي الثناء ستأتي ترجمته في القصيدة رقم (٧٨).

(٢) في حديقة الورود: (كل من نال عز ذاتك فضلاً).

(٣) يشير إلى التفسير الكبير (روح المعاني).

(٧٨)

لِـيَـهْـنكَ يـا نـحـريـرَ أهلِ زمـانه	ويـا كـاملاً عـنه غَـدا الـطَّرْفُ قـاصـرا
ويـا مَنْبَعاً للجُودِ والفَضْلِ والنَّدى	ومن لم يـزلْ بَحْـراً من الـعـلْمِ زاخـرا
ويـا مَنْ يَـحُلُّ المـشـكلات بـذهـنه	وأفـكـارُهُ - رأيـاً - تُـحـيـرُ البَـصـائـرا
بـطـفلٍ زكيٍّ قـد أتـاكَ وإنّـمـا	يُـضـاهـيكَ بـالأخْلاقِ سـرّاً وظـاهـرا
وبَـشَّـرتَـني فـيه فـقـلتُ مـؤرخـاً	(بمـولـدِ عـبدِ الـلـهِ نلتَ البـشـايـرا)[٣]

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) بهاء الدين عبدالله بن أبي الثناء محمود الآلوسي، ولد في بغداد يوم الاثنين ١٥ ربيع أول سنة ١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م ونشأ في حجر والديه، ودرس القرآن الكريم على أبيه كما درس عليه سائر الآداب والفنون حتى غدا من أفذاذ العلماء. وأخذ فنون الخط عن الخطاط الشهير سفيان الذهبي البغدادي، وقد رافق أباه في رحلته إلى استانبول، وأفاد كثيرًا من هذه الرحلة التي استغرقت سنتين. وبعد وفاة والده انتصب للتدريس والإفادة في بغداد، أيام الوالي عبدالكريم نادر عبدي باشا. ثم اشتد به المرض، فباع داره وكتبه وعزم على الرحيل من بغداد إلى استانبول، فخرج منها وتصدى له بعض الأعراب في طريق الشام فسلبوه ماله وعاد إلى بغداد فقيرًا حزينًا. كان رجلاً فاضلاً لا يرغب في مخالطة الحكام ورعًا وترفعًا، وقد عرض عليه منصب القضاء فرفضه مرارًا، ثم اضطر لقبوله. فعين قاضيًا في البصرة وبقي فيها سنتين. ثم مرض هناك فعاد إلى بغداد وقد مدحه كثير من الشعراء منهم الشاعر عبدالباقي العمري بقوله:

حـرف لام قـد حـرروه بمـسك	فـغـدا نـزهــة لـعـين الـرائي
وجرى مسكـه بنهـر نهـار	فأرانا(*) الإصباح في الإمساء
وبه عـبدالـله حـاز وقـارًا	حـار في وصـفه نـهى الـشـعـراء
من أبـيه أبي الـثـنـاء شـهـاب	الـدين مـحـمـود قـدوة الـعـلـمـاء

وله مؤلفات قيمة منها (الواضح في علم النحو) و(التعطف على التعرف) ومن آثاره الخطية كتاب (الطراز المذهب في شرح قصيدة الباز الأشهب) في المكتبة القادرية ببغداد. وتوفي ببغداد يوم الثلاثاء الثالث من شعبان المعظم سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م. فتولى غسله الشيخ عبدالسلام الشواف ودفن بوصية منه بجوار مرقد الشيخ الجنيد البغدادي وهو والد العلامة الكبير محمود شكري الآلوسي. وقد رثاه كثير من الشعراء والأدباء منهم الشيخ عبدالوهاب أفندي أمين الفتوى ببغداد والشاعر الشيخ محمد سعيد التميمي بقوله:

همـت الجفون بمدمع مـدرار	شَجْـوًا بما صنعـت يد الأقـدار
بالحبر عبدالله جل مصـابـنا	فكـأنما فَصَـمَتْ عـرى الأبـرار
ما مات من كان الأكارم بعـده	يحيـون ما انـدرسـت من الآثـار
وأخوه نعمان الجليل أخو التقى	والفضـل والأفضال والأسـرار

انظر: الترياق الفاروقي ص٣١٩، وغرائب الاغتراب ص٣ وهدية العارفين ١/ ٤٩٠ والمسك الأذفر ٣٨ - ٤٥ وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢/ ١٤٢ والبغداديون ص٢٦٣ وأعلام العراق ٤٤ - ٥٠ وحديقة الورود ٢/ ٣٩ و٨٩ مخطوط.

(٣) لم يرد رقم التاريخ في الأصول. ومجموعة يساوي ١٢٤٩هـ.

(*) **في الطبعة (١): (فأرادنا)خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.**

(٧٩)

الـدينُ أصْـبَح مـنـصـوراً بـتـأيـيـدِ ـ والحـمـدُ لـلهِ ـ في أيـامِ مـحـمـودِ

إذْ سلَّ من مُرهـفـاتِ الـلهِ بـيضَ ظُبًى فَـشَـيَّـدَ الـدينَ فـيـهـا أيَّ تـشـيـيـد

واسْـتَـمْـلَكَ الـمُـلْكَ عن رأيٍ يُـسَـدِّدُهُ بـحَـدّ سـيفٍ وفـضلٍ غـيـرِ مـحـدود

سَـدُّ الـثُّـغـورِ وتـمـهـيـدُ الأُمـورِ به[٢] فـالـمُـلكُ مـا بـين تَـسْـديـدٍ وتَـمْـهـيد

أيّـام دولَـتِه الـغـرّاء[*] تحـسـبُـهـا خـالاً عـلـى وَجَـنـاتِ الخُـرَّدِ الـغـيـد

الـدهـرُ يَـرْهَبُ من مـاضـي عَـزائـمه والـبـحـرُ يـطـلبُ منه سـاحَـةَ الجـود

رَوَتْ مـعـالـيه عن سـعـدٍ ومـا عـدلتْ بـالـعدلِ إذْ ذاكَ عن حُكمِ ابن مسـعـود

---

(١) السلطان محمود خان بن السلطان عبدالحميد خان الأول. ولد في ١٣ شهر رمضان سنة ١١٩٩هـ – ١٧٨٥م كان من كبار الخطاطين وله لوحة (بسملة) كتبها بالثلث ٥×٣ قدم وعليها توقيعه كتبها (محمود خان) وهي في المكتبة المحمودية بالحرم النبوي الشريف. كما أن الستارة الخضراء المحيطة بالحجرة النبوية الشريفة بخطه أيضا وهي مطرزة بالكليدون الأبيض. وقد مدحه كثير من الشعراء على رأسهم الشاعر عبالباقي العمري بقصائد عديدة قال في بعضها:

كـثـيـر عـدلٍ أمـيـر المـؤمـنـين وسـلـ ـطـان الـسلاطـين مـحـمـود الـسـجـيّـات

مـحـمـود سـيـرته مـا الـغـزنـوي أتى بـزيـهـا فـهـو فـرد في المـزيـات

نـظـام ممـلـكـة الإسلام رتـبـه صـفّـاً بـصفٍ كـمـرصـوص الـبـنـيّـات

وفي عهده أخضع المحمرة إلى الحكم العثماني ووقعت عدة حوادث في عهده. وتوفي فجأة يوم ١٩ ربيع الثاني ١٢٥٥هـ – ١٨٣٩م وولي السلطنة من بعده ولده عبدالمجيد خان. وأخباره مستفيضة. الترياق الفاروقي ٣٣٥ وحديقة الورود ٢/ ١٢١.

(٢) في الأصول (سد الأمور وتمهيد الثغور به) والتصويب من حديقة الورود لأن المعنى أنسب وقد أثبتها صاحب الحديقة ظانًا أنها في مدح أبي الثناء محمود وهو وهم منه.

(*) في الطبعة (١): (الفراء) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٨٠)

وَلَـــدٌ قـــد أشـــرَقَ الـــكـــونُ به ... من عُلا سلطاننا (عبد المجيدِ)

بُـــشِّـــرَ الإسلامُ في مَـــوْلِـــدهِ ... فـأسَـرَّ النـاسَ من هـذا السَّعيد

فَــزَهَتْ (بــغــدادُ) حــتّى إنّــهــا ... قـابـلـتْ أيّـامَ (هـارون الرشيد)

وغَـــدَتْ تُـــشْـــرِقُ من أنْـــوارهِ ... مـثلـمـا قـد أشـرقَ البـدرُ بـعـيد

زادنـــا بِـــشْـــراً فَـــزِدْنـــا طَـــرَبـــاً ... مـا عـلـيه قـبلَ هـذا من مَـزيد

قـــد حَـــبَـــانـــا الـــلـهُ في مَـــوْلِـــده ... كلَّ مـا نَـهْـواهُ من عِـزٍّ مَـديد

فَـــتَـــرانـــا دائـــمـــاً في فَـــرَحٍ(*) ... كلّ يـومٍ نـحن في عـيـد جـديـد

وإذا الـــكـــونُ أضـــا أرَّخـــتُهُ ... (فـضـيـاءُ الـكونِ من عـبدِ الحـمـيد)

١٢٥٨هـ

---

(١) السلطان عبدالحميد الثاني ابن السلطان عبدالمجيد خان ابن السلطان محمود خان. ولد سنة ١٢٥٨هـ – ١٨٤٢م وولي السلطنة يوم الخميس ١٨ شعبان ١٢٩٣هـ – ١٨٧٦م وفي عهده أنشئت سكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة. وكان رجلاً قويًا عاقلاً حازمًا. وقف بصلابة أمام مطامع الغرب والشرق وحاول الصهاينة والماسونيون التقرب منه والتأثير عليه وإغراءه فلم يفلحوا، وحاربهم وكشف خططهم ثم هددوه، وقد عمل العرب والأتراك والصهاينة والماسونيون على عزله فعزل سنة ١٩٠٩. ونفي إلى سلانيك وتوفي في منفاه سنة ١٣٣٦هـ – ١٩١٨م وقد مدحه كثير من الشعراء منهم حسين حسني التونسي بقصائد حسان قال في بعضها:

عبدك الدهر والليالي وصيفه ... مرهما يسمعا الرسوم المنيفه

مر وأنت المطاع دينًا ودنيا ... يخضع الكون فالصروف حليفه

وقد حارب روسيا واليونان وصربيا. ومدحه السيد جعفر كمال الدين الحلي بقصائد روائع قال في بعضها:

من آل عثمان الذين سيوفهم ... لا زلن من علق الرقاب دوامي

إنا بنو النجف المشرف لم نزل ... لمليكنا ندعو مدى الأعوام

لولا أمير المؤمنين وسيفه ... فالدين مثل وساوس الأحلام

انظر ثمرات الحياة ١/ ١٠٠ وشعراء الحلة ١/ ٢٤١ الموسوعة العربية ١١٨٠ وتاريخ الدولة العثمانية ص٣٢٦.

(*) في الطبعة (١): (فرج) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(٨١)

وقال مداعبًا صديقه (عبدالقادر الهنداوي)[١] ومادحًا السيد علي النقيب[٢] وآل[*]

حَثْثتُ على عَنيفِ السَّيْرِ نُوقي ... وقَدَّمتُ الطَّريقَ على الرفيقِ[٣]

وقد فَتَقَ الزمانُ على فؤادي ... هُموماً فهْي بارزةُ الفُتوق

خرجتُ إلى جميل (أبي جميلٍ) ... إلى الرحبِ الفضاءِ منَ المَضيق

ولولا تَمْرُهُ والبُرُّ منه ... بقينا صابرينَ على السَّويق

فلو جادَ (النقيبُ) لنا بسمنٍ ... حَمدْنا التَّمْرَ يُعْجَنُ بالدقيق

رأتْ عيناايَ في سِفْرٍ عجيبٍ ... أعَزُّ لديَّ من بَيْضِ الأَنُوق[**]

أخا رُشْدٍ يَغُضُّ منَ المعاصي ... وزنديقٌ يتوبُ منَ الفُسوق

وقالوا إنّ (قدّوري) تردّى ... رداءَ[***] الناسِ كالبَرِّ الصَّدوق

فآوِنَةً يُصلّي في فريقٍ ... وآونةً يسبّحُ في فريق

وأخبرني ثِقاتُ الناسِ عنه ... بأن لا زال في كربٍ وضيق

فكاد الشوقُ يحمِلُني إليه ... فيستشفي مَشوقٌ من مَشوق

ولكنّي كتبتُ له كتاباً ... كما كتَبَ الشَّفيقُ إلى الشَّفيق

أعِزُّهُ على تركِ الحُمَيّا ... وأهديه إلى بئسَ الطريق[٤][****]

---

(١) السيد عبدالقادر الهنداوي، كان وكيلاً للأسرة الكيلانية على أوقافها في محافظة ديالى. وبخاصة في ناحية أبي صيدا، وكان بحكم عمله على اتصال بالأسرة الكيلانية، قد تعرف على العلماء والشعراء والأدباء الذين يحضرون مجلس النقيب الكيلاني ونشأت بين الهنداوي وبينهم صلة ومودة. وكان الهنداوي من مشاهير ظرفاء بغداد أمثال عبدالله الخياط ومحمد أفندي الخشالي وكان بيت (قدوري) الهنداوي وحديقته في محلة المربعة ببغداد مجمع ذوي الظرف الأكابر وهو جد الشاعر الكبير خيري الهنداوي. انظر: تاريخ مساجد بغداد الفوائت ص٢ وخيري الهنداوي، حياته وشعره ص٣٥ للدكتور يوسف عزالدين.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٣) أخذ الشاعر هنا بعكس المثل (الرفيق قبل الطريق).

(٤) جعل الشاعر (بئس) اسمًا، على مذهب بعض الكوفيين النحويين والطريق مضاف إليه ولم يعتبرها (اسم فعل) حتى لا يكون ما وراءها مرفوعًا.

(*) في الطبعة (١): (ومآل) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) الأنوق: على وزن فعول هي الرخمة وقيل ذكر الرخم، وأنْوَقَ الرجل إذا اصطاد الرخمة، وفي المثل: أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة. انظر: لسان العرب. مادة (أنق).

(***) في الطبعة (١): (رواء) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(****) في الطبعة (١): (الطرق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

أقولُ له وبعضُ النُّصْحِ غِشٌّ ... بما بيني وبينَكَ من حُقوق
وُثوقُكَ بالعَذابِ نَهاكَ عنها ... وعَفْوُ اللهِ أولَى بالوثوق
وكمْ للهِ من فَرَجٍ قريبٍ ... وكم للعبد من سَعَةٍ وضيق
أتَنْسَى لا اقْتَرَفْتَ الإثمَ إلاَّ ... كبيراً بين مِزمارٍ وبوق
لَياليَنا الّتي انْصَرَمَتْ وولَّتْ ... حَلَتْ إلاّ بكأسٍ من رَحيق
وكان مكانُنا أنّى سَكِرنا ... مكانَ الكلبِ، قارِعَةَ الطريق
يمرُّ بنا الشَّقِيُّ فنبتليه ... ونزهدُ بالتقيِّ المُسْتفيق
وقولك للَّتي سَكِرَتْ ونامَتْ ... فعلتُ بكِ المَقابحَ أو تُفيقي
سَدَدْتَ مَسامعَ الحسناءِ قَهْرًا ... بمثل الجِذْعِ من نخلٍ سَحوق
تخبّرُني ضيوفُكَ حِينَ(*) جاءتْ ... بأنّكَ قد بعدتَ عن اللُّحوق
تنادي بالطَّعامِ بلا شَرابٍ ... كما نهقَ الحمارُ على العليق
وما هذا الذي عُوِّضْتَ عنها ... وهل يُغني الحديثُ عن العتيق
ألم تكُ بالفَسادِ كما تراني ... يشقُّ عليَّ أن أعصي شقيقي
فلا طابتْ أُوَيْقاتٌ لِصاحٍ ... رمَى أمَّ الخبائثِ بالعُقوق
لقد كَدَّرْتَ يومئذٍ صَفائي ... وقد أيْبَسْتَ بالتَّأنيبِ ريقي
وأصبح عنك (راضي) غيرَ راضٍ(١) ... فلا تركنْ إلى سخطِ الصَّديق
وقد رُزِقَ السَّعادةَ بالمعاصي ... بسَلْطَنَةِ (ابنِ سلطانٍ رزوقي)(٢)
لقد أمسَى يَعَضُّ على يَدَيْهِ ... ويَخْتارُ الرحيقَ على الحَريق
وكم خمرٍ مُعَتَّقَةٍ رآها ... ففضَّلها على الخَلِّ العَتيق
وكان الدنُّ لا يروي مُناها ... فأصبح يَشْمَئِزُّ من النُّشوق
وكم من تائبٍ من قَبْلِ هذا ... مَروعٍ من كبائره فَروق
وحَدُّ التَّائبينَ اليومَ عندي اخْـ ... ـتياراً رَمْيُهمْ بالمَنجنيق
فيا لكِ توبةً عادتْ عليه ... بأن يَهْوي سَحيقاً من سَحيق

(١) لم أعثر له على ترجمة وهو من أصدقاء الشاعر.

(٢) لم أعثر له على ترجمة وهو من أصدقاء الشاعر.

(٣) على لغة طي. ومنه قول الشاعر (ولو أن واش باليمامة داره..).

(*) **في الطبعة (١): (أين) وصوابها من الطراز الأنفس.**

رأيـنــاهُ يـصـلّي الخَـمْسَ بـاقٍ[٣] بمـحـراب الـصَّلاةِ عـلـى الـشَّـهـيق

فَـسَـلّـطْـنـا شَـيـاطـينَ الـقَـوافي عـلـيه بـالـصَّـبـوحِ وبـالـغَـبـوق

وأغــوَيْــنــاه[*] في سِـحْـرٍ مُـبـينٍ من الـتّـبـيـان بـالـشِّـعـر الـرقـيق

إلى أن عـادَ أفْـسَقَ مَنْ عـلـيـهـا وأسـرعَ بـالإجـابـة من سـلـوقي[١]

فـمـا يـدنـو من الـشـيـطـان إلاّ تـمـسَّكَ مـنه بـالحَـبْلِ الـوَثـيق

وكـان بـنـعـمـةٍ لـو كـان يـرعَى لـهـا حَـقّـاً ويـوفي بـالحـقـوق

وهـا هـو بـعـدهـا في كلِّ حـالٍ تـغـيّـرَ بـالمَـجـاز عن الحـقـيـقي

قَـضَى في خـدمـةِ الـنُّـقَـبـاء عُـمْـراً وتـلـكَ نَـضـارةُ الـعـيشِ الأنـيق

غـريـقُكَ يـا (أبـا سـلـمـانَ) فـيـهـا[٢] وكم في بَـحْـرِ جـودِكَ من غـريق

يـقـولُ رجـاءَ من آوَى إلـيه لـقـد حَـنَّتْ ألى الخَـيْـراتِ نـوقي

يـؤمّلُ من مـكـارمِكَ الأمـاني ويـرقبُ مـنكَ صـادقَـةَ الـبُـروق

فلا غـابتْ شـمـوسُ بَـني (عـليٍّ) وقـد أذِنَتْ عـلـيـنـا بـالـشُّـروق

تـلـوحُ لـنـا بـهِمْ صُـوَرُ المـعـالي فـتـهـديـنـا إلى المـعـنَى الـدقـيق

لـبـابِكَ سـيِّـدَ الـنُّـقَـبـاء وافَتْ مُـنَـبِّـئَـةً عُلاكَ عنِ الـعُـلـوق

وتـكـشفُ عـنـدك الأسْـتـارَ كَـشْـفاً بِـحُـرِّ الـقـولِ عن حـالِ الـرقـيق

تَـحُثُّ الـسَّـيْـرَ مـسـرعـةً تَـهـادَى إلى عَـلـيـاكَ من فَجٍّ عَـمـيق

(٨٢)

رمَى ولم يَـرْمِ عن قـوسٍ ولا وَتَـرِ بمـا بـعَـيْـنَـيْه من غُـنجٍ ومن حَـوَرِ

مـؤَنَّثُ الـطـرفِ مـا زالت لَـواحِـظُهُ تسـطو وتـفـتِكُ فَتْكَ الـصّارمِ الـذكر

مُـهَـفْـهَفُ الـقَـدِّ مَـعسـولُ الـلَّـمى غـنجٌ أقضي ولم أقضِ مـنه في الـهَوَى وَطَري

(١) السلوقي: نوع من كلاب الصيد.

(٢) هو السيد علي النقيب ومرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٨).

(*) **في الطبعة (١): (وأغوينا) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.**

مـا لي بمقـلـةِ أحْـوَى الـطـرف من قِبَلٍ ... مـؤيّـدٍ بـجـنـود الـحُـسْنِ مُـنْـتَـصِـرِ

يَـعْـطُـو إليّ بـجـيـدِ الـظـبي مُـلْـتَـفِـتـاً ... تـلَـفُّـتَ الـظَّـبْيِ من خـوفٍ ومن حَـذَرِ

وكـلَّـمـا مـاسَ قـلـتُ الـغـصنُ حـرَّكَهُ ... ريحُ الـصَّبـا وهْـو في أوراقِهِ الخُـضُـرِ

عـجـبتُ ممَّن قَـسـا والـعـهـدُ كـان به ... أَرَقَّ من نَسَـمـاتِ الـروضِ في الـسَّـحَـرِ

أشـكـو إلـيه صَـبـابـاتٍ أكـابـدُهـا ... كـأنَّـمـا رُحْتُ أشـكـوهـا إلى حَـجَـرِ

نـيـرانُ خـدّيكَ هـا قـد أحـرقتْ كـبـدي ... يـا جـنّـةً أنـا مـنـهـا الـيـومَ في سَـقَـرِ

إنْ لم تـكن بـوصـالٍ مـنك تُـسْـعِـفُـني ... فلا أقلَّ منَ الإسـعـاف بـالـنَّـظَـرِ

جُـدْ لي بـطـيـفِكَ واسـمحْ إنْ بـخـلتَ به ... إني لأقـنـعُ بـعـدَ الـعَـينِ بـالأثَـرِ

واذكـرْ لـيـالـيَـنـا الأولى ظـفـرتُ بـهـا ... والـدهـرُ يَـعْـجَبُ والأيـامُ من ظَـفَـري

تَـلَـذُّ لي أنتَ في سـمـعي وفي بَـصَـري ... ومـا ألَـذَّكَ في سـمـعي وفي بَـصَـري

حـيثُ الـمَـسـرّةُ أفلاكٌ تـدورُ بـنـا ... والـشـمسُ تـشـرقُ لـيلاً في يَـدِ الـقَـمَـرِ

في رَوْضَـةٍ فَـوَّفَتْ أيـدي الـربـيـعِ لـهـا ... مـا أبدعَ الـقـطـرُ من وَشْيٍ ومن حَـبِـرِ[1]

والـطلُّ في وَجَـنـاتِ الـزهـرِ يـومـئـذٍ ... مـا بـين مُـنْـتَـظِـمٍ مـنه ومُـنْـتَـثِـرِ

ومَنْ أُحبُّ – كـمـا أهـواهُ – مُـعْـتَـنِـقي ... ومُرْشِـفي السُّكَّرَ المصريَّ في السَّكَرِ

إذا تَـبَـسَّمَ أبْـصَـرْنـا بمَـبْـسَـمِـه ... مـا أودعَ الـلـهُ في الـيـاقـوتِ من دُرَرِ

خافَ الـعُيونَ صباحَ الفَرْقِ(*) تَنْظُرُهُ ... حـتّى تـعـوَّذَ بـالأصْـداغِ والـطُّـرَرِ

أطِلْ حـديـثَكَ في قـدٍّ فُـتِـنْـتُ به ... وإنْ ذكرتَ حديثَ الخَصْرِ فاختصرِ

يـقـولُ لي في تـثـنّـيه مُـفـاخَـرَةً ... الـبـانُ من شـجـري والـوردُ من ثـمـري

يـا قـاتلَ الـلـهُ غـزلانَ (الـصَّـريمِ) فـمـا ... أبْقَتْ ـ وقـد نَفَـرَتْ ـ صبراً لـمُـصطَبِـرِ

ومـا لأعـيـنـهنَّ الـنّـجـلِ حـينَ رَنَتْ ... أصَبْنَ قلبي وما الجاني سوى نظري

وقـفتُ مـنـهـن والأشـجـانُ تـلـعبُ بي ... في مـوقفِ الـربعِ بـينَ الخـوفِ والخَـطَـرِ

وبي من الـنّـافـرِ الـنّـائي بـجـانـبه ... صـبـابـةٌ تُـغْـلِقُ الأجْـفـانَ بـالـسَّـهَـرِ

عـهـدي بـهـا ورداءُ الـوَصْلِ يـجـمَـعُـنـا ... والـوَصْلُ يُذْهِبُ طولَ الـليلِ بـالـقِـصَـرِ

---

(١) التفويف والتحبير: التطريز والتجميل.

(*) في الطبعة (١): (الغرق) وصوابها من الطراز الأنفس، ولعل صواب تشكيلها (خاف العيونَ صِباحَ الفَرْقِ) أي العيون التي يعلوها جبين وضاح.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (الواشي) وقد حذفنا (الياء) لاستقامة الوزن، و(الواش) لغة في (الواشي).

لم يرقبِ الواشِ(**) يخْشَى من تطلُّعه ... ما أوْلَعَ الدهرَ بالتبديل والغيَر
تركْتَني ولَكَمْ مثلي تركتَ لَقًى ... فريسةً بين نابِ الخطبِ والظُّفُر
هَيَّجْتَ أشجانَ قلبي فانتدبتُ لها ... بكلِّ منتدبٍ للشَّجْوِ مُبْتَدِرِ
إنَّ السَّلامةَ في (سلمان) من كدرٍ ... يجني عليَّ ومن همّي ومن فكَري
يَسُرُّ نفسي ويقضي لي مآربَها ... بنائلٍ من ندَى كفَّيْه مُنْهَمِر
تالله ما أبْصَرَتْ عيناي طلعَتَهُ ... إلاّ وأيقَنْتُ أنّي بالنَّوال حَري
تَوُقُّعَ الرَّوضِ ما تُسْديه غاديَةٌ ... أناخَ كَلْكَلُها ليلاً بـ(ذي بَقَر)
إذا اسْتَقَلَّتْ تَراءى من مَخايلها ... مُبَشِّرُ الواردِ الظَّمْآنِ بالغُدُر
أصبحتُ من يدهِ البيضاء في دَعَةٍ ... وحسنِ أنظاره في منظرٍ نَضِر
كأنَّما أنا من لآلاء غُرّته ... في روضَةٍ باكرتْها المزنُ بالمطر
تَهُبُّ منه رياحُ اللطفِ عاطرةً ... من طَيِّبٍ عَطِرٍ عن طيّبٍ عَطِر
أمْعِنْ بدقّةِ مَعْنَى ذاته نظراً ... وانظرْ بعَيْنَيكَ واسْتَغْنِ عن الخَبَر
وسَلْ إذا شئتَ عن أجداده فلقدْ ... ضاقتْ بذاكَ صُدورُ الكتْبِ والسِّيَر
أغَظْتُ في مَدْحه قوماً بقافيَةٍ ... عن المُقيم تجوبُ الأرضَ في سَفَر
وحاسداً قَصَّرَتْ أيدي المنالِ به ... كمفلسِ الحيِّ رامَ اللّعْبَ بالبِدَر(١)
تسرُّ قوماً وأقواماً تغيظُهمْ ... والشُّهْبُ ترمي ظلامَ الليل بالشَّرر
كالراحِ تَسْري إلى الأرواحِ نَشْوَتُها(٢) ... فالروحُ في خِفَّةٍ والجسمُ في خَدَر
هُمُ الذينَ أراشوني بنائلهم(٣) ... لولاهُمُ الآنَ لم أنْهَضْ ولم أطِر
المُطلِقونَ لساني بالثناء على ... تلكَ الشَّمائلِ بعد العَيِّ والحَصَر
بيضٌ تضيءُ بنورِ اللهِ أوْجُهُهُمْ ... في حِنْدسٍ من ظلام الخَطْبِ مُعْتَكِر
النافعونَ إذا عادَ الزمانُ على ... بَنيه في السَّاعةِ الخَشْناء بالضَّرَر
تَقْوَى على أزَماتِ الكونِ أنفُسُهمْ ... وليس تَقْوَى عليها أنفسُ البَشَر
فيا لكِ اللهُ ساداتٍ إذا افتخرتْ ... كانتْ هي المَفْخَرَ الأسْنَى لِمُفْتَخِر

(١) البدر: بكسر الباء وفتح الدال جمع بدرة. وهي صرة فيها نقود.

(٢) في الأصول: نشأتها.

(٣) أراشوني: جعلوا لي ريشًا.

لا تُـذْكَـرُ الـنـاسُ في شيءٍ إذا ذُكِـروا كـالـيَمِّ يـقـذفُ بـالألـواحِ والـدُّسُـر
يـا أيـهـا الـدهـرُ يـأتـيـنـا بـهـم نَـسَـقـاً هل جئتَ مـنـهم بمعـنًى غيرِ مُـبْـتَـكَـر
ويـا مـعـاني المـعـالي من شَـمـائـلـهمْ لـقـد بـرزتِ لـنـا في أحـسنِ الـصُّـوَر
دَعْ مـا تـقـولُ الـبَـرايـا في مـنـاقـبـهمْ فـكـيـف قـولُكَ بـالآيـات والـسُّـور
سِـرٌّ من الـلـه إلاّ أنَّ نـورهمُ في الخـافِـقَـيْنِ ومـا صُـبْحٌ بمُـسْـتَـتِـر
عَـلَـوْا عـلى الـنـاسِ إعلانـاً فـقـلتُ لـهمْ بـالـلـه أقـسمُ لا بـالـركنِ والحَـجَـر
لأنـتمُ الـنَّـفَـرُ الـعـافـونَ من مُـضَـرٍ بـوركـتمُ نَـفَـرَ الـسَّـادات من نَـفَـر
أنـتمْ لـنـا وَزَرٌ من كلِّ نـائـبـة[1] ونِـعْمَ مُـدَّخَـرٌ أنـتمْ لِـمُـدَّخِـر
مـولايَ أصـبـحتَ والأيـامُ مُـقْـبِـلَـةٌ وأنتَ في عُـنْـفُـوانِ الـعِـزِّ والـعُـمُـر

(٨٣)

بـارقٌ لاحَ فـأبـكـاني ابـتـسـامـا نـبَّـهَ الـشَّـوقَ من الـصَّبِّ ونـامـا[2]
ولمن أشـكـو عـلى بَـرْحِ الـهـوى كـبـداً حَـرّى وقـلـبـاً مُـسْـتـهـامـا
ويحَ قـلـبٍ لَـعِـبَ الـوَجْـدُ به ورَمَـتْهُ أعـينُ الـغـيـدِ سـهـامـا
دَنِفٌ لـولا تَـبـاريحُ الجَـوى مـا شـكـا من صِـحَّـةِ الـوَجْـدِ سَقـامـا
مـا بـكـى إلاّ جَـرَتْ أدمُـعُـهُ فـوق خـدَّيْه سـفـوحـاً وانـسـجـامـا
وبمـا يـسـفـحُ من عَـبْـرتِهِ بَـلَّ كُـمَّـيْهِ ومـا بَلَّ أُوامـا
فـفـؤادي والجَـوى في صَـبْـوَتي لا يمـلأن جِـدالاً وخِـصـامـا
لـيت من قـد حَـرَمـوا طـيبَ الـكـرى أذِنـوا يـومـاً لـعَـيْـني أنْ تَـنـامـا[3]

(١) الوزر: المدافع، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر، إلى ربك يومئذٍ المستقر) سورة القيامة الآية (١١).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦٦).

(٣) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبيات هذه القصيدة بمقام (بنج كاه).

(٤) أخذه من قول مهيار الديلمي:

وابعثوا اشباحكم لي في الكرى إن أذنتم لجفوني أن تناما

ديوان مهيار ٣/ ٣٢٨.

مَنَعونا أن نَراهُمْ يَقْظَةً ... ما عليهمْ لو رأيناهمْ مَناما
قَسَماً بالحبِّ واللَّوم وإنْ ... كنتُ لا أسمعُ في الحُبِّ مَلاما
والعيونِ البابليّات التي ... ما أحلّتْ من دمي إلاّ حَراما
وفؤادٍ كلَّما قلتُ اسْتَفِقْ ... يا فؤادي مرَّةً زادَ هياما
إنَّ لي فيكم ومنكم لوعةً ... أنْحَلَتْ بل أوْهَنَت منِّي العظاما
وعليكمْ عَبْرَتي مُهْراقَةٌ ... كلّما ناوَحْتُ في الأيكِ حَماما
ومتى يَذْكُرُكمْ لي ذاكرٌ ... قَعَدَ القلبُ لذكراكمْ وقاما
يا خَليلَيَّ ومن لي أنْ أرى ... بعد ذاك الصَّدْعِ للشَّملِ التئاما
أحسبُ العام لديكم ساعةً ... وأرى بعدكمُ السّاعةَ عاما
لم يَدُمْ عيشٌ لنا في ظلكمْ ... أيُّ عيشٍ قبلَهُ كان فَداما
حيثُ سالَمْنا على القُربِ النَّوى ... وأخَذْنا العَهْدَ منها والذِّماما
ورَضَعْنا من أفاويقِ الطِّلا ... وكرهنا بعد حَوْلَيْنِ الفطاما
أتُرى أنّ الهَوَى ذاك الهَوى ... والنّدامَى بعدَنا تلكَ النَّدامَى
كلّما هبّتْ صَبًا قلتُ لها ... بَلِّغيهمْ يا صَبا (نجدٍ) السَّلاما
وبنفسي ظالمٌ لا يتَّقي ... حَوْبَةَ المُضْنَى ولا يخْشَى أثاما
ما قَضَى حَقّاً لِمَفْتونٍ به ... ربَّما يقضي وما يقضي مراما
لو تَرَشَّفْتُ لَماهُ لم أجِدْ ... في الحَشا ناراً ولو هَبّتْ ضِراما
ولأطفَأتُ لَظَى نارِ الجَوَى ... ولَعِفْتُ الماء عَذْباً والمُداما
شدَّ ما مَرَّ جَفاً مُسْتَعْذبٌ ... من عذابي فيه ما كان غراما
لا سُقِيتُنَّ الحَيا من إبلٍ ... تَقْطَعُ البيدَ بِطاحاً وأكاما[1]
قَذَفَتْها بالنوى أيدي السُّرى ... في مَواميها عِراقاً وشَآما
ورَمَتْها أسْهُمُ البينِ فَمنْ ... مُهَجٍ تُرمَى وعيسٍ تَتَرامَى
قد بَلَوْنا الناسَ في أحْوالِها ... وعرفناهمْ كراماً ولئاما

(١) قال مهيار الديلمي:

أيها الغادي على أجماله ... يقطع البيد فجاجًا وأكامًا

وجدت ذلك في كتاب (مختارات آل عبدالقادر) ص١٤٨. ولم أجد البيت في ديوان مهيار الديلمي.

وشَربناهم نَميراً سائغاً ... وزُعافاً وأكلناهمْ طعاما

فَمُحالٌ أنْ تَرى عينٌ رأتْ ... كـ(حسام الدين) للدينِ حُساما

إنْ تُجَرِّده على الدهرِ يدٌ ... فَلَقتْ من خَطْبِه هاماً فهاما

من سُيوفِ الله لا تُبْصِرُ في ... حَدِّه الماضي فُلولاً وانْثلاما

جَوْهَرٌ أوْدَعَهُ اللهُ به ... لم يكنْ يقبلُ في الناسِ انقساما

نَظَرَتْ عَيْنايَ منه أرْوَعاً ... طيِّبَ العنصُرِ والقَرْمَ الهُماما

من كرامٍ سادةٍ لم يُخلَقوا ... بين أشراف الوَرى إلاّ كراما

رَقَّ حتّى خُلْقَهُ من رِقّةٍ ... أَرَجَ الشّيحِ وأنفاسَ الخزامى

أو كما هَبَّتْ صَبًا في روضةٍ ... تُنْبِتُ الرندَ صباحاً والثُّماما

ثابتُ الفكرةِ في آرائهِ ... يُظْهِرُ الصبحَ كما يُخْفي الظلاما

وإذا ما قَوَّمَ المُعْوَجَّ في ... رأيه العالي منَ الأمرِ اسْتَقاما

ثابتٌ في مَوْقفٍ من مَوْطِنٍ ... يجمعُ الأعداءَ والموتَ الزؤاما

يومَ تَعْرَى البيضُ من أغْمادها ... وبه يُكْسِي الفَريقَيْنِ القَتاما

في نهارٍ مثلَ مُسْوَدِّ الدُّجَى ... تلبسُ الشمسُ منَ النقعِ لِثاما

وإذا ما أشرقَ النادي به ... أشْرَقَ النادي به بَدْرًا تماما

لم يَضِمْهُ من زمانٍ طارقٌ ... عَزَّ جاراً وجِواراً أنْ يُضاما

قد وَجَدْنا عَهْدَهُ في وُدِّه الـ ... ـعروةَ الوثقَى فقلنا لا انْفصاما

شَمَلَ الناسَ فأغْنَى بِرُّهُ ... وكذا البَحْرُ إذا البحرُ تَطامى

بأبي أنت وأمِّي ماجدٌ ... في سَماواتِ المعالي يَتَسامى

شَيَّدَ الفَضْلَ وأعلى قَدْرَهُ ... بعد أن أصبح أطلالاً رِماما

وكَفَتْ يُمْناه بالوَبْل ندىً ... فكفتنا الغيثَ سَقياً والغَماما

حاكمٌ بالعدل عُلْويُّ الثَّنا ... عن (عليٍّ) قامَ بالحكم مَقاما[1]

إنما (البصرةُ) في أيامهِ ... أعجَبَتْ من سارَ عنها أو أقاما

---

(١) علي رضا باشا اللاظ مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩) وهو الذي استقدم المدوح حسام الدين القدسي من حلب.

أفْـصَـحَتْ عن (أخـرسٍ) فـيكَ لهُ	من قـريضِ الـنـثـرِ نـثـراً ونِـظـامـا
عَـرَبِـيّـاتُ الـقَـوافي غُـرَرٌ	نَـصَـبَتْ في قُـلَّـةِ المجـدِ خِـيـامـا
شـاعـرٌ يَـهْـوَى مـعـالـيكَ وفي	كلِّ وادٍ من مـديحٍ فـيكَ هـامـا
يـا (حـسـام الـدين) يـا هـذا الـذي	أشـكـرُ الـيـومَ أيـاديه الجـسـامـا
فَـتَـفَـضَّلْ وتَـقَـبّلْ كلَّ مـا	جَـمَـعَتْ فـيك من الحقِّ كلامـا
وثـنـاءً طـيّـبـاً طـابَ بـكمْ	يـنـعشُ الـروحَ افْـتِـتـاحـاً وخِـتـامـا

(٨٤)

(١) نجم الدين أبوالسعود عبدالباقي ابن أبي الثناء محمود الآلوسي. ولد ببغداد ليلة الجمعة ١٩ صفر سنة ١٢٥٠هـ – ١٨٣٤م ونشأ فيها، ودرس على والده المفتي الآلوسي. ثم أكمل المادة على الشيخ عيسى صفاء الدين البندنيجي، واشتغل بالعلوم حتى برع وأجاد، وأنشد الشعراء يوم إجازته ومنهم عبدالباقي العمري حيث قال:

مـا لـلـهـواتف بـالـبـشـارة أعـلـنت
فـوعت صـداهـا أهل سـبع طـبـاق
وسـرى نـسـيم صـبـا الـعـراق به كـمـا
يـسـري الـبـريـد لـسـائـر الآفـاق
وبـلـحـنـهـا قـد أعـربت فـكـأنما
أخـذت فـنـون الـلـحن عن اسـحـاق

ونصب للتدريس أيام الوالي عبدالكريم نادر (عبدي باشا) وحج بيت الله الحرام، وسافر إلى استانبول عدة مرات. واعتلى المناصب الرفيعة. وفي سنة ١٢٨٤هـ تقلد قضاء كركوك. وله مؤلفات جليلة منها (البهجة البهية في إعراب الأجرومية) و(الفوائد السعدية في شرح العضدية) و(النفحة المرضية شرح الأندلسية) و(الفوائد الآلوسية في شرح الرسالة الأندلسية) و(فيوضات القريحة شرح الصفيحة) و(أسعد كتاب في فصل الخطاب) و(أوضح منهج في مناسك الحج) و(القول الماضي في ما يجب للمفتي والقاضي) و(الروضة اليانعة في بيان السفرة الرابعة). وكان ذا هيبة ووقار. محترمًا لدى الولاة والوزراء. وآخر ما تقلد من الوظائف قضاء بتليس. ثم مرض وعاد إلى بغداد، وتوفي صباح يوم السبت ٢١ صفر سنة ١٢٩٢هـ – ١٨٧٥م. ودفن بجوار والده. وقد رثاه الشعراء ومنهم الشيخ عباس العذاري، ومطلع قصيدته:

أدرى حـين نـعى نـاعي الـكـمـال
أي قـلب راع فـيه لـلـمـعـالي

انظر: حديقة الورود ٢/ ٨٩ مخطوط والمسك الأذفر ٤٦ – ٥١ والآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢/ ١٤ وديوان الشيخ عباس العذاري وأعلام العراق ص٥٣ – ٥٥.

بُـشْـرَى لـنـا في وَلَـدٍ بِـوَجْـهِهِ ... أبْـدَى مَـبـادي كَـرَمِ الأخْلاقِ
ولا عـجـيبٌ لـذكيٍّ مُـنـجَبٍ ... من أطـيبِ الآصـالِ والأعْـراق
أبـوه مَنْ فـاقَ الـوَرى بـعـلـمه ... وفـاقَ بـالـفـضلِ عـلى الآفـاق
بَـحْـرٌ يَـفـيضُ جَـوْهَـراً ونـائلاً ... وبـاسِطُ الـكـفَّـينِ للإنـفـاق
لَـدَى الأنـامِ جـودُهُ وفـضـلُه[1] ... أضـحى عـلى الأفْـهـام والأعـنـاق
تـلك أيـاديه الـتي يـبـذلُـهـا ... كـانتْ عـلى الأعـنـاقِ كـالأطـواق
بـشـارةٌ إذْ جـاءَ قـد أرخْـتُـهـا ... (فـجـاءتْ الـبُـشْـرَى بـعـبد الـباقي)[2]

(٨٥)

وقال مخمسًا رائية الشاعر عبدالباقي العمري[3] [وهي من الطويل]:

سَـرَيْـنـا لِـنَـمْـحـو الإثمَ أو نـغـنمَ الأجْـرا
لِـزَوْرَةِ مَنْ تَـمْـحـو زيـارتُهُ الـوِزْرا
وسـارتْ وقـد أرخَـى عـلـيـنـا الـدُّجَى سِتْرا
(بـنـا من بـنـاتِ المـاءِ لـلـكـوفـةِ الـغَـرّا)
(سَـبوحٌ سَـرَتْ ليلاً فسـبحـانَ من أسْرَى)

تَـخَـيَّـرْتُـهـا دونَ الـسَّـفـائنِ مـركـبـا
وأعْـددْتُـهـا لـلـسَّـيْـرِ شـرقـاً ومـغـربـا
فـكـانتْ كـمـثلِ الـطـيـرِ إنْ رُمْتَ مـطـلـبـا
(تـمـدُّ جـنـاحـاً من قَـوادمهِ الـصَّـبـا)
(تـرومُ بـأكـنـاف الـغَـرِيِّ لـهـا وكـرا)

وكـانت تُـحـلَّى قـبلَ هـذا تَـجَـمُّلا

(١) في حديقة الورود (عم الأنام جوده وفضله).
(٢) لم يرد التاريخ في الأصول، ومجموعة يساوي ١٢٥٠هـ. وهو مثبت في حديقة الورود.
(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).

وقـــد غُـــذِّيتْ في مـــا أمَـــرَّ ومـــا حَلا
أظنُّ عـلـى فَـقْـدِ الـشَّـهـيـدِ بـ(كـربلا)
(كسـاهـا الأسَى ثوبَ الحِـدادِ ومِن حُلى)
(تجـمّـلُـهـا بـالـصَّـبـرِ لاعِـجُـهـا أعْـرى)
إلى مـــوقفٍ سِـــرْنـــا بـــغـــيـــر تـــوقُّفِ
يـــزيـــدُ بـــكـــائي عـــنـــده وتـــلـــهُّـــفي[1]
ولـــا تَـــجـــارَيْـــنـــا بـــفُـــلكٍ ومُـــدْنَف
(جـرتْ وجَـرى كلُّ إلى خـيـر مـوقفِ)
(يـقـولُ لِـعَـيْـنَـيْه قِـفـا نَـبْكِ من ذكـرى)
تــرامتْ بــنــا فُــلْكُ فــيــا نِــعْمَ مُــرْتَــمى
إلى دُرَّةِ الــفــخــرِ الــتي لن تُــقَــوَّمــا[2]
فخُضْنا إليه [البحرَ][*] والبحرُ قد طَمَى
(وكم غـــمـــرةٍ خُـــضْـــنـــا إلـــيه وإنمـــا)
(يـخـوضُ عُـبابَ الـبحـرِ من يطلب الدُّرَّا)
إلى مـرقـدٍ يـعـلـو الـسِّـمـاكـيِن مـنـزلا
وقـد نـالَ مـا نـالَ الـضُّـراحُ من الـعُلا
نـسـيـرُ ولا نُـلـوي عن الـسَّـيْـرِ مـعـدلا
(نـؤمُّ ضَـريـحًـا مـا الـصّـراحُ وإنْ عَلا)
(بـــأرفعَ مـــنه لا وســـاكـــنِهِ قَـــدْرا)
فـزوجُ ابـنـةِ الـمُـخـتـارِ كـان غَـضَـنْـفَـرا
علا وارتَـضَـتْه الـطُّـهْـرُ من سـائـر الـورى
أتـعـرفُ من هـذا الـذي طـالَ مَـفْـخَـرا
(هـو المرتَضَى سيفُ القَضَا أسَدُ الشَّرى)

(١) في الترياق الفاروقي (.. بتلهف).

(٢) في الأصول (.. الذي لن تقوما) والتصويب من الترياق.

(*) **في الطبعة (١): سقطت هذه الكلمة وقد أثبتناها من الطراز الأنفس.**

(عـلـيٌّ الـذُّرا بل زوجُ فـاطـمـة الـزهـرا)

عـيـونُ الـورى إنْ لاحـظتْ مـنه كُـنْـهَهُ

تُـرَدُّ عن الـتَّشْـبـيهِ حَـسْرى فـيـنـتـهـوا

وإنّ مـقـامـاً لا تَـرى الـعـينُ شِـبْـهَهُ

(مـقـامُ عـلـيٍّ كـرَّمَ الـلـهُ وَجْـهَهُ)

(مـقـامُ عـلـيٌّ رَدَّ عـينَ الـعُلا حَـسْرَى)

لـقـد صَـيَّـرَ الـغَـبْـراءَ خـضـراءَ قَـبْـرُهُ

وأشْـرَقَ فـيـهـا في الـحـقـيـقـةِ بَـدْرُهُ

وقـد وافقَ الإعْـجـازَ لـلـهِ دَرُّهُ

(أثـيـرٌ معَ الأفْـلاكِ خـالفَ دَوْرُهُ)

(فمن فَـوْقِهِ الـغَـبْـرا ومن تَـحْـتِهِ الخَـضْـرا)

أحـاطَ بـنـا عِـلْـمـاً فـلـيتَ سَـلـيـقَـةً

تـفـيـدُ عـلـومـاً عن عُلاه دقـيـقـةً

مـجـازاً، وقـد جُـزْنـا إلـيه طـريـقـةً

(أحَـطْـنـا به وهْـو المحـيطُ حـقـيـقـةً)

(بـنـا فـتَـعـالى أنْ نُـحـيطَ به خُـبْـرا)

فَـطُفْ في مـقـامٍ حَلَّ فـيه ولَـبِّهِ

تَـرى الـعـالَمَ الأعْـلَى حَـفـيـفـاً بـتُـرْبهِ

فـكـالمـسـجـدِ الأقْـصَى وأيّ تَـشُـبِّهِ

(تَـطـوفُ منَ الأمْلاكِ طـائـفـةٌ بهِ)

(فـتسـجـدُ في مِـحـرابِ جـامِـعِهِ شـكـرا)

فـأثـنَى عـلـيه من عَلا مـثل مَنْ دنـا

وكلٌّ بمـــا أثـــنَى أجـــادَ وأحْـــسَـــنـــا

فــحِــزْبٌ(*) منَ الـدانـين إذْ ذاكَ أعْـلَـنـا

(وحـزبٌ من الـعـالـين يـهـتفُ بـالـثـنـا)[1]

(عـلـيه بـوحْيٍ كـدتُ أسـمَـعُهُ جَـهْـرا)

حَـجَـجْـنــا إلى بـيتٍ عَلا بـجـنــابهِ

عَـشـيَّـةَ آويـنـــا إلى بـــابِ غـــابهِ

ومن قـد سَـمَتْ أركـانُ كَـعْـبَـتِـنـا بهِ

(جـديـرٌ بـأن يـأوي الحَـجـيجُ لِـبـابهِ)

(ويـلـمسُ من أركـانِ كـعـبـتِهِ الجُـدْرا)

فُـيـوضَ عُـلـومِ الـلـهِ من قِـدَمٍ حَـوَى

فَـقَـسَّمَ مـنـهـا مـا أفـادَ ومـا احْـتَـوى

ومن قـبل مـا يَـثْـوي ومن بَـعْـدِ مـا ثَـوى[2]

(حَـرِيٌّ بـتـقـسـيم الـفُـيـوضِ ومـا سِـوى)

(أبي الحَـسَـنَـينِ الأحـسـنـين بهِ أحْـرَى)

ظَـلِـلْـنـا وكم جـانٍ لـديه ومُـذْنِبِ

وذي حـاجـةٍ مـنـا وصـاحبِ مـطـلبِ

يـقـبّلُ والأجـفـانُ تَـهْـمِي بـصَـيِّبِ

(ثـرىً مـنه في الـدنـيـا الـثَّـراءُ لِـمُـتْـرِبِ)

(ولـلمُذنبِ الجاني الـشـفـاعةُ في الأخرى)

خَـدَمْـنـا أمـيـرَ الـمـؤمـنـين بمـوطنٍ

نُـعَـفِّـرُ فـيه الـوَجْهَ قَـصْـدَ تَـيَـمُّنٍ

ويَـخـدِمُ قـبـرَ الـمُـرتَـضَى كلُّ مـؤمنٍ

(بـأهـداب أجْـفـانٍ وأحْـداقِ أعـينٍ)

---

(١) في الأصول: تهتف والتصويب من الترياق.

(٢) في الأصول: (ومن قبل ما يثوي ومن قبل ما ثوى) والصواب ما أثبتناه.

(*) في الطبعة (١): (فخرب) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(وحُـرٍّ وُجُـوهٍ عـفَّـرتْـهـا يـدُ الـغَـبْـرا)
أزلـنـا غُـبـاراً كـان في قـبـر حـيـدرٍ
فلاحَ كـغـمْـد الـمَـشْـرَفِيِّ الـمُـشَـهَّـرِ
ولا غَـرْوَ في ذاك المـكـان الـمُـطَـهَّـرِ
(أمَـطْنـا الـقَذَى عن جَفْنِ سيفٍ مُـذكَّرِ)
(أجَلِّ سُـيـوفِ الـله أشْـهَـرِهـا ذِكْـرا)
تَـبَـدّى سَـنـا أنـواره وتَـبَـيَّـنـا
غَـداةَ جَـلَـوْنـا قَـبْـرَهُ فَـتَـزيَّـنـا
فَـحَـيَّـرَ أفْـهـامـاً وأبْـهَـرَ أعْـيُـنـا
(فـوالـلـهِ مـا نـدري وقـد سـطعَ الـسَّـنـا)

(٨٦)

هـو الـبـرقُ ممّـا راعَـهـا وشَـجـاهـا — فَـهَـيَّجَ مـنـهـا داءَهـا وأسـاهـا[٢]
ومِمّـا جَـوىً تـطوي عـليه ضُـلـوعَـهـا[٣] — بـكتْ بـدمٍ قـانٍ فـطـالَ بـكـاهـا
حـكتْ بـلـسـانِ الحـالِ حـتّى وَددْتُـني — أقـبِّلُ من تـلك الـمَـطـيَّـة فـاهـا
جَـوىً مـثلَ مـا بى أو يـزيـدُ بـزَعْـمِـهـا — وهـيـهـات مـنِّي وَجْـدُهـا وعَـنـاهـا
فـقـلـتُ لـهـا لا فـاتك الـوِردُ صـافـيـاً — ولا حَـبَـسَتْ عـنك الـسَّـمـاءُ حَـيـاهـا
وَرَوَّضْتِ من أكـنـاف (نجدٍ) ريـاضَـهـا — وحَقّ لـنـفسِ الحُـرِّ عـنك رِضـاهـا
سَـقـاهـا منَ الـنُّـجْبِ الـكـرائم نـاقـةً — وأكـرَمَ مـنـهـا أمَّـهـا وأبـاهـا[٤]
تـعـافُ الـنَّـميرَ الـعَـذْبَ يُـمْـزَجُ بـالـقَذى — وتـخـتـارُ في رِيِّ الـهَـوانِ صَـداهـا
تَـجـافتْ عنِ الـدارِ الـتي تُـنْـبِتُ الأذى — وهـا قـد نَـأتْ عن مِـثْـلِـهـا لِـسِـواهـا

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) ذكر المرحوم عباس العزاوي في ص٣٣ من مجموعة شعر الأخرس. أن الشاعر الأخرس نظم هذه المدحة سنة ١٢٦٥هـ وأن الشاعر عبدالباقي العمري ألقى هذه القصيدة نيابة عن الأخرس في مجلس العلامة أبي الثناء الآلوسي.

(٣) في الأصول: (ومما جوى تطوي عليها ضلوعها).

(٤) ناقة منصوبة على الاختصاص أو أنها حال جامد.

لقد سَرَّها أن لا تُساءَ فأرقَلَتْ ... إلى حيثُ مَثْوَى الأكرمين حِماها
فجاوزتِ البَيْداءَ غيرَ مَروعَةٍ ... كأنّ المنايا قَصدَها ومُناها
تُباعِدُ ما بين الخُطى فكأنّما ... تَبوعُ الفَلا أخْفافُها بِخُطاها[1]
تَهيمُ بأعلامِ المُحَصَّبِ من (مِنًى) ... وآفَةُ نفسِ المُسْتَهامِ هَواها
عليها من الفِتْيانِ من لا تَروعُهُ ... مُكابَدَةُ الأهْوالِ حينَ يَراها
رَماهُ إباءُ الضَّيْمِ في كلِّ مَهْمَهٍ ... يروعُ العَفَرْنَى أن يَجُسَّ ثَراها[2]
منَ الصِّيدِ لا يَسْتَصْعِبُ الحَتْفَ إنْ دنا ... ولا باتَ يشكو للخُطوبِ أذاها
ويأنَفُ أنْ يُلْقي القِيادَ لنكبةٍ ... يرَى فَرَجَ اللهِ القريبَ وراها
إذا همَّ لا تَنْبُو مَضارِبُ عَزْمِهِ ... ولا فَلَّ أحداثُ الزمانِ شَباها
تَصَفَّحَ يرتادُ المنازلَ في (اللِّوى) ... ويطلبُ فيها مَرْتَعاً ومِياها
ولم ينأَ عن دارِ القِلَى باخْتِياره ... ولكن جَفَتْهُ أهلُها فَجَفاها
قليلُ ائتلافِ الجَفْنِ من سِنَةِ الكرى ... فلو راودتْهُ مَرَّةً لَعَصاها
ولا بكثيرِ الالتفاتِ إلى التي ... نأى ماضياً عنها فَعَزَّ عزاها
لقد شام بَرقاً بالحِمَى غيرَ مُمْطِرٍ ... فأعرضَ عن أنْوائِها بِنَواها
وحَثْحَثَها والليلُ يُبْدي ظَلامَهُ ... إلى عينِ هادي من يضلُّ عَماها
وسارَ بها إذْ ذاكَ في كلِّ مَهْمَهٍ ... وليس إلى غيرِ العَلاءِ سُراها
وما راحَ إلاّ وهْو فيها سَميرُها ... شَكَتْهُ تَباريحَ الجَوى وشكاها
يذكّرُها بـ(الرقْمَتَيْنِ) مَنازلاً ... مراتِعَها أعلامَها ورُباها
رَعَتْ من خُزاماها وفازتْ بمائها ... سَقاها شَآبيبَ الحَيا ورعاها
هلُمّي بنا يا ناقُ نذكرُ ما مَضَى ... ونبكي شؤوناً لا يفيدُ بكاها
وأيامَنا في الرَّبعِ والربعُ آهِلٌ ... فواهاً لتلك الماضياتِ وآها
مَضَى وانْقَضَى عَهْدُ الأحبَّةِ في (النقا) ... وقد نَفَرَتْ أسرابُها ومَهاها
فكيف إذًا يا ناقُ تَرجِعُ جيرةٌ ... يَقَرُّ لِعَيْني أنْ يلوحَ سَناها
بِعَيْشِكِ هل تدرينَ من أنا طالبٌ ... ولم تَدْرِ في ماذا يكون جِداها

---

(١) تبوع: تقيس الأرض بالباع. مثل: تذرع. بالذراع.

(٢) العفرنى: الأسد.

أرومُ رُبوعاً يُهْتَدَى لِبُيوتِها[١] ... بنورِ مُحَيّاها ونارِ قِراها

وما افْتَقَرتْ في الناسِ من أحَدٍ يَدٌ ... إذا كان من (عبدِ الغنيِّ) غناها

له الخيرُ مَجْبولٌ على الخيرِ كلِّهِ ... وخيرُ الوَرى من لم يَزَلْ لِرَجَاها

فلم يَبْقَ من أكرومةٍ ما أجادها ... ومَنْقَبَةٍ ما حازها وحَواها

مَباني الكرامِ الأولين تَهَدَّمتْ ... فأعْلَى مَبانيها وشادَ بِناها

عَزيزٌ عزيزُ النفسِ إن ضيمَ جارُهُ ... فَداها إذًا في نفسه ووَقَاها

له الفَتَكاتُ البِكْرُ تَشْهَدُ أنَّه ... (عِصاميُّها) المعروفُ و(ابنُ جَلاها)

تقلَّدَ عَزْماً مثلَ إفرندِ عَضْبِهِ ... إذا اعْتَرضَتْه النائباتُ بَراها

هو الغيثُ يومَ الجودِ والليثُ في الوغَى ... فغيثُ نَداها كَفُّ ليثَ وغَاها

إذا كان مَجْدٌ كان منه عِمادَهُ ... وإن كان حربٌ كان قطبَ رَحاها

متى شاءَ أوْراها وأثْقَبَ زَنْدَها ... وشَبَّتْ بفرسانِ الرجالِ لَظاها

أحَلّي بذِكْراهُ القَوافي أصوغُها ... ألاَ إنّما ذكرُ الكرامِ حُلاها

تأرَّجَ في النادي بذِكْرِ جَميلِهِ ... وإن كان نَدّيَّ النَّسيمِ شَذاها

وإنّي لأهديها إلى خيرِ ماجدٍ ... نَعَمْ إنَّه مصْباحُها وهُداها

إلى الغايَةِ القُصْوَى وأيةُ غايةٍ ... عَلا مُسْتَطيلاً شأوُها وذُراها

سَما غيرَ ممنوعٍ إلى كلِّ سؤددٍ ... فلو رامَ أنْ يرقَى السَّماءَ رَقَاها

إلى أينَ تَبْغي بالأبوّة والعُلا ... بنفسٍ جميعُ الناسِ دونَ عُلاها

تَعالَيْتَ حتّى انْحَطَّ من دونك الورى ... فكنتَ ثُريّاها وشَمْسَ ضُحاها

فداؤك عَبْدٌ أنتَ مالكُ رِقِّهِ ... بأيدي كريمٍ يُسْتَفاضُ نَداها

فشُكْراً لِما أولَيْتَ من نِعْمَةٍ بها ... تولَّيْتُ مالاً من نداكَ وَجَاها

وَجَدْتُ على دنيا أضاعَتْ عَوارِفي ... وما انْتاشَ أبناءُ الزمانِ لِقاها

وَوجْدي على هذا الزمانِ سَفاهةً ... وعَتبي على القومِ اللئامِ سَفاها

ولو كانتِ الأيامُ تعقلُ ما أتتْ ... إذًا لَنَهاها عَقْلُها ونُهاها

لها الحظُّ من مثلي، وجودي بمِثْلِها ... وحَظِّيَ منها هَجْرُها وقِلاها

إليك (أبا محمودَ) أشكو حوادثاً ... كثيرٌ على الحُرِّ الكريمِ أذاها

أُمَنّي بها النفسَ الأمانيَّ ضِلَّةً ... وتَمْنَعُني من عَوْدِها وَجَناها

وتَلْسَعُني فيها أفاعٍ قَوارِعٌ ... وما عَرَفَ الرّاقونَ كيف رُقاها

---

(١) في الأصول: (أروم ربرعًا يهتدي لربوعها) والتصويب من مجموعة الأخرس للمرحوم عباس العزاوي.

أرى هـذه الـدنـيـا لمن ذلَّ أصْـبَـحَتْ ... ذَلــولاً ولــو كـــان الأبيُّ أبـــاهـــا
تَـسَنَّـمَـهـا من كـان من دونِ خُـفِّـهـا[1] ... وكـنّـا نَـراهُ تَـحْـتَـهـا فَـعَلاهـا
ومـا بُـحْتُ بـالـشَّـكْـوَى وفِيَّ بَـقِـيَّـةٌ ... منَ الـصَّـبـرِ إلاّ وانْـتَـهَتْ وتَـنـاهَى
وعِلْمُكَ بي يُـخْبِرْكَ عنّي فما الذي[2] ... أقـــولُ بـــأحْـــوالي وأنْتَ تَـــراهـــا
ومـا هـيَ إلاّ مُـهْـجَـةٌ شَـفَّـهـا الـصَّدَى ... إذا هي تَـسْـتَـسْـقي نَـداكَ سَـقـاهـا
وإلاّ تَلافــاني بِـلُــطْـفِكَ لم تَـكَـدْ[3] ... بَـــوادرُ حـــظِّي أن تَـــروحَ تـجـــاهـــا
جَـزَتْكَ جَـوازي الخَـيْـرِ من مُـتَـفَـضِّلٍ ... دَعَـتْهُ الأمـاني فـاسْـتَـجـابَ دُعـاهـا
فــأنتَ بـعـصـرٍ لا خَـلَتْ مـنكَ أهْـلُهُ ... خـلـيقُ الـسَّـجـايـا بـالجـمـيل، خـلاهـا
نَـشَـرْتَ به صُـحْفَ المـكـارمِ والـنَّـدى ... ومن بـعـد مـا قـد لَـفَّـهـا وَطَـواهـا

(٨٧)

أيُّـهـا الـقَـبْرُ لا بَـرِحْتَ مَـصُـوبـاً ... من غــزيــرِ الحَـيـا بـصَـيِّبٍ مُـزْنِ
دفـــنـــوا في ثَـــراكَ أكْـــرَمَ مَـــيْتٍ ... حـالَ مـا بَـيْـنَهُ الـمَـنـونُ وبَـيْـني
من أبٍ كـــان بي رؤوفـــاً رحـــيـــمـــاً ... جُـزِيَ الخــيــرَ والمــثــوبــةَ عــنِّي
ســوف أبـكـيه مـا حَـيـيتُ وإن كـا ... ن بـــكـــائي عـــلـــيه لـــيس بمُـــغْن
نـــالَ من ربِّه مَـــقـــامًـــا كـــريمـــاً ... يَـتَـمَـنّى مـكـانَهُ الـمُـتَـمَـنِّي
قـــلتُ لـــمَّـــا مَـــضَـى وأرَّخْـــتُه قـــد ... (نِـلتَ عـبـدَ الـوهـابِ جـنّـاتِ عَـدْنٍ)
١٢٨٣هـ

(١) في مجموعة شعر الأخرس ص٣٦ (.. من دون حقها).

(٢) جزم الشاعر (يخبرك) دون سبب سوى الوزن. وليته قال (... ينبيك).

(٣) تلافاني بحذف إحدى التائين وأصلها (تتلافاني). والصواب (تلافني) وبها يختل الوزن.

(٤) السيد عبدالوهاب ابن الحاج عبدالرزاق ابن الحاج أبوبكر بن حسن بن الحاج عثمان البرزنلي. نسبة إلى قرية (بارزان) وقيل إلى (البرزان) أي البوق بالتركية. كان رئيس تجار بغداد، وبيتهم بيت عز وتجارة ولهم أملاك واسعة في بغداد وغيرها من المدن. منها الخان التجاري المعروف بخان البرزنلي كان بموضع بناية الدامرجي بشارع السموأل ببغداد. ومنها بستان في محلة السفينة بالأعظمية وتعرف ببستان البرزنلي. ولهم مسجد في محلة المربعة ببغداد وتوفي السيد عبدالوهاب سنة ١٢٨٣هـ – ١٨٦٦م. ودفن في مسجدهم بجوار أبيه المتوفى سنة ١٢٦٨هـ. انظر البغداديون ص١٠٣ ومعجم اللغة العامية البغدادية ١/ ٤٩٤.

(٨٨)

وقال مادحًا حضرة الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

يا إمامًا في الدين والمذْهب الحَقْـ ـقِ على علمك الأنامُ عيالُ
رَضِي اللهُ عنك أوْضَحتَ للنا سِ مَنارَ الهُدَى فبادَ الضَّلال
قد ملأتَ الدنيا بعِلْمكَ حتّى نِلْتَ بالعلمِ غايةً لا تُنال
كلّما قالت الأئمَّةُ قَوْلاً فإلى ما تقولُ أنتَ المَآل
إنّما أنت قُدْوَةُ الكُلِّ بالكُلِّ وعنكَ التَّفْصيلُ والإجْمال
رحمةُ الله لم تزلْ تَتَوالَى ما تَوالى الغُدُوُّ والآصال
شَمِلَتْ حَضْرَةً مُقَدَّسَةً فيـ ـكَ وقَبْراً عليكَ[*] منكَ جَلال
فَبِأَبْوابِها تُناخُ المَطايا وبأفْنائِها[**] تُحَطُّ الرِّحال
فازَ مَنْ زارها ومن حَلَّ فيها وعليه الخُضوعُ والإذلال

---

(١) هو إسماعيل صادق كمال باشا نجل والي بغداد محمد صالح وجيهي باشا، كان محبًا للخير وله معرفة وذوق باللغة والأدب، له رسالة في تفسير سورة الإخلاص، وقد قرضها المفتي أبوالثناء الآلوسي، وكانت له صلات ومودة مع علماء بغداد وأدبائها، واثنى على تفسيره الشاعر عبدالباقي العمري بقوله من قصيدة:

لله تفسير عديم المثـال أزرت مبانيه بنثـر اللآل
وسورة الإخلاص فيه ازدهت كما ازدهت وجنة خد بخـال
على الجلالين علا قـدره فجل عن تشبيهه بالجـلال
نجل الوجيهي الوزيـر الذي آراؤه في الحكم تحكي النصال
من بعد ما غاب لقد أرخـوا (تفسيره العماد بدر الكمـال)

١٢٦٩هـ

وقد أرسله السلطان عبدالعزيز إلى بغداد لينوب عنه في استقبال ناصرالدين شاه القاجاري عند زيارته للعتبات المقدسة وقد مدحه المفتي محمد فيضي الزهاوي بقصيدة باللغة الفارسية سنة ١٢٨٧هـ - ١٨٧٠م. انظر: الترياق الفاروقي ٢١٥ - ٢١٦ وحديقة الورود ٢/ ١٠٩ مخطوط وتاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي ٧/ ٢٤٣.

(*) هكذا وردت في الطبعة (١) وفي الطراز الأنفس، ولعل صوابها (عليه).

(**) في الطبعة (١): (وبأفنانها) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(***) في الطبعة (١): (نفخات) خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يا مُفيضاً من رُوحه نَفَحَاتٍ[***] | منكَ يَسْتَوْهِبُ الكمالَ (كمال)
سار بالشَّوْقِ قاصداً من (فَروقٍ)[*] | وإليكَ المَسيرُ والإنْتِقال
زَوْرَةٌ تَمْحَقُ الذُّنوبَ وفيها | لِلمُنيبينَ مِنْحَةٌ ونَوال
عن خُلوصٍ وعن ثَباتِ اعْتِقادٍ | أوقَفَتْه ببابِكَ الآمال
وَدَعاهُ إليكَ وهْو بَعيدٌ | سَفَرٌ عن بِلادِهِ وارتِحال
لم تَعُقْهُ فَدافِدٌ وحُزونٌ | وقِفارٌ مَهولَةٌ وجِبال
فطَوى في مَسيرَةِ الأرضِ طَيّاً | حينَ وافَى وما اعْتَراهُ مَلال
إنْ يُصادفْ منكَ القَبولَ فقدْ فا | زَ وثَمَّ الإسْعادُ والإقْبال
لم يَخِبْ آمِلٌ بما يَرْتَجيهِ | ولهُ فيكَ عِزَّةٌ واتِّصال
أنتَ قطبٌ في عالَمِ العِلْمِ منه | تَسْتَمِدُّ الأقْطابُ والأبْدال

(٨٩)

وقال مادحًا العلامة أبا الثناء الآلوسي[١] والذوات الحاضرين بمجلسه [وهي

أيُّ جَمْعٍ هذا وأيُّ اتّفاقِ | وصِحابٍ أماجِدٍ ورِفاقِ
خالَفُوا داعي الشِّقاقِ وشَقُّوا | بالتِئامٍ منهمْ عَصِيَّ الشِّقاق
كلُّ فردٍ منهمْ من الفضلِ كنزٌ | ليس يَخْشَى الإملاقَ في الإنْفاق
أيّ نادٍ نادي الأجَلِّ (شهاب الدْ | دينِ) بحرِ العلومِ مُفْتي العراق
لو أُفيضَتْ عُلومُهُ في البَرايا | شَمَلَ العالمين بالإغْراق
مُحْرِقٌ حجَّةَ العِناد[**] ولا بِدْ | عَ فإنَّ الشّهابَ للإحراق
كاشفُ الغَمِّ إنْ تَوالتْ غُمومٌ | فارِجُ الهَمِّ عندَ ضيقِ الخِناق
فإلى فَضْلِه تَهادى المَطايا | وإلى رَبْعِهِ حَنينُ النِّياق
فهْو إذْ ذاكَ مَلجأُ الناسِ طُرّاً | وأجَلُّ الوَرى على الإطْلاق

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(*) فروق، اسم من أسماء استانبول.

(**) في الطبعة (١): (الغياد) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

فتأملْ في ما حَوَى اليومَ ناديـ — ـه ففيه مكارمُ الأخْلاق

جَمَعوا بينَ شدَّة البأسِ في الجدْ — د، وفي الهَزْلِ رقّةُ العُشّاق

إنّما السّاعةُ التي جَمَعَتْهُمْ — جَمَعتْ لي مَحاسِنَ الآفاق

فَغَدَتْ مثلَ روضةٍ باكَرَتْها — غادياتٌ بالوابلِ المُهْراق

فكأنَّ الحَديثَ فيه مُدامٌ — حَمَلتْها إليَّ كفُّ السَّاقي

مجلسٌ ما انْطَوى على غيرِ أنْسٍ — وخَلا من تحاسُدٍ ونِفاق

يا له مجلسٌ بـ(أحمد) قد أشْـ — ـرَقَ في الحُسْنِ غايةَ الإشراق[1]

دَبَّ فيه السُّرورُ من كلِّ وجهٍ — بأديبِ الزّمانِ (عبدِ الباقي)[2]

وتَعالَى إلى المعالي (عليٌّ)[3] — بالعَوالي وبالسُّيوفِ الرِّقاق

وعَلا قَدْرُهُ بقدر (عليٍّ) — وتَسامىَ فكانَ في الفَخْرِ راقي[4]

قَلَّدَ الناسَ أيْدياً من نَداهُ — فهْي مثل الأطواقِ في الأعناق

كم شكرنا غَداةَ يَقْتَسِمُ الوَفْـ — ـدُ نَداهُ مُقَسِّمَ الأرزاق

(أسْعد) الله و(السَّعيد)(*) لديهمْ[5] — كلُّ عَذْبِ الكلامِ حُلْوِ المَذاق

---

(١) أحمد عزة باشا بن محمود بن سليمان العمري، شاعر باحث فاضل ولد في الموصل سنة ١٢٤٤هـ – ١٨٢٨م وبها نشأ ودرس على علمائها أمثال عبدالله باش عالم العمري والشيخ عبدالرزاق الجبوري وقدم بغداد وواصل دراسته على أبي الثناء وغيره. وعين متصرفًا في سهرزود، ثم متصرفًا في الأحساء ونقل إلى تعز باليمن، ثم عاد إلى الآستانة وله مؤلفات قيمة، منها العقود الجوهرية مطبوع ورحلة إلى نجد وله رسالة في التصوير الشمسي (مخطوطة) وترجم عن التركية كتاب (أحكام الأراضي) وجمع شعر الأخرس في ديوان سماه (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) وطبعه في الآستانة سنة ١٣٠٤هـ وله ديوان شعر كبير مخطوط منه نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي، وله كتاب (السفينة) جمع فيه بعض شعره ورسائله، وتوفي في الآستانة سنة ١٣١٠هـ وهو ابن أخي الشاعر عبدالباقي العمري، وقد مدحه أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب بعدة قصائد. انظر: تاريخ الموصل ٢/ ٢٦٢، وحلية البشر ١/ ٢٥٥ – ٢٥٩ وديوان الشدياق ٥٩ ومختارات آل عبدالقادر ٣٥٢، والأعلام ١/ ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) الشاعر عبدالباقي العمري مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤).

(٣) السيد علي النقيب القادري مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٤) هذا البيت تقدم على الذي قبله في حديقة الورود.

(٥) أسعد أفندي الحيدري بن عبيد الله بن صبغة الله الحيدري، كان من كبار الصوفية ومن خلفاء الشيخ خالد النقشبندي كثير الطاعة له، وكان مفتي الحنفية ببغداد وقد حج واجتمع بعلماء الشام ومصر واليمن وله إجازة من مرتضى الزبيدي شارح القاموس. كما أخذ منه جماعة من علماء بغداد منهم الوالي العالم داود باشا. ونال منه الإجازة وله حاشية على حاشية العلامة ناصرالدين اللقاني على شرح العزي في الصرف للسعد التفتازاني. توفي بالطاعون سنة ١٢٤٦هـ – ١٨٣٠م ودفن في حجرة خاصة في جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد قرب المنارة. انظر: عنوان المجد ص١٤٢ و١٣٦ وحلية البشر ١/ ٣٠٨ والحدائق الوردية ٢٥٧ والبغداديون ص٣٦ وفيه وفاته ١٢٥٨هـ وهو خطأ. وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢/ ١٣٩ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧/ ١٤٢.

والسعيد هو مفتي بغداد السيد محمد سعيد الطبقجلي وستأتي ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٠).

(*) **في الطبعة (١): (السعيد) وصوابها من الطراز الأنفس.**

(٩٠)

وقال مادحًا العلامة السيد محمد سعيد أفندي[1] [الطبقجلي] مفتي بغداد ويهنيه

جَـددِّ اللـذَّةَ حتّى نَتَجَدَّدْ ... واسْقِنيها في لُجَيْنِ الكأسِ عَسْجَدْ[2]

وخُذِ اليومَ بها لذّتَنا ... وأعِدْها يا نَديمي لِيَ في غَدْ

بَينَ نُدْمانٍ كأزهارِ الرُّبا ... كلُّ فردٍ منهمُ بالفضلِ مُفْرَد

نَظَمَتْ شَمْلَهمُ كأسُ الطِّلا ... فهْوَ كالعِقْدِ وكالدُّرِّ المُنَضَّد

برزَ الروضُ بأبْهَى هَيْبَةٍ ... فَتَهَيّا للسُّرورِ اليومَ واعْتَدّ

ولقد جُرِّدَ من غِمْدِ الدُّجى ... صارمُ الفجرِ عِياناً فَتَجَدَّد

وبَقايا غَلَسٍ أبصَرْتُها ... ما تَبَقَّى من دُخانِ العود والنَّد(*)

---

(١) السيد محمد سعيد بن السيد محمد أمين الشهير بالمدرس ابن محمد صالح أفندي بن الحاج إسماعيل بن خليل الطبقجلي، ولد ببغداد وبها نشأ، وكان والده عالمًا فاضلاً فقرأ عليه وعلى علماء عصره الأعلام كالوزير داود باشا وعبدالرحمن أفندي الروزبهاني وغيرهم. ثم عين مفتيًا في الحلة عدة سنوات، وناب في إفتاء بغداد، ثم نصب مفتيًا للحنفية في بغداد أول عهد الوالي علي رضا اللاظ، ثم عزله علي رضا، وكان المترجم له رجلاً مهيبًا جليل القدر لدى الوزراء والحكام والعلماء والأدباء، حاد المزاج وكان رديء الخط للغاية. وكان ينفق على الفقراء والأيتام بسخاء وكان لا يغتاب أحدًا ولا ينم على أحد. ولا يرضى بذلك لغيره وقد امتدحه الشعراء بقصائد حسان. وترك الوظيفة وانصرف إلى التدريس والتأليف وله من المؤلفات (مجيب الندا في شرح شواهد قطر الندى) و(شرح القصيدة الأعظمية) للعمري و(شرح عصام في الوضع).

وكانت له مكتبة حافلة بأمهات المصادر. وهو والد العلامة السيد محمد نافع الطبقجلي مفتي الحلة. وتوفي يوم الثلاثاء ١٣ شوال سنة ١٢٧٣هـ – ١٨٥٧م. ودفن في مقبرة كلية الإمام الأعظم خلف قبة الإمام ورثاه الشاعر محمد أمين العمري بقصيدة قال فيها:

له القدح المعلى في المعالي ... إذا ما أعوز القوم القداح

ثنت أقلامه البيض المواضي ... فلانت عندها السمر الرماح

وكم أحيت قريحته رميمًا ... كما أحيا الورى الماء القراح

سهام ذكاهُ لم تخطئ مرامًا ... كأن مضاءها قدر متاح

كما رثاه الأخرس بأبيات كتبت على رقيم قبره. انظر: الترياق الفاروقي ٢١٥ و٢٥٦ وعنوان المجد ١٤٩ وحديقة الورود ١٦٧ مخطوط والدر المنتثر ١٧٠ وهدية العارفين ٢/ ٣٧٤ والمسك الأذفر ٩٦ وتاريخ الأدب العربي في العراق ٢/ ٥٦ و١٤١ والبغداديون ٣٤.

(٢) هذه القصيدة لم ترد في الأصول، وإنما وردت في نسخة (الأنكرلي) وقد تداخلت أبياتها مع قصيدة أخرى في الديوان موجهة إلى السيد عبدالغني جميل ص١٠٢ – ١٠٤ في الطراز.

(*) **في الطبعة (١): (والغد) ولعل الصواب ما أثبتناه.**

نَــبَّهَ الــوَرْقــاءَ حــتّى نَــبَّــهَتْ ... لـلـحُـمَـيَّا أعْـيُـنـاً لـلـشَّـرْبِ هُـجَّـد

أطْـرَبَـتْـنـا الـوُرْقُ في ألْـحـانِـهـا ... يـا فَـدَتْـهـا في الـغَـواني أمُّ مـعـبـد[1]

في ريــاضٍ نَــضِــراتٍ أنْــبَــتَتْ ... ورقَ الـيـاقـوتِ من قُـضْبِ الـزَّبَـرْجَـد

ولَــكَمْ عُــدْنــا إلى أمــثــالــهــا ... بـعـد حـينٍ فـوَجَـدْنـا الـعَـوْدَ أحـمـد

وشَــهِـدْنــا مَــشْــهَـدَ الأنْسِ بــهــا ... وقـعـدنـا لـلـهـوى في كلِّ مَـقْـعَـد

وقَــضَــيْــنــا عَــجَـبــاً من روضــةٍ ... شَـرِبَ الـغُـصْنُ فـمـا لـلـطَّـيْـرِ عَـرْبَـد

ومــديــرُ الــكــاسِ في أرجــائــهــا ... قَــمَــرٌ يــبــدو وغُــصْـنٌ يَــتَــأَوَّد

إنَّ أشْـــهَى الــراحِ مــا تــأخُــذُهُ ... من يــدَيْ ســاقٍ نـقـيِّ الخَـدِّ أمْـرَد

خِــلْتُ مــا في يَــدِهِ في خَــدِّهِ ... فـسَـواءٌ بـين مـا في الـيَـدِ والخَـدّ

بــابــليِّ الــطَّـرْفِ حُـلْـوِيِّ الــلَّـمَى ... لـيِّنِ الجـانبِ قـاسي الـقـلبِ جَـلْـمَـد

ألْــعَسُ مــذْ بَــرَدَتْ ريــقَــتُهُ ... أورثَــتْــنــا نــارَ شَــوْقٍ تَـتَـوَقَّـد

فــشــربــنــا خَــدَّه من يــدِهِ ... واقـتَـطَـفْـنا منه غُـصْنَ الآسِ والـورد[2]

واتَّــخَـذْنــاه - وإن يــأبَ الـتُّـقى - ... صَـنَـمـاً لـكـنه لـلـحُـسْنِ يُـعْـبَـد

يَــبْــعَثُ الــوَجْـدَ إلى كلِّ حــشًــا ... لِــخَـلـيٍّ من هــواه حـيثُ لا وَجْـد[3]

لــو رآه تــائبٌ من ذَنْــبِهِ ... قـد تَـبَـدَّى وهْـو مـثلُ الـبـدر لارتَـدّ

جَــحَــدَتْ أعْــيُــنُه سَــفْكَ دمي ... وعـلـيه خـدُّه في الـوجْهِ يَـشْـهَـد[4]

لــستُ أدري أيّــمــا أمْـضَى شَـبــاً ... في فـؤادي ذلك الـطـرفُ أم الـقَـدّ

إنَّ هــاروتَ ومــاروتَ لــقــدْ ... أخَـذا عـنه حـديثَ الـسِّـحْـرِ مُـسْـنَـد

لَــيِّنُ الأعْــطــافِ حــتّى إنّه ... كـاد من شِـدَّةِ ذاك الـلِّـينِ يُـعْـقَـد

يــا لـه من مُـطْـرِبٍ يُـعْـجِـبُـني ... غَـزلي فـيه ومـدحي لِـ(مـحـمـد)

ذي يَــدٍ طُــولَى فــشــكــراً لــيَــدٍ ... من عـريقٍ في المـعـالي الـغُـرِّ ذي يَـد

(١) مرت ترجمتها في تعليقنا على القصيدة رقم ٥٦.

(٢) جعل الشاعر هنا القافية وحرف الروي ساكنين وهذا عيب.

(٣) فيها عيب كما في (الورد).

(٤) أخذه من قول الحصري القيرواني:

يــا من جــحــدت عــيــنــاه دمي ... وعــلــى خــديه تــورده

ديوان ليل الصب ص٢٠.

ضمَّ بُرداهُ تَقِيّاً ماجداً ... وَجَدَ التَّقْوَى مَزاداً فَتَزَوَّد

قد نَظَرْنا جِدَّه أو جَدَّه ... فنظرنا بالعُلا ما يصنعُ الجِدّ

يَقْتَفي آثارَ آباءٍ له ... أثَرَ المجدِ اقْتَفَى عنهمْ وقَلَّد

وعلى ما عُوِّدتْ آباؤه ... عوَّدَتْهُ من قديمٍ فَتَعَوَّد

علماءٌ عملوا في عِلْمِهِمْ ... مَهَّدوا الدينَ من المَهْدِ إلى اللَّحْد[1]

ولَكَمْ حُلَّ بهم من مُشْكِلٍ ... وهمُ إذْ ذاك أهلُ الحَلِّ والعَقْد[2]

رَفَعَتْ آثارُهُ أعلامَهُمْ ... فبَنَى بيتَ(*) مَعاليهمْ وشَيَّد

ماجدٌ يَعْلُو على أقْرانه ... وقد احْتَلَّ رِعانَ العِزِّ والمجْد[3]

ليس يَخْفَى فهمُهُ أو عِلْمُهُ ... لاحَ لِلعالَمِ مثْلَ العَلَمِ الفَرْد[4]

قَصَدَتْ وُفَّادُه إحْسانَهُ ... قَلَّ من يُرجَى لإحْسانٍ ويُقْصَد

غيرَ بِدْعٍ إن تَحَرَّينا لهُ ... مَكْرُماتٍ من كريمِ الأبِ والجَد

فإذا أفْسَدَ حالاً زمنٌ ... أصْلَحَتْ ما أقْصَدَ الدهرُ وأفْسَد

وأمَدَّتْني يَداهُ بالنَّدى ... وكذاكَ البَحْرُ يومَ الجَزْرِ والمَد

إذْ حَلَلْنا نادياً حَلَّ بهِ ... لم نَحُلْ إلا بغابِ الأسَدِ الورد[5]

وإلى ناديه في يومِ النَّدَى ... أدَبٌ يُجْبَى ومالٌ يَتَبَدَّد

عارِضٌ من فَضْله مُمْطِرُنا ... لا كما العارِضِ إنْ أبْرقَ أرْعَد

لا أزالَ اللهُ عن أبْصارنا ... طالعاً منه يزيلُ النَّحْسَ بالسَّعْد[6]

فَلَكَ الأيْدي على طُولِ المَدى ... أبَداً بيضٌ بجُنْحِ الخَطْبِ أسْوَد

فَتَولَّ من ثنائي مِدْحَةً ... أيُّها المَوْلَى فقد لاذَ بكَ العَبْد[7]

قد مَضَى الشَّهرُ صِياماً وتُقًى ... فابْقَ واسْلَمْ دائمَ العِزِّ مُخَلَّد

واهْنَ بالعيد فقد عادَ بما ... تَشْتَهيه أنتَ من عِزٍّ وسُؤدد

لستُ أدري أأُهَنيكَ به ... أمْ أُهني بكَ في إكْرامِكَ الوفد[8]

---

(١) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٢) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٣) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٤) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٥) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٦) كذا. (٧) كذا. (٨) كذا. (٩) كذا.

(*) في الطبعة (١): (بي) خطأ طباعي ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٩١)

في رَحْمَةِ اللهِ مَضَى وانْقَضَى — قَرْمٌ له بينَ الورَى شانُ
قد كان طَودَ المجدِ حتّى هَوَتْ — له برغمِ المجْدِ أركان
ماتَ شَهيداً فإلى روحه — من ربِّه عَفْوٌ وغُفْران
وكم مَضَتْ قَوْمٌ لهمْ صَوْلَةٌ — حتّى كأنَّ القَوْمَ ما كانوا
ماتَ ابنُ غنّام فأرَّخْتُهُ — (في الخلد قد راح سليمان)[2]

---

(١) الشيخ سليمان الغنام من رؤساء قبيلة (عقيل) ينزل في جانب الكرخ من بغداد. وكانت عشيرة عقيل في أيامه فخذين (القصيمات) أو العقيل الأصليين و(الشمامرة) وأصلهم من شمر الجربا وكان الولاة يعينون لكل فخذ شيخًا وسليمان الغنام رئيس الشمامرة. وقد رافق علي رضا اللاظ عند قدومه إلى بغداد ومعه أتباعه من عقيل وأتباع صفوق من شمر، وحاصرا بغداد وقطعا طريق الحلة واحتل الشيخ سليمان جانبًا من السراي واشعل فيه النار، وساهم بعزل داود باشا. كما أنه ساهم في واقعة المحمرة مع علي رضا اللاظ وقد مدحه الشعراء كعبدالباقي العمري والشيخ صالح التميمي بقوله:

شهدت لبأسك يعرب ونزار — قسمًا لأنت الفارس المغوار
ما نال ما نال الوزير بعسكر — بل أنت وحدك عسكر جرار
لبس (ابن غنام) برود مكارم — ومحامد لم تمحها الأعصار

كما مدحه التميمي بقصائد عديدة . جدّد سد نهر الصقلاوية الذي هدد الكرخ بالغرق وقد أنشأ سليمان الغنام مسجدًا في الكرخ سنة ١٢٥٢هـ يعرف باسمه إلى اليوم وفيه مدرسة وقف عليها بعض كتبه سنة ١٢٥٤هـ وكان عارفًا بأحكام القبائل وأنسابها ويحكم في نزاعها ومشاكلها. قتله الوالي محمد نجيب باشا سنة ١٢٥٨هـ كما هو المشهور ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي. انظر الترياق الفاروقي ٢٤١ وتاريخ المماليك في العراق ٦١ و٧٥ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ٨٤ وديوان التميمي ٤٣ – ٤٤ و١٢٨ وتاريخ مساجد بغداد للآلوسي ١٣١ ورحلة فريزر ١٩٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٦/ ٦٤ والبغداديون ٦٣ والأحواز(٣/ ١٥ – ١٧ وفهرس مخطوطات الأوقاف ١/ ٦٦٣.

(٢) مجموع التاريخ يساوي ١٢٥٩هـ وفي الأصول ١٢٥٨هـ.

(٩٢)

أعـد الـلَّـهـوَ فـإنَّ الـلّـهـوَ أحْـمَـدْ
وأدرْهـا في لُـجَـيْنِ الـكـأس عَـسْـجَـدْ[٢]
واسْـقِـنـيـهـا قَـهْـوَةً عـاديّـةً[٣]
أخْبَرَتْ عمّا مَضَى في ذلك العَهْد[٤]
لـو رأى (كـسـرى) سَـنـا أنْـوارِهـا
ظَنَّـهـا الـنـارَ الـتي في الـفُـرْسِ تُـعْـبَد
لَـبِـسـتْ من حَـبَبِ المـزجِ لـهـا
تـاجَ (إسـكـنـدرَ) ذي الـقـرنـين والـسَّد
فـاسْـقِـنـي الـيـومَ أفـاويقَ الـطِّلا
وأعِـدْهـا يـا نـديمي لِيَ في غَـد
قَـدُمَـتْ لـكـنَّـنـا في شـربـهـا
كلَّ يـومٍ في سُـرورٍ يَـتَـجَـدَّد
في ريـاضٍ لَـعِـبَتْ فـيـهـا الـصَّـبا
وأذاعتْ سِرَّ نَشْرِ الشِّيحِ والـرَّنْد[٥]
أخَـذَتْ زُخْـرُفَـهـا من بـعـد مـا
حـاكتِ الـمُـزنُ لـهـا أثـوابَ خُـرَّد
نَـثَـرَ الـطَّلُّ عـلـيـهـا لـؤلـؤاً
أينَ من لـؤلـؤهـا الـدرُّ الـمُـنَـضَّـد
أحـسـب الـقَـطْـرَ عـلى أزهـارهـا
أدمُـعـاً سـالَتْ من الـعـينِ عـلى الخَـدّ
فـانْـثَـنَتْ أغْـصـانُـهـا مـائـسَـةً
طَـرَبَ الـنَّـشْـوانِ راحَتْ تَـتَـأوَّد
فَـقَـضَتْ عَـيْـنـايَ مـنـهـا عَـجَـبًا
ومِن الـقُـمْـريِّ إذْ غَـنَّى وغَـرَّد
هـذه أغْـصـانُـهـا قـد شـربتْ
فَـعَلامَ الـطَّـيْـرُ في الأفْـنـانِ عَـرْبَـد[٦]
زَمَنَ الـوَرْدِ ومـا يُـعْـجِـبُـني
زَمَـنُ لِـلَّـهـوِ إلاّ زَمَـنُ الـوَرْد[٧]
تَـنْـقَـضِي أيـامُهُ مَـحْـمـودَةً
في أمـانِ الـلـهِ من حَـرٍّ ومن بَـرْد[٨]

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

(٢) انظر القصيدة رقم (٩٠) فقد تداخلت أبيات القصيدتين. ويبدو لي أن الشاعر قد مدح المفتي محمد سعيد الطبقجلي أولاً بالقصيدة رقم (٩٠) وعدد أبياتها (٥١) بيتا. توفي المفتي سنة ١٢٧٣هـ. فعاد الشاعر إلى القصيدة ذاتها وأضاف إليها (٧) أبيات ومدح بها السيد عبدالغني وأولاده وهذه القصيدة مؤرخة سنة ١٢٧٣هـ وربما فعل الشاعرذلك بعد وفاة الطبقجلي بأشهر.

(٣) عادية نسبة إلى عهد عاد، ويقصد بذلك أنها قديمة ومعتقة.

(٤) القافية معيبة لوجود ساكنين.

(٥) كذا.

(٦) هذا البيت أخذه الشيخ باقر الشبيبي بقوله:

المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد

(٧) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٨) كذا.

فاغْتَنِمها فُرْصَةً ما أمكنتْ … قبلَ أنْ تذهبَ يا صاحِ وتُفْقَد

بين شادٍ تَطْرَبُ النَّفْسُ به … يتَغَنَّى ومَليحٍ يَتَأوَّد

ما ألذَّ الراحَ يُسقاها امرؤٌ … من يَدَيْ ساقٍ نقيِّ الخَدِّ أمْرَد

يُخْجِلُ الأقْمارَ حُسْناً وَجْهُهُ … وغُصونَ البانِ ليناً ذلكَ القَدّ

فالعوالي والغوالي إنّما انـ … ـتَسَبَتْ منه انْتسابَ القَدِّ والنَّد

أرأيتَ السِّحْرَ في ما زَعَموا … إنَّه راحَ إلى عَيْنَيْه يُسْنَد

أُنْزِلَتْ للحُسْنِ آياتٌ به … آمَنَ العاشقُ فيهنَّ وما ارْتَدّ

ما رمَى قلبِيَ إلاّ عامِداً … قاتلٌ لي ولِقَتْلي يَتَعَمَّد

يأخُذُ الأرواحَ من أرْبابِها … لَعِباً منه فما قَوْلُكَ إنْ جَدّ

سَمِحُ المُهْجَةِ لا مُمْتَنِعٌ … عن مُحبٍّ خَضِلِ الطرف مُسَهَّد

لا يَشُوبُ الوَصْلَ بالصَّدِّ ويا … رُبَّ إلْفٍ لا يَشُوبُ الوَصْلَ بالصَّدّ

بأبي الأغْيَدُ لا يَمْزِجُها … من لَماهُ بِسوى العَذْبِ المُبَرَّد

وبأحْشائي منَ الوَجْدِ إلى … باردِ الرِّيقَةِ نارٌ تَتَوَقَّد

حَبَّذا العيشُ بمن قد تَصْطَفي … لا النَّوى بادٍ ولا الشَّمْلُ مُبَدَّد

تحتَ ظِلَّيْ مالِكَيْ رقّي وما … غيرُ (محمود) ولا غيرُ (محمد)[1]

النَّجيبَيْنِ اللَّذينِ انْتُدِبا … بجَميلِ الصُّنْعِ والذِّكْرِ المُخَلَّد

والمَجيدَيْنِ وكلٌّ منهما … طَيِّبُ العُنْصُرِ زاكي الأصْلِ والجَدّ

والكريمَيْنِ وما صَوْبُ الحَيا … إن يَكُنْ أبْرَقَ بالجُودِ وأرْعَد

والرَّفيقَيْنِ كأنّي بهما … بَلَغا الغايةَ من مَجْدٍ وسُؤدد

إنْ أفاخِرْ بهما غيرَهُما … فلقدْ أفْخَرُ بالحُرِّ على الوَغْد[2]

خُلِقَا للفَضْلِ وارتاحا له … لا كَمَنْ عُوِّدَ قسْراً فَتَعَوَّد

إنّ هذينِ هما ما بَرِحا … للمَعالي بمَحَلِّ الكفِّ والزَّنْد[3]

---

(١) هما أولاد عبدالغني جميل. وقد مرت ترجمة محمد في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٦).

(٢) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٣) كذا.

فَتَأمَّلْ بهما أيُّهما الذّ … ابلُ الخَطِيُّ والسَّيْفُ المُهَنَّد

إنْ يكونا قَلَّداني نِعْمَةً … أنا فيها فَنِعمَّا أتقلَّد

وَصَلا حَبْلي وشادا مَفْخَري … ولمثلي فيهما الفَخْرُ المُشَيَّد

هكذا فَلْتَكُ أبْناءُ العُلا … تَقْتَفي الأبناءُ إثْرَ الأبِ والجَدّ

إنّما الشِّبْلُ منَ الليثِ وما … يَلِدُ الأصْيَدُ يوماً غيرَ أصْيَد

من أبٍ يَفْتَخِرُ المَجْدُ به … إنْ رمَى أصْمَى وإن ساعَدَ أسْعَد

هو بَحْرٌ ما له من ساحلٍ … وحُسامٌ لم نَقِفْ منه على حَدّ

وهِزَبْرٌ باسلٌ بُرْثُنُه الـ … أسمرُ العسّالُ والعَضْبُ المُجَرَّد

هو مَوْلايَ إذا اسْتَعْطَفْتُه … عَطَفَ المَوْلَى من البِرِّ على العَبْد(١)

مالكٌ حَكَّمَني في ماله … فَلِي الأخْذُ خِياراً وليَ الرَّد

وَحَباني نِعَماً أشْكُرُها … فلهُ الشكرُ عليها ولهُ الحَمْد(٢)

لا أُبالي إنْ يكنْ لي جُنَّةً … بزمانٍ كان لي الخَصْمَ الألَنْدَد(٣)

طاولَ الأيْدي فَطالَتْ يَدُهُ … ما على أيديه(*) للعالَمِ منْ يَد

حَفِظَ الحافظُ نَجْلَيْه ولا … بَرِحا في أطْيَبِ العَيْشِ وأرْغَد

لم يَلِدْ مِثْلَ أبيهم والدٌ … لم يَلِدْ قبلُ ولا من بَعْدُ يُولَد

نَصَروا المَجْدَ وكانوا حِزْبَهُ … فهمُ الأنْصارُ والحزبُ المؤيّد

فَلَقَدْ طابُوا وطابَتْ خِيمُهُمْ(٤) … طَيِّبُو الأعْراقِ من قبلُ ومن بَعْد(٥)

نَبَتُوا فيها نَباتاً حَسَناً … وغَذاهُمْ بِلِبانِ العزِّ والمَجْد(٦)

وإذا أمْعَنْتَ فيهم نَظَراً … لم تَجِدْ إلاّ شهاباً ثاقبَ الزند(٧)

كلّما زادَ وقاراً زِدْتُهُ … مِدَحاً تُتلَى مَدَى الدهرِ وتُنْشَد

---

(١) القافية معيبة لوجود الساكنين.	(٢) كذا.

(٣) الألندد لغة في الألد.

(٤) الخيم: بكسر الخاء: الأصل والطبع.	(٥) القافية معيبة لوجود الساكنين.

(٦) كذا.	(٧) كذا.

(٨) في الأصول تحت عبارة التاريخ رقم وهو ١٢٧٣هـ. مع العلم أن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٣٠٣هـ. والأخرس توفي سنة ١٢٩١هـ. فتأمل ذلك وربما سطا بعضهم على قصيدة الأخرس في مدح المفتي محمد سعيد الطبقجلي. فانتحلها ومدح بها محمد آل جميل. ومع ذلك فالتاريخ لا يوافق أيام شباب محمد آل جميل حتى يصف عذاره. إلا إذا ظن أن أحداً لم يحسب التاريخ من بعده. والله أعلم.

(*) **في الطبعة (١): (أيدي) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.**

(٩٣)

أرى في لَـفْظِ هـذا الـشَّـهْمِ مَـعْـنَى	يُـنَـبِّىءُ عَن مَـدَى عِـلْمٍ عـظِـيمِ
ومَــهْــمــا زِدْتُهُ نَـظَـراً بـفـكـري	رأيتُ نُـهـاهُ قِـسْـطـاسَ الـعـلـومِ

(٩٤)

---

(١) العلامة الشيخ محمد أمين فيضي بن أحمد بن حسن بن رستم بك ابن كيخسرو بك ابن مير سليمان باشا الزهاوي ويتصل نسبه بالصحابي الجليل خالد بن الوليد.

ولد في زهاو (زهاب) سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٦م) ودرس على علماء عصره ثم لازم الشيخ أفندي الساوجيلاغي وتخرج عليه. وقدم بغداد واحتفى به علماؤها وحكامها سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠ وعين مدرسًا في المدرسة السليمانية ببغداد، وأنشأ مكتبة عامرة، ثم عين مفتيًا في بغداد سنة ١٢٧٣هـ بعد العلامة الحاج محمد أمين الزند، وكان فقيهًا أصوليًا محدثًا مفسرًا أديبًا، له نظم جيد ونثر حسن ومساجلات مع عدد كبير من الشعراء والأدباء. وكان له مجلس في داره ببغداد (في محلة جديد حسن) [باشا] ومساجلات مع عدد كبير من الشعراء والأدباء والقضاة وكان شديد الذكاء. ترد إليه المسائل من أنحاء الدنيا. وتخرج عليه خلق كثير، وقد مدحه كثير من الشعراء ومنهم عبدالباقي العمري بقوله:

قد قيل لي إذ رحت أنشد عندما	شاهـــدت دين محمد يتجدد
في مذهب النعمان بالزوراء قد	أفتى الإمام الشافعي محمد

وتوفي ببغداد سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠ ودفن في المدرسة السليمانية ورثاه جمع من العلماء والشعراء منهم تلميذه الشيخ عبدالوهاب النائب بقوله:

سأبكي على فيضي ويبكي الأوائل	وينعيـــه ناد للعلى ومحافل
يعز على أهل العراق بأسرهم	إمـام إلى تلك المقابر راحل
سقى جدثًا قد ضمّ قبر إمامنا	سحاب من المولى المعظم شامل

والمترجم له هو جد العلامة الكبير أستاذنا المرحوم الشيخ أمجد الزهاوي.

انظر الترياق الفاروقي ٣٧٩– –٣٨٠ وعنوان المجد ٩٨ – و١٤١ وتاريخ مساجد بغداد للآلوسي ٨٢ ولب الألباب ٨٦/١ – ٨٩ والبغداديون ١٣٨ – ١٣٩ وبغداد القديمة ١٩٦ وفيه وفاته ١٤١١هـ وهو غلط.

أيُّ نـارٍ بـهـا الجَـوانحُ تَـصْـلَى | وجُـفـونٍ تـصـوبُ بـالـدَّمع وَبْلا
كـلّـمـا لاحَ بـارقٌ هـاجَ وَجْـدُ | وجَـرى مَـدْمَعٌ له واسْـتَـهَلاّ
مُـغْـرَمٌ لا يَـعِي الـمَلامَـةَ في الحُبِّ | ولا يَـرْعَـوي فَـيَـقْـبَلُ عَـذْلا
ما يُفيدُ الـمَشوقَ يا سعدُ أمسَى | مُـكْـثـراً من بُـكـائه أو مُـقلاّ
صَـرَعَـتْهُ الـعُـيونُ نُـجْلاً وهل تَـصْـ | ـرَعُ إلاّ عُـيونُـها الـغيدُ نُـجْلا
وسَـقَـتْهُ كـأسَ الـغَـرام – ومـا كـا | ن لِـيَـشْـفي الـغَـرامُ – عَلاً ونَـهْلا
مـا يُـعـاني من الـصَّـبابـةِ صَبٌّ | كـان قـبلَ الـهَـوى عَـزيـزاً فـذلاّ
قـد أذلَّ الـغـرامُ كلَّ عـزيـزٍ | والـهَـوَى يـتـركُ الأعَـزَّ الأذلاّ
وبـنـفـسي مـهـفـهفُ الـعِطْفِ أحْـوَى | حَـرَّمَ الـلـهُ من دَمِي مـا اسْـتَـحَلاّ
قُلْ لأحـبـابـنـا وهل يـجـمعُ الـدهـ | ـرُ عـلى بُـعْـدِهِمْ منَ الـدارِ شَـمْلا
مـا تَـسـلّـيتُ في سِـواكمْ ومَنْ لي | بـفـؤادٍ في غـيـركمْ يـتَـسـلَّى
فَـرّقَ الـدهـرُ بَـيْـنَـنـا بـالـتّـنـائي | وقَـضَـى بـالـنَّـوى ومـا كـان عَـدْلا
عَـلِّـلـونـا مـنـكمْ ولـو بـخـيـالٍ | يـهـتـدي طَـيْـفُهُ فـيـطـرقُ لَـيْلا
فـعسى الـمُـهْـجَـةُ الـتي أظمَـأتْـهـا | زَفْـرَةُ الـوَجْـدِ بـعـدكمْ أن تُـبَلاّ
إنّ وُرْقـاً نـاحتْ على الـغُصْنِ شَـجْواً | أنـا مـنـهـا بـذلكَ الـنّـوح أَوْلَى
وشَـجَـتْـنـا بِـنَـوْحِـهـا حـينَ نـاحَتْ | فـكـأنّ الـوَرقـاءَ إذْ ذاكَ ثَـكْـلَى
ذكّـرتْـني وربَّـمـا هـيَّجَ الـذك | ـرُ زَمـانـاً مَـضَى وعَـصْـراً تـولَّى
وهَـوى مَـرْبَعٍ لِـظَـمْـيـاءَ أقْـوَى | تَـسْـحَبُ الـمُـزنُ في مَـغـانـيهِ ذَيْلا
فـسَـقَى مـلـعبَ الـغـزالِ وَمـيضٌ | من هَـطـولٍ يَـسْـقي رَذاذاً وهَـطْلا
أفـأشـفي الجَـوى بـآرام رَبْعٍ | صَحَّ فـيـه نَـسـيـمُهُ واعْـتَلاّ[١]
رُبَّ طَـيْفٍ من آلِ ميٍّ طَـروقٍ | زارَ وهْـنًـا فـقـلت أهلاً وسَـهْلا[٢]
نَـوَّلَـتْـني الأحْلامُ مـنه الأمـاني | وانْـقَـضَى عَـهْـدُهُ ومـا نِـلْتُ نَـيْلا
إذْ تَـصَـدَّى لـمُـغْـرَمٍ مـاتَ صَـدّاً | وتـولَّى حَـرَّ الـغـرامِ وولَّى

(١) العجز فيه زحاف.

(٢) الوهن: آخر الليل.

زائــراً كــالــسَّــرابِ لاحَ لِــصــادٍ	قـبلَ أن يـذهبَ الـظَّـمـاءُ اضْـمَـحَلا
والـلَّـيـالي تُـريكَ كلَّ عـجـيبٍ[1]	وتـزيـدُ الخـطـوبُ بـالـشَّـهمِ عَـقْلا
وإذا مـا مَـحَتْ أعـاجـيبَ شـكلٍ	أثْـبَـتَتْ من عـجـائبِ الـدهـرِ شَـكْلا
قـد أكـلـتُ الـزَّمـانَ حـلـواً ومُـرّاً	وشـربْتُ الأيـامَ خَـمْـراً وخَلاّ
وأبَـتْ لـي أبـوَّتـي أنْ أداري	مَـعْـشَـراً عن مَـدارِكِ الـفـضلِ غُـفْلا
لا أداري ولا أمـاري ولا أشـ	ـهَـدُ زوراً ولا أُبَـدِّلُ نَـقْلا
قـد كـفـاني ربِّي اسْـتـمـاحَـةَ قـومٍ	أُشْـرِبـوا في الـصُّـدورِ غلاً وبُـخْلا
بـ(أبي الـقـاسم) الـذي طـابَ في الـنـا	سِ نـجـاراً وطـابَ فَـرْعـاً وأصْلا[2]
وإذا عَـدَّدَتْ بـنـيـهـا المـعـالي	كـان أعْـلَى بـني المـعـالي مَـحلاّ
فَـخْـرُ (آلِ الـزهـيـر) والجَـبَلُ الـبا	ذخُ أضـحـى عـلى الجـبـالِ مُـطلاّ
ظلُّ من يَـسْـتَـظِلُّ مـنه بِـظلٍّ	لا عَـدِمْـنـاه في الأمـاجـدِ ظِلاّ
كـلَّ يـومٍ وكـلَّ آنٍ لَـدَيْـهِ	يَـجْـتَـدي سـائلٌ ويـبـلغُ سُـؤَلا
بـأبي وافـرُ الـعَـطـايـا إذا مـا	أكـثـرَ الـنَّـيلَ بـالـعـطـاءِ اسْـتَـقَلاّ

(١) مقتبس من قول الشاعر: والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

(٢) هو قاسم باشا بن محمد جلبي ابن عثمان آل الزهير. ولد في حلب، وقدم البصرة سنة ١٢٦٢هـ واستوطنها وكان من الأفراد القلائل في الهمة والرشاد والذكاء والكرم وهو من كبار التجار، وكان رئيسًا لمحكمة التجارة سنة ١٢٨٦هـ. وهو صهر سليمان باشا الزهير وابن خاله. وقد اختلف مع ناصر باشا السعدون والي البصرة سنة ١٢٩٣هـ. وسبب ذلك أن سليمان الزهير حين عزم على مغادرة البصرة. أبقى عنده قسمًا من أموال ناصر باشا والي البصرة، ليستعين بها على سفره، ورهن عنده أملاكه ونخيله خشية أن يتصرف فيها قاسم الزهير. لأنه كان سخيًا كريمًا جوادًا طلق اليد، وكذلك لئلا يستولي عليها ناصر باشا، فهي مرهونة عنده. وبعد وفاة سليمان الزهير طلب الوالي ناصر باشا من قاسم الزهير، أن يفك الرهن. فامتنع الزهير من ذلك وقال للوالي: إن الدين يسدد من واردات الأملاك حسب العقد والرهن. فعزم الوالي على سجنه فخرج قاسم الزهير من البصرة ليلاً والتجأ إلى قمندان البحرية (خالد بك) فنقله إلى العمارة. فاستقبله فيها شعبان باشا (قائمقام العمارة) بالاحترام وعجل بسفره إلى بغداد. وكان ناصر باشا قد أبرق إلى قائمقام العمارة بالقبض على قاسم الزهير، إلا أن شبعان باشا اعتذر إليه وأخبره أنه تابع إلى بغداد ويتلقى أوامره منها. فوصل قاسم الزهير إلى الآستانة ورفع أمر الوالي إلى السلطان فعزل ناصر باشا عن ولاية البصرة كما عزل ابنيه مزيد السعدون، عن الأحساء وفالح السعدون عن الناصرية سنة ١٢٩٤هـ. وبقي قاسم الزهير في الآستانة حيث عين عضوًا في مجلس شورى الدولة سنة ١٣٠٢ وتوفي فيها سنة ١٣٠٤ – ١٨٨٦م ودفن بجوار الصحابي أبي أيوب الأنصاري.

انظر عنوان المجد ١٦٦ والتحفة النبهانية ٩/٣٢١ – ٣٢٣.

وعِيالٌ ذوو العُقولِ عليه ... في أمورٍ تَدِقُّ فَهْماً وعَقْلا

عِصْمَةٌ للأفْكارِ من خَطَأ الرأ ... يِ وهادٍ للفِكْرِ من أنْ يَضلاّ

نَوَّرَ اللهُ منكَ قَلْباً ذكيّاً ... ظُلَمُ الشَّكِّ فيه لا شكَّ تُجْلَى

غادرَ المَحْلُ في أياديه خِصْباً ... في زمانٍ يغادرُ الخصبَ مَحْلا

كمْ أيادٍ تلك الأيادي أفاضَتْ ... وأسالتْ من وابلِ الجُودِ سَيْلا

سابقٌ مَنْ يجيءُ بالفَضْلِ بَعْدًا ... لاحقٌ بالجميل من كان قَبْلا

شَهِدَ اللهُ والأنامُ جميعاً ... أنَّه الصّارمُ الذي لن يُفَلاّ

إنْ تُجَرِّدْهُ كاشفاً لِمُلِمٍّ ... فكما جَرَّدَتْ يَمينُكَ نَصْلا

وعلى ما يَلوحُ لي منه مَرْأى ... قَرَأَ المجْدُ سَطْرَه واسْتَمَلاّ

يا حُساماً هَزَزْتَهُ مَشْرَفِيّاً ... صَقَلَتْهُ قَيْنُ المروءة صَقْلا

من جليلٍ أعزَّكَ اللهُ في العا ... لَمِ قَدْراً سَما فعَزَّ وَجَلاّ(*)

أيُّ نادٍ ولم يكن لك فيه ... آيَةٌ من جَميلِ ذِكْرِكَ تُتْلَى

قد حكيتَ الشُّمَّ الرواسي وقَاراً ... وَثَباتاً في الحادثات ونُبْلا

لبسَ الشِّعرُ من مديحك حلْياً ... لا أراهُ بِغَيْرِه يَتَحَلّى

وبَناتُ الأفكارِ لم تَرْضَ إلاّ ... كفؤَها من أكارمِ الناسِ بَعْلا

أيُّها المُنْعِمُ المؤَمَّلُ للفضـ ... ـلِ حَباكَ الإلهُ ما دمتَ فَضْلا

ألبَسَتْني نُعْماكَ من قَبْلِ هذا ... جِدَّةً من مفاخرٍ ليس تَبلى

كلُّ يوم تَراكَ عَيْناي عيدٌ ... عندَ مِثْلي ولا أرى لَكَ مِثْلا

فإذا قُلْتُ في ثَنائكَ قَوْلاً ... قيلَ لي أنتَ أصْدَقُ الناسِ قَوْلا

(٩٥)

---

(١) الحاج عبدالواحد جلبي بن عبدالله بن مبارك، من قبيلة خالد، قدم جدهم مبارك البصرة ونزل في أبي الخصيب وكان من أهل اليسار.

والحاج عبدالواحد من أعيان البصرة وكان عضواً في مجلس ولايتها. وكان سخيًا جوادًا وهو من كبار التجار، وله علاقات تجارية مع الهند وغيرها من أقطار الخليج العربي. وإليه تنسب الأسرة البصرية الشهيرة (آل عبدالواحد)، وللشعراء فيه مدائح كثيرة.

انظر: عنوان المجد ١٦٨ و١٧١.

(*) **في الطبعة (١): كان هذا البيت مكررًا.**

أعَلِمْتَ أيَّ مَعالمٍ ومَعاهدِ تذري عليها الدَّمعَ عبْرةُ واجدِ
وقَفَ المُشوقُ بها فَشَقَّ فُؤادَهُ وأهاجَ ناراً ما لها من خامدِ
ولذلك الرّكبِ المُناخِ بها جَوًى لا يَسْتَقِرُّ بها فؤادُ الفاقدِ
مَنْ ناشدٌ لي في المنازل مهجةً لو كان يُجْديها نشيدُ الناشد
وتَرَدُّدُ الزفراتِ بين جَوانحي ممّا يصُوبُ بمدمعي المُتَصاعد
أضْنانيَ الشَّوْقُ المُبَرِّحُ في الحَشا حتَّى خفيتُ من الضَّنَى عن عائدي[١][*]
ظَعَنَ الألى فتسابقتْ أظعانُهمْ تجتابُ بين دكادكٍ وفَدافِد
قُلْ للظَّعينِ منَ الهَوى بقَوامهمْ ماذا لقيتَ من القَوامِ المائد
إنّي لأذكُرُهُمْ على حَرِّ الظَّما قد كِدْتُ أشْرَقُ بالزلالِ البارد[٢]
مَنَعوا طُروقَ الطَّيْفِ في سِنَةِ الكرى هيهات يطرقُ ساهراً من راقد
بانوا فشيَّعهمْ فؤادٌ وامقٌ[٣] ورَجَعْتُ عنهم باصطبارٍ بائد
جاهدتُ فيهمْ لومَ كلِّ مُفَنِّدٍ لو أنّ لي في الحُبِّ أجْرَ مُجاهد
مَهْ يا عَذولُ فقد أطلتَ مُقَصّراً في واجدٍ تلحوه لا مُتَواجِد
يا دارُ حيّاكِ الغمامُ بصيِّبٍ يَنْهَلُّ بين بَوارقٍ ورَواعِد
وسَقَى زمانَ اللَّهْوِ فيك فإنَّه زمنٌ مضى طرباً وليس بعائد
زمنٌ لهوتُ به بكلِّ خَريدةٍ لعِبَتْ مَحاسِنُها بِلُبِّ العابد
دارتْ عليَّ الكأسُ في غَسَقِ الدُّجَى فشربتُها ذهباً بماءٍ جامد[٤]
وجَرَيْتُ طَلْقاً في مَيادينِ الهَوى لمَصارعٍ من غنيةٍ ومَصائد
ولقد صَحَوْتُ منَ الشباب وسُكْرِه ونظرتُ للدنيا بعَيْنَيْ زاهد
مَنْ راحَ تُغْريه مطالعُ نفسه في ما يُشانُ به فليس براشد
إنْ كادني الطمعُ المُبيدُ بكيده فَلْيَنْظُرَنَّ مَخادعي ومَكايِدي

---

(١) أخذه من قول الشاعر:

زارني صاحبي فلم ير منّي فوق فراش السقام شيئًا يراه
قال أين أنت، قلت التمسني فبكى حين لم تجدني يداه

(٢) أشرق: بفتح الراء. أغص وأختنق.

(٣) الوامق: المحب.

(٤) الماء الجامد: يقصد به الزجاج.

(*) في الطبعة (١): (عابدي) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

وإذا قَسا الخطبُ المُلِمُّ فلا تَلُمْ ... حاربْ زَمانَكَ ما اسْتَطَعْتَ وجالِد

أعْرَضْتُ عن (بغدادَ) إعْراضَ امْرِئٍ ... يرتادُ ما يرضي مُرادَ الرائد

من بعدِ ما غالَ الحِمامُ أحبَّتي ... ولَوى يدي بالنائبات وساعدي

حتى رأيتُ الخيرَ يخصبُ رَبْعُهُ ... (بأبي الخصيب) ووجْه (عبد الواحد)[1]

بأجّلِ مَنْ أفْرَدْتُهُ بفرائدي ... وأجَلِّ من قلَّدتُهُ بقلائدي

وَجْهٌ عليه من الجَمالِ أسرَّةٌ[2] ... تبدو فتُنْبي عن جميلِ عَوائد

في صُبْحِ ذاكَ الوَجْهِ سعدُ المُشْتَري ... وشِهابُ ذاكَ الوَجْهِ حَدْسُ عُطارِدِ

(ابنُ المُبارك) لاسْمِه وسِماته ... و(مبارَكٌ) في الناسِ أكرمُ والِد

سوقُ الأفاضلِ للفضائل كلِّها ... في سُوقه إنْفاقُ شِعْرِ الكاسد

تُفْني أياديه الحُطامَ تكرُّماً ... فيفوزُ يومئذٍ بذكرٍ خالد

تَنْهَلُّ راحَتُهُ بصَيِّبِ جُودِه ... عَذْبُ المَواردِ مَنْهَلٌ للوارد

لم تُبْقِ راحتُهُ وجُودُ يمينِه ... من طارفٍ[*] للمكرمات وتالِد

لا زالَ في نعمائه وولائه ... فَرَحُ الوَدودِ ورغمُ أنفِ الحاسد

لا تنكرُ الحُسّادُ من مَعْروفِه ... شيئًا وليس لفضله من جاحد

وأغرُّ قد خَفَضَ الجَناحَ لآملٍ ... بَرٍّ رفعتُ إليه غُرَّ قصائدي

ومنَ السَّعادة أن أجيءَ بسابقٍ ... من بِرِّه أسْعَى إليه وقائد

فأفوزُ منه بطَلْعَةٍ تجلو الدُّجَى ... وتضيءُ بالحَسَبِ الصَّميمِ الماجد

ولَكَمْ وردْتُ مَوارداً من سَيْلِه ... فحمدتُ فيه مَصادري ومَواردي

فإذا اعْتَرَفْتُ من الكرام بفَضْلِه ... جاءَتْ مَكارِمُهُ بألْفَيْ شاهد

شَهِدَ الرجالُ بفضلِه وبرأيه ... بمواطنٍ شتّى مَضَتْ ومَشاهد

يمضي مُعاديه ويخطو هابطاً ... وتَرى مُواليه بفَخْرٍ صاعد

يا مَن يُغَرُّ لجَهْلِه في حِلْمه ... إيّاكَ من وثباتِ ليثٍ لابد

نَقَدَ الرجالَ رفيعَهمْ ووضيعَهمْ ... والزيفُ يظهرُ عند نَقْدِ الناقد

بَعُدَتْ عنِ الفَحْشاءِ منه خَلائقٌ ... بعد الصَّلاحِ من الزمان الفاسد

---

(١) أبوالخصيب. قصبة جميلة في جنوب البصرة، ذات بساتين ورياض وأنهار وهي اليوم قضاء في محافظة البصرة.

(٢) أسرة الوجه، خطوطه وتجاعيده، تنبسط عند السرور، وجمعها (أسارير).

(*) **في الطبعة (١): (طارق) خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.**

يــومَ الــنَّــوال تــراه أوَّلَ مُــنْــعمٍ ... ولــدى الــصَّلاة تــراه أولَ ســاجــد

لــو لامَــسَتْ صُمَّ الجَلامــدِ كــفُّهُ ... لــتَــفَــجَّــرَتْ بــالمــاء صُمُّ جَلامــد

أطلــقتُ ألــسِنَــةَ الــثــنــاء عــلــيه في ... شِــعْــرٍ يُــقَــيِّــدُ في عُلاه شَــوارِدي

قــامتْ بــخــدمــته الــسَّعــادةُ عن رضًــا ... كم قــائمٍ يَــسْــعَى بــخــدمــةِ قــاعــد

وَفَــدَتْ عــلــيك معَ الخُــلوص قَــصــيــدةٌ ... ولأنتَ أوَّلُ مُــكْــرِمٍ لــلــوافــد

لا غَــرْوَ إنْ قَــصَــدَتْكَ تَــرْغَبُ بــالــغِــنى ... أرأيتَ غــيــرَكَ مــقــصــداً لــلــقــاصــد

فــاقــبلْ منَ الــداعي إلــيكَ ثــنــاءه ... من شــاكــرٍ لك بــالــقَــريضِ وحــامــد

(٩٦)

من (أبي الــهــدى) لاحَ فــيــنــا مــظــهــرْ ... فَــتَــجــلّى لــنــا بــنــورٍ أزهــرْ

هــو كــالــبَــحْــرِ إنْ تَــرِدْه تــراه[٢] ... مَــعْــدِنَ الــدرِّ بل مَــقَــرَّ الجــوهــرْ

(٩٧)

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٨).

(٢) الصواب: (... إن ترده تره).

(٣) في الأصول: (آدم الفضل...) وما أثبتناه أولى.

(٤) محمد وأحمد، ولدا ياسين بن طه الريّس ويطلق على هذه العائلة لقب (المعلمان) ولهذه العائلة مواقف في تاريخ أبي الخصيب في البصرة. وكانوا يتنافسون مع (آل عبدالواحد) على الزعامة. حتى آلت إليهم فعرفوا ببيت (الريس) وكان الولاة يستعينون بهم في تأديب بعض القبائل التي لا تدفع الضرائب. وكان محمد وأخوه أحمد من أهل الكرم والسخاء والنجدة. وقد تولى محمد رئاسة بلدية البصرة سنة ١٢٨٩/١٨٧١م. انظر عنوان المجد ١٧١ والتحفة النبهانية ١٣٥/٩، وأفادني بعض أخباره الصديق الكريم الأستاذ عبدالعزيز عمر العلي برسالة من البصرة.

زَواجُ (ابن يـاسـين) زواجٌ مُـبـارَكٌ
يَـقَـرُّ به عَـيْـنـاً ويَـهْـنـا ويَـسْـعَـدُ

بـه الـخـيـرُ مَـجْـلـوبٌ إلـيه جَـمـيـعُهُ
وفـيـه الـتَّـهـاني كـلّـهـا تـتـولَّـد

تُـسَـرُّ به من (آلِ يـاسـين) عُـصْـبَـةٌ
لـهم شـرفٌ في الأكـرمـين وسُـؤدد

منَ القومِ لم يصنعْ سواهمْ صَنيعَهمْ
بلِ الـبـرُّ بل سـادوا به وتـفـرّدوا

وقـد ورثـوهـا عن أبـيـهمْ مـكـارمًـا
وهـا هي في أبـنـائـهمْ تَـتَـجَـدَّد

ولم يَبْرَحوا (أبناءَ ياسينَ) في النَّدى
مَـنـاهلَ جـود كـالـمَـنـاهلِ تـورَد

هُما ما هُما في المكرُمات كلاهما
(مُحمَّدُ) في النُّجْبِ الكرامِ و(أحمد)

تُـعَـدُّ كـرامُ الـنـاسِ في بَـلَـدَيْـهِـما
فـعُـدّا ولم تُـعْـقَـدْ وراءهـمـا يـد

بـقـيتَ بـقـاءَ الـنـيِّـرَيْنِ (مـحـمـدٌ)
بـنـاعمِ خـفضِ الـعـيشِ لا تـتـنـكَّـد

وفي الـبِـشْـرِ والأرواح قَـوْلي مـؤرخًـا
(تزوجتَ فابقَى في الهنا يا محمد)[1]

١٢٨٩هـ

(٩٨)

طَـهِّـرْ فـؤادَكَ بـالـرّاحـاتِ تَـطْـهـيـرا
ودُمْ عـلـى نَـهـبِكَ الـلَّـذاتِ مَـسـرورا[3]

بادِرْ إلى أخْذِ صَفْوِ العيشِ مُبْتَهجاً
فـمـا أوَدُّ لـوَقْتِ الأنس تـأخـيـرا

فـالـوقتُ راقَ وقـد راقتْ مَـسَـرَّتُه
والـيـومَ أصـبَحَ طيُّ الـزَّهْـرِ مَـنْـشـورا

أمـا تَـرى الـوُرْقَ بـالأوراقِ صـادحَـةً
كـأنّـهـا ضَـرَبَتْ بـالـروحِ صـنـطـيـرا[4]

والبرقُ مثلَ انْقِضاضِ الصَّقْرِ وامِضُهُ[5]
تَـخـالُهُ من غُـرابِ الـلـيلِ مَـذْعـورا

(١) الصواب: فابق، بحذف الألف المقصورة، إلا أن الشاعر أثبتها وعدّها (ياء) من أجل التاريخ.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (١).

(٣) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (همايون) وكذلك الأستاذ يوسف عمر.

(٤) السنطير والسنطور، بالسين والصاد، آلة موسيقية قديمة، بشكل شبه منحرف، ورد ذكرها في التوراة أيام الملك نبوخذ نصر، ودخلت بغداد في القرن الساس الهجري وطورها البغداديون، وزادوا في أوتارها، وأوتاره من نحاس وعددها (٢٣) وترًا وهي من آلات (الجوق البغدادي).

انظر: الطرب عند العرب. للعلاف ٢٥٣ والمقام العراقي. هاشم محمد الرجب ١٧٣.

(٥) في الأصول كلها: (مثل انتقاض) وفي المطبوع (انقضاض).

يـبـدو فَـتَـحْـسَـبُهُ في جُـنْحِ داجِـيَـةٍ ... بـكفِّ (حـامٍ) حُـسـامـاً لاحَ مـشـهـورا

ورُبَّ لـيـلـةِ أنسٍ بتُّ أسـهَـرُهـا ... مُـسَـتَّـراً بـظلامِ الـلـيلِ تَـسْـتـيـرا

غَصَبْتُ فيها الهنا من كأسِ غانيةٍ ... فطاعَني الدهرُ مَغْصوباً ومَجْبوراً

مَزَجْتُ بالرِّيقِ صِرْفاً من مُعَتَّقَةٍ ... فصرتُ من تلكما الخَمْرَيْنِ مخمورا

وبتُّ مُلْتَثِماً وَجْناتِ ذي حَوَرٍ ... وباتَ يلثمُ ليثُ الغيلِ يَعْفُورا

فالواشِ يَعْذلُني والوَجْدُ يعذرني ... والصَّبُّ لا زال[*] معذولاً ومعذورا

وعَنْبَرُ اللَّيْلِ ما وَلَّتْ عَساكِرُهُ ... حتّى رأى من جيوشِ الصُّبْحِ كافورا

لِلّه أحْوَى إذا صالتْ لواحِظُهُ ... أمسَى بصارمِها المُشْتاقُ منذورا

إذا تَجَلَّى بأنْوارِ الجبينِ على ... عُشّاقه دَكَّ من أحشائهم طُورا[١]

كأنَّ صُورَتَهُ للعَيْنِ إذْ جُلِيَتْ ... من فِضَّةٍ قُدِّرتْ بالحُسْنِ تقديرا[٢]

قد خَطَّ في خَدِّه لامُ العِذارِ به ... مسكاً فأصبحَ تَخْطيطاً وتَحْريرا

يا أيُّها الرَّشَأُ المُغْري بناظرهِ ... قد عادَ هاروتُ من جَفْنَيْكَ مَسْحورا

لقد نُصِرْتَ على كَسْرِ القلوبِ به ... مالي أرى طَرْفَكَ المَنْصورَ مكسورا

عَهْدي وعَهْدُكَ لا زال اخْتلافُهُما ... كانا كحظِّيَ مَنْسِيّاً ومَذْكورا

صَفَا لِيَ العَيْشُ مُخْضَرّاً جَوانبُهُ ... فما وَجدْتُ بحمدِ الله تكديرا

لِمْ لا أُسَرُّ بأيّامِ الهَنا وأنا ... إنْ سُرَّ (محمودُ) يوماً كنتُ مسرورا

هو المُشارُ إذا أَمَّتْ حوادثُها ... وأحْسَنُ الرأيِ ما اسْتَخْلَصْتَهُ شُورَى

اللهُ أَلْهَمَهُ في كلِّ معرفةٍ ... فَهْماً وعِلْماً وأخْلاقاً وتدبيرا

بالسَّعْيِ لا بالمُنَى والعَجْزِ أدْرَكَها ... قد ضَلَّ من ظَلَّ بالآمالِ مَغْرورا[٣]

هذا الإمامُ (شهابُ الدين) ثاقبُهُ ... أزالَ في نورِ صبحِ الحقِّ دَيْجورا

كم مُلْحِدٍ هو (بالبرهان) أفْحَمَهُ[٤] ... مَنْ يَنْصُرُ اللهُ يوماً كان مَنْصورا

إنَّ الشَّريعَةَ باهَتْ منه في بَطَلٍ ... حامي حِمَاها وباني حَوْلَها سورا

لو لامَسَتْ حَجَرَ الصَّمّاءِ راحَتُهُ ... تَفَجَّرَتْ بزُلالِ الماءِ تَفْجيرا

---

(١) في حديقة الورود: من أحشاشهم، وهي من وهم الناسخ.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: .. «قوارير من فضة قدروها تقديرًا» سورة الدهر الآية ١٦.

(٣) في الأصول: قد ضل من ضلّ.. والصواب ما أثبتناه.

(٤) إشارة إلى كتاب (البرهان) لأبي الثناء الآلوسي. وفي مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي (مفحمة).

(**) في الطبعة (١): (غزال) والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

سَـعَى إلى المجْـدِ في سَـيْفٍ وفي قَـلَـمٍ … وعـانقَ الـبِـيضَ حـتّى عـانَقَ الحُـورا
لـو صُـوِّر المجـدُ تَـصْـويـراً عـلـى رَجُلٍ … مـا كـان إلاّكَ أوْصـافـاً وتَـصْـويـرا
وكم نَــثَــرْتَ عــلـى الأسـمــاعِ دُرَّ فمٍ … فـكـان ذيّـالكَ الـمَـنْـثـورُ مَـنْـثـورا[1]
فـأنْتَ أدْرَكُ مَنْ فـيـهـا غَـوامِـضَـهـا … وأنْتَ أفْـصَـحُ أهلِ الـعـلْمِ تَـقْـريـرا
حَـجَّتْ لـبـيـتكَ أهلُ الـعـلْمِ أجـمـعُـهُمْ … فــكــان حَــجّــهمُ إذْ ذاكَ مَــبْــرورا
لـقـد زَهَتْ بكَ دارُ الـعـلْمِ حـيثُ غَـدَتْ … داراً تُـفـاخِـرُ في سُـكّـانـهـا دورا
غَـمَـرْتَـنـا بـأيـاديكَ الـتي سَـلَـفَتْ … لا زلتَ في نـعـمـاءِ الـله مَـغْـمـورا
أرى اجْـتَماعَ الغِـنَى لي والكمالِ إذا[2] … رأيـتُـني مـنكَ مَـلْـحـوظـاً ومَـنْـظـورا
وإنْ أنَـخْتُ لَـدَى عَـلْـيـاكَ راحِـلَـتي … كـنتُ الأمـيـرَ وكـان الـدهـرُ مـأمـورا
لِـيَـهْـنكَ الـيـومَ أبـنـاءٌ لـهم نَـسَبٌ … أضـحى عـلى جَبْهَـةِ الأيـامِ مَسْطورا
إنّ الـرُّواةَ الـتي تَـرْوي مَـنـاقِـبَـهُمْ … عـنـهمْ رَوَتْ خَـبَـراً بـالمجْـدِ مـأثـورا

(٩٩)

مــا لي أودِّعُ كلَّ يـومٍ صـاحـبًـا … إذْ لا تَلاقِيَ بَـعْـدَ طـولِ فِـراقِ
وأُصـارِمُ الأحْـبـابَ لا عن جَـفْـوَةٍ … مـنِّي ولا مُـتَـعَـرِّضًـا لِـشِـقـاقِ
فـارقْـتُـهُمْ ومـدامـعي مُـنْـهَـلَّـةٌ … وجَـوانـحي لـلـبَـيْنِ في إحْـراقِ
وتَـرَكْـتُـهُمْ ورَجَـعْتُ عـنـهم صـابـرًا … حـتّى كـأنّي لـستُ بـالـمُـشْـتـاقِ
أغْـمَـدْتُـهمْ في بَطْنِ مُنْـخَـفَضِ الثَّـرَى … بـيـضًـا كـأمـثـالِ الـسُّـيـوفِ رِقـاقِ
ولـقـد سَـئِـمْتُ الـعيشَ بـعـدَ وفـاتـهمْ … وقَـطَـعْتُ من طَـمَـعي بـهمْ أعْلاقي
أنَّى تـطـيبُ لِيَ الـحـيـاةُ ولا أرى … صَـحْـبي لَـدَيَّ وأسْـرَتي ورِفـاقي
وأرى أحِـبّـائي يُـسـاقِـطُـهـا الـرَّدَى … من بَـيْـنِـنـا كـتَـسـاقُطِ الأوراقِ

---

(١) المنثور: نوع من الورود.

(٢) في الأصول: (أرى اجتماع غنائي والكمال إذا) والتصويب من مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي.

(٣) في مجموعة الأستاذ عبدالخالق العزاوي (مولائي).

(٤) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (٤).

فارقتُ أَذْكى العالمينَ قَريحَةً ... وأجَلَّها فَضْلاً على الإطْلاق
وفَقَدْتُ مُسْتَنَدَ الرِّجالِ إذا رَوَتْ ... عنه الثِّقاتُ مَكارمَ الأخْلاق
قد كان مُنْتَجَعي وشِرْعَةَ مَنْهَلي ... ومَناطَ فَخْري وارتيادَ نِياقي
كانت له الأيدي يُطَوِّقُني بها ... مِنَنًا هي الأطْواقُ في الأعْناق
ولقد أقولُ له وقد شَيَّعْتُهُ ... يومَ الرَّحيلِ بمَدْمَعٍ مُهْراق
أين الذهابُ وعَمَّ تُؤخَذُ بَعْدَهُ ... غُرَرُ الكلامِ وحِكْمَةُ الإشْراق
قد طِبْتَ حَيّاً في الرجال وميِّتًا ... يا أطيبَ الأفْراعِ والأعْراق
فَسَقَاكَ صَوْبُ المُزْنِ كلَّ عَشيَّةٍ ... مُتَتابعَ الإرعادِ والإبْراق
أفْنَيْتَ في هذا المُصابِ تَصَبُّري ... حزنًا وما أنا إذْ مَضَيْتَ بباق
لا بدَّ من شُرْبي كؤوسَ مَنيَّةٍ ... طافتْ عليكَ بها أكفُّ السَّاقي
رزءٌ أصيبَ به العراقُ فأرِّخوا ... (رُزِءَ العراقُ بموت عبدالباقي)
١٢٧٨هـ

(١٠٠)

وقال مشطرًا بيتي الأديب الشيخ صالح التميمي[١] في مدح المحمودين[٢] المفتي

(لآلِ المصطفى عِلْمٌ وجُودٌ) ... يَحُوزُهما مَجيدٌ أو نَجيبُ
وفي هذا الزَّمانِ منَ البَرايا ... (لمحمودَيْنِ ساقَهُما النَّصيب)

---

(١) الشيخ صالح ابن الشيخ درويش بن علي زيني التميمي البغدادي. ولد في الكاظمية سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٧ وتوفي والده وهو صبي فسافر إلى النجف ودرس على علمائها وكان شاعرًا مجيدًا مكثرًا وقد اتصل بالوزير داود باشا ومدحه بغرر القصائد، فقربه الوزير وقد أثنى عليه العلامة علي علاء الدين بقوله: «سابق حلبه البيان وحامل لواء الإحسان رب الفصاحة واللسان» وكانت له صلات مع أدباء عصره أمثال الأخرس والعمري، وكان يفد إلى بغداد لمدح آل النقيب وآل الآلوسي وآل الشادي وآل الجميل، وقد خمس كثيرًا من قصائد أصدقائه.. وله ديوان شعر مطبوع وله كتاب (شرك العقول وغريب المنقول) و(الأخبار المستفادة من منادمة الشاه زادة) وقد درس عليه عثمان سيفي كاتب الإنشاء كتاب مقامات الحريري. توفي في الكاظمية في ١٤ شعبان سنة ١٢٦١/١٨٤٤ ودفن بجوار الإمامين الجوادين ورثاه جماعة من الشعراء منهم عبدالباقي العمري والشيخ عبدالحسين محيي الدين وإبراهيم العاملي. انظر مقدمة ديوانه وحديقة الورود ٢/١٢٦ مخطوط والدر المنتثر ١٢٢ والمسك الأذفر ١٤٨ – ١٥٤ وماضي النجف وحاضرها ٢/٣٢٧ – ٣٢٨ وتاريخ الأدب العربي للعزاوي ٢/٢٢٦ – ٢٢٧ و٣١٨.

(٢) هما محمود النقيب ومحمود المفتي أبوالثناء الآلوسي. وقد مرت ترجمتهما.

(تـورَّثَ عـلْـمَـهمْ قَـمَـرُ الـفَـتَـاوى)   وشـمسٌ مـا لـهـا أبـداً مَـغـيب
وحـازَ فَـخـارَهُمْ وكـذا عُلاهمْ   (وجـودَهُمُ تـورَّثَهُ الـنَّـقـيب)

(١٠١)

هـذه يـا صـاحِ أوقـاتُ الـهَـنـا   وبُـلـوغُ الـنَّـفْسِ أقـصَى الأمَلِ
جَـمَـعَتْ من كلِّ شيءٍ أحْـسَـنـا   لـذةً في غَـيْـرِهـا لم تَـكْـمُلِ

✡✡✡✡✡

فَـخُـذا من عَـيْـشِـنـا صَـفْـوَتَهُ   بـكـؤوسِ الـرّاحِ والـسَّـاقي مَـلـيحْ
بـينِ روضٍ آخِـذٍ زيـنَـتَـهُ   ولـسـانِ الـبَمِّ والـزيـرِ فَـصـيحْ[٢]
ضَـرَّجَ الـوَردُ بـهـا وجـنَـتَـهُ   والـشَّـقـيقُ الـغضُّ إذْ ذاكَ جـريحْ
تحسبُ الـنرجسَ فـيـهـا أعْـيُـنـا   شـاخِـصـاتٍ نَـحْـوَنـا بـالـمُـقَلِ
مـالَ غُـصْنُ الـبـانِ تـيـهـاً وانْـثَـنَى   في هَـواهـا مَـيَلانَ الـثَّـمِلِ

✡✡✡✡✡

مَـرْبَعٌ لـلَّـهـوِ مـنـذُ انْـتَـظَـمـا   أطـربَ الأنْـفُسَ في رَوْحٍ وراحْ
مـا بـكـاه الـقـطـرُ إلاّ ابـتَـسَـمـا   لـبـكـاهُ بـثُـغـورٍ من أقـاحْ
وَشَـدَتْ في الـدَّوحِ وَرقـاءُ الحِـمَى   مـا عـلى الـوَرقـاءِ في الـشَّدْوِ جُـنـاحْ
مـغـرمٌ لـيس له عـنه غـنَى   حـينَ يُـمْـلـي رَجَـزاً في زَجَلِ
وَلَـقـد أصْـغَى إلـيـهـا أذُنـا   فـشَـجَتْ قـلبَ الخَـلِي دُونَ الـمَـلي[٣]

✡✡✡✡✡

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٦).

(٢) البم: الصوت الغليظ الخشن، والزير: الصوت الرفيع المتكلف قال الصعب بن حيان التغلبي:

وقـرب الخـرد من قـيـانه   عـود له الـفـضل عـلى عـيـدانه
أخـرس تـلـقـاه عـلى بـيـانه   كـرامـة المجلـس فـي هـوانه
واعـتـمـد الـزيـر عـلى أرنـانه   وبـربـر الـبـم عـلى أقـرانه
بـربـرة الـشـيخ عـلى أقـرانه

انظر: الموسيقى العراقية في عهد المغول. للعزاوي ٨٤ – ٨٥.

(٣) الملي: المليء مخففة بحذف الهمزة.

زادَنا لَحْنُ الأغاني طَرَباً   خَبَراً يُطْرِبُنا عنْ وتَرِ
والأماني بَلَّغَتْنا أرَباً   فَقَضَيْناها إذًا بالوَطَرِ
ونَظَرنا فقَضَيْنا عَجَبًا   تطلعُ الشمسُ بكفِّ القَمَرِ
في لَيالٍ أظْفَرَتْنا بالمُنَى   وكؤوسُ الراح فيها تَنْجَلي
تُذْهِبُ الهَمَّ وتَنْفي الحَزَنا   بنشاطٍ مُطْلَقٍ من كَسَلِ

✡✡✡✡✡

بِحَياةِ الطّاسِ والكاسِ عليكْ   نَزِّهِ المجلسَ من كلِّ ثقيلْ
وتحكّمْ إنَّما الأمْرُ إليكْ   ولكَ الحُكْمُ ومن هذا القَبيلْ
كيفَ لا والكأسُ تُسْقَى من يَدَيْكْ   ما على المُحْسِنِ فيها من سَبيلْ
ولكَ اللهُ حفيظاً ولنا   حيثُما كنتَ وما شئتَ افْعَلِ
واجْرِ حُكْمَ الحُبِّ فينا وبنا   أنتَ مَرْضِيٌّ وإنْ لم تَعْدِلِ

✡✡✡✡✡

حبَّذا مَجْلِسُنا من مجلسِ   جامعٌ كلَّ غَريبٍ وعجيبْ
نَغَمُ العودِ وشعرُ (الأخرسِ)   ومُحِبٌّ مُسْتَهامٌ وحبيبْ
يَتَعاطَوْنَ حَياةَ الأنفُسِ   في بَديع اللفظ والمعْنَى الغَريبْ
بابليِّ السِّحْرِ مَعْسولِ الجَنَى   أين هذا مُشْتَيارِ العسلِ[1]
وإذا مَرَّ نَسيمٌ بينَنا   قلتُ هذا ويْحَكُمْ من غَزَلي

✡✡✡✡✡

آه ممَّنْ ساءَني في نُسْكِهِ   ويَراني حاملاً عبءَ الذُّنوبْ
قَدْ عَرَفْنا زَيْفَهُ في سَبْكِهِ   فإذا كلُّ مَزاياه عُيوبْ
قال لي تُبْتُ وذا من إفكِهِ   أنا لا واللهِ لا أرضَى أتوبْ
عن مَليحٍ صَرَّحَتْ عنه الكُنَى   تَوْبَةً في حُبِّهِ لم تُقْبَلِ
وإذا ساءَ غَيورٌ أحْسَنا   بحُمَيّا رَشَفاتِ القُبَلِ

✡✡✡✡✡

أتْرُكُ المَغْبَقَ والمُصْطَبَحا   زَمَنَ الوردِ وأيَّامَ الرَّبيعْ
بعد أنْ أغدو بها مُنْشَرِحا   كيف أصغي لعَذولي وأطيعْ

---

(١) أصلها من اشتيار العسل. وهي كذلك في النسخ الخطية وهي أصوب من المطبوع.

إن أُطِعْ في تـركِـهـا من نَـصَـحـا ... فـلـقـد جـئتُ لـعـمـري بـشـنـيعْ
فـأدرِهـا وانْـتَـهِـبْ لي زَمَـنـا ... بـحُـلـولِ الـشَّـمْسِ بُـرْجَ الحَـمَلِ
وأرِحْـني[*] إنّـمـا ألْـقَى الـعَـنـا ... من خَـلـيلٍ مُـغْـرمٍ بـالـعَـذَلِ

✲✲✲✲✲

أجْـتَـلي الـكـاسـاتِ تَـهْـوي أنْـجُـمـا ... ولـهـا فـيـنـا طُـلـوعٌ ومَـغـيبْ
وأرى أوقـاتَـهـا مُـغْـتَـنَـمـا ... وإلـيـهـا رُحْتُ ألْـهُـو وأطـيبْ
لم أُضـيِّـعْـهـا فـرصـةً لا سـيَّـمـا ... في خِـتـانِ الـغُـرِّ (أبـنـاءِ الـنـقـيبْ)
عَـلَـويِّ الأصْلِ عُـلْـويِّ الـثَّـنَـا ... سَـيِّـدِ الـسَّـاداتِ مَـوْلانـا (عـلي)
الـرفـيـعُ الـقَـدْرِ والـعـالي الـبـنـا ... مُـسْـتَـهِلُّ الـوَبْلِ عَـذْبُ الـمَـنْـهَلِ

✲✲✲✲✲

ابنُ بـازِ الـلـه (عـبـدِ الـقـادرِ)[1] ... عَـلَمُ الـشَّـرقِ وسـلـطـانُ الـرّجـالْ
لم يـزالـوا طـاهـراً من طـاهـرِ ... فَـهُمُ الـطُّـهْـرُ عـلى أحْـسَنِ حـالْ
وهمُ في كلّ وقتٍ حـاضـر ... في جـمـالٍ مُـسْـتَـفـاضٍ وجَلالْ
يـلْـحـظونَ الـسَّـعدَ يَـغْـشَـوْنَ الـسَّـنا ... يـلـبـسـونَ الـفَـخْـرَ أسـنَى الحُـلَلِ
لـهم الـتَّـشْـبـيهُ في هـذي الـدُّنـا ... مِـلَّـةُ الإسْلامِ بـينَ الـمِـلَلِ

✲✲✲✲✲

لأُويـقـاتِ زمـانِ الاعـتـدالْ ... قَـدْ تَـحَـرَّيْـتُمْ ومـا أحْـراكُمُ
لـخـتـانِ الـنُّـجُبِ الـبيضِ الـفـعـالْ ... الـمَـيـامـينِ ومـا أدراكُمُ
فَـلَـقَـد أرَّخَهُ الـعَـبْـدُ فـقـالْ ... (آلَ بـيتِ المـصـطـفى بُـشْـراكُمُ)
بـخِـتـانٍ في سـرورٍ وهَـنـا ... دائمٍ بـالـوَصْلِ لَمْ يَـنْـفَـصِلِ
وبـحـمـدِ الـلـه قَـد نِـلْـنـا الـمُـنى ... وظَـفِـرنـا مـنـكمُ بـالأمَلِ

١٢٥٨هـ

(*) في الطبعة (١): (وأرخني) وهو خطأ طباعي، والصواب من الطراز الأنفس.

(١) هو الإمام الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضي الله عنه ومرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٦).

(١٠٢)

مــتى أرى هــذه الأيــامَ مُـسْـعِـفَـةً ... والدَّهْرُ يُنجزُ وَعداً غَيرَ مَوعُودِ[٢]

والنفس تَقْضي بمطلوبٍ لها وَطَراً ... ينوبُ عن كلِّ مَفْقودٍ بمَوْجود

أَلْقَى خُطوبَ اللَّيالي وهْي عابِسَةٌ ... كما تَصادَمَ جُلمودٌ بجُلمود

فما أطعتُ الهوى في ما يُرادُ به ... ولا تطرَّبتُ بين النّايِ والعود

ولا ركنتُ إلى صَهْباءَ صافيةٍ ... قديمةِ العَصْرِ من عَصْرِ العناقيد

إنّي لأنْزِعُ مُشْتاقاً إلى وَطَني ... والنُّوقُ تَنْزِعُ بي شَوْقاً إلى البِيد

وطالما قَذَفَتْ بي في مَفاوِزِها ... أخْفافُ تلك المَطايا الضُمَّرِ القُود

لئِنْ ظَفِرْتُ بـ(محمودٍ) وإخْوَتِهِ ... ظفرتُ من هذه الدنيا بمقصودي

بِيضُ الوُجوه كأمْثال البُدورِ سَنًا ... يَطْلُعْنَ في أفْقِ تعظيمٍ وتَمْجيد

تروي شَمائلُهمْ ما كانَ والدُهمْ ... يرويه من كرمِ الأخلاقِ والجُود

فياله والدٌ عَزَّ النَّظيرُ له ... وجاءَ منه لعمري خيرُ مولود

من طيّبٍ طابَ في الأنْجاب مَحْتِدُهُ ... كما يَطيبُ عبيرُ النَّدِّ والعُود

إذا ذَكَرْتُ أياديه التي سَلَفَتْ ... جاذَبْتُ بالمدحِ أطرافَ الأناشيد

---

(١) الحاج محمود باشا بن الحاج عبدالواحد جلبي. كان من أعيان البصرة ووجهائها وكان عضوًا في جمعية الائتلاف العثمانية وقد أنشأ مطبعة في البصرة باسمه (المطبعة المحمودية) وذلك سنة ١٣٢٧/١٩٠٩م).

وكان وكيلاً للسلطان عبدالحميد الثاني على الاملاك السنّية في البصرة وتعرف عائلة العبدالواحد وأتباعهم بلقب (الحوار).

انظر: عنوان: المجد ١٧١ والتحفة النبهانية ٩/٦٦ و١٣٥. وأفادني الصديق الأديب عبدالعزيز عمر العلي بعض أخباره برسالة من البصرة مشكورًا.

(٢) بعض أبيات هذه القصيدة غناها الأستاذ القبانجي بمقام (رست).

قَلَّدْتُ جِيدَ القَوافي في مَدايحِهِ ... ما لا يُقَلَّدُ جيدُ الخُرَّدِ الغيد

يُغَرِّدُ الطَّرِبُ النَّشْوانُ حينئذٍ ... فيها بأحسنِ تَغْريدٍ وترديد

(أبو الخصيب) خَصيبٌ في مكارمه ... ومنزلُ السَّعْدِ لا يشقَى بمسعود

لا تصدرُ الناسُ إلاّ عنه في جِدَةٍ[1] ... ونائلٍ من نَدى كفَّيْهِ موروود

تدعو له بمَسَرّاتٍ يفوزُ بها ... ليس الدُّعاءُ له يومًا بمردود

يزيدُني شُكرُهُ فَضْلاً ومَكْرُمَةً ... كأنَّني قلتُ يا نَعماءَه زيدي

يرجو المؤمِّلُ فيه ما يؤمِّلُهُ ... بابُ الرَّجاءِ لديه غيرُ مَسْدود

تجري مَحَبَّتُهُ في قلبِ عارفهِ ... لفضلهِ مثلَ مَجْرَى الماءِ في العود

فكلّما سِرْتُ مُشْتاقاً لزَوْرَتهِ ... وَجَدْتُ مَسْرايَ محموداً لـ(محمود)

وإنْ أتَتْهُ القَوافي الغُرُّ أتْحفَهَا ... بشاهدٍ من معاليه ومَشْهود

تلك المَكارمُ تُروَى عن أبٍ فأبٍ ... منَ الأكارمِ عن آبائهِ الصِّيد

للّهِ دَرُّكَ ما أنْداكَ من رَجُلٍ ... بيضٌ أياديكَ في أيَّامِنا السُّود

---

(١) الجدة: بكسر الجيم: العطاء.

(*) في الطبعة (١): (إذا) وبها ينكسر الوزن، والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس

(١٠٣)

قَدِمْتَ بالبِشْرِ وبالبَشائرِ
وزُرْتَنا فَحَبَّذا من زائرِ

وجئتَ بالخَيْرِ علينا مُقْبِلاً
لكلِّ بادٍ ولكلِّ حاضرِ

فكنتَ كالمُزنِ هَمَتْ بماطرٍ
وكنتَ كالروض زَهَا لِناظرِ

لو نظرَ النَّاظرُ ما صَنَعْتَهُ
نمَّقَهُ بدفترِ المَفاخرِ

أنْضَيْتَ للعُمران فُلْكَ همّةٍ
فَعَمَّرتْ كلَّ مكانٍ داثرِ

وهذه (العمارةُ) اليومَ لكمْ
معمورةُ الأكناف[*] بالعشائرِ

نَظَّمْتَ بالتَّدبير منك شَمْلَها
بناظمٍ للعَدْلِ غيرِ ناثرِ

وإنَّما دانتْ لحُكْمٍ عادلٍ
ولم يَدِنْ مُمْتَنِعٌ لجائرِ

أمَّنْتَها من شَرِّ ما يَنوبُها
بالناسِ في أمنٍ وخيرٍ وافرِ

ولم تَخُنْ عهدَ امْرِئٍ عاهدتَهُ
حَوشيتَ من عَهْدِ الخَؤونِ الغادرِ

جَبَرْتَ بالإنْصافِ كَسْراً ما لهُ
غَيْرُكَ في ما بينَهمْ من جابرِ

عَفَوْتَ عن كبارهمْ تكرُّماً
وهذه من شِيَمِ الأكابرِ

وقُمْتَ في الحكم مَقامَ (نامقٍ)[٢]
وأنت أهدَى لذوي البَصائرِ

فتارةً تَزْجُرُ في مَواعظٍ
وتارةً تَطْعَنُ بالزَّواجِرِ

إذا هَزَزْتَ بالبَنانِ قلَماً
أغناكَ عن هزِّ الحُسامِ الباترِ

هذا وأنتَ واحدٌ مُنْفَرِدٌ
تُغْني عن الألفِ من العساكرِ

يُريكَ رأيٌ بشِهاب فِطْنَةٍ
بَواطنَ الأشْياءِ كالظَّواهرِ

مَلَكْتَ باللُّطفِ رِقابَ عُصْبَةٍ
أمْنَعُ من لَيثٍ هَصُورٍ خادرِ

فكمْ لَكُمْ حينئذٍ من حامدٍ
وكم لكمْ يومئذٍ من شاكرِ

عَمَّرتُموها فَغَدَتْ عمارةً
كما أردتمْ لِمُرادِ الخاطرِ

فَقُلْ لمن يَسْأَلُ عن تاريخها
(قد عُمِّرَتْ أيامَ عبدِ القادر)

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٥).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(*) في الطبعة (١): (الأكتاف) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(١٠٤)

وقال مؤرخًا القصر الذي شاده السيد عبدالرحمن أفندي[١] نقيب البصرة لنزول المشير مدحت باشا[٢] [وهي من الوافر]:

نَــقــيبُ الــسَّــادَةَ الأشْــرافِ زانَتْ بـطَـلْـعَـتِه المـنـازلُ والــقـصـورُ
بــنَى مَــقْــصــورةً شَــرُفَتْ بـنـاءً أُعــدَّتْ بــالــسُّــرور لمن يَــزور
فَـقُـلْتُ لـسِيِّـدِ الـنُّـقـباءِ أرِّخْ (مَبانيها يُشَرِّفُها المُشير)[٣]

١٢٨٦هـ

(١٠٥)

وقال[٤] (مؤرخًا قدوم المشير محمد رشيد باشا الكوزلكلي[٥] والي بغداد)

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣١).

(٣) في النسخة الخطية رقم ٦١٣ بالمجمع العلمي العراقي. التاريخ ١٢٦٨هـ (كذا) وهو خطأ.

(٤) هذه القصيدة لم ترد في المطبوع. وإنما وردت في النسخة الخطية رقم ٦١٣ في المجمع العلمي العراقي ولم ترد في سواها.

(٥) محمد رشيد باشا الكوزلكي (أي صاحب النظارات) ولد في كرجستان. وقد أسره الأتراك وكان عمره تسع سنوات وهو مسيحي فأسلم ونشأ على الإسلام. وكان ذكيًا بارعًا وتخرج في المعاهد العسكرية بإستانبول، ثم زار أوروبا، وأرسل إلى فرنسا للتخصص بالمدفعية فتخرج بتفوق على أقرانه ثم نال رتبة يوزباشي وبقي يتدرج في الوظائف حتى نال ولاية (خربوط) ثم قاد حملة على الأكراد أيام (بدرخان) فأطفأ الفتنة وأسر (بدرخان) وكان رشيد باشا عسكريًا لامعًا وقد عرضت عليه الوزارة في إستانبول أو ولاية بغداد، فاختار ولاية بغداد سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م وكان إداريًا حازمًا. فسير البواخر في دجلة ونشط التجارة وكثرت في عهده الواردات. وكان شديد المراقبة للموظفين. وأنشأ إصلاحات في الري. وهو الذي أوصل ماء نهر الخالص إلى بغداد. من (التحويلة) وهو الذي أنشأ محلة (الوزيرية) ببغداد وإليه تنسب وتسمى (المشيرية) أيضًا.

كما أنه أخضع نجدًا والحجاز وكانت رتبته مشير أوردي العراق والحجاز. وقد مدحه كثير من الشعراء منهم عبدالباقي العمري حيث أرخ ولايته بقول:

شـدت به الـزوراء أزرًا فـإن ضـاق خـنـاق حل مـنه الـوثـاق
لا زال مـريـخًـا لمحق الـعـدا ودام بـدرًا سـالمًـا من مـحـاق
بـشـرى لـبـغـداد فـقـد أرخـوا (إلى رشـيـد آب قـطـر الـعـراق)

=

نُهَنِّي (العراقَ) بحكمٍ جديدْ ... وسُرَّ (الحجازُ) برأيٍ سديدْ
بحكمِ (الرشيدِ) مُشيرِ (العراقِ) ... مَلاذِ الطريدِ مُجيرِ الرشيدْ
مُشيرٌ إذا اسْتَمْطَرَ البارقاتِ ... أغاثَ الأنامَ بِوَدْقِ الحديدْ
حَميدٌ مجيدٌ لقد خَصَّهُ ... بأهلِ (العراق) الحميدُ المجيدْ
فنامَتْ به فِتَنٌ بأسُها ... يُبيدُ الطَّريفَ ويُفني التَّليدْ
وقد أقبلَ السَّعْدُ إذْ أرَّخوا ... (أمامَ المُشيرِ محمَّدْ رشيدْ)

(١٠٦)

وَظَبْيٍ دَعَتْني للحُروبِ لِحاظُهُ ... وهَيْهاتَ من تلكَ اللّحاظِ خَلاصُ
تَصَدّى لِحَرْبِ المُسْتَهامِ وما لهُ ... سِوى اللحظِ سَهْمٌ والنقابِ دِلاصُ(١)
فلّما أجَلْتُ الطّرفَ أدْمَيْتُ خَدَّهُ ... وأدمَى فؤادي والجُروحُ قِصاصُ

(١٠٧)

وقال مرحبًا بالعلامة أبي الثناء(٢) ومهنيًا بالعودة من إستانبول إلى دار السلام

= توفي ببغداد في آخر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٧٣/١٨٥٦م وشيع بموكب مهيب ودفن عند مدخل حفرة الإمام الأعظم بين الرواق وحجرة المرقد. ثم نقل رفاته إلى مقبرة كلية الشريعة خلف قبة الإمام سنة ١٩٤٠ وكان له ولد اسمه (رشدي باشا) كان متصرفًا في العمارة من سنة ١٣٠٥هـ إلى سنة ١٣١١هـ.

انظر: الترياق الفاروقي ٣٣٢ - ٣٣٣ و٢٤١ وتاريخ بغداد لسليمان فائق ١٦٦- ١٦٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ٧٨/٨ ونشوة المدام ٤٩ وأربعة قرون من تاريخ العراق ٢٨٦ وموجز تاريخ عشائر العمارة ٤١ وأعيان الزمان وجيران النعمان. مخطوط (للمحقق).

(١) الدلاص: الدرع.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

يمَيناً بربِّ النَّجْمِ والنجم إذْ يسري	ومَن أنزلَ الآياتِ في مُحْكَمِ الذكرِ[1]
لقَد أشْرَقَتْ (بغدادُ) مُنذُ أتيتَها	كما تُشْرِقُ الظلماءُ من طلعةِ البدر
فراحَتْ كما راحَتْ خميلةُ روضةٍ	سَقَتْها الغَوادي المُسْتَهِلَّ منَ القطر
وما سَرَّها شيءٌ كمَقْدَمِكَ الذي	يُبدِّلُ منها صورةَ اليُسْرِ بالعسر[2]
وكم فَرَحٍ من بعد حُزنٍ وراحةٍ	منَ النَّصَبِ الجاني على العَدْلِ بالجَوْر
فلا ذنبَ للأيّامِ من بَعْدِ هذه	فقدْ جاءَتِ الأيامُ للناسِ بالعُذْر
تناءيتَ عنها لا مَلالاً ولا قِلىً	ولكنْ رأيتَ الوَصْلَ من ثَمَرِ الهَجْر
وما غِبتَ عنها حين غِبتَ حقيقةً	وكيف ولم تخرجْ هُنَيْهَةً من فكر
رأيتَ مقاماً لا يَرَى الفَرْقَ عندهُ	منَ العالمِ النِّحْريرِ والجاهلِ الغَمْر
ولا بدَّ للأشياء من نقدِ (عارفٍ)[3]	يُمَيِّزُ بينَ الصُّفْرِ والذَّهَبِ التِّبر

(١) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (بيات).

(٢) في الأصول (يبدل منها صورة العسر باليسر) والصواب ما أثبتناه. لأن الباء تدخل على الشيء الذي نرفضه ونتركه. والشاعر يريد أن اليسر حل محل العسر.

(٣) السيد أحمد عارف حكمة الله بن إبراهيم عصمة الله بن إسماعيل رائف باشا بن إبراهيم باشا ينتهي نسبة إلى الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما. ولد في محرم من سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٥م، ودرس على علماء عصره. ونبغ في الآداب والفنون وسائر العلوم العقلية والنقلية، وتقلد قضاء مدينة القدس ثم قضاء القاهرة ثم نقل قاضياً في المدينة المنورة. ثم رقي إلى منصب شيخ الإسلام في إستانبول سنة ١٢٦٢هـ. وقد أنشأ له في المدينة المنورة مكتبة عامة ونقل إليها كتبه المخطوطة وجمع إليها نفائس المخطوطات من العالم، وهي لا تزال أمام الحجرة النبوية الشريفة من جهة القبلة ومجاورة لدار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري (وقد زرتها مرارًا عديدة) وأقيل من منصب شيخ الإسلام سنة ١٢٧٠هـ وانكب على المطالعة والعبادة وله تآليف ونظم بالعربية والتركية والفارسية. ومن مؤلفاته: (الأحكام المرعبة في الأراضي الأميرية) و(مجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر) وكان شاعرًا مجيدًا وقد قال عن نفسه:

ألم تعلم بأن سماء فكري	تلوح بأفقها شمس المعارف
تفرس والدي في المزايا	فيوم ولدت لقبني بعارف

ومن شعره قوله:

إن الزمان يعادي من له شرف	قواه عند أولي الأنظار برهان
فللشموس زوال حيثما ارتفعت	وللبدور إذا يكملن نقصان

وكانت له صلات ومودة مع سائر علماء العالم الإسلامي وأدبائه وشعرائه. وقد مدحه كثير منهم، ولأبي الثناء الآلوسي كتاب (شهي النغم في ترجمة عارف الحكم) مخطوط. وتوفي في إستانبول سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م ودفن هناك.

انظر: غرائب الاغتراب ١٣٢ – ١٣٣ والترياق الفاروقي ٢٢٣ و٢٢٥ وحلية البشر ١٤١/١ – ١٤٦ وإيضاح المكنون ٣٧/١ وهدية العارفين ١٨٨/١ والأعلام ١٣٨/١.

غضبتَ ولا يرضيكَ إلاّ نُهوضُهُ إذا رَبَضَ اللَّيثُ الهَصورُ على الضُرِّ
فَجَرَّدْتَها كالمشرفيِّ عَزيمةً تَتَبَّعُ آثارَ الخطوبِ وتَستَقْري
وأقْلَعْتَ عن دارٍ جديرٌ بأنَّها تشينُ أباةَ الضَّيْمِ فيها وأنْ تزري
وما زلتَ تَطْوي كلَّ بيداءَ نَفْنَفٍ وتركبُ منها ظهرَ شاهقَةٍ وَعْر
وسِرْتَ إلى مَجْدٍ أثيلٍ وسُؤددٍ فمن منزلٍ عزٍّ إلى منزلٍ فَخْر
إلى الغايةِ القُصْوَى التي ما وراءها إذا عُدَّتِ الغاياتُ مأوىً لذي حجْر
نَشَرْتَ بأرض الرّوم علماً طَوَيْتَهُ بجَنْبَيْكَ حتّى ارتاعَ في ذلك النَّشْر
وسُرَّ أميرُ المؤمنين بما رأى[1] ولاحَ وايمُ الله مُنْشَرِحَ الصَّدر
أشارَ إليك الدِّينُ أنَّكَ رُكْنُهُ وقالَ له الإسْلامُ أشْدُدْ به أزري
وما ظنَّتِ الرُّومُ (العراقَ) بأنَّه يَجُرُّ عليها فيك أرديَةَ الفَخْر
وما شادَ (قسطنطينُ) ما شدْتَ من عُلاً مؤيَّدةً تَبْقَى على أبد الدهر
فَدَتْكَ الأعادي من رفيعٍ مُحَلِّقٍ كأنْ يَبْتَغي وَصْلاً من الأنجُمِ الزهر
كفَى الرومَ فخراً لو دَرَتْ مثلَما تدري وهيهات أن تدري وهيهات أن تدري
بما قد حَباكَ اللهُ منه بفضله منَ الهَيْبَةِ العُظْمَى ومن شَرَفِ النَّجْر
وآيتُكَ الآياتُ جِئتَ بما انطَوَتْ عليها منَ الأسْرارِ في السِّرِّ والَجهر
كَشَفْتَ مُعَمّاها وخُضْتَ غمارها وأنفَقْتَ في تفسيرها أنفَسَ العُمْر[2]
وأوضَحْتَ أسْرارَ الكتابِ بفطنةٍ تُزيلُ ظَلامَ الليلِ عن غُرَّةِ الفَجْر
وَقَفْتَ على إيضاح كلِّ عَويصةٍ مواقِفَ لم تُعْرَفْ لزيدٍ ولا عمرو
وأغْنَيْتَ بالأسْفار وهْي كَواملٌ ثمانيةً عن ما حَوَتْ مائتا سفر[3]
ومَن حازَ ما قد حُزْتَ علماً فإنَّه غنيٌّ عنِ الدنيا مَليٌّ منَ الوَفْر
إذا احْتاجَكَ السُّلْطانُ تعلمُ أنَّه بذلكَ يمتازُ المُقِلُّ منَ المُثْري
أرَى دولةً أصبحتَ من عُلَمائها مُؤيَّدَةَ الأحْزابِ بالفَتْحِ والنَّصْر[*]

(١) السلطان عبدالمجيد خان مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٩).

(٢) إشارة إلى تفسير روح المعاني.

(٣) إشارة إلى المجلد الثامن من التفسير المخطوط.

(*) **إشارة بديعة جمع فيها أسماء ثلاث سور من القرآن الكريم.**

أَرَعْتَ أولي الألبابِ منها بحكمةٍ ... يروحُ(*) أرسطاليسُ منها على ذُعْر

قَضَتْ عَجَباً منها العقولُ بما رأتْ ... وما بَصُرَتْ يوماً بمثلكَ في عَصْر

بَرَزْتَ مَع (البرهان) في كلِّ موطنٍ[(١)] ... من البَحْثِ لا يبقي اللُّبابَ معَ القشْر

فَأَفْسَدْتَ للإلحادِ أمْراً دَحَضْتَهُ ... فليسَ له فيها وَلِيٌّ من الأَمْر

عُذوبَةُ لَفْظٍ في فَصاحَةِ منطقٍ ... – وعيَنَيْكَ – لولا حُرْمَةُ الخَمْر كالخَمْر

ورُبَّ بيانٍ في كلامٍ تَصوغُهُ ... إذا لم يكنْ سِحْراً فَضَرْبٌ من السِّحْر

وما زلتَ بالحُسّادِ حتّى تركتَها ... وقد طُوِيَتْ منها الضُّلوعُ على الجَمْر

فَتَكْتَ بها فَتْكَ الكَمِيِّ بسَيْفِه ... كما يَفْتِكُ الإيمانُ في ملّة الكفر

وكنتُ أُمَنِّي النَّفْسَ فيك بأنْ أرى ... صَديقَك في خيرٍ وخَصْمَكَ في شرٍّ

وما زالَ قولي قَبْلَ هذا وهذه ... لعلّي أرى الأيامَ باسِمَةَ الثَّغْر

فللّه عندي نعمةٌ لا يَفي بها ... بما قد بَلَغْتَ اليَوْمَ حَمْدي ولا شكري

وما نِلْتَ مِقْدارَ الذي أنتَ أهْلُهُ ... على عِظْمِ ما نُوِّلْتَ من رِفْعَةِ القَدْر

كأنّي بقومٍ فارقوكَ فأصبحوا ... ولَوْعَتُهمْ تذكو وعَبْرَتُهمْ تجري

تَحِنّ إلى مَرْآكَ في كلِّ ساعَةٍ ... فتَأسَفُ إنْ سافَرْتَ عنهمْ مَعَ السَّفْر

وإنْ سَمَحَتْ منهم بمِثْلكَ أنْفُسٌ ... فما هي إلاّ أسْمَحُ الناسِ بالبِرِّ

وما صَبَرَتْ عنكَ النُّفوسُ وإنّما ... يُصَبِّرُها تَعليلُ عاقبَةِ الصَّبْر

تَغَرّبْتَ عاماً طالَ كالشَّهر يَوْمُهُ ... ويا رُبَّ يومٍ كانَ أطولَ من شهر

تكلّفْتَ أمْرًا للحَلاوةِ بَعْدَهُ ... ولا تُخْطَبُ الحسناءُ إلاّ على مَهْر

وإنّي بتذكاريكَ آناً فَمِثْلُهُ ... صريعُ مُدامٍ لا يُفيقُ منَ السُّكْر

مَلَلْتُ الثَّوَى حتّى طربتُ إلى النَّوى ... وحتّى رأيتُ الأرضَ أضْيَقَ من شبر

ولو أنّني أسْطيعُ عنه تَزَحْزُحًا ... قَذَفْتُ إليكَ العيسَ في المَهْمَهِ القَفْر

وليس لنفسي عنكَ في أحَدٍ غِنًى ... وكيف يُرى الظامي غنيّاً عن البَحْر

بَعَثْتَ إلينا بالحَياةِ لأنفُسٍ ... على رَمَقٍ يدعو إلى البَعْثِ والنَّشْر

فَضَمَّ إلينا مَنْ يُعيدُ حَياتَنا ... كما ضُمَّ شَطْرُ الشيءِ يوماً إلى شَطْر

فيا كُثْرَ ما قد نوّلَتْنا يدُ المُنَى ... وعادَتُها الإمْساكُ بالنائلِ النَّزْر

---

(١) إشارة إلى كتاب (البرهان في طاعة السلطان) للألوسي.

(*) في الطبعة (١): (بروح) وهو خطأ طباعي وصوابها من الطراز الأنفس.

لِـتَصفو لـنا الدنيا فقد طابَ عَيْشُنا وضـاءَ مُـحَـيّـاهـا بـأيـامِكَ الـغُـرِّ
أعادَتْ علينا العُرْفَ من بعد فَقْدِه فلا قابَلَتْنا بَعْدَ ذلكَ بالنُّكْرِ
نُـشـيـرُ إلى هـذا الجـنـابِ كـأنَّـنـا نُـشـيـرُ إلى رؤيـا الـهلالِ منَ الـفِـطْرِ
ومـا كـانَ يـومُ الـعـيـد عـنـدي بمثله إذا كـان في فـطـرٍ وإنْ كـان في نَـحْـرِ
وذلكَ يـومٌ يَـعْـلَمُ الـلـهُ أنَّهُ لَـيُـذْهِبَ تَـعْـبـيسَ الحَوادثِ بالـبِـشرِ
لكَ الـفـضلُ والحُسْنَى قـريباً ونـائياً وأيْـدٍ لأيـدٍ من أنـامـلـهـا الـعَـشْـرِ
ولـو حُصِرَتْ(*) أيديك فينا حَصَرْتُها ولـكـنَّـهـا ممّـا يَـجِلُّ عنِ الحَـصْـرِ

(١٠٨)

وقال [وهي من الوافر]:

أتُـنْـكِـرُ مِـنكَ مـا تَـطْوي الـضُّلُوعُ وقَـد شَـهِـدَتْ عَـلـيكَ به الـدُّمـوعُ
ولـولا أنَّ قَـلْـبَكَ مُـسْـتَـهـامٌ لمـا أودَى بك الـبَـرْقُ الـلَّـمـوع
ولا هـاجَتْ شُـجـونَكَ هـاتـفـاتٌ تُـكَـتِّمُ مـا تُـكـابِـدُ أو تُـذيع
تَـشَـوَّقُكَ الـرُّبـوعُ وكلُّ صَبٍّ تُـشَـوِّقُه الـمَـنـازلُ والـرُّبـوع
لَـيـالٍ بـالـتَّـواصُلِ مـاضـيـاتٌ بـحـيثُ الـشَّـمْلُ مُـلْـتَـئِمٌ جَـمـيع
وأقْـمـارٌ غَـرُبْنَ فـلـيتَ شِـعْـري ألا بَـعْـدَ الـغُـروبِ لـهـا طُـلـوع
أمَـرْتُ الـقَـلْـبَ أنْ يَـسْـلُـو هَـواهـا عـلـى مَـضَـضٍ ولـكنْ لا يُـطـيع
ومـا أشـكـو الـهـوَى لـو أنَّ قـلـبي تَـحَـمَّلَ بـالـهَـوَى مـا يَـسْـتَـطـيع

(١٠٩)

وقال مادحًا السيد عبدالحميد أفندي(١) متصرف العمارة [وهي من الوافر]:

(*) في الطبعة (١): (حُصِدَت) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه. بدليل قوله (حصرتها) في نهاية الصدر، و(الحصر) في نهاية العجز، وتم تصويبها من الطراز الأنفس.

(١) لم نعثر له على ترجمة.

أنيـخـاهـا فـقـدْ بَـلَـغَتْ مُـنـاهـا ... وغـادَرَهـا الـمَـسـيـرُ كـمـا تَـراهـا

سَـلَـكْتُ بـهـا فِـجـاجَ الأرضِ حـتّى ... أضَـرَّ بـهـا وأوْهَـنَـهـا قُـواهـا

فَـسَـلْـني كـيفَ جـابَـتْـها قِـفـاراً ... وكـيف طَـوَتْ فَـدافِـدَهـا خُـطـاهـا

ومـا أنْـسَـى الـوُقـوفَ عـلـى رُسـومٍ ... عَـنـاني في الـصَّـبـابَـةِ مـا عَـنـاهـا

قَـضَى بـوُقـوفِهِ الـمُـشْـتـاقُ فـيـهـا ... وُجُـوهـاً يـا أُمَـيْـمَـةُ لا أراهـا

وَقَـفْتُ أنـاشِـدُ الأطْلالَ مـنـهـا ... دُيـونـاً لـلـمَـنـازِلِ مـا قَـضـاهـا

واذْكُـرُ مـا هُـنـالِكَ طـيبَ عَـيْشٍ ... به تجـري الـنُّـفـوسُ عـلـى مَـداهـا

جـرَيـنـا في مَـيـادينِ الـتَّـصَـابي ... إلى الـلّـذاتِ نَـسْـتَـحْـلي جَـنـاهـا

فَـواهـاً لِـلَّـذائِـذِ كـيف وَلَّتْ ... وآهًـا من تَـصـرُّمِـهـا وآهـا

تُـدارُ منَ الـمُـدامِ عـلـى الـنَّـدامَى ... كـؤوسُ الـراحِ تُـشْـرِقُ في سَـنـاهـا

وألْـحـانُ الـمَـثـالثِ والـمَـثـاني ... يُـغـنِّـيـهـا فَـتَـطْـرَبُ في غِـنـاهـا

ويَـنْـظِـمُـنـا اجْـتِـمـاعٌ في ريـاضٍ ... نِـثـارُ الـطلِّ يُـلْـبِـسُـهـا حُلاهـا

وقـد أمْـلَتْ حَـمـائـمُـهـا عـلـيـنـا ... من الأوراقِ شَـيْـئـاً من أسـاهـا

كـأنَّ الـوُرْقَ حـين بَـكَـتْ وأبْـكَتْ ... رَمـاهـا بـالـقَـطـيـعَـةِ مَنْ رَمـاهـا

تُـكَـتِّمُ أدمُـعـاً وتَـبـوحُ وَجْـداً ... وتُـعْـرِبُ مـا هُـنـالِكَ عن جَـواهـا

وربُّ مُـديـرَةٍ كـأسَ الـحُـمَـيّـا ... أخَـذْتُ بـكَـفِّـهـا ورَشَـفْتُ فـاهـا

وَمُـسْـوَدِّ الإهـابِ منَ الـدَّيـاجي ... كـشَـفْتُ بـشُـهْبِ أكـؤسِـنـا دُجـاهـا

وعـانَـقْتُ الـقَـوامَ الـلَّـدْنَ مـنـهـا ... وعـينُ الـواشي يَـحْـجُـبُـهـا عَـمـاهـا

فـآونَـةً تُـرَشِّـفُـني طِلاهـا ... وآونَـةً تُـرَشِّـفُـني لَـمَـاهـا

ومن عَـجَـبٍ أذلُّ لِـذاتِ دَلٍّ ... وتَـسْـبـيـني الـمَـحـاسِنُ في هَـواهـا

ولي نَـفْسٌ مـتى دُعِـيَتْ لِـذُلٍّ ... نَـهـاهـا عن إجـابَـتِهِ نُـهـاهـا

أبَتْ نَـفْـسي مُـدانـاةَ الـدّنـايـا ... وأغْـنَـتْـهـا الـقَـنـاعَـةُ عن غِـنـاهـا

وهل تَـسْـتَـعْـبِـدُ الأطْـمـاعُ حُـرّاً ... إذا عُـرِضَتْ له الـدنـيـا ازْدَراهـا

ولستُ ألِـينُ والأيـامُ تَـقْـسُـو ... بـشِـدَّتِـهـا ولمْ أطْـلُبْ رَخَـاهـا

وأرضٍ يَـفْـرَقُ الـخِـرّيتُ فـيـهـا[1] ... ويَـفْـزَعُ من مَـهـالِكِ مـا يَـراهـا

---

(١) الخريت: الدليل المجرب الماهر.

سَلَكْتُ فِجاجَها ومَرَقْتُ منها ... مُروقَ النَّبْلِ يَبْعُدُ مُرْتَماها
سَليني كيف جَرَّبْتُ اللَّيالي ... وكيف عَرَفْتُها وعرفتُ داها
بَلَوْتُ النّاسَ قَرْناً بعد قَرْنٍ ... وكنتُ بها أحقَّ من ابْتَلاها
فلم أزدَدْ بها إلاّ اخْتِباراً ... ولم أزدَدْ بها إلاّ انْتِباها
وفي (عبدِ الحميد) بديعُ شِعْري ... مَناقِبُ عن معاليه رَواها
نَعِمْتُ بفَضْلِهِ وشكرتُ منه ... يَداً لا زالَ يَغْمُرُني نَداها
فما اسْتَعَذَبْتُ غيرَ ندَى يديْهِ ... وما اسْتَعْذَبتُه مِمّا عَداها
فلو أنِّي وَرَدْتُ البَحْرَ عَذْباً ... أنِفْتُ منَ المَوارِدِ ما خلاها
وإنَّ اللهَ أودَعَ فيه مَعْنًى ... لِتَسْمِيَةِ المكارمِ مُذْ بَراها
منَ السَّاداتِ من أعْلَى (قريشٍ) ... سُلالَةِ خَيْرِ خلقِ اللهِ (طه)
شَديدُ البأسِ أَلْطَفُ من نَسيمٍ ... تُعَطِّرُهُ الأزاهِرُ من شَذاها
يَخوضُ غِمارَها الهَيْجاءَ خَوْضاً ... وماءُ الموتِ يَرْشَحُ من ظُباها
ويَرْفَعُ رايَةَ المنصور فيها ... ويَخْفِضُ من أعاديه الجِباها
وتلك رِئاسةٌ وعُلُوُّ قَدْرٍ ... إليه العِزُّ يَتَّجِهُ اتّجاها
تُريه بواطنَ الآراءِ تَبْدو ... فلَمْ تَحْجُبْ لعمركَ ما وَراها
أرَتْهُ زينَةَ الأمجادِ تزهو ... بأرديةِ المَحاسنِ فَارْتَداها
تولَّى والولايةُ فيه أضحتْ ... تزيدُ بعِزِّهِ عِزّاً وجَاها
أموراً في الرِيّاسَةِ يَبْتَديها ... ويعلمُ بعدَ ذلكَ مُنْتَهاها
وأحْيَا بـ(العمارة) كلَّ أرضٍ ... وأجْرَى في ضَواحيها المِياها
وأمَّنَ بالصِّيانَةِ ساكنيها ... وأصبحَ فيه مَحْمِيّاً حِماها
حَماها حيثُ كانتْ من لَدُنْهُ ... بعينِ عنايةٍ ممَّنْ رَعاها
ودَبَّرَها بلطفٍ لا بعُنْفٍ ... فأرشَدَها وألهَمَها هُداها
وكفَّ يدَ الخُطوبِ السُّودِ عنها ... فما مُدَّتْ إلى أحَدٍ يَداها

فَـــهَل من مُـــبْــلِغٍ عَـــنّي ثـــنـــاءً (تـقيِّ الـدين) يـشـكـره شـفـاهـا[1]
بمـا[*] أسْـدَى من الحُـسْـنَى إلَـيـنـا ومـا عـرفَ الأمـاجـدَ فـاجْـتَـبـاهـا
تَـفَـرَّسَ بـالـرجـالِ فـزادَ عـلْـمـاً فــولاّهـا الأمــورَ بمُـقْـتَـضـاهـا
بَـلَـغْـنـا غـايَـةً من لُـطْفِ مَـوْلًى بَـشـيـرٍ لـلـمُـؤَمِّلِ مُـبْـتَـداهـا
وسَـيَّـرْنـا لِـسـاحَـتِه الأمـاني فـألْـقَتْ في مَـغـانـيه عَـصـاهـا
إلـيكَ رَكِبْـتُـهـا في الـبَـحْـرِ تَـجْري منَ الـفُـلْكِ الـسَّـوابقِ في سُـراهـا
تَـنَّـفَسُ بـالـدُّخـان وفي حَـشـاهـا لَـظَى نـارٍ مُـسَـعَّـرةٍ لَـظـاهـا
ويَـخْـفِقُ وهْي مـثلُ الـطَّـيْـرِ سَبْـحـاً جَـنـاحـاهـا إذا دارتْ رَحـاهـا
جَـرَتْ مَـجْـرَى الـريـاحِ بلا تـوانٍ فـمـا احْـتـاجَتْ إلى ريحٍ سِـواهـا
ومـا زلـنـا بـهـا حـتى بَلَـغـنـا منَ الآمـالِ أقْـصَى مُـبْـتَـغـاهـا
بَـقِـيتَ لـنـا مَـدَى الأيـام ذُخْـراً نَـراهـا فـيكَ أحْـسَنَ مـا نَـراهـا
فَـمِـثْـلُكَ في المـكـارم لا يُـجَـارَى ومِـثْـلُكَ في الأكـارِمِ لا يُـضَـاهَى

(١) الوالي تقي الدين باشا تسلم ولاية بغداد يوم الأربعاء ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م وبقي فيها سنتين، ثم وليها ثانية سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٨م وبقي فيها سبع سنوات، وكان واليًا جيدا مصلحًا ذكيّاً، مدحه كثير من الشعراء منهم أحمد عزة الفاروقي بقصيدة جاء فيها:

وإذا تـتـبـعت الـرجـال بـدهـرنـا فـاذكـر (تـقي الـدين) خـيـر رجـاله
تـتـفـاخـر الـوزراء في أفـعـالـهـا أن يـنـسـجـوا يـومًـا عـلى مـنـواله

كما مدحه الشيخ عباس العذاري الحلي بقوله:

والي الـولايـة من تـسـاوى عـنـده في حـكـمه الـضـعـفـاء والـعـظـمـاء
هـذا (تـقي الـدين) والمـلك الـذي خـضـعـت لـهـيـبـة عـزه الأمـراء
وعـلـيه عـنـوان الـوزارة ظـاهـر وبـوجـهه مـنـهـا له سـيـمـاء
فـلـتـهن بـغـداد بـأن وزيـرهـا المـلك الأغـر المـاجـد المـعـطـاء

ومدحه كذلك الشيخ محسن العذاري وغيره.

انظر: ديوان أحمد عزة الفاروقي الورقة ١٢٦ مخطوط، وشعراء الحلة ٣/٢٥٤ و٤/٣١٠ ودليل خارطة بغداد ٢٩٤.

(*) في الطبعة (١): (ربما) وهو خطأ طباعي وتم التصويب على الطراز الأنفس.

(١١٠)

في الأربـعـاء لخـمس كنَّ من صَـفَـرٍ ... بَـدْرُ الـمَـسَـرَّةِ شـاهَـدْنـا مَـطـالِـعَهُ
أرَّخْتُ (طــالِـعَ داود بمَــولِـدِهِ ... كـانت الـشَّـمْسُ بـالجَـوْزاءِ طـالِـعَهُ)
١٢٨٥هـ

(١١١)

وقال مادحًا المشير محمد نامق باشا[٢] ومهنيًا بالوسام الذي منحه إياه السلطان

هُـنِّـيتَ بـالـفَـرَمـانِ والـنِّـيـشـانِ[٤] ... من جـانبِ الـمَـلِك الـعَـظـيمِ الـشَّـانِ
مَـلِـكٌ إذا عُـدَّ الـمُـلـوكُ وَجَـدْتَـهـا ... من دونه بـالـعِـزِّ والـسُّـلـطـانِ
مُـتَـفَـرِّدٌ في الـعـالـمـينَ وواحـدٌ ... بـين الأنـامِ فـمـا له من ثـانِ
وتـقـولُ إنْ أبْـصَـرْتَهُ في مـوكبٍ ... أسَـدُ الأسـودِ بـحَـوْمَـةِ الـمَـيْـدانِ
خَـلَـبَ الـقُـلـوبَ جَـمـالُـهُ وجلالُهُ ... فَـجَلالُهُ وجَـمـالُهُ سِـيّـانِ
نَـعِـمَـتْ بـدولَـتِهِ الـبلادُ وأشْـرَقَتْ ... إشْـراقَ دينِ الـلـهِ في الأديـانِ

---

(١) السيد داود ضياء الدين ابن السيد سلمان ابن السيد علي النقيب القادري. ولد ببغداد سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨ ونشأ محبًا للعلم والفضل، وكان عضوًا في مجلس الأمة العراقي عند تشكيل الحكومة العراقية. وله خدمات مشكورة ومواقف محمودة في قضاء حوائج الناس. وكان له مجلس عامر يتردد إليه أفاضل الناس أمثال علي علاء الآلوسي قاضي بغداد وعبدالوهاب النائب ومحمد طاهر الراضي كما كان يتردد إليه أعيان الطوائف من اليهود والنصارى. توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤/١٩٣٥م ودفن في الحضرة الكيلانية ببغداد وأعقب ذرية من بعده وهم السادة أحمد جمال الكيلاني المتوفي سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠ وحسن صائم الكيلاني ومحمد قاسم وكاظم نزار مع ثلاث بنات. انظر: البغداديون للدروبي ١٣ – ١٥.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٣).

(٤) الفرمان: المرسوم السلطاني، والنيشان: هو الوسام الذي منحه السلطان عبدالعزيز خان إلى الوزير نامق باشا سنة ١٢٨١هـ.

وأمَدَّها من سيرةٍ نَبَوِيَّةٍ … في حكمةٍ بالأمنِ والإيمان
ولقد أعزَّ الدينَ دينَ محمدٍ … (عبدُالعزيزِ) بملكه الخاقاني
ولقد تَلافَى اللهُ فيه عبادَه … فالناسُ منه بحَوْزَةٍ وأمان
فالله يعلمُ والبَرِيَّةُ كلُّها … أنَّ المَليكَ خليفةُ الرحمن
كالشَّمْسِ في كَبِدِ السَّماءِ وضوؤها … يغْشَى بكلِّ النَّفْعِ كُلَّ مَكان
قد كان سِرُّ اللُّطْفِ فيه مُكَتَّمًا … حتَّى اسْتَبانَ وضاقَ بالكِتْمان
ولقد أرادَ اللهُ في تأييدهِ … أنْ يُرْجِعَ الطَّاغين بالخِذْلان
وإذا نَظَرْتَ إلى طَوِيَّةِ ذاتِه … نظراً إلى المعروفِ والإحْسان
أيقَنْتَ أن وُجودَهُ لوجودنا … كالماءِ يَنْقَعُ غُلَّةَ الظَّمْآن
مَلِكٌ إذا زَخَرَتْ بحارُ نَوالِه … يُخْشَى على الدنيا من الطوفان
فاقتْ (بنو عثمان) في سلطانها … بالدِّين والدنيا (بني ساسان)
فَتَحوا البلادَ ودَوَّخوها عَنْوَةً … وجَرَتْ مَدائحُهُمْ بكلِّ لِسان
فهمُ العبادُ الصَّالحونَ وذِكْرُهُمْ … قد جاءَ بَعْدَ الذكرِ في القرآن[1]
هذا (أميرُ المؤمنين) وهذه … آثارُهُ من حازمٍ يقظان
جَعَلَ (العراقَ) بـ(ناموقٍ) في جَنَّةٍ … مَحفوفةٍ بالرَّوْحِ والرَّيحان
فَرْدٌ منَ الأفْرادِ بينَ رجالِه … لم يَخْتَصِمْ بِكَمالِه إثْنان
نِعْمَ[*] المُشيرُ عليه في آرائه … الصّادقُ العزماتِ[**] في الثَّوَران
ما حَلَّ في بَلَدٍ وآبَ لمنزلٍ … إلاّ وآمَنَها من الحَدَثان
لا تَعْجَبَنَّ لـ(ناموقٍ) في فَتْكِه … ليثُ الحروبِ وفارسُ الفُرْسان
تَرْوي صَوارِمُهُ الفَخارَ عن الوغَى … لا عن فلانٍ حَديثُها وفُلان
يَفْتَضُّها بالمَشْرَفِيَّةِ والقَنا … بِكْراً من الهَيْجاءِ غيرَ عَوان
ولَرُبَّما أغْنَتْهُ شِدَّةُ بأسِه … عن كلِّ هِنْديٍّ وكلِّ يماني
أعْيانُ من رفعَ الوزارةَ شأنَها … أَلْفَتْهُ عينَ أولئكَ الأعْيان

(١) اقتباس من قوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(*) في الطبعة (١): (تعم) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (العرفات) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

يـا أيُّـهـا الـركنُ الأشَـدُّ لـدولـةٍ … بُـنِـيتْ قَـواعِـدُهـا عـلـى أركـان

دارتْ بـشـانـيـهـا رَحَى تَـدْمـيـرهـا … فـكـأنَّـهـا الأفْلاكُ بـالـدَّوَران

أحْكَمْتَها بالصَّدقِ منكَ مَبانياً … في غايَةِ الإحْكامِ والإتْقان

فَحَظيتَ من مَلكِ الزَّمانِ بما به … فَخْرٌ على الأمْثالِ والأقْران

ولقد بَلَغْتَ منَ العِنايةِ مَبْلَغاً … يَسْمو برُتبَتِها على كيوان[1]

سُسْتَ (العراقَ) سياسَةً ملكيَّةً … ما ساسَها ذو التَّاجِ (نوشروان)

وسَّعْتَ كلَّ الضِّيقِ من أحْوالِها … حتّى من الطُّرقاتِ والبُنْيان

قرَّبْتَ أرْبابَ الصَّلاح بأسْرِهمْ … ومَحَوْتَ أهْلَ البَغْيِ والعِصْيان

وكذا (الهَماوندُ) الذين تَنَمَّروا[2] … وتَمَرَّدوا بالظُّلْمِ والعُدوان

دَمَّرْتَهمْ لمّا عَلِمْتَ فَسادَهمْ … وضِرارَهمْ بالأهْلِ والأوطان

خَلَعوا منَ السُّلْطانِ طاعَتَهُ التي … في غَيْرِها نَزْغٌ(*) من الشَّيْطان

للَّهِ دَرُّك من حكيمٍ عارفٍ … إنَّ الحُسامَ دواءُ داءِ الجَاني

جَرَّدتَ من هِمَمِ الرئيسِ مُهَنّداً … ما أغْمَدَتْهُ القَينُ في الأجْفان

وعَلِمْتَ ما في بأسِه من شِدَّةٍ … معْ أنّهُ في لُطْفِه روحاني

لبّاكَ حينَ دعَوْتَهُ لقِتالِهمْ … لا بالبطيءِ لها ولا المُتَواني

فَمَضَى بأعْناقِ العُصاةِ غِرارُهُ … والسَّيفُ لم يَقْطَعْ بكفٍّ جَبان

فكَسَا بما أمْضَى بهم بيضَ الظُّبى … بِدَمٍ منَ الأوْداجِ أحْمَرَ قاني

وسَرَتْ به من طيبِ ذاتكَ نَفْحَةٌ … عَطْريّةُ الأنْفاسِ والأردان

هُنِّيتَ بالولدِ (الجميلِ) ونَيْلِه[3] … رُتَبَ العُلا من حَضْرَةِ السُّلْطان

---

(١) كيوان: زحل.

(٢) قبائل الهماوند في عراق العجم، وهي من القبائل الكردية.

(٣) جميل باشا بن نامق باشا. كان برتبة أمير لواء. وقد زار بغداد في ولاية أبيه، وكانت له صلات ومودة مع علماء بغداد وأدبائها. ومدحه الشعراء ومنهم عبدالباقي العمري وأحمد عزة العمري بقوله:

يا كعبة الفضل التي طاف حولها … ليستلم الأركان وفد على وفد

وحجت لها الآمال من كل وجهة … وفازت بما ترجوه من غاية القصد

ولما رأيت الطالبين لبابها … تحث المطايا في ذميل وفي وخد

وقد اجتمع به أبوالثناء الآلوسي في الأستانة سنة ١٢٢٧هـ وأثنى عليه.

انظر: نشوة الشمول ٤٧ وحديقة الورود ١٥٢/١ – ١٥٣ مخطوط.

(*) في الطبعة (١): (نزع) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

أضْـحَى أمـيـرَ لـوائه في عَـسْـكـرٍ | لا زال مَــنْــصــوراً مَــدَى الأزمــان
وبمــا حَـبـاكَ الـلـهُ في تـأيـيـده | والـفَـخْـرُ في نـيـشـانك الـعـثـماني
لاحَتْ أشـعَّـتُهُ عـلـيكَ لجَـوْهَـرٍ | كـالـنَّـجْمِ بلْ كـالشَّـمْسِ في الـلَّـمَعان
هــذا مَــحَلُّ الإفْـتِـخـارِ فَـدُمْ به | بـالـعِـزِّ والـتَّـمـكـينِ والإمْـكـان
قـرن[*] المـؤيـدُ جـوهـراً في جَـوْهَـرٍ | فَـرأتْ به (بـغـدادُ) سَـعْـدَ قِـران
فَــرَحٌ عــلـى فَــرَحٍ يـدومُ سُــرورُهُ | تجـلــو الـقـلـوبَ به من الأحـزان

(١١٢)

وقال مادحًا السيد عبدالرحمن وصفي بك ابن شريف بك[1] معاون متصرف

هــذه الـدارُ مـا عـسى أنْ تـكـونـا | فـاقضِ فـيـهـا لـهـا عَـلـيكَ دُيـونـا
كـان عـهـدي بـهـا ومن كـان فـيـهـا | أشْـرَقَتْ أوْجُـهـاً ولانتْ غُـصـونـا
يـا ديـاراً عَـهِـدْتُـهـا قـبلَ هـذا | جَـنَّـةً أُزلِـفَتْ وحـوراً وعِـيـنـا
كـنتِ لـلـشّـادِنِ الأغَنِّ كِـنـاساً | مِـثْـلـمـا كـنتِ لـلـهِـزَبْـرِ عَـريـنـا

---

(١) عبدالرحمن وصفي بك ابن شريف بك ابن ياسين أفندي زاده الموصلي. ابن خال الشاعر عبدالباقي العمري.
وقد هناه العمري بزفافه سنة ١٢٧٠ هـ حيث قال:

دام لجـيـد الـفـخـار عـقـدًا | وتــلـك وسـطى الـعـقـد الـفـريـد
تحت ذرى والــــد شـريف | يمــرح في عـيـشه الـرغـيـد
مـا راق شـعـري بـنعت (وصـفي) | مــن راح يــزري بـابـن الـعميد
فـيــا لــــه كـاتــب بـلـيــغ | يـنـشـي فـينـسي عـبـدالحـمـيد
وافى بـريد الـهـنا يـنـــــادي | بـالـبــشـر في أطيب الـنشيد
إذ قــال بـالـيـــمن حـاز أرخ | ابن شــريف بـنت الـسـعـيـد

وكان أديبًا بليغًا عارفًا وإداريًا حازمًا، ترقى في الوظائف الإدارية، حتى نال وظيفة معاون متصرف في (الناصرية) المنتفق. ثم تسلم ولاية بغداد سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م وبقي فيها سنتين.

انظر: الترياق الفاروقي ٣٨٦ ودليل خارطة بغداد ٣٩٤.

(*) في الطبعة (١): (فرن) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (دراسات) وهو خطأ طباعي والصواب من الطراز الأنفس.

قَد وقَفْنا على بَقايا رُسومٍ / دارساتٍ[**] كأسطرٍ قد مُحينا

فبَذلْنا لها ذَخائرَ دمعٍ / كانَ لولا الوقوفُ فيها مَصونا

ذكَّرتْنا الهَوَى وعهدَ التَّصابي / فَذَكَرْنا من عَهْدِها ما نَسينا

هلْ عَجِبْتُمْ والحُبُّ أمْرٌ عجيبٌ / كيفَ يَسْتَعْذِبُ العذابَ المُهينا

أو سألتمْ بَعْدَ النوى عن فؤادي / فسَلوا الظّاعنينَ والنّازحينا

وبنفسي أحبَّةٌ يومَ بانوا / حرَّموا النومَ أنْ يَمَسَّ الجُفونا

عَرَّضوا حين أعرضوا ثم قالوا / قَدْ فَتَنّاكَ في الغَرامِ فُتونا

إنْ أطَلْنا الحَنينَ شوقاً إليكمْ / فعلى الصَّبِّ أنْ يُطيلَ الحنينا

رُبَّ ورقاءَ غرَّدتْ فَشَجَتْني / وكذاك الحزينُ يشجي الحَزينا

رَدَّدَتْ نَوْحَها فردَّدتُ منّي / زَفْرةً تَصْدَعُ الحَشا وأَنينا

ردّدي مااسْتَطَعْتِ أيَّتها الوُرْ / قُ شُجوناً منَ الأسى ولُحونا

وأعيدي شكوى الغَرامِ علَينا / واجْهَدي لا شقيتِ أنْ تُسعدينا

لو شَكَوْناك ما بنا لَشَرَحْنا / لك من لَوْعَةِ الغرامِ مُتُونا

ما أطَعْنا اللّوامَ والحُبُّ يأبَى / أنْ يُطيعَ المُتَيَّمُ اللاّئمينا

لَهْفَ نفسي على مَراشفَ ألْمَى / أوْدعَ الثَّغرُ منه دُرّاً ثَمينا

لانَ عِطْفاً مُهَفْهَفُ القَدِّ قاسٍ / كلّما زادَ قَسْوَةً زِدْتُ لينا

يا شِفائي من علّةٍ برَّحتْ بي / إنَّ في القلبِ منكَ داءً دَفينا

يا تُرى تجمعُ المَقاديرُ ما كا / ن وأنَّى لنا بها أن تكونا

في لَيالٍ أمْضَيْتُها بعناقٍ / لا يظنُّ المُريبُ فينا الظُّنونا

فَرَّقَتْنا أيدي النَّوى فافْتَرَقْنا / ورُمِينا بِبَيْنِها وابتُلينا

بينَ شرقٍ ومغربٍ نَنْتَحيه / فشِمالاً طَوْراً وطوراً يمينا

أسعدَ اللهُ فرقَةَ العزِّ لمّا[١] / كان (عبدالرحمن) فيها خَدينا

قَدَّمَتْه الوُلاةُ واتَّخَذَتْهُ / في المُلِمّاتِ صاحباً ومُعينا

واسْتَمَدَّتْ من رأيه فَلَقَ الصُّبْـ / حِ بَياناً منه وعِلْماً رَصينا

جَذَبَ النّاسَ بالجميل إليه / وحَباهمْ بفضله أجْمعينا

---

(١) في نسخة الانكرلي: (أسعد الله آل سعدون لما).

فَــرَأَتْ مــا يَــسُــرُّهــا من كــريمٍ	من سَــراةِ الأشْــرافِ والأنْـجَـبـيـنـا
شِــيَمٌ عن آبــائهِ في المــعــالي	أسْلَـكَـتْهُ طَـريـقَـهـا الـمَـسْـنـونا
تَـسـتَـحـيلُ الحُـزونُ فـيه سُـهُـولاً	بـعـدَ مـا كـانتِ الـسُّـهـولُ حُـزونـا
ويَــهــونُ الأمْــرُ الــعـظـيمُ لـديه	وحَــرِيٌّ بمــثــلِـه أنْ يــهــونــا
زانَ مــا شــانَ في حــوادثَ شــتّى	ومَـحـا مـا يـشـينُ في مـا يـزيـنـا[1]
فــإذا قِـسْـتُهُ بــأبـنــاء عـصــري	كــان أعْـلَـى كـعـبـاً وأنْـدَى يمـيـنـا
قــد وَجَــدنــاكَ والــرّجــالُ ضُــروبٌ	والـتَّـجـاريبُ تُـظْـهِـرُ الـمَـكْـنـونـا
عُــرْوَةٌ من عُــرى الــسّــعــادة وُثْــقَى	قــد وَثِـقْـنـا بـهـا وحَـبْلاً مَـتـيـنـا
هــذه الــنــاسُ مــنـذُ جـئتَ إلـيـهـا	زَجَــرَتْ مــنك طــائــراً مَــيْـمُـونـا
كلّ أرضٍ تحــلُّــهــا كــان أهــلــو	هــا بمـا تـرتَـجـيهِ مُـسْـتَـبْـشِـريـنـا
وإذا رُوِّعَتْ ومــثــلُك فــيــهــا	أصــبــحــوا في ديـارِهمْ آمِـنـيـنـا
يــا شَــريفَ الأخْلاقِ وابنَ شــريفٍ	أشْـرَفَ الـنـاسِ أثْبَتَ الـنـاسِ ديـنـا
أحْــمَــدُ الــلـهَ أنْ رأتكَ عُــيــوني	فــرأتْ مــا يَــقَــرُّ فـيك الـعُـيـونـا
وشَــمَـمْـنـا من عَـرْفِ ذاتِكَ طـيـبـاً	فــكــأنّي إذْ ذاكَ في (داريــنــا)[2]
وَوَرَدْنــا نَــداكَ عَــذْبــاً فُــراتــاً	إنّــمــا أنتَ مَــنْــهَلُ الــوارديــنــا
لكَ في الـصّـالحـات مـا سـوف يَـبْـقَى	ذِكْـرُهـا في الجـمـيل حـيـنـاً فـحـيـنا
حُــزْتَ فَــهْــمــاً وفــطـنــةً وذكــاءً	وتَــفَــنَّــنْتَ في الأمــورِ فُــنــونــا
وتــولّــيتَ في الحــقــيــقــةِ أمْــراً	كــان من لُـطـفِهِ الـمُـهَـيْـمِنَ فـيـنـا
ســيـرةٌ تُـرتَـضَى جُـبِلْتَ عـلـيـهـا	ومَـزايـا تـرضي بـهـا الـعـالَـمـيـنـا
فــاهنَ(*) بــالـصَّـومِ والـمَـثـوبَـةِ فـيه	وجـزيلِ الـصّـيـام في الـصّـائـمـيـنـا

(١) جعل الشاعر (ما) بمعنى (أن) وأعطاها حكمها.

(٢) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري. فتحها الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ هجرية (معجم البلدان ٢/٤٣٢).

(*) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (فاهنا) مما يكسر الوزن، فضلاً عن أنه فعل أمر يجزم بحذف الألف، أو أنه (فاهنأ) وسهلت الهمزة والألف هنا لا تلفظ.

(١١٣)

أقـولُ لـصـاحـبي ورضـيعِ كـأسي … رَفـيـقي بـالـفُـسـوق وبـالـفُـجـورِ
عَلامَ صَـدَدْتَ عن كـأس الحُـمَـيّـا … لـقَـد ضَـيَّـعْتَ أوقـاتَ الـسُّـرور
أبَـعْـدَ الـشَّـيْبِ ويْـحَكَ تُـبتَ عـنـهـا … ومـا لكَ في مَـتـابِكَ من عَـذيـر
وكـيف عَـدلْتَ عن حـالاتِ سـوءٍ … تَـصـيـرُ بـهـا إلى بئسَ المصـيـر[٣]
لـبـستُ بـهـا وإيّـاك الـمَـخـازي … فـأسْـحَبُ ذيلَ مُـخْـتـالٍ فَـخـور
أتـنـسَى كـيف قـضَّـيـنـا زمـانـاً … به الأيـامُ بـاسـمـةُ الـثُّـغـور
وكـنّـا كـلّـمـا بِـتْـنـا سُـكـارى … ورُحْـنـا بـالـمُـدامِ بلا شُـعـور
وقُـمْـنـا بـعـد ذلك واصْـطَـبَـحْـنـا … فـمـا نَـدري الـمَـسـاءَ من الـبُـكـور
وأنتَ مع الـعَـواهـرِ والـزّواني … تـطـاعِـنُـهنَّ بـالـرُّمحِ الـقَـصـيـر
وكـنتَ تـقـولُ لي إشْـرَبْ هـنـيّـاً … وخُـذْهـا بـالـكـبـيـر وبـالـصَّـغـيـر[٤]
وكـنتَ إذا نـظـرتَ ولـو عـجـوزاً … سـلـلتَ سُـلـولَ غـرمـولِ الحـمـيـر
ومن سَـفَـهٍ ركـنتَ إلى الـغَـواني … ومَـيَّـزْتَ الإنـاثَ عـلى الـذكـور

(١) الملا خضر، كان كاتبًا لدى ناصر باشا السعدون في تدبير أمور المشيخة وكان يقوم مقام (السكرتير) وهو الذي تولى المفاوضة مع الوالي المشير محمد نامق باشا سنة ١٢٨٠/١٨٦٤م حينما تمرد ناصر باشا على السلطة. ثم عزله الوالي وعين بدله الشيخ فهد باشا بن علي السعدون ثم أعاد الوالي ناصر باشا إلى المشيخة وأرسل (منديل الأمان) مع ملا خضر إلى ناصر باشا. انظر: مباحث عراقية ق ١/١٥٥.

قلت: ولقب (ملا) كان يطلق أيام العثمانيين على الذين يحسنون القراءة والكتابة. وإن لم يكونوا من علماء الدين. ولقب (ملا) أصله يطلق على الذين يعلمون الأطفال قراءة القرآن، ثم أطلقوه على من يحسن الكتابة والقراءة مطلقًا وذلك لتفشي الجهل وقلة المثقفين.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (٣٠).

(٣) يعتبر الكوفيون غير الكسائي أن (بئس ونعم) اسمان وأنشدوا لحسان بن ثابت:
الستُ بنعم الجار يؤلف بينه … أخا قلةٍ أو معدم المال مصرما

وبهذا أخذ الشاعر الأخرس وجعلها مضافًا إلى المصير.

(٤) أخذه من قول أبي نواس (أدرها بالصغير وبالكبير).

تــركتَ طــريــقــتي وفَــرَرْتَ عــنّي ... فــرارَ الــكــلب من أسَــدٍ هَــصُــور
وتَــوْبَــتُكَ الــتي كــانتْ نــفــاقــاً ... غُــرورٌ وانْــغــمــاسُكَ في الــغُــرور
كــصــبغ الــشَّيْبِ يــنــصلُ بــعــد يــومٍ ... ولمَ يَــبْــعُــدْ مَــداه عن الــظُّــهــور
ومــا كُــتِــبَتْ لِــتَــخْــطُــرَ لي بــبــالٍ ... ولا اختلجتْ - وشَيْبِكَ - في الضَّمير
لــئنْ أخَــذوا عــلــيكَ بــهــا عُــهــوداً ... بمــا كــتَــبَتْ يَــداكَ منَ الــسُّــطــور
فَــعُــدْ عــنــهــا إلى مــا كــنت فــيه ... كــمن شمَّ الــفــســا بــعــد الــعَــبــيــر
وأكــثــرْ مــااسْــتَــطَــعْتَ منَ الــمَــعــاصي ... فــإنَّ الــلــهَ يــعــفــو عن كــثــيــر
ونَــنْــعَمُ بــالــمِلاحِ بــخــفــضِ عَــيْشٍ ... مَــــدَى الأوقــــاتِ من بَمٍّ وزيــــر
فــإن حَــضَــرَ الــفَــســادُ وغِــبْتَ عــنه ... ولم تكُ من يُــعَــدُّ منَ الــحُــضــور
لــسَــوَّدْتُ الــصَّــحــائفَ فــيك هَــجْــواً ... وإنّي الــيــومَ أهْــجَى من (جَــريــر)[1]
تــطــيــعُ مــشــورتي وتَــرى بــرأيي ... وحَقٌّ الــمُــسْــتَــشــيــرِ عــلى الــمُــشــيــر
لِــنَــقْــضي الــعُــمْــرَ في طــربٍ ولَــهْــوٍ ... فــمــرجِــعُــنــا إلى ربٍّ غَــفــور
وأنــفِــقْ مــا مــلــكتَ ولا تُــبــالِ ... فـ(نــاصــرنــا) ثــراءٌ لــلــفــقــيــر
فــنــحن بــفــضــلــه ونــدَى يَــدَيْه ... كــمَن آوى إلى روضٍ نَــضــيــر

(١١٤)

وقال يخاطب الوالي داود باشا[3] وكان قد استعار من الشاعر كتاب سيبويه[4]

(١) جرير بن عطية بن حذيفة بن الخطفي بن بدر اليربوعي، شاعر أموي شهير، ولد سنة ٢٨هـ واتصل بولاة العراق، وصار شاعر الحجاج بن يوسف الثقفي، ومدح الخليفة عبدالملك بن مروان والخلفاء من بعده، ومدح أشراف الشام، وكانت له مناقضات مع الفرزدق والأخطل، توفي سنة ١١٠هـ وله ديوان شعر مطبوع. وأخباره مستفيضة في كتب التاريخ والأدب.. انظر الموسوعة العربية ٦٢٤ والاعلام ١١١/٢ وفيه مصادر أخرى.

(٢) الهيم: بكسر الهاء: الإبل العطاش.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١٢).

(٤) أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب (سيبويه) ومعناه (رائحة التفاح) إمام النحاة. ولد في قرية قرب شيراز سنة ١٤٨هـ وقدم البصرة ولزم الخليل بن أحمد الفراهيدي وتخرج عليه، ونبغ بالنحو، وصنف كتابه الشهير في النحو ويطلق عليه اسم (الكتاب) أو (كتاب سيبويه)، وقدم بغداد وناظر الكسائي وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. ثم عاد إلى الأحواز فشيراز، وتوفي بها سنة ١٨٠هـ وبها قبره، وتناول العلماء كتابه بالشروح وطبع عدة مرات، وأخباره مستفيضة في كتب الأدب واللغة.

انظر: تاريخ بغداد للخطيب ١٩٥/٢ ووفيات الأعيان ٣٨٥/١ والبداية والنهاية ١٧٦/١ والأعلام ٢٥٢/٢ وغيرها.

(٥) أبوالحسن محمد بن علي بن محمد الحضرمي الأندلسي، ولد في إشبيلية سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وأصله من
=

يا ناجياً[*] نحوَ كلِّ مَكْرُمَةٍ … يَبْلُغُ فيها أعاليَ الرُّتَبِ[1]

وطالِباً بالكمالِ ما عَجَزَتْ … فُحولُ قومٍ عن ذلك الطَّلَبِ

ومن سهامِ الآراءِ فكرتُه … إنْ يرمِ فيها أغراضَهُ يُصبِ

إنَّ الكتابَ الذي نظرتَ به … أبلَغُ ما ألَّفوه في الكُتُبِ

فلو تأمَّلتَ في دقائقه … لقُلْتَ هذا من أعْجَبِ العَجَبِ

إنْ أطلقوا لَفْظَةَ (الكتاب) فما … يُشارُ إلاّ إليه في الكتبِ[2]

وغيرُهُ لا يفيدُني أرَباً … وأينَ كُتْبُ النُّحاةِ من أربي

لأنَّ هذا الإمامَ أعلمُ خلـ … ـقِ اللهِ في نَحْوِ منطقِ العربِ

ولم يزلْ وهو مرجِعُهُمْ … لدائراتِ العُلومِ كالقُطُبِ

قد ناظرتْه الحُسّادُ من حَسَدٍ … فغالَبَتْهُ بالزُّور والكَذِبِ

وراحَ يطوي الأحْشاءَ – من أسَفٍ … لِكَتْمِهم فَضْلَهُ – على لَهَبِ

وأدركتْه فمات مغترباً … بأرض (شيرازَ) حرفةُ الأدب

فإن تكنْ أنتَ عاشقَهُ … لِما حَوَى طَيُّهُ من النُّخَب

نقلتُهُ إنْ أردتَ نُسْخَتَهُ … ولا أبالي بشدَّة التَّعَب

وليس نَقْلي له على طَمَعٍ … ولا لمالٍ يُرْجَى ولا نَشَب

إنّ أياديك منك سابقةٌ … عَليَّ قِدْماً في سالف الحِقَب

هذا لساني يَعُوقُه ثِقَلٌ … وذاكَ عندي من أعْظَمِ النُّوَب[3]

فلو تَسَبَّبْتَ في مُعالَجَتي … لنلتَ أجراً بذلك السَّبَب

وليسَ لي حرفةٌ سوى أدبٍ … جَمٍّ ونَظْمِ القريضِ والخُطَب

من بعد (داودَ) لا حُرِمْتُ مُنىً … فَقَدْ مَضَتْ [ثَمَّ] دولةُ الأدب[**]

= حضرموت. وكان يتنقل في البلاد ويسكن في الربط والخانقاهات. ولم يتزوج وتوفي في إشبيلية سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢ وله من الكتب (شرح كتاب سيبويه) أهداه إلى سلطان المغرب فأعطاه ألف دينار، وله (شرح الجمل) للزجاجي.

انظر وفيات الأعيان ١/٣٤٣ والأعلام ٥/١٥١ وفيه مصادر أخرى.

(١) في الأصول [ما يوحي] أن كثيرًا من أبيات هذه القصيدة قد ضاع.

(٢) تكررت القافية.

(٣) هذه الأبيات جعلت الوالي داود باشا يأمر بإرسال الشاعر الأخرس إلى الهند للمعالجة على نفقته. وقال له الطبيب: أنا أعالجك فإما أن ينطلق لسانك أو تموت فرفض الشاعر ذلك وقال (لا أبيع كلي ببعضي) وعاد إلى بغداد.

(*) في الطبعة (١): (ناجياً) وصوابها من الطراز الأنفس.

(١١٥)

نُؤمِّلُ أنْ يطول بنا الثَّواءُ ... ونَطْمعُ بالبقاء ولا بقاءُ[٢]

وتُغْرينا المطامعُ بالأماني ... وما يجري القضاءُ كما نشاء

تُحَدِّثُنا بآمالٍ طوالٍ ... وليسَ حَديثُها إلاّ افْتِراء

وإنّ حَياتَنا الدنيا غُرورٌ ... وسَعْيٌ بالتكلُّفِ واعتِناء

نُسَرُّ بما نُساءُ به ونشقَى ... ومن عَجَبٍ نُسَرُّ بما نُساء

ونضحكُ آمنينَ ولو عَقَلْنا ... لحُقَّ لنا التغابُنُ والبكاء[٣]

إلامَ يَصُدُّنا لَعبٌ ولَهْوٌ ... عنِ العِظَةِ التي فيها ارْعِواء

وتنذرُنا المَنونُ ونحن صُمٌّ ... إذا ما أسمعَ الصُّمَّ النِّداء

وأيَّةُ لذَّةٍ في دارِ دنيا ... تَلَذُّ لنا وما فيها عناء

سَتُدْرِكُنا المَنيَّةُ حيثُ كنّا ... وهلْ يُنْجي منَ القَدَرِ النَّجاء

ظَهَرْنا للوُجودِ وكلُّ شيءٍ ... له بدءٌ لَعَمْرُكَ وانْتِهاء

لئنْ ذَهَبَتْ أوائلُنا ذَهاباً ... فأوَّلُنا وآخِرُنا سَواء

نُودِّعُ كلَّ آونَةٍ حبيباً ... يَعِزُّ على مُفارِقِه العَزاء

تسيرُ به المَنايا لا المَطايا ... إلى حيثُ السَّعادةُ والشَّقاء

ولو يُفْدَى فَدَيْناه ولكنْ ... أسيرُ الموت ليس له فِداء

مَضَتْ أحبابُنا عنّا سِراعاً ... إلى الأخْرَى وما نحنُ البِطاء

وما قُلْنا وقد ساروا خِفافاً ... إلى أينَ السُّرى ومتى اللِّقاء

ولو نبكي دمًا حُزْنًا عليهمْ ... لما اسْتَوفَى حقوقَهُمُ البكاء

متى تَصفو لنا الدنيا فنَصفو ... ونحنُ – كما ترى – طينٌ وماء

فهذا السُّقْمُ ليس له طبيبٌ ... وهذا الداءُ ليس له دَواء

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٣٣).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (أورفة).

(٣) فيه إشارة إلى الحديث الشريف (لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا).

فَقَدْنا لا أبا لكَ مَنْ فَقَدْنا ... فَحَلَّ الرُّزْءُ إذْ عَظُمَ البلاء[1]
وبَعْدَ (محمَّدٍ) إذْ بانَ عنّا ... على الدنيا وأهليها العَفاء
لقد كانتْ به الأيامُ تزهو ... عليها رونَقٌ ولَها بَهاء
وكان الكوكبَ الهادي لرشدٍ ... يَضِلُّ الفَهْمُ عنه والذَّكاء
وكان العُرْوَةَ الوُثْقَى وَفاءً ... لمن فيه المَوَدَّةُ والإخاء
فيأوي من يُضامُ إلى عُلاهُ ... ويعصِمُهُ من الضَّيم الإباء
علا أقْرانَهُ شَرَفاً ومَجْداً ... كما تعلو على الأرضِ السَّماء
عصاميٌّ الأبوَّة والمعالي ... له المجدُ المؤَثَّلُ والسَّناء
وما عُقِدَتْ يدٌ إلاّ عليه ... إذا عُدَّ الكرامُ الأتْقياء
سَقاكَ الوابلُ الهطّالُ قَبْراً ... ثَوتْ فيه المروءةُ والسَّخاء
وحَيّاكَ الغَمامُ بمُسْتَهِلٍّ ... يَصُوبُ فترتوي الهِيمُ الظِّماء
قد استُودِعْتَ أكرَمَ مَنْ عليها ... فأنتَ لكلِّ مكرمةٍ وِعاء
وقد واريْتَ من لو كان حيّاً ... لضاقَ بفَضْلِهِ الوافي الفَضاء
وقد أُفْعِمْتَ من كَرَمِ السَّجايا[2] ... وَطيِّبِها كما فُعِمَ الإناء
فأصبحَ منك في جنّاتِ عَدْنٍ ... بدار الخُلْدِ لو كُشفَ الغطاء
مَضَى في مَنْ مضَى وكذاكَ نمضي ... وغايتُنا – وما نبقَى – الفَناء
فما يأتي الزمانُ له بثانٍ ... إلى الدنيا ولا تَلِدُ النِّساء
فقدناكَ (ابنَ عثمانٍ) فَقُلْنا ... فَقَدْنا الجودَ وانقطعَ الرَّجاء
ستبكيكَ الأيامَى واليَتامَى ... وترثيكَ المكارمُ والعَلاء
وكنتَ عَلِمْتَ أنَّك سوف تَمْضي ... ويبقَى الحمدُ بَعْدَكَ والثَّناء
فما قَصَّرْتَ عن تقديم خيرٍ ... تُنالُ به المَثوبَةُ والجَزاء
تفوزُ ببِرِّكَ الآمالُ منّا ... ويُرفَعُ بالأكُفِّ لك الدُّعاء
إذا وافَتْ إلى مَغْناكَ فازتْ ... ذوو الحاجاتِ واتَّصلَ الحِباء
رُزِقْتَ سَعادةَ الدارينِ فيها ... وإنْ رَغِمَتْ عِداكَ الأشْقياء

(١) في الأصول (محل الرزء..) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصول (وقد أنعمت..) والصواب ما أثبتناه ويدل عليه عجز البيت.

لِوَجْهِ اللهِ ما أنْفَقْتَ لا ما ... يُرادُ به افْتِخارٌ واقْتِناء
صَفاءٌ لا يُمازجُهُ مِراءٌ ... وتَقْوًى لا يُخالِطُها رِياء
قَضَيْتَ وما انْقَضَى كَمَدي وحُزْني ... عليكَ وما أظنُّ له انْقِضاء
يُذكِّرنيكَ ما وافَى صباحٌ ... وما أنْساكَ ما وافَى مَساء[1]
وما قَصُرَتْ رجالُ (بني زهيرٍ) ... وفيكَ لها اقْتِفاءٌ واقْتِداء
بنيتَ لهم على العَيُّوقِ نَجْماً ... وشُيِّدَ بالعُلا ذاكَ البِناء
بُدورُ مَجالسٍ وأسودُ غيلٍ ... إذا الهيجاءُ حانَ بها اصْطِلاء
شِفاءٌ للصُّدور بكلِّ أمْرٍ ... إذا مرضتْ وأعْياها الشِّفاء
وخَيْرُ خَليفَةِ الماضين عنّا ... (سليمانٌ) وفيه الاكتِفاء[2]
و(قاسمُ) من زكا أصْلاً وفَرْعاً[3] ... وما في طيبِ عُنْصُرِه مِراء
إذا زكتِ الأصولُ زكتْ فروعٌ ... فطابَ العُودُ منها واللِّحاء
هو الشَّمْسُ التي بَزغتْ ضِياءً ... فلا غَرُبَتْ ولا غَرُبَ الضِّياء
أعزِّيه وإنْ عَزَّيْتُ نَفْسي ... بمن فيه المَدائحُ والرِّثاء

(١١٦)

لِلّهِ منزلُ (جابرٍ) من منزلٍ ... فيهِ الكرامَةُ للمُحبِّ الزائرِ[5]

---

(١) ينظر إلى قول الخنساء: يذكرني طلوع الشمس صخرًا ... وأذكره لكل غروب شمس

أعلام النساء ١/ ٣٦٦.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٤٩).

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٩٤).

(٤) الأمير الحاج جابر خان بن مرداو بن جاسب الكعبي العامري. ولد سنة ١٢١١هـ – ١٧٩٦م. ونشأ عصاميًا فقير الحال، وعلا شأنه بين الناس حتى ولي المشيخة في عربستان على قبائل كعب سنة ١٢٤٧هـ – ١٨٣٢م وذلك أيام الوالي علي رضا اللاظ، فتوجه إليه الوالي علي رضا بجيش عرمرم ومعه قبائل زبيد والمنتفق وعقيل وجيش من الكويت سنة ١٢٥٣هـ – ١٨٣٧م. فقاتلهم الحاج جابر، واستولى على المحمرة، ثم أقره الشاه ناصرالدين القاجاري أميرًا على المحمرة بمعاهدة مع الدولة العثمانية، وبقي أميرًا حتى وفاته في ١٠ ذي الحجة يوم عيد الأضحى سنة ١٢٩٨هـ – ١٨٧١م ونقل جثمانه إلى النجف، وتولى الإمارة من بعده ولده الأمير مزعل خان. انظر: الأحواز في أدوارها التاريخية ٣/ ٩ – ١٨.

(٥) هذه القصيدة وردت في نسخة الأنكرلي فقط.

رُفِـعَتْ قـواعِـدُهُ وشُـيِّـدَ بـنـاؤه لِـلـمـكـارمِ وأكـارمٍ وأكـابـر
ملأتْ قـلـوبَ الـزائـرين مَـسَـرَّةً فَـغَـدَتْ تـقـرُّ بـهـا عـيـونُ الـنـاظـر
من كلِّ مـا جَـمَـعَتْ بـخـدمـةِ (جـابـرٍ) من شـادنٍ أحْـوَى ولـيـثٍ خـادر[1]
حـازَ الـشَّـجـاعـةَ والـسَّـمـاحـةَ فـارتَقَى رُتَبَ الـعُـلا من سـؤدد ومَـفـاخـر
تَـرِدُ الـعُـفـاةُ مَـنـاهـلاً من جُـودِهِ الـ ـوافي وتـصـدُرُ بـالـعَـطـاءِ الـوافـر
شَـهِـدَتْ مَـبـانـيه بـحُـسْنِ صَـنـيـعه وبمـا يُـجَـدِّدُ من بـديـعِ مَـآثـر
حَلَّ الأمـيـرُ أبـو المـكـارم (جـابـرٌ) فـيـهـا فـزانَتْ بـالـبـهـاءِ الـبـاهـر
ولـقـدْ نـزلتُ بـهـا فـقـلتُ مـؤرِّخـاً (دارُ الإمـارةِ قـد بُـنِـيَت بـجـابـر)[2]
[١٢٥٧هـ]

(١١٧)

ذَكَّـراني عَـهْـدَ الـصِّـبـا بـسُـعـادِ وخَـوافي الجَـوَى عَـلَيَّ بَـوادي[4]
ورَواحي مـعَ الـهَـوَى وغُـدُوّي لا عَـداهـا يـومـاً مَـصَبُّ الـغَـوادي
وبـيـاضُ الـمَـشـيـبِ سَـوَّدَ حـظِّي عـنـدَ بـيضِ الـمَـهـا سـوادَ الـمِـداد
يـا ابنَ ودّي ولـلـمـودَّةِ حَقٌّ فـاقضِ إنْ شـئتَ لي حـقـوقَ الـوِداد
وأعِـدْ لي مـا كـان من بُـرَحـاءٍ كـنتُ مـنـهـا في طـاعـةٍ وانْـقـيـاد
يـومَ حـانَ الـوداعُ من آل ميٍّ فـأرانـا تَـفَـتُّتَ الأكـبـاد
تـركـوا عَـبْـرتي تَـصُـوبُ ووَجْـدي في هـيـاجٍ ومُـهْـجَـتي في اتّـقـاد
هلْ عـلـمْـتُمْ في بـيـنـكم أنَّ عـيـني لم تَـذُقْ بـعـدكم لـذيـذَ الـرُّقـاد
لا أذوقُ الـكَـرى ولا أطْـعَـمُ الـغُـمْـ ـضَ ولا تَـنـثـني لِـطَـيْـفٍ وِسـادي

(١) في الأصل: وليث جاَذر (كذا) والصواب ما أثبتناه.

(٢) لم يرد الرقم في الأصل. ومجموع الناريخ يساوي ١٢٥٧هـ.

(٣) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٣).

(٤) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (بنج كاه).

والليالي التي تَمَرُّ وتمضي ... ألّفَتْ بين مُقلتي والسُّهاد

كلَّ يومٍ أرى اصْطِبارِيَ عنكمْ ... في انْتِقاصٍ ولوْعَتي في ازدياد

قد أخذتمْ منِّي الفؤادَ فرُدّوا ... في تَدانيكمْ عَليَّ فؤادي

وأعيدوا ما كان منّا ومنكمْ ... وليكنْ ما جَرَى على المُعْتاد

أينَ عهدي بهمْ فقد طالَ عهدي ... فسُقي عَهْدُهُمْ بصَوْبِ عِهاد

مُمْرِضي(*) في هواك زِدنْي سَقاماً ... فَلَعلّي أراكَ في عُوّادي

فدُموعي على هواك غزارٌ ... وفؤادي إلى رُضابك صادي

يا عَذولاً يظُنُّ أنَّ صَلاحي ... في سُلُوِّي وذاك عينُ فَسادي

أنا في ما أراهُ عنكَ بِوادٍ ... في هيامي وأنت عنّي بِواد

إنّما أعينُ الظّباءِ وما يُجْـ ... ـهَلُ منها مَصارِعُ الآساد

ما أراني من القَوامِ المُفَدَّى ... ما أراني من القَنا المَيَّاد

ولحاظٍ كأنَّهُنَّ بقلبي ... مُرْهَفاتٌ سُلَّتْ منَ الأغْماد

أيُّ قلبٍ عذَّبْتَهُ بصُدودٍ ... ودُنُوٍّ نَغَّصْتَهُ ببُعاد

لم يُفِدْني تَطلُّبي من ثِمادٍ ... أبتَغيه ورِقَّةٍ من جَماد

ما لِحَظِّي منَ اغْتِرابي وما لي ... مُولعٌ بالإتْهامِ والإنْجاد

ويَدُ البينِ طالما قَذَفَتْني ... غُرَّةً في دكادِكٍ ووِهاد

وتَقَلَّبْتُ في البلادِ وماذا ... أبتَغي من تَقَلُّبي في البلاد

ليتَ شعري وليتني كنتُ أدري ... ما مَرامي منَ النَّوى ومُرادي؟

وبِـ(بغدادَ) مَنْ أحاولُ فيها ... أشْرَفَ الحاضرين في (بغداد)

وهْو (عبد الرحمن) نَجْلُ (عليٍّ) ... عَلَويُّ الآباءِ والأجداد

ألتَّقِيُّ النقِيُّ قولاً وفعلاً ... والكريمُ الجَوادُ وابنُ الجَواد

رفعَ اللهُ ذِكْرَهُ في المعالي ... من عليِّ العُلا رفيعِ العِماد

شَرَفٌ باذخٌ ورِفْعَةُ ذكرٍ ... رَغِمَتْ عندها أنوفُ الأعادي

هكذا هكذا المكارمُ تُرْوَى ... والمَزايا من طارفٍ وتِلاد

سادَ بالعِلْمِ والتُّقَى سيّدُ النا ... س فَخاراً للسّادةِ الأمْجاد

يَقتَني المالَ للنّوال وإنْ كا ... ن لَعَمْري فيه منَ الزُّهاد

(*) في الطبعة (١): (فمرضي) خطأ طباعي، والصواب من الطراز الأنفس.

شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ فأرانا | في سَوادِ الخُطوبِ بيضَ الأيادي
كم رَوَتْنا الرُّواةُ عنه حَديثاً | صَحَّ عندي بصحَّةِ الإسْناد
وأعَدْتُ الحَديثَ عنه فقالوا | ما أُحَيْلَى هذا الحَديثِ المُعاد
فَيُريني حَلاوةَ الجُودِ جوداً | وأريه حَلاوةَ الإنشاد
عَلِمَ اللهُ أنَّه في حجاهُ | مُفْرَدُ العَصْرِ واحدُ الآحاد
صَيْرَفيٌّ الكلامِ لَفْظاً ومَعْنىً | من بصيرٍ بذَوْقِهِ نَقَّاد
يعرفُ الفَضْلَ أهْلُه وذَووه | وامْتِيازُ الأضْدادِ بالأضْداد
إنْ تغابَتْ عنه أناسٌ لأمْرٍ | أو عَمَتْ عنه أعينُ الحُسّاد
فكذاكَ البَياضُ وهْو نقيٌّ | مُبْتَلى في نقائه بالسَّواد
يا بَني الغَوْثِ والرُّجوعُ إليكمْ | حينَ تعدو منَ الخُطوبِ العَوادي
يكشفُ الله فيكمُ الضُرَّ عنّا | وبكمْ نَقْتَفي سَبيلَ الرشاد
كيف لا نَسْتَمِدُّ من روحِ قومٍ | شُفَعَاءٍ لنا بيوم المَعاد
(رَضِيَ اللهُ عنهمْ ورضوا عنه)[1] | خِيارُ العِبادِ بينَ العِباد
فَوَلائي لهم وخالِصُ حُبِّي | هو ديني ومَذْهَبي واعْتِقادي
فعلى ذلك الجَنابِ اعْتِمادي | وإلى ذلك الجَنابِ اسْتِنادي
فضلُكمْ يشملُ العُفاةَ جميعاً | ونَداكمْ للصّادرِ الوَرّاد
إنَّ للهِ فيكمُ كنزَ عِلْمٍ | ما له ما بقيتُمُ من نَفاد
إنْ حَدا هذه القصائدَ حادٍ | فلها من جميل فِعْلِكَ حادي[2]
وعليكمْ تُمْلي القَوافي ثناءً | عَطِراتِ الأنْفاسِ في كلِّ ناد
وإذا ما أردْتُ مَدْحَ سِواكمْ | فكأني اخترطتُ شوكَ القَتاد
رَبِحَتْ فيكمُ تجارةُ شِعْري | لا رماها في غيركمْ بالكساد
أنا في شكركمْ أروحُ وأغدو | فأنا الرائحُ الشَّكورُ الغادي

---

(١) اقتباس من قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله..) سورة المجادلة الآية (٢٢).

(٢) في الأصول: هادي. وما أثبتناه أولى، لأنه يتفق مع صدر البيت.

(١١٨)

وقال مادحًا السيد سلمان القادري النقيب[١] [وهي من الطويل]:

مَـتى يَـشـتَـفي هـذا الـفـؤادُ الـمُـتَـيَّمُ ... ويقـضي لُبانـاتِ الـهَـوَى فيك مُـغْـرَمُ

أبـيتُ أداري الـوَجْـدَ فـيك صـبـابـةً ... وأســهَـرُ لـيـلي والخَـلـيّـونَ نُـوَّمُ

أجيبُ دواعي الـشـوقِ حـيثُ دَعَـوْنَـني ... وإن أكْـثَـرَتْ لَـوْمي عـلـى الحبِّ لُـوَّمُ

وأهُـــرِقُ من عَـيْـنَـيَّ مـاءَ مَـدامعٍ ... وفي الـقـلـب مـنّي لـوعـةٌ تَـتَـضَـرَّم

وأشـكو إلـيك الـشَّـوْقَ لو كنتَ سـامـعًا ... ومن لي بمـشـكـوٍّ يَـرِقُّ ويَـرْحَم

إلام أذيعُ الـوَجْـدَ، عـنـدك أمْـرُهُ ... وأُظْـهِـرُ مـا أخْـفي عـلـيك وأكـتُمُ

أعـلِّلُ نـفـسي في تـدانـيك ضـلّـةً ... وأبـني المـبـاني في هـواكَ وأهْـدِمِ

ولي حـسـرةٌ مـا تـنـقـضي وتـلـهُّفٌ ... ومن مُـرْسلاتِ الـدّمع فَـذٌّ وتـوأم

ولـلـصَّـبِّ آيـاتٌ تـدلُّ عـلـى الـهـوى ... تُـصَـرِّحُ أحْـيـانـاً به وتُـجَـمْـجِمِ

ولـيلٍ أقـاسـيه كـأنَّ نُـجـومَهُ ... غَـرانـيقُ في مَـوجٍ منَ الـيَمِّ عُـوَّمُ

بمُـعْـتَـرَكٍ بـين الأضـالعِ والحَـشـا ... يـنـازلُـني لـلـهَمِّ جـيشٌ عَـرَمْـرَمُ

كـأنّ بـصـدري من تـبـاريح مـا أرى ... صُدورَ الـعَوالي، والـقـنـا الـمُـتَـحَـطِّم

أمَضَّ بـأحـشـائي غـرامٌ مُـبَـرِّحٌ ... وأعْـضَـلَـني داءٌ منَ الـوَجْـدِ مـؤلم

عَـدَتْكَ الـعَـوادي إنّـمـا هـي زفـرةٌ ... تـطـيشُ بـأحْـنـاءِ الـضُّـلـوعِ وتحـلم

لـقـد بَـرَّحَتْ بي وهْي في بُـرَحـائـهـا ... سَـواجِعُ في أفـنـانـهـا تَـتَـرَنَّم

تـعـيدُ عـلـيـنـا مـا مَـضَى من صَـبابـةٍ ... وتـمـلي أحـاديثَ الـغَـرامِ فـنـفـهم

ولم أنسَ لا أنـسى الـدِّيـارَ الـتي عَـفَتْ ... طـلـولٌ لـهـا تُـشْـجي الـمَـشـوقَ وأرسُم

وقـوفـاً عـلـيـهـا الـركبُ يـقـضُون حـقّـهـا ... كـأنَّـهـمُ طـيـرٌ عـلـى المـاءِ حُـوَّم

تـذكّـرنـا مـا كـانَ في زمن الـصِّـبـا ... وإنْ طـالَ فـيـهـا عَـهْـدُهـا الـمُـتَـقَـدِّم

وعـيـشـاً قَـضَـيْـنـاه نـعـيـمـاً ولـذَّةً ... هـو الـعـيشُ إلاّ أنَّه يَـتَـصَـرَّم

خَـلـيـليَّ مـا لي كـلّـمـا عَنَّ ذكـرُهُمْ ... وجيءَ بـأخـبـارِ الأنـاشـيـد عـنـهمُ

أكـفـكفُ من عـيـني بـوادرَ عَـبْـرَةٍ ... وأبـكي لـبـرقٍ شِـمْـتُهُ يَـتَـبَـسَّم

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة (٨).

رَعَى الله جيراناً مُنيتُ بحُبِّهمْ ... أحَلُّوا دمي في الحبِّ وهْو مُحَرَّم
رَعَيْتُ بهم رَوضَ المَحَبَّةِ يانعاً ... وحكّمْتُهمْ في مُهْجَتي فتحكّموا
ألا مَنْ مُجيري يالقومي ومُسْعِدي ... على ظالمٍ في حكمه يتظلّم
هُمُ أعوَزُوني الصَّبرَ بعد فراقهمْ ... وسارَ فؤادي حيثُ ساروا ويمَّمُوا
بنفسي الظعونُ السائراتُ كأنَّها ... بُدورٌ تداعتْ للمَغيب وأنْجُم
إذا زَحْزَحَتْ عنها اللثامَ(*) عَشيَّةً ... أضاءَ بها جُنْحٌ منَ الليلِ مظلم
أيزعُمُ واشي الحُبِّ أنّي سَلَوْتُهُمْ ... ألا ساءَ واشي الحبِّ ما يَتَوَهَّم
خلا عَصْرُنا هذا منَ الناسِ فارتقبْ ... أناسًا سواهُمْ تُحْسِنُ الظنَّ فيهم
وما بعدَ (سلمانِ النقيبِ) منِ امرىءٍ ... بـ(بغدادَ) من يُعزَى إليه التكرُّم
بذي طلعَةٍ تُنبيكَ سيماؤها العُلا ... ويصدقُ فيها القايفُ المُتَوَسِّم[1]
عليه وَقارٌ ظاهرٌ وسكينةٌ ... يُمثِّلُ (رَضْوَى) دونَها و(يَلَمْلَم)[2]
منَ السَّادةِ الغُرِّ المَيامينِ سيّدٌ ... أعزُّ بني الدنيا وأندَى وأكرمُ
وما هو إلاّ من ذؤابةِ (هاشمٍ) ... هو الرأسُ فيهمْ والرئيسُ المُقَدَّم
تُناخُ لديه للمطامع أَيْنُقٌ(**) ... إذا حَثْحَثَ الركبُ المَطِيَّ ويمَّموا
فما دونَ هذا الشَّهْمِ للوفدِ مَقْنَعٌ ... ولا بعده في البرِّ للناس مَغْنَم
لنا من أياديه وشاملِ فضله ... مواهبُ تَتْرَى من لَدُنْهُ وأنْعُم
تَصَدَّرَ في دَسْتِ النقابةِ سيّداً ... وما لسواه في الصُّدورِ التَّقَدُّم
نَهُزُّ معاليه لكلِّ مُلمَّةٍ ... كما هُزَّ للطَّعنِ الوشيجُ المُقَوَّم
وما زال كالسّيف المُهنَّدِ يُنْتَضَى ... عُرى كلِّ خطبٍ في غِرارَيْهِ تُفْصَم
تمسَّكتُ بالحَبْلِ الذي منه لم يَرِمْ ... بحادثةِ الدنيا ولا يَتَصَرَّم
وفي كلِّ يومٍ من أياديه نعمةٌ ... مكارمُ تُسْتَوفَى ورزقٌ يُقَسَّم
فللفضلِ في أيّامه البيضِ موسمٌ ... وللجُودِ منه والمكارمِ مَوْسِم
بطلعتِه نستطلعُ الشمسَ في الضُّحَى ... ويَنجابُ من ليلِ الخطوبِ التَّجَهُّم

---

(١) القايف: العارف. من القيافة.

(٢) رضوى جبل في ينبع قرب المدينة المنورة. ويلملم جبل في موضع قرب الطائف وهو ميقات الحجاج من أهل اليمن. وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه. انظر معجم البلدان ٥/ ٤٤١.

(*) في الطبعة (١): (اللئام) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

(**) في الطبعة (١): (أنيق) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه.

وذي هِمَّةٍ أمْضَى من السّيف حَدُّها — لأظْفارِ أحداثِ الزمانِ تُقَلِّم
تطيرُ بذكراه القَوافي شوارداً — فَتُنجِدُ في أقْصَى البلاد وتُتْهِم
(أبا مصطفى) لم أروِ مدحَكَ لامرئٍ — منَ الناس ألاّ قالَ هذا مُسَلَّم
لِتَهْنا (قريشٌ) حيثُ كنتَ زعيمَها — تُبَجَّلُ في أشْرافِها وتُعَظَّم
ومن كان (عبدُ القادر) الشيخُ جَدُّهُ — فماذا يقولُ المُفْصِحُ المُتكلِّم
وكم نعمةٍ أولَيْتَني فشكرتُها — ولو لم يَفُهْ مِنّي لسانٌ ولا فم
فما ساغَ لي إلاّ بفضلكَ مَشْرَبٌ — ولا لذَّ لي إلاّ بظِلِّكَ مَطْعَم
لكلِّ امْرِىءٍ حَظٌّ لديكَ منَ النَّدى — فلا أحَدٌ من نَيْلِ جَدْواكَ يُحْرَم
إليكَ ولا مَنٌّ عليكَ قَوافِيًا — بأوصافكَ الحُسْنَى تُصاغُ وتُنْظَم
إذا أفْصَحَتْ عن كُنْهِ ذاتكَ غادرتْ — حَسودَكَ في إعرابها وهْو أبكم
ومنكَ ثرائي حيثُ كنتُ وثروتي — وما زال يَثْرَى في نوالِكَ مُعْدَم
رأيتُ بك الدنيا كما شئتَ طلقةً — وعيشي لولا شهدُ جُودك علقَم
خَدَمْتُكَ بالمدحِ الذي أنتَ أَهْلُهُ — ومثلكَ يا مولايَ بالمدح يُخْدَم
أرى الشِّعْرَ إلاّ فيك ينقصُ قَدْرُهُ — وديناره في غيرِ مَدْحِكَ درهم
ونثني عليكَ الخيرَ في كلِّ ساعةٍ — ونبتدئُ الذكرَ الجميلَ ونختم

(١١٩)

هذه الدارُ وهاتيك المغاني — فَسَقاها بِدَمٍ أحْمَرَ قاني
دَنِفٌ عَبْرَتُهُ مُهراقةٌ — مثلما أهْرَقَت الماءَ الأواني
في رُسومٍ دارساتٍ لَقِيَتْ — ما يُلاقي الحُرُّ في هذا الزمان
كان عهدُ اللَّهْوِ فيها والهَوَى — خَضِلَ المنبَت حلويَّ المَجاني
تَزْدَهي بالغيدِ حتّى خِلْتُها — روضةً تنبتُ بالبيضِ الحسان
تَتَهادَى مثلَ باناتِ النَّقا — بقُدودٍ خَطَرتْ من خوطِ بان

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

أثْمَرَتْ بالحُسْنِ إلاّ أنّها   لم تكنْ مُدَّتْ إليها كفُّ جاني
فاتكاتٍ بعيونٍ من ظُبًى   طاعناتٍ بقَوامٍ من سِنان
مَنْ مُجيري من هواهنَّ وما   حِيلتي بين ضِرابٍ وطِعان
أهوَنُ الأشياءِ فيهنّ دَمي   والهَوَى أكبرُ داعٍ للهَوان
قد رماني شادنٌ من يَعرُبٍ   لا رَمَى اللهُ بسوءٍ مَنْ رَماني
مُسْتَبيحاً دَمَ صبٍّ طَلَّهُ   سَهْمُ عَيْنَيْه حَراماً غيرَ واني
حسرةً أورثتُها من نَظرةٍ   ما لها في مُلْتَقَى الصَّبر يَدان
يا لها من نظرةٍ يَشْقَى بها   دون أعضائِيَ طرفي وجَناني
نَفَرَتْ أسرابُ هاتيك المَهَا   وذَوى من بعدها غصنُ الأماني
وتَناثَرْنَ عُقودًا طالما   نُظِمَتْ في جَمْعِنا نَظْمَ الجُمان
ما قَضَى دَيْنِيَ عنّي ماطلٌ   كلّما اسْتَقْضَيْتُهُ الدَّيْنَ لَواني
يا أحبّائي على شَحْطِ النَّوى   كم أُعَاني في هواكُمْ ما أُعاني
مُسْتَلِذّاً في أحاديثكُمُ   لذَّةَ الشّاربِ من خمرِ الدّنان
ما صَحَا فيكم لعمري ثَمِلٌ   لمْ يذقْ راحاً ولا طافَ بِحَان
أتُرى الورقاءَ في أفنانها   قد شَجَاها في هواكم ما شَجاني
فكأنْ قد أخَذَتْ من قَبْلِها   عَن قُماري الدَّوحِ أقْمارُ القِيان[1]
رابَ سلمَى ما رأتْ من هِمَّةٍ   نَهَضَتْ منّي وحظٍّ مُتَوان
لم تكنْ تدري ومن أينَ لها   مَبْلَغُ العِلْمِ وما تعرفُ شاني
واثقاً باللهِ ربِّي والغِنَى   من ندى (عبدِ الغنيِّ) في ضَمان
قَرَنَ الإحسانَ بالحُسْنَى معاً   فأراني فيهما سَعْدَ القِران
لم يَرُعْني حادثٌ أرهَبُهُ   أنا ما عِشْتُ لديه في أمان
هو ركنُ المجدِ مَبنى فَخْرِهِ   لا وَهَتْ أركانُ هاتيكَ المباني
جعلَ اللهُ به لي عِصْمَةً   فإذا اسْتَكْفَيْتُهُ الأمْرَ كفاني
فَفَداهُ مَنْ لديه مالُه   بمكانِ الرّوحِ من نفسِ الجَبان
ثانِيَ اثْنَينِ معَ الدُّرِّ سَنًا   واحدٌ ليس له في النَّاسِ ثان
عَجَبٌ منه ومن أخْلاقِهِ   لو تَتَبَّعْتَ أعاجيبَ الزمان

---

(١) القماري: جمع قمرية، وهو ضرب من الحمام، لسان العرب مادة (قمر). والقيان: جمع قينة وهي المغنية.

كَرَمٌ مَحْضٌ وبأسٌ ونَدى   في نجيبٍ قلّما يَجْتَمِعان
وأذلَّ المالَ مِعْطاءٌ يَرَى   عِزَّةَ الأنْفُسِ بالمالِ المُهان
بأبي من لم يزلْ منذُ نَشَا   خَضِلَ الراحَةِ مُنْهَلَّ البَنان
بُسِطَتْ أَنْمُلُهُ العَشْرُ فما   زلتُ منها حَشْوَ جَنّاتٍ ثَمان
وله مُبْتَكَراتٌ في العُلا   ترفعُ الذكرَ إلى أعلى مَكان
قائلٌ في مِثْلِها قائلُها   هكذا تُفْتَضُّ أبكارُ المَعاني
رَجُلٌ في مَوقِفِ الليثِ لهُ   فتكةُ البِكرِ منَ الحَربِ العَوان
تَحتَ ظلِّ النَّقْعِ في حَرِّ القَنا   فَوقَ رَحْبِ الصَّدْرِ مَوّارِ العَنان
والمواضي البيض ما إنْ أشرقتْ   شَرِقَتْ ثَمَّ بلونٍ أرجواني[1]
ولَكَ اللهُ فقد أمَّنْتَني   كلّما عِشْتُ صُروفَ الحَدَثان
إنّما قَيَّدْتَني في نعمةٍ   أطلَقَتْ في شكرها اليومَ لساني
دونكَ الناسُ جميعًا والرُّبا   أبَدًا تَنْحَطُّ عن شُمِّ الرّعان[2]
يا (أبا محمود) يا هذا الذي   عَمَّ بالفَضْلِ الأقاصي والأداني
مَنْزِلي قَفْرٌ ودهري جائرٌ   فأجِرْني سيِّدي من رمَضان
وَزَمانٍ منه حَظّي مثلَما   كان حَظُّ الشّيبِ من وُدِّ الغَواني
لستُ أدري والذي في مثله   أنزلَ القرآنَ والسَّبْعَ المَثاني
أفأيّامُ صِيامٍ أقبَلَتْ   هيَ أمْ أيامُ بؤسٍ وامتحان
ساءني منه لعمري شَرَفٌ   لِيَ من تلكَ الحُروفِ الثُّلُثان[3]
لو أرى لي سَفَراً قَطَّعْتُهُ   إرَباً بالأيْنُقِ(*) النُّجْبِ الهِجان
نائياً عن وَطَنٍ قاطِنُهُ   يحسُدُ اللاّطِمَ وَجْهَ الصَّحْصَحان[4]
يا غَماماً لم يَزل صَيِّبُهُ   واكِفَ(**) الدِّيمَةِ آناً بعدَ آن

(١) يعني غصت السيوف واختنقت بالدماء.

(٢) في الأصول (أبدا تخط..) والصواب ما أثبتناه.

(٣) يعني (الشر) وهو ثلثا حروف الشرف.

(٤) اللاطم الفارس. واللطيم الفرس. والصحصحان: الأرض الجرداء المستوية.

(*) في الطبعة (١): (بالأنيق) وصوابها من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (وأكف) وصوابها من الطراز الأنفس.

صُمْ كما شئتَ بخيرٍ واغتنمْ ... أجرَ شهرِ الصَّوْمِ بالخَيْرِ المدان

ما جَزاءُ الصَّوم في أمْثالِه ... غيرُ ما نوعَدُ فيه بالجِنان

وتَهَنَّا بعدَه في عِيده ... إنَّ أعيادَكَ أيامُ التَّهاني

(١٢٠)

عادَ الفؤادَ من الجَوَى ما عادا ... أضحى يُذيلُ له الدُّموعَ وِرادا(٢)

بل أنتِ قاتلةُ النفوس فربّما ... يأبَى قَتيلُكِ أن يكون مُفَادى

قُولي لطَيْفِكِ يا سعادُ يزورُني ... إنْ سُمْتِ صَبَّكِ جَفْوةً وبُعادا

هيهات أن يَصِلَ الخَيالُ لمُقلةٍ ... جَفَتِ الرقادَ فما تَملُّ سُهادا

ولَكَمْ أروحُ بلوعةٍ أغدو بها ... ما راوحَ القلبَ النَّسيمُ وغَادَى

خُذْ يا هُذَيْمُ إليكَ قلبي إنّه ... ملأ الجوانحَ كلَّها إيقادا

واسلُكْ بِصَحْبِكَ غيرَ ما أنا سالكٌ ... فيه ومُلْقٍ للنِّياقِ قِيادا

حَذَراً عليكَ منَ (الصَّريمِ) فربّما(٣) ... قَنَصَتْ لحاظُ ظِبائِه الآسادا

تلك الأحِبَّةُ في (الغميم) ديارُها(٤) ... جادَ الغَمامُ ديارَها وأجادا

من مُثْقَلاتِ المُزن ألقَى رَحْلَهُ ... فيها وشَقَّ على الطُّلول مَزادا

يَسْتَلُّ منه البرقُ بيضَ سُيوفه ... منها وما كانت لها أغْمادا

ما قادتِ الرِّيحُ الجنوبُ زمامَهُ ... إلا وطاوعَ أمْرَها وانْقادا

وسَقاكِ دفّاعُ الحيا من أربُعٍ ... لم أخْشَ فيها للدّموع نَفادا

وقَفَتْ بنا فيها المطيُّ فَخِلْتُها ... فقدتْ لها بـ(الرَّقْمَتَينِ) فؤادا(٥)

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (١).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (حسيني).

(٣) الصريم. واد وموضع باليمن. معجم البلدان ٣/ ٤٠٥.

(٤) الغميم: موضع قرب الحديبية بين مكة المكرمة وجدة.

(٥) الرقمتان: مواضع كثيرة بهذا الاسم في بلاد العرب، منها: الرقمتان وهما روضتان الأولى قرب البصرة والثانية في نجد. والرقمتان موضع قرب المدينة المنورة. والرقمتان: روضتان في بلاد بني العنبر، والرقمتان: بشط فلج من أرض بني حنظلة. انظر معجم البلدان ٣/ ٥٨. والشاعر لا يريد موضعًا بعينه. وإنما هي أسماء مواضع يتغنى بها الشعراء.

وأبَتْ بَراحاً عن طوامِسِ أرْسُمٍ ... أضحتْ لها ولصَحْبها أقْيادا

هل أنتِ ذاكرةٌ، وهاجَ بكِ الجَوَى، ... مَرْعىً وماءً عندها مبْرادا

واهاً لعَيْشكَ بـ(الغُوَيْر) لقد مَضَى ... ورأيتُ بَعْدَ نَعَيمِه أنكادا

ولقد رأيتُ الدارَ تُدمي أعْيُناً ... غَرْقَى ويحرقُ دمعُها الأكبادا

فَنَحَرْتُ هذا الطّرْفَ في عَرَصَاتها ... فمَدامعي مَثْنىً لها وفُرادى

وسقيتُها بالدمع حتّى لو سَقَى ... وَبْلُ الغَمامِ رسومَها ما زادا

يا وُرْقُ! أين غرامُ قلبِكِ من شجٍ ... جَعلَ النُّواحَ لشَجْوِه مُعْتادا؟

أوَ تُشْبِهينَ الصَّبَّ عند نُواحِهِ ... ولقد بخلتِ بمَدْمَعَيْكِ وجادا

بلغَ البكاءُ منَ الشَّجيِّ مُرادَهُ ... منه وما بلغَ الشَّجِيُّ مُرادا

فمتى خُمودُ النار بين جَوانحي ... والنّارُ آونةً تكون رمادا؟

ومُسالِماتُ الحادثاتِ وأنْ أرى ... زمني لأمْري طائعاً مُنْقادا

أنّى يسالِمُني الزمانُ وقد رأى ... هِمَمي على حرب الزمان شِدادا

وعَداوةُ الأيام ليستْ تنقضي ... والحُرُّ في هذا الزمانِ مُعَادى

لولا جميلُ (أبي الثناءِ) وإنّه ... يولي الجميلَ ويُكْرِمُ الوفَّادا

قَلْقَلْتُ عن أرضِ (العراق) ركائبي ... وسَكَنْتُ غَيْرَكِ يا بلادُ بلادا

هو مُورِدي ما لم أَرِدْهُ من النّدى ... لولاه لم أكُ صادراً ورّادا

ومُطَوِّقٌ جيدي بنائله الذي ... مَلَكَ الرقابَ وطوَّقَ الأجْيادا

مُتَفَرّدٌ بالفَضْلِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ ... من يعرِفُ الأفرادَ والآحادا

إنْ قلتُ: ما بالخافِقَيْنِ نَظيرُهُ، ... أوْرَدْتُ في ما قلتُهُ أشْهادا

هذي البلادُ وهذه عُلَماؤها ... هل فاخَرَتْ بنَظيرِه (بغدادا)؟

إنَّ الشَّريعَةَ أُلبستْ بجَنابه ... تاجاً وألبَسَهُ التُّقَى أبْرادا

أجْدادُهُ بَنَتِ العَلاءَ وشَيَّدَتْ ... فَبَنَى على ذاك البناءِ وشَادا

وكأنّما أقلامُ أَنْمُلِهِ غَدَتْ[1] ... زُرقاً على أهلِ العنادِ حِدادا

وكأنّما جُعِلَ الصَّباحُ لخَطِّهِ ... مَعْنىً ومُسْوَدُّ الظلامِ مِدادا

---

(١) في الأصول: (وكأنما الأقلام أنملة غدت) والصواب ما أثبتناه.

نـهـدي إلى عـين الـقـلـوب سُـطـورَهُ نـوراً يُـخـالُ عـلـى الـبَـيـاضِ سَـوادا

لـلـه فـضـلـك في الـوجـود فـإنّه تَـرَك الـبـريَّـةَ كـلَّـهـا حُـسّـادا

عَـزّ الـنَّـظـيـرُ لمـثل فَـضْـلِكَ بـيـنـهمْ فَلْـيَطْـلُـبوا لك في الـسَّـمـا أنـدادا

لـو أنـصـفـوا شـكـروا مـواهـبَ ربِّـهـمْ إذْ كـنـتَ لـلـدينِ الـقَـويمِ عِـمـادا[1]

أحْـيَـيْـتَ عِـلْـمَ الأنـبـيـاءِ وقـد أرى[2] بـوجـود ذاتِكَ رَجْـعَـةً ومَـعـادا

أفـنـيتَ دهـركَ في اكْـتِـسـاب فـضـائلٍ تـفـري الـزمـانَ وتُـخـلِـقُ الآبـادا

ولأنتَ أجـرى الـسّـابـقـينَ إلى مَـدىً ولأنتَ أورى الـقـادحـينَ زِنـادا

لَـحِـقَتْ مَـداكَ اللاحـقـونَ فَـقَـصَّـرتْ ولـو أنَّـهـا رَكِـبَتْ إلـيك جِـيـادا

ولـقـد جَـرَيْتَ عـلى مَـذاكي هِـمَّـةٍ[3] لا تَـسْـأمُ الإتْـهَـامَ والإنْـجَـادا

هـا أنتَ في الإسلام أكـبـرُ آيـةٍ لـلـه تـمـحـو الـغَيَّ والإلحـادا

فـإذا نَـطَـقْتَ فَـحُـجَّـةٌ مـقـبـولـةٌ أو قـلـتَ قـلـتَ من الـكلام سَـدادا

مـا أمَّ فَضْلَكَ مُسْـتفـيدٌ في الـورى[4] إلا اسْـتَـفـادَ فـضـيـلـةً وأفـادا

لـولا ورودُ بـحـارِ عِـلْـمِكَ إذْ طَـمَتْ لـم تـعـرفِ الإصْـدارَ والإيـرادا

ولـكَمْ زرعتَ منَ الجَـمـيلِ مَـكـارمـاً لا تـرتَـجي ممـا زرعتَ حَـصـادا

ولكَ الجـمـيلُ إذا قَـبِـلْتَ مَـدائـحـاً أنـشـدتُـهـا لكَ مُـعْـلِـنًـا إنـشـادا

فَلْـيَـهْـنِكَ الـعـيـدُ الجـديـدُ ولم تَـزَلْ أيّـامُ دهـرِكَ كـلُّـهـا أعـيـادا

(١٢١)

تـنـفَّسَ عن وَجْـدٍ تَـوقَّـدَ جَـمْـرُهُ فـأجـرى مَـسيلَ الـدَّمعِ يَـنـهلُّ قَـطـرُهُ

وبـاتَ يُـعـاني الـهَمَّ لـيس بـبـارحٍ عـلى قـلـبه إقْـدامُهُ ومَـكَـرُّه

تـمـنَّى ومـا يُـغـنِي الـتَّـمنّي مُـطـالـبـاً حَـرِيٌّ به لـولا الـدَّنِـيَّـةُ دهـره

ودُونَ أمـانـيه عَـوائقُ جَـمّـةٌ يـضـيقُ لـهـا في المـنـزل الـرحبِ صَدرُه

(١) في حديقة الورود (أن كنت..).

(٢) في حديقة الورود (... وقد رأى).

(٣) المذاكي: الخيل العراب.

(٤) في حديقة الورود (ما أم بابك..).

(٥) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢).

تَحَمَّلَ أعْباءَ المتاعبِ والتُّقَى ... على غرّةٍ صَرْفُ الزمانِ وغدرُه
وأشْقَى بني هذا الزمان أريبُهُ ... وأتعبُ مَنْ فيه منَ الناسِ حُرُّه
وربَّ خَميصِ البطنِ ممّا يَشينُهُ ... ينوءُ بأثقالِ الأبوَّةِ ظهرُه
له كلّ يومٍ وقفةٌ بعد وقفةٍ ... يُهيجُ جَوَى أحشائه وتُقرُّه
يَطولُ معَ الأيام فيها عتابُهُ ... ويسهرُ ليلاً ما تَبَلّجَ فَجْرُه
يَشيمُ سَنا برقِ المطامع وامضاً ... تألَّقَ إلاّ إنّه لا يَغُرُّه
فأمسى يغضُّ الطرفَ عنه ودونَهُ ... وقوفُ الفَتَى يفضي إلى الضّيم أمرُه
وحالَفَ مُخْتاراً على العزِّ نَفْسَهُ ... إباءً ولم يُؤخَذْ على الذُلِّ إصْرُه
بنفسي امْرؤٌ يقسو على الدهرِ ما قَسا ... ولم يَتَصَدَّعْ في الحوادث صخرُه
إذا ما رأى المَرْعى الدنيَّ تَنوشُهُ ... يَدُ الرذلِ يُسْتَحْلَى مَع الهُونِ مُرُّه
تَناولَ أفنانَ الخُصاصَةِ وارتَدى ... بفاضلِ ذيلِ الفَخْرِ يُسْحَبُ طِمْرُه
جَليدٌ على عُسْرِ الزمان ويُسْرِه ... وما ضَرَّه عُسْرُ الزمانِ ويُسْرُه
فلا البؤسُ والإقلالُ ممّا يسوؤه ... وليس ثراءُ المال ممّا يَسُرُّه
لئن تَخْلصُ الإبريزَ نارٌ تذيبُهُ ... فما نَفْعُه إلاّ بما قد يَضُرُّه
فقد أخْلَصَتْ نارُ التَّجاربِ سَبكَهُ ... إلى أنْ صَفَا من شائبِ الزَّيف تِبْرُه
قريبُ مجاني الجُودِ من مُسْتَميحِهِ ... بعيدٌ على من سامَهُ الخَسْفَ غَوْرُه
فلا يأمَنَنَّ الدهرَ مكري فإنّني ... منَ القوم لم يؤمنْ بمن ساء مكرُه
وما أنا بالمدفوع إنْ ضيمَ شَرُّهُ ... ولا أنا بالممنوعِ إنْ سيمَ خَيْرُه
مَنَحْتُ الصِّبا عَذْبَ المَواردِ في الهَوى ... بمُبْتَسمٍ باللؤلؤ الرطبِ ثَغْرُه
قَضَيْتُ به عَهْدَ الشَّبابِ وعصرَهُ ... فهل راجعٌ عهدُ الشباب وعصرُه؟
تَفَتَّحَ نُوّارُ المَشيب بلِمَّتي ... وأينعَ في روض الشَّبيبَةِ زهرُه
وما فاتني هذا الوقارُ الذي أرى ... إذا فاتني وَصْلُ المَليحِ وهجرُه
صَحَا والهوى العذريُّ باقٍ خُمارُهُ ... بنشوانَ من خَمْرِ الصَّبابةِ سُكْرُه
مُعذّبتي من غير جُرمٍ يلومُها ... وأعْذَبُ شيءٍ في هواكِ أمَرُّه
أرابَكِ منّي أنْ أقمتُ بموطنٍ ... تجوعُ ضَواريه وتشبعُ حُمْرُه
وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى ... وهذا ندى (عبد الغنيِّ) ووفرُه
فلا زال موصولاً من الله لُطْفُهُ ... إليَّ ومَسْبولاً من الله سَتْرُه
بأبلجَ وضّاحِ الجَبينِ أغَرِّه ... فللّه وضّاحُ الجَبينِ أغرُّه

كما لم يزلْ منّي عليه ولم يَزَلْ ... ثنائي على طول الزمان، وبِرُّه
كفاني مُهَمّاتِ الأمور جميعها ... فما سَرَّني إنْ ساءني الدهرُ - غيرُه
وما باتَ إلاّ وهْو في الخطب كالئي ... بطَرْفٍ يريعُ الدهرَ إذْ ذاكَ شَزْرُه
وما لامْرِئٍ عندي جَميلاً أعُدُّه ... وكيف وقد غطّى على البَحْرِ نهرُه
وإنَّ الجميلَ المَحْضَ معنىً وصورةً ... خَلائِقُهُ بين الأنام وذكرُه
حَياةُ جميلِ الصُّنعِ فيها حياتُهُ ... وعُمْرُ المعالي والأبوّةِ عمرُه
حِياضُ العَطاءِ المُسْتَفاضِ أكفُّهُ ... ومن فَيْضِها جَزْلُ العَطاءِ وغَمْرُه
يمينٌ كصَوْبِ المُزنِ يهرقُ جودُها ... ووجْهٌ كروضِ الحَزْنِ قد راقَ بِشْرُه
دعاه إلى المعروف من نفسه لها ... وتلك سَجاياه وذلكَ طَوْرُه
أدَرَّتْ له أخْلافُ كُلِّ حَلُوبَةٍ[1] ... من المجد حتّى قيل لله دَرُّه[2]
تَنَصَّلَ هذا الدهرُ من ذَنْبِهِ به ... فلا تَعْتَبِنّ الليلَ والصُّبْحُ عُذْرُه
فما ذَنْبُهُ من بعد ذلكَ ذنبُهُ ... ولا وِزْرَهُ من بعد ذلك وزرُه
ولي منه ما أهدي لديه وأبْتَغي ... ومنّي له المدحُ الذي طابَ نَشْرُه
فيا قَمَراً في أفْقِ كلِّ أبيَّةٍ ... سريعٌ إلى المعروف والبِرِّ سَيْرُه
فداؤك نفسي والمناجيبُ كلُّها ... ومن سَرَّهُ في الناسِ أنّك فَخْرُه
أفي الناس إلاّ أنتَ من عَمَّ خَيْرُه ... بيومٍ على الدنيا تطايَرَ شرّه
وما غيرُكَ المَدْعُوُّ إن شبَّ جَمْرُها ... وأنشبَ نابُ الخطبِ فينا وظُفْرُه
قَواضٍ على صَرْفِ الحوادث بيضُهُ ... مواضٍ لعمري في الكريهةِ سُمْرُه
إذا ما غَزا معروفُهُ النُّكرَ مرَّةً ... فلِلّه مَغْزاهُ وبالله نَصْرُه
تدفَّقَ في حَوْضِ المكارم جُودُهُ ... وحَلَّقَ في جَوٍّ من الفَخْرِ صقرُه
فهل يعلمنَّ المجدُ أنّك فَخْرُهُ ... وهل يَعْلَمنَّ الجودُ أنَّك بَحْرُه
ومُسْتَعْصِمٌ بالعِزِّ منكُ وثوقُهُ ... إليك إذا هابَ الدَّنايا مَفَرُّه
وما خَفِيَتْ حالٌ عليك ظهورها ... وكيف وسرُّ العَبد عندك جَهْرُه

---

(١) الأخلاف: أشطر الضرع.

(٢) تورية لطيفة بين الدر: اللبن. والدعاء (لله دره).

فلا تحسبّني من ثراكَ مُمَلّقاً | ورُبَّ غنيٍّ ليس يبرحُ فقرُه
وليس فقيراً من رآكَ له غِنىً | ولا آيساً من أنتَ ما عاشَ ذُخْرُه
فشكراً لأيديك التي قد تتابعتْ | إليَّ بما يستوجبُ الحمدَ شكرُه
ولو نَظَمَ الجوزاءَ فيك لما وفَى | بها نَظْمُهُ المُثني عليك ونثرُه
وما يملأ الأقطارَ إلاّ ثناؤه | ويَعْذُبُ إلاّ في مَديحِكَ شِعْرُه

(١٢٢)

لَياليِنا على الجَرْعاء عودي | بماضي العيش للصَّبِّ[*] العميدِ[٢]
بحيث منازلُ الأحباب تزهو | ونظمُ الشَّمْلِ كالدرِّ النَّضيد
وفي تلك المنازلِ لا عداها | حَياً يَنْهَلُّ من ذاتِ الرُّعود
مَسارِحُ للمَها يَسْنَحنَ[**] فيها | وإنْ كانتْ مَرابضَ للأسود
تَعَلَّقَها هوى قيسٍ لليلَى | سَوانِحَ ربربٍ وقطيعَ غيد
هنالكَ تَفْتكُ اللحظاتُ منها | وتَنْتَسبُ الرماحُ إلى القُدود
وكمْ في الحَيِّ من كبدٍ تَلَظَّى | وتَصْلَى حَرَّ نيران الخُدود
ولمَّا أنْ وقفتُ بدار ميٍّ | لذكر الماضياتِ منَ العُهود
نَثَرْتُ بها دُموعَ العين نَثْرًا | كما انتثرَ الجُمانُ من العُقود
وللركبْ المُناخِ بها حَنينٌ | حَنينُ الفاقدينَ على الفَقيد
سَقَتْكِ بمُسْتَهلِّ المُزنِ قطرٌ | ووَشّاك الحَيَا وَشْيَ البُرود
فأينَ ملاعبُ الغزلانِ فيها | وصَفْوُ العيشِ في الزمنِ الرغيد
وفي تلك الشِّفاه اللُّعْسِ ريٌّ | فواظَمَأ الفؤاد إلى الوُرود
وما أنْسَى الإقامَةَ في ظلالٍ | على ماءٍ من الوادي بَرود

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٥٢).

(٢) غنى الأستاذ القبانجي بعض أبياتها بمقام (أورفة).

(*) في الطبعة (١): (للصيب) وصححت على الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (يسخن) وصححت علي الطراز الأنفس.

تُـغَـنِّـيـنـا منَ الأوراقِ وُرْقٌ ... وتَـشْـدونـا عـلـى الـغُـصْنِ الـمَـيـود
وتنشدُنا الـهَوى طـربـاً فـنلـهـو ... وتـطـربُـنـا بـذَيّـاكَ الـنَّـشـيـد
لـقـد كـانتْ لَـيـالـيـنـا بـ(جَـمْعٍ) ... مـكـانَ الخـالِ من وَجْـنـاتِ خُـود
أبـيتُ ومَنْ أُحِبُّ وكـأسَ راحٍ ... كَـذَوْبِ الـتِّـبْـرِ في الماءِ الجَـمـود
وقـد غَـنَّتْ فـأعـربَتِ الأغـاني ... عن الـلَّـذات من نـايٍ وعُـود
فـمـا مـالتْ إلى الـفَـحْـشـاء نـفسٌ ... ولا ركَـنَتْ إلى حَـسْـنـاءَ رود
ومـا زالتْ بِيَ الألحـاظُ حـتّى ... ألانتْ هـذه الأيـامُ عـودي
ولم تـمـلكْ يمـينُ الحِـرْصِ نـفـسي[1] ... ولا ألْـوَتْ إلى الأطـمـاعِ جـيـدي
ولَـيْلٍ قـد لـبـستُ به دُجـاه ... بـأرديَـةٍ من الـظَّـلـمـاءِ سُـود
لـبـيـدٍ يَـفْـرَقُ الخـرِّيتُ فـيـهـا ... ولم أصْـحَبْ سـوى حَـنَشٍ وسِـيـد[2]
يُـجـاوِبُـني لـديـهـا الحَـتْفُ نـفسٌ ... فـيـلـمَسُ مَلْـمَسَ الـصّـعـدِ الشَّـديد
وتـمـنعُ جـانـبي بـيضٌ شـدادٌ ... ولـي بـأسٌ أشـدُّ من الحـديـد
وكم يـومٍ ركـبـنـا الـفـلكَ تـطـفـو ... بـسـيطَ المـاءِ في الـبَحْـرِ الـمَـديـد
إذا عَـصَـفَتْ بـهـا ريحٌ هَـوَتْ بي ... كـمـا يـهـوي الـمُـصَـلّي لـلـسُّـجـود
فـآونـةً تـكـون إلى هـبـوطٍ ... وآونـةً تـكـون إلى صـعـود[3]
ولـولا (الـيـوسُـفـانِ) لمـا رَمَتْ بي[4] ... مـرامـيـهـا إلى خـطـرٍ مُـبـيـد
وقـد أهْـوَى الـكـويتَ وأنـتَـحـيـهـا ... إلى مَـغْـنَى (مـحـمَّـدِهـا الـسَّـعـيـد)
إذا طـالَـعْـتُ بَـهْـجَـتَه أرَتْـني ... مَـطـالِـعُـهـا مَـطـالِعَ لـلـسُّـعـود
أنـامـلُـهُ جَـداولُ لـلـعَـطـايـا ... وبَـهْـجَـتُه ريـاضٌ لـلـوُفـود
وأكـرَمُ من غَـدَتْ تُـثـني عـلـيه ... بـنـو الـدنـيـا بـقـافـيَـةٍ شَـرود
مُـفـيـدٌ كلَّ ذي أمَلٍ وحـاجٍ ... يمـدُّ إلـيه راحَـةَ مُـسْـتَـفـيـد
وَمُـنْـتَـجَعُ الـعُـفـاةِ يُـنـالُ فـيه ... مَـكـانـةُ رِفْـعَـةٍ وَنـالُ جُـود
تَـحُطُّ رِحـالَـهـا فـيه الأمـاني ... وتَـعْـنـيهِ الـمَـدائحُ من بـعـيـد

---

(١) في الأصول: (ولم تملك يمين الحرص نفس) والصواب ما أثبتناه.

(٢) الحنش: الأفعى. وما أشبهت رؤوسه رؤوس الحيات من الحرابي وسوام أبرص والضباب (لسان العرب مادة حنش). والسيد: بكسر السين الذئب.

(٣) في الأصول: (فآونة تكدن...) وآونة تكدن..) والصواب ما أثبتناه.

(٤) هما السيدان يوسف البدر ويوسف الصبيح وقد مرت ترجمتهما في تعليقنا على القصيدة رقم (٧٤).

وتـــأوي كـــلّـــمـــا آوتْ إلـــيه   ومَـــأواهـــا إلى رُكْنٍ شَـــديـــد

فَـــتىً من عِـــقـــدِ ســـاداتٍ كـــرامٍ   يَـتِـيـمَـةُ ذلك الـعِـقْـدِ الـفَـريـد[*]

نَـــعِـــمْتَ فَـــتىً منَ الأشْـــرافِ خِلاً   فـــيــــا لـــلــه من خِلٍّ وَدُود

ولـــولا جُـــودُهُ والـــفَـــضْلُ مـــنه   كـمـا[**] مَنَّ الـوُجـودَ عـلى وجـودي

مَـنـاقِبُ في المـعـالي أورثُـوهـا   عن الآبـــاءِ مـــنـــهمْ والجُـــدود

أُسُـودُ مَـواطِنِ الـهَـيْـجـاءِ قـومٌ   لـهم شـرفُ الـعُـقـولِ عـلى الأسـود

هـو الـشَّـرَفُ الـذي يَـبْـدو سَـنـاه   فـيـخـضـعُ كلُّ جَـبّـارٍ عـنـيـد

ويُـخْـمِـدُ نـورُهمْ نـاراً تَـلَـظَّى   وكـان الـظنُّ آبِـيَـةَ الخُـمـود

ومـا اعـتـرفَ الجَـحـودُ بـهـا وفـاقـاً   ولـكنْ لا سَـبـيلَ إلى الجُـحـود

رِفـاعيٌّ رفـيـعُ الـقَـدْرِ سـامٍ   أبِيٌّ راغـمٌ أنـفَ الحَـسُـود

ومُـبـدي كلَّ مـكـرمـةٍ، مـعـيـدٌ   فـيـا لـله من مُـبْـدٍ مُـعـيـد

مَـكـارمُ مُـنْـعِمٍ ونَـوالُ بَـرٍّ   غـنيٍّ بـالـنّـجـازِ عن الـوُعـود

ومـا مَـلَـكَتْ يـداه من طَـريفٍ   - فـلم تُـضِعِ الجَـمـيل - ومن تـلـيـد

عـمـودُ الـمَـجْـدِ من بيت الـمَـعـالي   وهل بـيتٌ يـقـومُ بلا عـمـود

مَـدَحْتُ سِـواهُ من نُـقـبـاءِ عَـصْـرٍ   فـكـنتُ كـمن تَـيَـمَّمَ بـالـصَّـعِـيـد

ولُـذْتُ به فَـلُـذْتُ إذًا بـظلٍّ   يَـمُـدُّ ظِلال جَـنّـاتِ الخُـلـود

ولـستُ بـبـارحٍ عن بـاب قَـرْمٍ[١]   أُقَـيِّـدُ من نَـداهُ في قُـيـود

إذا جـرَّدتَهُ عَـضْـبـاً صَـقـيلاً   وقَـفْتَ منَ الحَـديـدِ عـلى حَـديـد

وإنْ ذكـروا لـه خَـلْـقـاً وخُـلْـقًـا   فـقلْ مـا شـئتَ بـالخُـلْقِ الحَـمـيـد

إلـيك بَـعَـثْـتُـهـا أبـيـاتَ شِـعْـرٍ   يـسـيـرُ بـهـا الـرسـولُ معَ الـبـريـد

كـقَـطْرِ الـمُـزْنِ يَـسْـجُمُ من نَـمـيـرٍ   وروضِ الـمُـزنِ يَـبْـسِمُ عن ورود

لـئنْ كـانْت بـنـو الـدنـيـا   قَـصـيـداً فـإنّكَ بَيْـنَـهُمْ بيتُ الـقَـصـيـد

(١) في الأصول: (.. عن باب قوم) والصواب ما أثبتناه.

(*) إشارة وتوجيه لطيفين إلى كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي.

(**) في الطبعة (١): والطراز الأنفس (كما) ولعل صوابها (لَما).

(١٢٣)

شَرَّفَ (البَصرةَ) مَوْلانا المُشيرُ — وتَوالَى البِشْرُ منه والسُّرورُ
قَرَّتِ الأعينُ في طلعته — مُذْ بدا وانشرَحَتْ منّا الصُّدور
أشْرَقَتْ في أفْقِنا وانْتَهَجَتْ — وكذا تَطْلُعُ في الأفْقِ البُدور
يرفعُ الجَوْرَ ويُبْدي عَدْلَهُ — منصفٌ بالحكم عَدْلٌ لا يجور
أوتِيَ الحِكْمَةَ والحُكْمَ وما — هُوَ إلاّ العالمُ البَحْرُ الغَزير
فَوَّضَ الأمْرَ إليه مَلِكٌ — ما جَرَتْ إلاّ بما شاءَ الأمور
من وزيرٍ أصْبَحتْ آراؤه — يسعدُ السلطانُ فيها والوزير
كان سِرَّ اللّطف مكتوماً وقد — آنَ للرَّحْمَةِ واللُّطْفِ الظُّهور
من أميرِ المؤمنينَ انبَعَثَتْ — حَبَّذا المأمورُ فيها والأمير
دولةٌ أيَّدَها اللهُ به — فَلَقَدْ طالتْ وما فيها قُصور
وبشيرٌ لمماليكٍ هَمُّهُ — أنْ يَرى الناسَ وما فيهمْ فقير
أنتَ سَيْفٌ صارِمٌ في يَدِهِ — وسَحابٌ من أياديه مَطير
أنتَ ظلٌّ مَدَّه اللهُ على — أهلِ هذا القُطْرِ أنْ حان الهَجير
جِئتَ بالبأسِ وبالجودِ معاً — إنّما أنتَ بَشيرٌ ونَذير
تَمْحَقُ الباغينَ عن آخرِهِمْ — مثلما يمحو الدُّجَى الصُّبْحُ المُنير
أصْلَحَتْ بيضُكَ ما قد أفسدوا — وكَبَا بالمُفْسِدِ الجَدُّ العَثور
في حُروبٍ تدركُ الوِتْرَ بها[2] — حاضَتِ البِيضُ بَها وهْي ذُكور[3]
عُدْتَ مَنْصوراً بجيشٍ ظافرٍ — وجَنابُ الحَقِّ مَوْلانا النَّصير
بذلوها أنْفُساً عن طاعَةٍ — ضِمْنُها الفوزُ وعُقْباها الحُبور
تَخْطَفُ الأرواحَ من أعدائها — مثلَما تَخْتَطِفُ الطيرَ الصُّقور

---

(١) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٤).

(١) الوتر: الثأر.

(٢) البيض السيوف ومن أسماء السيف الذكر. وحاضت السيوف يعني جرت عليها دماء القتلى. وهو مثل قول الشاعر:

ومن عجب أن الذوابل والقنا — تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

إنّما قَرّبْتَهُمْ عن نَظَرٍ ... ما له في هذه الناسِ نَظير
عارفاً إخْلاصَ مَنْ قَرَّبتَهُ ... ولأنتَ الناقدُ الشَّهْمُ البَصير
فَتَحَتْ باباً لراجيكَ يَدٌ ... سُدِّدتْ في حَدِّ ماضيها الثُّغور
وحَمَى أطرافَها ذو غَيرةٍ ... وهْو أنت الباسلُ الشَّهْمُ الغَيور
أسْمَعَتْ صمَّ الأعادي رَهَبًا ... من مَواضيكَ صَليلٌ وزئير
مُهْلِكٌ أعْداءَكَ الرعبُ كما ... أهلكتْ عاداً من الريح الدَّبور
يا لكَ اللهُ مُشيراً بالذي ... يُرتَضَى منه وبالخَيْرِ مُشير
فإذا جادَ فَغَيْثٌ ممْطِرٌ ... وإذا حاربَ فالليثُ الهَصور
وإذا حَلَّ بدارٍ قد بَغَتْ ... حَلَّ فيها الويلُ منه والثُّبور
إنْ تَسَلْ عَمَّنْ بَغَى في حُكْمِهِ ... فقتيلٌ من ظُباه وأسير[1]
أوقدوا النارَ التي أُوروا بها ... وسَعَى في هُلْكِهِمْ ذاك السَّعير
إذْ يسيرُ النَّصْرُ في مَوْكبه ... مُعْلناً تأييدَه حيثُ يَسير
كيف لا يُرجَى ويُخْشَى سَطْوَةً ... لا النَّدى نَزْرٌ ولا الباعُ قَصير
وإذا طاشَتْ رجالٌ لم يَطِشْ ... أينَ (رضوى) من عُلاه و(ثَبير)
ذو انْتقامٍ شَقِيَ الجاني به ... ولمن تابَ عَفُوٌّ وغَفور
أبْغَضَ الشَّرَّ فلا يَصْحَبُهُ ... وانْطَوى منه على الخَيْرِ الضَّمير
أنْقَذَ الأخيارَ من أشْرارِها ... وشَرارُ الشرِّ فيهِمْ مُسْتَطير
فـ(العراقُ) الآنَ في خفضٍ وفي ... مَجْدِكَ الباذِخِ مُخْتالٌ فَخور
أنْتَ للناس جميعاً مَوْرِدٌ ... ولها منكَ وُرودٌ وصُدور
أنتَ للناس لعَمري مَنْهَلٌ ... ونَداكَ السَّائغُ العَذْبُ النَّمير
هذه (البصرةُ) منذُ اسْتَبْشَرَتْ ... بكَ وافاها من السَّعْدِ بَشير
حَدَثَتْ بالقُرْبِ من عُمْرانِها ... بعدما أخْرَبَها الدهرُ المُبير
كبَقايا أسْطُرٍ من زُبُرٍ ... بَلِيَتْ وابْتُلِيَتْ تلكَ السُّطور
فلعلَّ اللهَ أنْ يَعْمُرَها ... بكَ واللهُ بما شاء قَدير
تَتَلافاها وإنْ أشْفَتْ على ... جُرُفٍ هارٍ وأبْلَتْها العُصور
لكَ بالخَيْرِ مَساعٍ جَمَّةٌ ... وبما تَعْزِمُ مِقْدامٌ جَسُور

---

(١) الظباء ظبا السيوف مدت للضرورة.

وإذا بـــاشَـــرْتَ أمْـــراً مُـــعْـــضلاً
هــانَ فـيكَ الأمــرُ والأمــرُ عَــســيـر

قـد شَـهِـدنـا فـوقَ مـا نـسَـمَـعُهُ
عــنكَ والــقَــوْلُ قــلــيلٌ وكـثــيـر

فَـشَــهِـدْنـا صـحَّـةَ الـقـولِ وإنْ
قَـصَّـرَ الـرّاوي ومـا في الـقـولِ زور

ونَــشَــرْتَ الـفَـضْلَ حـتّى خِـلْـتُهُ
قـامَ مـنكَ الـبَـعْثُ حَـشْـرٌ ونُـشـور

طَـلَـعَتْ من أنْـجُـمِ الـشِّـعْـرِ بـكمْ
وَبَـدَتْ من أُفـقه الـشِّـعْـرَى الـعَـبور[1]

كلّ يـــومٍ لك سَـــعْـــدٌ مُـــقْـــبِلٌ
وعـلى الـبـاغي عَـبـوسٌ قَـمْـطَـريـر

(١٢٤)

هـاتِـهـا حـمـراءَ تحـكي الـعَـنْـدَمـا
واسْـقِـنيـهـا من يَـديْ عـذبِ اللَّمَى[3]

وانـتَـهِـزْهـا فـرصـةً قـد أمـكـنتْ
فـاغْـتَـنِـمْـهـا واتَّـخِـذْهـا مَـغْـنَـمـا

وانـتَـهِـبْـهـا لـذةً إنْ تـنـقضِ[4]
يـا نـديمي أعْـقَـبَـتْكَ الـنَّـدَمـا

وأعِـدْ لي من شـبـابي مـا مـضَى
بـعـجـوزٍ لم تُلاقِ الـهَـرَمـا

حَـبَّـذا أختُ عـروسٍ زُوِّجَتْ[5]
وهْي بِـكـرُ الـدَّنِّ من مـاءِ الـسَّـمـا

أخْـبَـرتْ عن نـار (كسـرى) مـا روتْ
من أعـاصـيـرِ الأُلى مـا قَـدُمـا

لَـطُـفَتْ حـتّى كـأنْ لم نَـرَهـا
فَـتَـخَـيَّـلْـنـا الـوجـودَ الـعَـدَمـا

في ريـاضٍ أخَـذَتْ زُخْـرُفَـهـا
وبـكى الـغـيثُ لـهـا وابـتـسـمـا

يـومَ أُنْسٍ نَـشَـرَ الـسُّـحْبَ به
في نـواحي الجـوّ بُـرْداً مُـعْـلَـمـا

حَـجَـبَ الـشَّـمْسَ فـأبْـرَزْنـا لـنـا
شَـمْسَ راحٍ والحَـبـابَ الأنجـمـا

---

(١) الشعرى: نجم في السماء، وهما نجمان (الشعرى الغميصاء والشعرى العبور) وكان العرب قبل الإسلام يعبدون الشعرى العبور. وفي القرآن الكريم (وأنه هو رب الشعرى) سورة النجم الآية (٤٩). وفي البيت جناس بديع بين الشعر والشعرى.

(٢) مرت ترجمته في تعليقنا على القصيدة رقم (٢٢).

(٣) هذه القصيدة لم ترد في الأصول. وهي رقم (١) في مخطوطة شعر الأخرس التي حققها ونشرها الدكتور يوسف عزالدين.

(٤) في الأصل: (إن تنقضي) كذا.

(٥) في الأصل: (حبذا أخذ عروس) ولا يستقيم معه المعنى. والصواب ما أثبتناه.

مَعْ مَلِيحٍ قد قَضَى الحُسْنُ له ... أنْ يرى الظلمَ إذا ما حَكَما
لو رآه عاذلٌ يَعْذِلُنِي ... في هواه عاد فيه مُغْرَما
أشتكي الظلمَ وهذا ظالمي ... يا لَقومي من حَبيبٍ ظَلَما
ورماني عامداً من لَحْظه ... أيَّ سَهْمٍ ذلكَ اللَّحْظُ رَمَى
ما اتَّقى اللهَ بأحشائي ولا ... راقبَ المأثمَ في ما أَثِما[1]
حَرَّمَ الوَصْلَ على مُغْرَمِهِ ... ليتَهُ حَلَّلَ ما قد حَرَّما
يا مليحاً أنا في طاعَتِهِ ... وأُعاصي في هواه اللُّوَّما
منكَ أشكو ما أقاسيه ومن ... سُقْمِ أجْفانِكَ أشكو السَّقَما
وَسَواءٌ فيكَ مَسْلوبُ الحَشا ... باحَ أسْرارَ الهَوَى أو كَتَما[2]
يا لَقَوْمي من مُشيرٍ بدمي ... من دَمٍ طُلَّ بألْحاظ الدُّمى
كَمْ وكَمْ في الحبِّ لا في مَعْرَكٍ ... صَرَعَ الظَّبْيُ الأغَنُّ الضَّيْغَما
وفُنونٌ لِشُجونٍ أطْلَقَتْ ... عَبْرةَ الصّبِّ من الوَجْدِ دَما
لستُ أنْسَى ليلةً باتتْ بها ... أعينُ الواشينَ عنا نُوَّما
وسَهِرناها كما شاءَ الهَوَى ... نتَعاطَى الكأسَ من خَمْرِ اللَّمى
تلك أعْراسُ زمانٍ سَلَفَتْ ... فأقِمْ يوماً عليها مَأتما
لم أزلْ من بُعْدِها أرجو لها ... عَوْدَةً تُبْري بقلبي الألَما
مُقْرِناً قولي عسى في ربما ... وعسى تُغني (عسى) أو (ربّما)
يُنْعِمُ الدهرُ علينا مَرَّةً ... فَنَرى شَمْلَ المُنى مُنْتَظِما
ما رَأَتْ عَيْنِي امْرَأً حيثُ رأتْ ... مثلَ (إبراهيمَ) بَرّاً مُنْعِما
عَلَوِيٌّ قد عَلا أعْلَى العُلا ... وعلى أسمى السِّماكَينِ سَما
مُذْ رأيناه رأينا ماجداً ... وعَرَفْناه وعَرَفْنا الكَرَما

---

(١) في الأصل: (راقب الماتم) كذا بالمثناة.

(٢) هنا في الأصل ثلاثة أبيات اختلطت فيها الصدور والأعجاز هكذا:

وسواء فيك مسلوب الحشا ... صرع الظبي الأغن الضيغما
يا لقومي من مشير بدمي ... باح في سر الهوى أو كتما
كم وكم في الحب لا في معرك ... من دم طل بألحاظ الدمى

قلت: وهي واضحة جدًا في صورة المخطوطة المنشورة في المقدمة. ولا يستقيم معها المعنى كما أن المحقق لم ينبه عليها. والصواب ما أثبتناه. وإنما حصل الخطأ أثناء الطبع أو النسخ.

فهو كالغيث إذا الغيثُ هَمى[1] وهْو كالبَحْرِ إذا البَحْرُ طَمى

باسطٌ للجود منه راحَةً ساجَلَتْ يومَ العطاءِ الدِّيَما

أشْرَفُ العالَمِ أُمّاً وأباً ثُمَّ أوفاهمْ وأندى كَرَما

هو مِنْ أشْرَف قومٍ نَسَباً خيرُ من تلقاه فيهمْ مُنْعِما

سَيّدٌ إنْ يَعْتَزِ أو يَنْتَمِ[2] فإلى خيرِ النبيّينَ انْتَمَى

لَوْذَعيٌّ[*] لم تَدَعْ آراؤه من أمورِ الرأيِ أمْراً مُبْهَما

قَسَماً بالفَخْرِ في عَلْيائه أوَتبغي فوق هذا قَسَما؟

إنّه لَلْفَرْدُ في أقْرانه كان والمجدَ التَّليدَ التَّوْأَما

سالكٌ ما سَلَكتْ آباؤه بمعاليه السَّبيلَ الأقْوَما

نَشَرَتْ أَيْمانُهُ ما مَلَكَتْ لنظامِ الحَمْدِ حتّى نُظِما

أنا في مَدْحي له خادمُهُ إنَّ مَن يَخْدِمْ عُلاه خُدِما[3]

وقَليلٌ ولو انّي ناظمٌ لِعُلاهُ في القَريضِ الأنْجُما

شِيَمٌ مَمْدوحَةٌ في ذاته فتَأمَّلْ فيه تلك الشِّيَما

فتراه للنَّدى حينئذٍ مُسْبِغاً في كلِّ يوم نِعَما

هو تِرياقٌ منَ الدَّهرِ الذي كان في اللأْواء صِلاً صَيْلَما[4]

فإذا ما حارَبَتْ أيامُهُ حادثَ الأيامِ أَلْقَى السَّلَما[5]

نَتَّقي ما نَتَّقي من بأسه وإذا[**] أقْدَمَ خطبٌ أحْجَما[6]

لا بَلَغْتُ أربًا إنْ لم أكنْ ناقلاً إلاّ إليه قَدَما

---

(١) فيه اقتباس من قول لسان الدين ابن الخطيب:

جادك الغيث إذا الغيث همي يا زمان الوصل بالأندلس

(٢) في الأصل (إن يعتزي أو ينتمي) غير مجزومة.

(٣) في الأصل: (إنما يخدم علاه خدما) وكتب المحقق في الحاشية: كذا في الأصل وفي نسخة ش (إن من يخدم علاه خدما). قلت: الصواب في نسخة ش وقد أثبتناه.

(٤) الصيلم: الخبيث الشديد.

(٥) في الأصل: (جادت أيام) كذا ولم ينبه عليها المحقق.

(٦) في الأصل: (وإذا قدم).

(*) في الطبعة (١): (لو دعيٌّ) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.

(**) في الطبعة (١): (وإذ) وهو خطأ طباعي والصواب ما أثبتناه من الطراز الأنفس.